











دَارُ الْكِتَابِ السُّنِّيَّةِ

---

صَبْحُ الْأَسْبَحِ

---

الجزء الثامن

---

طبع  
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة  
١٣٣٤ هـ  
١٩١٥ م



فهرس

الجزء الثامن

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

---



مقدمة

المقصد الثالث - في المكتبة إلى أهل الجانب الجنوبي : من العرب

٥ ... .. والسودان، وفيه ثلاث جمل

٥ ... .. الجملة الأولى - في المكتبة إلى من بهذا الجانب من العربان

٦ ... .. الثانية - » » مسلمى ملوك السودان ...

١١ ... .. الثالثة - » » ملوك المسلمين بالحيشة ...

المقصد الرابع - » » أهل الجانب الشمالى ، وفيه ثلاثة

١٢ ... .. أطراف

الطرف الأول - في المكتبات إلى أمراء الأتراك ببلاد الروم المسماة

١٢ ... .. الآن ببلاد الدروب ...

٢٥ ... .. الثانى - في المكتبة عن ملوك الديار المصرية إلى ملوك الكفر

» الثالث - » إلى من وراء بحر القسرم، ويشتمل على

٢٦ ... .. أربعة مقاصد ...

٢٧ ... .. المقصد الأول - في المكتبة إلى ملوك الكفار ببلاد الشرق ...

» الثانى - » » » المغرب من

٣٣ ... .. جزيرة الأندلس وما والاها ...

٣٩ ... .. الثالث - في المكتبة إلى ملوك الكفار بالجانب الجنوبي ...

» الرابع - » » » الشمالى من

٤٢ ... .. الروم والقرونجة على اختلاف أجناسهم ...

الفصل الخامس - من الباب الثانى من المقالة الرابعة في الكتب

الواردة على الأبواب السلطانية من أهل المملكة

٥٤ ... .. وغيرها ، وفيه نوطان ...

صفحة

- النوع الأول — المكتبات الواردة عن ملوك المسلمين ، وهي  
 على قسمين ... .. ٥٤
- القسم الأول — في الكتب الواردة عن أهل هذه المملكة بالديار  
 المصرية والبلاد الشامية ، وفيه ضربان ... .. ٥٤
- القسم الثاني — في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية عن  
 أهل الممالك الإسلامية ، ويشتمل على أربعة  
 مقاصد ... .. ٦٢
- المقصد الأول — في الكتب الواردة عن أهل الشرق ، وفيه أطراف ٦٣  
 الطرف الأول — الكتب الواردة عن القنات العظام من بنى  
 جنكحان ... .. ٦٣
- » الثاني — في المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن  
 أهل الشرق ... .. ٧١
- » الثالث — في رسم المكتبات الواردة عن صاحب اليمن إلى  
 هذه المملكة ... .. ٧٢
- » الرابع — في الكتب الواردة إلى الأبواب السلطانية عن  
 ملوك الهند ... .. ٧٦
- المقصد الثاني — في المكتبات الواردة عن ملوك الغرب ، وفيه جمل ٧٨  
 الجلة الأول — في المكتبة الواردة عن صاحب تونس ... .. ٧٩
- » الثانية — في المكتبات الواردة عن صاحب تلمسان من  
 بنى عبد الواد ... .. ٨٤
- » الثالثة — في المكتبات الواردة عن صاحب فاس ... .. ٨٧
- » الرابعة — في عادة الكتب الواردة عن صاحب الأندلس ... ١٠٦

صفحة

المقصد الثالث - في رسم المكاتبات الواردة عن ملوك السودان ،

وفيه ثلاثة أطراف ... .. ١١٥

الطرف الأول - في المكاتبات إلى صاحب مالى ... .. ١١٥

» الثاني - » الصادرة عن صاحب البرنو ... ١١٦

» الثالث - » عن ملك الكانم ... ١١٩

المقصد الرابع - في الكتب الواردة من الجانب الشمالى وهى

بلاد الروم ... .. ١١٩

النوع الثانى - [كتب خط القم الثالث] من المكاتبات الواردة إلى

هذه المملكة الكتب الواردة عن ملوك الكفار،

وهى على أربعة أضرب ... .. ١١٩

الفصل السادس - من الباب الثانى من المقالة الرابعة في رسوم

المكاتبات الإخوانيات، وفيه طرفان ... ١٢٦

الطرف الأول - في رسوم إخوانيات السلف من الصحابة والتابعين ١٢٦

» الثانى - » الإخوانيات المحدثه بعد السلف، وفيه

ثلاثة مقاصد ... .. ١٢٧

المقصد الأول - في رسوم إخوانيات أهل المشرق، وفيه أربعة مباح ١٢٧

المباح الأول - في صدور الابتداءات ... .. ١٢٧

» الثانى - في الأجوبة على هذا المصطلح ... ١٢٩

» الثالث - في خواص الإخوانيات على هذا المصطلح ... ١٤١

» الرابع - في عنوانات الكتب على هذا المصطلح ... ١٤٤

صفحة

- المقصد الثاني — في رسوم إخوانيات أهل المغرب، وفيه جملتان ... ١٤٨
- الجملة الأولى — في مفتحات المكتبات على اصطلاحهم، وفيها مهيان ١٤٨
- المهج الأول — في ابتداء المكتبات ... ١٥٤
- » الثاني — في الأجوبة ... ١٥٨
- الجملة الثانية — في خواتم المكتبات على اصطلاحهم ... ١٥٩
- المقصد الثالث — في الإخوانيات المستعملة بالديار المصرية، وفيه
- ثلاثة مصطلحات ... ١٦٠
- المصطلح الأول — ما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية ... وفيه
- ثلاثة مباح ... ١٦٠
- المهج الأول — في الصلور ... ١٦٠
- » الثاني — في خواتم الكتب ... ١٦٦
- » الثالث — في عنوانات الكتب ... ١٦٦
- المصطلح الثاني — من مصطلحات الديار المصرية ما كان عليه الحال
- في الدولة الأيوبية ... ١٦٧
- » الثالث — من مصطلحات الديار المصرية في الإخوانيات
- ما جرى عليه الاصطلاح في الدولة التركية، وفيه مهيان ١٦٨
- المهج الأول — في رتب المكتبات المصطلح عليها ... وهي
- على قسمين ... ١٦٨
- القسم الأول — الابتداءات ... ١٧١
- » الثاني — من المكتبات الإخوانيات الدائرة بين أعيان
- الملكة وأكابر أهل الدولة الأيوبية ... ٢١٢
- المهج الثاني — في بيان رتب المكتوب عنهم والمكتوب إليهم من
- أعيان الدولة ... ٢١٧



صفحة

الفصل السابع - من الباب الثانى من المقالة الرابعة فى مقاصد	
المكتبات، وهى قسمان ... ..	٢٣٣
القسم الأول - مقاصد المكتبات السلطانية، وهى على نوعين ...	٢٣٣
النوع الأول - ما يكتب عن الخلفاء والملوك، وهو على ثلاثة	
أضرب [موايه أربعة] ... ..	٢٣٣
الضرب الأول - ما يكتب عن الخلفاء والملوك ومن ضاهاهم، وهو	
على أصناف ... ..	٢٣٣
الصف الأول - الكتب باستقال الخلافة إلى الخليفة ... ..	٢٣٣
» الثانى - من الكتب السلطانية الكتب فى الدعاء إلى الدين ٢٤٤	
» الثالث - » » » بالحث على الجهاد ٢٤٦	
» الرابع - » » » فى الحث على لزوم	
الطاعة ودفم الخلاف ... ..	٢٥٢
» الخامس - من الكتب السلطانية الكتب إلى من نكت	
المهد من المخالفين ... ..	٢٥٩
» السادس - من الكتب السلطانية الكتب إلى من خلع الطاعة ٢٦٣	
» السابع - الكتب فى الفتوحات والظفر ... .. ٢٧٤	
» الثامن - المكتبة بالأعذار عن السلطان فى الهزيمة ... ٢٩٠	
» التاسع - المكتبة بتوبيخ المهزوم أنج ... .. ٢٩٩	
» العاشر - فى المكتبات بالتضييق على أهل الجرائم ... ٣٠٣	
» الحامى عشر - الكتب فى النهى عن التنازع فى الدين ... ٣٠٦	
» الحادى عشر - المكتبة بالأوامر والنواهى ... .. ٣٠٨	
» الثالث عشر - المكتبات عند حدوث الآيات السماوية ... ٣١٠	
» الرابع عشر - » فى التنبيه على شرف مواسم العبادة أنج ٣١٢	

- صفحة
- الصفء الخامس عشر - المكتبة بالسلامة فى الركوب فى المواسم والأعياد... ٣١٣
- » السادس عشر - المكتبة بالبشارة بوفاء النيل والبشارة بالسلامة فى الركوب لفتح الخليج ... ٣٢٨
- » السابع عشر - فى يكتب فى البشارة بركوب الميدان الكبير انآ ٣٣٣
- » الثامن عشر - المكتبة بالبشارة بمج الخليفة ... ٣٣٦
- » التاسع عشر - الكتابة بالإتمام بالتشاريف والخلق ... ٣٣٩
- » العشرون - المكتبة بالتنويه والتقيب ... ٣٤١
- » الحادى والعشرون - المكتبة بالإحاد والإذعام ... ٣٤٦
- » الثانى والعشرون - ما يكتب مع الإنعام لنواب السلطنة بالخليل والجوارح ... ٣٥١
- » الثالء والعشرون - المكتبة بالبشارة عن الخليفة بولد رقه ... ٣٥٦
- » الرابع والعشرون - ما يكتب عن السلطان بالبشارة بما فىه من مرض... ٣٥٧
- الضرب الثانى - من مقاصد المكاتب السلطانية ما يكتب عن السلطان فى الجواب ... ٣٥٨
- » الثالث - من الكتب السلطانية الكتب الصادرة من نواب السلطنة انآ ... ٣٥٩
- » الرابع - من المكاتب السلطانية ما يكتب عن التواب والاتباع إلى الخليفة أو السلطان، وفيه مهيعان ... ٣٦٦
- المهيع الأول - فى الأجوبة عن الكتب السلطانية ... ٣٦٦
- » الثانى - من مقاصد المكاتب السلطانية ما يكتب به عن نواب السلطان والاتباع إلى السلطان ابتداء... ٣٩٠

# صُبْحُ الْأَسَدِ

---

الجزء الثامن

---



دار الكتب السلطانية

---

كتاب

صحيح الأربعة

نالت

الشيخ أبي العباس أحمد القافضيني

---

الجزء الثامن

---

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

---

طبع  
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة  
١٣٣٤ هـ  
١٩١٥ م



## بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

---

### المقصود الثالث

في المكتبة إلى أهل الجانب الجنوبي من جرت العادة بالمكتبة إليه  
من العرب والسودان، وفيه ثلاث جمل

#### الجملة الأولى

(في المكتبة إلى من بهذا الجانب من العزبان)  
وقد ذكر في "التحقيق" من توثيق منهم جماعة بالطرق الموصلة من الديار  
المصرية إلى بلاد الحبشة وغيرها . ثم قال : ولعل هؤلاء أيضا من عربان المسالك  
المهروسة ، غير أنه لا إقطاعات لهم ، وعد منهم ثمانية أشخاص ، وذكر أنه كتب  
إلى كل منهم الاسم وجلس الأمير :

الأول — سَمُرَةُ بن كامل العامري .

الثاني — عَبَّاد بن قاسم .

الثالث — كَإل بن سَوَّار . قال : وهو مستحدث المكتبة في العشر الأول من  
جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

الرابع — جُنَيْد : شيخ الجَوَابرة من الهكاريَّة بأبواب التوبة . قال : وهو  
مستحدث المكتبة في سنة تسع وستين وسبعمائة .

الخامس — شريف : شيخ النعمانية ، بأبواب التوبة أيضا ، ومكاتبه مستجيذة حيثئذ .

السادس — علي : شيخ دُخيم .

السابع — زامل الثاني .

الثامن — أبو مهنا العمراني .

### الجملة الثانية

( في المكتبة إلى مسليى ملوك السودان ، وهم أربعة ملوك )

الاول — ملك التوبة . وهو صاحب مدينة دُهَلَّة : وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في الكلام على المقالة الثانية في "المسالك والممالك" . قال في "التعريف" : وهو رعية من رعايا صاحب مصر ، وعليه حمل مقره ، يقوم به في كل سنة ، ويخطب [ببلاده] <sup>(١)</sup> لخليفة العصر ، وصاحب مصر .

قلت : هذا كان في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وهذه الإتاوة كانت مقررة عليهم من زمن الفتح ، في إمارة عمرو بن العاص رضى الله عنه ، ثم صارت تنقطع تارة وتحمل أخرى ، بحسب الطاعة والمضيان . وهي الآن مملكة مستقلة بذاتها ، ولذلك أوردت مكتبة صاحبها في جملة الملوك :

ورسم المكتبة إليه إن كان مساهما على ما ذكره في "التعريف" :

صدرت هذه المكتبة إلى المجلس الجليل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ، المؤيد ، الأوجيد ، العُضد ، محمد الإسلام ، زين الأنام ، نغير المجاهدين ، عمدة الملوك وال سلاطين .



وذكر ذلك في «التقيف» قلاعه . ثم قال : ولم أجده مكتبة متداولة بين الجماعة . قال : ولم يكتب له شيء في مئة مباشرى بديوان الإنشاء ، ولم يزد على ذلك .

ورأيت في الدستور المنسوب للقر العلاءي بن فضل الله أن مكتبة هذه المكتبة أيضا ، وأنه يقال بعد عمدة الملوك والسلاطين : «أدام الله سعادته ، وبلغه في الدارين إرادته ، تتضمن إعلامه كَيْتَ وَكَيْتَ ، فيتقدم بكذا وكذا ، فيحيط علمه بذلك» . ثم قال : والمكتبة إليه في قطع العادة ، والعلامة «أخوه» ولا ينبغي أن العنوان بالألقاب ، ويظهر أن التعريف «صاحب دُقلة» .

الثاني — ملك البرنو . قال في «التعريف» : وبلاده تجمة بلاد [ملك] التكرور من الشرق ؛ ثم يكون حتما من الشمال بلاد [صاحب] أفريقية<sup>(١)</sup> ، ومن الجنوب المنجج ؛ وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك . ولم يذكر هذه المملكة في «مسالك الأبصار» . قلت : وملكها يزعم أنه من ذرية سيف بن ذي يزن ملك اليمن على ماورد به كتابه في أوامر المائة السابعة . ورم المكتبة إليه على ما ذكره في «التعريف» :

أدام الله تعالى نصر الجنتاب الكريم ، العالى ، الملك الجليل ، الكبير ، العالم ، العادل ، الغاوى ، المجاهد ، المهتم ، الأوحد ، المظفر ، المنصور ، عز الإسلام ، (من نوع ألقاب ملك التكرور) : يعنى شرف ملوك الأنام ، ناصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، ظهير الإمام ، عضد أمير المؤمنين الملك فلان . ويدعى له بما يناسبه ، وبعد إهداء السلام والتشوق هذه المغالضة تبدي ، على ما سياتى ذكره في مكتبته .

(١) الزيادة من «التعريف» .

وهذا صدر يليق به : ولا زالت هم سلطانة غير مقصرة ، ووفود تجه غير محصرة ، وسيفه في سواد من جاوره من أعدائه الكفار يقول : (( وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة )) صدرت ، ولما مثل مسكة أقيده صبق ، وعبرة طينته سواد إلا أنه من السواد اليق ، وشيبة ملكه الذي يقديه سواد الحلق ، أوجها ود أسكنه <sup>(١)</sup> [مسكنه] من سواده القلب لأبريم ، وأراه غرة الصباح الوضاح تحت طرة الليل الهم . وحكى ذلك عنه في "التخفيف" ولم يرد عليه .

ورأيت في الدستور المنسوب للقر العلاء بن فضل الله أن مكاتبته في قطع الثلث ، والعلامة « أخوه » وتعريفه « صاحب برؤ » .

قلت : ووصل من هذا الملك كتاب في الدولة الظاهرية (برقوق) يتشكى فيه من عرب جنداء المجاورين له ؛ ويدكر أنهم أخذوا جماعة من أقاربه بأعوم في الاضطار ، وسأل الكشف عن خبرهم ، والمنع من بيتهم بمصر والشام ؛ وأرسل هدية صالحة من زبيب وغيره . وكُتب جوابه بخط زين الدين طاهر : أحد كُتاب النسب . صدره : أعز الله تعالى جانب الجنب الكريم ، العالى ، الملك الجليل ، العالم ، العادل ، الغازى ، المجاهد ، الهام ، الأوحى ، المظفر ، المنصور ، المتوكل ، نحر الدين أبى عمرو عثمان بن إدريس : عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الفؤاد والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الجلالة ، ظهير الإمامه . ويشت إليه به مع رسوله الوارد تحفة الجميع ، فأعيد وقد كتب الجواب على ظهره بعد سنة أو سنتين .

الثالث — ملك الكايم . قال في "مسالك الأبحار" : وقاعدة الملك منها بلدة أسمها « جيبي » ومبدأ مملكته من جهة مصر بلدة أسمها « زلا » وأحرها طولاً بلدة

يقال لها « كَاكَا » وبينهما نحو ثلاثة أشهر . قال : وعسكرهم يَتَشَمُونَ ، وملِكُهم على حَقَارَةِ سُلْطَانِهِ ، وسُوءُ بُقْعَةٍ مَكَانِهِ ، في غَايَةِ لَأَثَرِكَ مِنَ الْكِبَرِيَاءِ ، يَسْحُ بِرَأْسِهِ عَنَانَ السَّمَاءِ ، مع ضَعْفِ أَجْنَادِهِ ، وَقِلَّةِ مَتَحَصِيلِ بِلَادِهِ ، محجوبٌ ، لا يراه أحد إلا في يوم العيدين بَكْرَةً وعندَ الْعَصْرِ ، وفي سائر السنة لا يكلِّه أحدٌ ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب .

وقال في "التعريف" ملوكها من بيت قديم في الإسلام ؛ وجاء منهم من ادعى النسب العلوي في بني الحسن ، وهو يمتدحُ بمتدحٍ الشافعي . ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" كرم مكتبة صاحب البرنو ، بدون الكريم ، وتبعه على ذلك في "التتيف" ناقلاً له عنه . ثم قال : ولم أطلع على مكتبة له غير الذي قد ذكره .

الرابع — ملك مالِي . قال في "مسالك الأبصار" وهي في نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط ، وقاعدة الملك بها بَنِي . وهي أعظمُ ممالك السودان ؛ وقد هُتِمَ في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك ذكرُ أحوالها ، وما تيسر من ذكر ملوكها ، وأن مالِي اسمٌ للإقليم ، والتكرور مدينةٌ من مدنه ، وكان ملكها في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » منسأ موسى ، ومعنى منسأ السلطان .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنه وصل منه كتابٌ عن نفسه لنفسه فيه <sup>(١)</sup> ناموساً ، وأنه وصل إلى الديار المصرية حاجباً ، واجتمع بالسلطان الملك الناصر ، فقام له وتلقاه ، وأكرمه وأحسن نُزُلَهُ ، على ما هو مبسوط في موضعه .

(١) حابة "المسالك" في الكلام على ملكة مال نصبا « وقد جاء كتاب من هذا السلطان إلى الحضرة السلطانية بمصر وهو بلطط المترى في ورق حريص ، السطر إلى جانب السطر وهو يحكى فيه ناموساً لنفسه » قلل مافي الأصل هكذا « عن نفسه وهو يحكى لنفسه الخ » فذهب .

قال في " التعريف " : وملك التَّكْوَرُ هذا يدعى نَسَباً إلى عبدِ الله بن صالح  
أبن الحسن ، بن علي ، بن أبي طالب .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في " التعريف " : « أدام الله تعالى نصرَ المقرِّ  
العالي ، السلطان ، الجليل ، الكبير ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحِد ،  
عزَّ الإسلام ، شرفَ ملوك الأنام ، ناصرَ الفُزاة والمجاهدين ، زعيمَ جيوش الموحَّدين ،  
جمالِ الملوك والسلاطين ، سيفِ الجلالَةِ ، ظهيرِ الإمامَةِ ، عضدَ أميرِ المؤمنين »  
الملك فلان . ويدعى له بما يناسب . وبعد إهداء السلام والتشويق « هذه  
المفاوضة تبتدى » .

قال : ولا يُعرض له ولا يُقرَّبُ شيءٌ من الانقلاب الدالة على النسب العلوي .  
وهذا صدر لهذه المكتبة ذكره في " التعريف " .

ويسرُّ له القيامَ بقرضه ، وأحسنَ له المعاملة في قرضه ، وكثرَ سوادهُ الأعظمَ  
وجعلهم يبيضُ الوجوه يومَ عَرْضِهِ ، ومتمعه بمُلكِ يمدِّ الحديدِ ينجفُ سِماؤه والنهبُ  
نَبَاتُ أرضِهِ . صدرت هذه المفاوضةُ وصدرُها به مملوءٌ ، وشكرُها عليه يحلُّو ، ومزايَا  
حُبِّهِ في القلوبِ مِرْكَلٌ قَوادٍ ، وسبَّبَ ما حَلَّى به الطرفَ والقلبُ من السَّوادِ ؛ مُتَزَلِّ  
به سَفْهُنَا المَسِيرَةِ في البحرِ وترى ، وتُحَلُّ عندَ ملكٍ يتقصُّ به زائدُه وينبئُ موبئِي  
مَتْنِي ، وتُحْمِي عليه والدهرُ لا يطرقُه فيما ينوب ، والفكرُ لا يُشوقُه إلا إذا هَبَّتْ صَبَاً  
من أرضِهِ أوجُوب .

والمُتداولُ بين جماعة كُتَّاب الإنشاء أن المكتبة إليه : « أعرَّ الله تعالى جانبَ  
الجناب الكريم العالي ، الملك ، الجليل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المؤيد ، الم رابط ،  
المناظر ، العايد ، التاسك ، الأوحِد ، فلان ، دُخِرَ الإسلام والمسلمين ، نُصرةُ الفُزاة

والمجاهدين، عونُ جيوش الموحّدين؛ رُكنُ الأئمة، عمادُ العِلمة، جمالُ الملوك .  
والسلاطين، وليُّ أمير المؤمنين، والدعاة .

وذكر نحو ذلك في الدستور المنسوب للقر العلاف بن فضل الله؛ ثم قال ويقال :  
« صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالي مملوءة الصدر بشكره ، باسمه النفر بفرقة  
قدره، موحّجة لعلمه الكريم كيت وكيت . وذكر أنّ خطابه بالجنب الكريم، والطلب  
والقصد وانتمم بالإحاطة؛ وذكر هو وصاحب «التتيف» أن المكتبة إليه في قطع  
الثلاث، والعلامة «أخوه»؛ وتعرفه «صاحب مالى وغانة» .

## الجملة الثالثة

( في المكتبة إلى ملوك المسلمين بالحشة )

قد تقدّم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك أنّ بلاد الحشة  
مسبعة ملوك مسلمين، لهم سبع ممالك؛ كلّ مملكة منفردة بملك؛ وبها الجوامعُ  
والمساجدُ ينادى فيها بالأذان، وتقامُ بها التجمُّع والجماعات، وهم مع ذلك تحت أمر  
صاحب آخر ملك ملوك الحشة؛ يختار لولاية ممالكهم من شاء توليته، ولا يردون  
ويصدرون إلا عن أمره، وهى مملكة أوقات والزّليع، ومملكة دَوَّارو، ومملكة  
آراينى؛ ومملكة هندية؛ ومملكة شرّحاء؛ ومملكة بالي؛ ومملكة دارة .

وقد تقدّم الكلام عليها وعلى أحوالها مستوفى عند الكلام عليها في المقالة الثانية .  
قال في «مسالك الأبصار» : وهذه الممالك تجاور ناصح، وسواكن، وذهلك؛  
وليس بها مملكة مشهورة .

قال في "التعريف" : ولم يرد من هذه الملوك السبعة كتاب ، ولا صندّر إليهم خطاب . قال : فإن ورد منهم شيء فتجربى مكاتبتهم مثل مكاتبة صاحب الكاظم والأبرئ . وقد جئتم أن رسم المكاتبه إليهما على ما ذكره في "التعريف" : « أعز الله تعالى نصرة الجناح الكريم ، وأعز الله تعالى جانب الجناح الكريم » على ما كتب به القاضي زين الدين طاهر في جواب صاحب البرئ على ما هو مذكور في موضعه .

### المقصود الرابع

( في المكاتبه إلى أهل الجناح الشمالى ، وفيه ثلاثة أطراف )

#### الطرف الأول

( في المكاتبه إلى أمراء الأتراك بالبلاد المعروفة ببلاد الروم )

( المسمّاة الآن ببلاد الروم )

قال في "التعريف" : وهى البلاد المتحصرة بين بحر القرم والبحر الأبيض المتوسط ، وتنتهى في شرقها إلى بحر القرم المسمى بحر نيطنش ، وفي الغرب إلى الخليج القسطنطينى وتنتهى متشاملة إلى القسطنطينية ، وتنتهى جنوباً إلى بلاد الأرمن ، يحدها البحر الشامى . قال : وهذه البلاد بلاد متسعة ، وهى مفترقة للملوك مجتمعة ، ولكنه لا يطلق عليهم إلا اسم الإمارة ؛ ولا انتظام لكتبتهم ، ولا اجتماع لجلتبتهم ؛ ثم قال : وأكبرهم صاحب قرمان ، وله بينهم وضع محفوظ ، ونظام مرعى .

أما ملوكها ، فأجل من ليسهم منهم جماعة بنى قرمان ، لشرب ديارهم ، وتواصل أخبارهم ، ولنكاياتهم في مملكتهم وأهل بلاد الأرمن ، وأجنيابهم لهم من ذلك

الجانب، مثل أجتياح عساكرنا لم من هذا الجانب؛ فكتبنا إلى بني قرمان لانتكاد تنقطع، وأما إلى البقية فأقل من القليل، وأخفى من مرأى الضليل. ثم مدّ منهم ستة عشر أميرا، وذكر رسم المكتبة إلى كل واحد منهم :

الأول — صاحب كرميان . قال في "التعريف" : ولم يكتب إليه مئة مقامى بالأبواب السلطانية ؛ ويُسَّيه أن تكون المكتبة إليه بالمقر نظير صاحب ماردین، لكن بأبسط ألقاب : إذ هي أدعى لاستحسانهم لقلّة معارفهم، وعلى هذا التقدير يكون رسم المكتبة إليه : « أعزّ الله تعالى نصر المقرّ الكريم ، العالى ، الملكى ، الأجلّ ، العالى ، العادى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المرابطى ، المتأخرى ، المنظرى ، المنصورى ، الفلافى ، عون الأتام ، شرف الملوك والسلاطين ، نصير الفزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، ظهير أمير المؤمنين » .

قال : فإن لم يُسمع له بكل هذه المخاطبة، ولم يؤهل لنظير هذه المكتبة ؛ كتبت إليه هذه الألقاب مع الجانب الكريم ، وخطوب بالإمارة إن لم يسمع له بالمخاطبة بالملك .

قال في "التعريف" ولعل مكاتبتة بالجانب مع هذه الألقاب كما ذكر ومخاطبته بالإمارة أولى : لأنه إذا كان بنو قرمان أجل لدى ملوكنا، ومكاتبتهم بالدعاء والمجلس العالى ، فيتمين حيث هو أكبر منهم أن يكون هو أعلى منهم رتبة في المكتبة بلرجيتي .<sup>(١)</sup> وبه : الجانب الكريم . قال : هذا هو الأولى عندى .

قلت : وهذا كله إنما كان قبل أن يملؤ قنر ابن عثمان صاحب برّسا الآتى ذكره، ويرتفع قدره على من بتلك البلاد جملة ؛ أما بعد ارتفاحه وأحيطاطهم دونه فينبى أن يُنظر في قدر المكتوب إليه، ويكتب إليه بحسب ما تقتضيه الحال .

الثاني — صاحب طغزُلُو . قال في " التعريف " ورسم المكتبة إليه :  
« صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالي الأميري » ولم يذكر العلامة إليه . قال  
في " التثقيف " والذي وجدته مسطورا في مكتبته الأسم والسامي بالياء .

الثالث — صاحب تَوَازَا . قال في " التعريف " : وهو في المكتبة نظيرُ  
صاحب طغزُلُو ، ولم يزد على ذلك ، غير أنه ذكر أن اسمه في زمانه كان « على أرينه »  
وذكر في " التثقيف " أنه لم يقف له على رسم مكتبة سوى ذلك .

الرابع — صاحب عَيْدَلِي . قد ذكر في " التعريف " أن اسمه في زمانه دُندار  
أخو يونس صاحب أنطاليا ، وأنه نظير صاحب تَوَازَا في المكتبة ، فتكون المكتبة  
إليه : صدرت والعالي . قال في " التثقيف " ولم أقف على رسم مكتبة إليه سوى  
ذلك ، إلا أنه ذكر بعد ذلك صاحب عدليو . وقال : إن المكتبة إليه الأسم والسامي  
بالياء ، وذكر أن المقر الشهابي بن فضل الله لم يتعرض إلى ذكره في " التعريف "  
ثم قال : وقد تكون هي عَيْدَلِي المقدم ذكرها ، وإنما تكررت بتغيير الحروف . قال  
ولم يتحدر هل هما اثنتان أو واحد .

الخامس — صاحب كَصَطْمُونِيَّة وهي قَسْطَمُونِيَّة . قال في " التعريف "  
وكانت آخِرَ وَفِي لسلطان باشا ، وكان أميراً كبيراً ، كثير المدد ، موفور المدد ، زاهية  
وتمتع . ثم قال : وورث ملكه ابنه إبراهيم شاه ، وكان عاقلاً لأبيه ، خارباً عن  
مرأضيه ، وكان في حياته مقرباً بمملكة سنوب . قال : وهي الآن داخلَةٌ في ملكه ،  
منخرطة في سلكه .

وذكر أن رسم المكتبة إليه : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي الأميري » بأكل  
الألقاب ، وأنهم ما يكتب في هذا الباب ؛ وذكر في " التثقيف " قللاً عن القاضي  
ناصر الدين بن النشائي ، وأمين الدين خضر مثل ذلك ، وأن العلامة إليه « أخوه » .



السادس — صاحب فلوريا . قال في "التعريف" وهو (يعنى في زمانه) مراد الدين حمزة ، وهو ملك مضبوط ، ورجل يجالس أُنس مشغوف . قال : ورسم المكتبة إليه «صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامي الأميري» بالياء . قال في "التحقيق" وهو غير بعيد .

السابع — صاحب برسا . وقد ذكر في "التعريف" انه في زمانه أرخان بن عثمان . ثم قال : وهو نظير صاحب فلوريا في المكتبة ، فتكون مكتبته السامي بالياء . قال في "التحقيق" ولم أطلع على رسم المكتبة إليه غير ذلك ، إلا أنه ذكر في الفصل الأول من الباب الرابع في الكلام على مكاتبات الحكام أرخان بن عثمان . وقال : إن لقبه سيف الدين . ثم قال : ويقال إنه صاحب برسا ؛ وذكر أن رسم المكتبة إليه في بَقْع العادة والدطاء والمجلس العالي ، والعلامة أخوه ، وتعرفه اسمه .

قلت : وقد تهمت في الكلام على المسالك والممالك أن الأمر قد آل في بني عثمان إلى أرخان بن عثمان جق ؛ ثم إلى ابنه مراد بك ؛ وأنه أتسع ملكه وجاوز في الفتح الخليج القسطنطيني حتى قارب خليج البنادقة ؛ ثم إلى ابنه أبي يزيد فزاد في الملك على ما كان بيد أبيه ؛ وتروج في بني قزمان ، ودخل بنو قزمان وسائر القزجانيين في طاعته ، ولم يبق خارجا عن ملكه إلا ميواس ؛ فلما كانت مع قاضيه إبراهيم المتغلب عليها ، ولم يزل كذلك حتى قصده ثمرتك وأسره ، ومات في يديه ؛ وملك بعده ابنه سليمان جلبي . ثم مات ؛ وملك بعده أخوه محمد بن أبي يزيد بن مراد بك ابن عثمان جق ، وهو القائم بها إلى الآن . وكانت المكتبة قد استقرت إلى أبي يزيد في الأيام الظاهرية ( برقوق )

(١١) الثامن - صاحب أكبرا . قد ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه دمرخان ابن قراشي ؛ وذكر أن مكاتبته نظير مكتبة صاحب برسا ، يعنى السامى بالياء ؛ وذكر في "التتيف" : أنه لم يقف على سوى ذلك .

التاسع - صاحب مَرَجَرَا . وقد ذكر في "التعريف" : أنه في زمانه كان بجشى بن قراشي . وقال : إن رسم المكتبة إليه : « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى » .

قلت : وقد تهتم في المسالك والممالك أن هذه البلدة كانت جزيرة بالخليج القسطنطينى بها مقطع رُحَام ، وأنَّ النصارى غلبوا عليها .

العاشر - صاحب مَفْتِيسِيَا . ذكر في "التعريف" : أن اسمه صاروخان . وقال : إن المكتبة إليه السامى بالياء . وذكر في "التتيف" : أنها صارت بعده إلى ابنه إسحاق بن صاروخان ؛ وأنه كتب إليه في شوال سنة سبع وستين وسبعمائة بالاسم والسامى بالياء .

الحادى عشر - صاحب نيف . ذكر في "التعريف" : أنه في زمانه كان على باشا أخو صاروخان صاحب «مَفْتِيسِيَا» الملقم ذكره ؛ وذكر أن رسم المكتبة إليه مثل أخيه المذكور ، فتكون صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى .

الثانى عشر - صاحب بَرِكِي . ذكر في "التعريف" : أنها في زمانه كانت بيد ابن أيدين ولم يصَّرح باسمه . قال : وإن المكتبة إليه « أدام الله تعالى نعمه المجلس العالى » بالانقلاب التامة ؛ وذكر في "التتيف" : أنه لم يقف له على مكتبة غير ذلك .

(١) هى كذلك في كتاب "الممالك" وأتى تهتم فى ج ه فلاح "التعريف" أيضا صاروخان ، وليست فى نسخة "التعريف" التى بأيدينا .

الثالث عشر — صاحب فؤكه . ذكر في " التعريف " : أنه كان في زمانه أرخان ابن منشأ ، وأك المكتبة إليه نظير صاحب بري ، فتكون الدلاء مع العالي بالألقاب التامة أيضا ؛ وذكر في " التنقيف " : أنه لم يقف في مكاتبه على غير ذلك .

الرابع عشر — صاحب أنطاليا . ذكر في " التعريف " : أنه كان في زمانه اسمه خضر بن يونس . وقال : إن رسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالي » . وذكر في " التنقيف " : أن خضر بن يونس المذكور كان يقب سينان الدين ، وأنه استقر بعده دادى بك ، ثم استقر بها آخر محمد المعروف بكاجوك ؛ وذكر أن المكتبة إليه « أخوه » والدلاء والعالي . ثم قال : وهو الأصح لأنه آخر ما استقر عليه الحال في مكاتبه وكتب به إليه .

الخامس عشر — صاحب قرأصار . ذكر في " التعريف " : أنه كان في زمانه اسمه زكريا ، وأن رسم المكتبة إليه : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، بلا ياء ؛ وذكر في " التنقيف " : أنه لم يطلع على مكتبة إليه سوى ذلك ؛ وأنه لم يكتب إليه شيء في مدة مباشرته .

السادس عشر — صاحب أرمنآك . ذكر في " التعريف " : أنها كانت في زمانه بيد ابن قرمان ولم يصريح باسمه ؛ وذكر في " التنقيف " : أن اسمه علاء الدين سليمان . قال في " التعريف " : ورسم المكتبة إليه : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي بأكل الألقاب وأكبرها ، وأجمعها وأكثرها . وذكر في " التنقيف " أن آخر من استقر بها في شوال سنة سبع وستين وسبعائة علاء الدين على بك بن قرمان ؛ ووافق على رسم المكتبة المذكورة . وقال : إن العلامة إليه « أخوه » وتعرفه « فلان بن قرمان » .

(١) لعله " العلامة إليه " .

قال في "التعريف": وإلاخوة صاحبها ابن قِرْمَان المذكور رسومٌ في المكتبات، فأكبرهم قَدْرًا، وأثَنُّهم نابًا وظَفَرًا، الأميرُ بهاءُ الدين موسى . وقد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أنه حضر إلى الأبواب السلطانية، وحجَّ مع الركب الشريف، ثم عاد إلى الأبواب السلطانية، وأجلس في المرتين مع أمراء المشورة، وأشرك في الرأي . وسأل السلطانَ في كتابة منشور بما يفتحُه من بلاد الأرمن فكتبَ له . قال في "التعريف": واستقرت المكتبةُ إليه مثل مكتبة أخيه . قال : أما بقيةُ بنى قِرْمَان فدُونُهُما في المكتبة .

وأعلم أن صاحب "التعريف" قد زاد على ذلك من أمراء هذه البلاد ستة نفر .

أحمدى — الحاكمُ بالعلّايَا . وذكر أنه كان اسمه حُسامَ الدين محمودَ بنَ علاء الدين، وأنه كتب إليه في شوال سنة سبع وستين وسبعائة «أخوه» والدعاء، والعالى، في قطع العادة .

الثاني — صاحب بلاط ورعمر . ذكر أنه كان بها «أمير موسى» بن إبراهيم ابن منتشا، وأن المكتبة إليه في قطع العادة «والده والدعاء، والمجلس العالى» .

الثالث — صاحب أَرَكْدُور وهى أَرَكْدُون. ذكر أنه كان بها إلياس بن مصطفى من بنى حميد، وأن رسم المكتبة إليه على ما أميتقر طيه الحال عند ما كتب إليه في شوال سنة سبع وستين وسبعائة «والده» والسامى بالياء .

الرابع — صاحب آيا سلوق . ذكر أنه كان بها عيسى بن أيدين، وأنه كتب إليه في شوال من السنة المذكورة أيضا .

(١) كذا بإهمال جمع روعها ثم تقدّم في القواعد «بلاط» فقط ولم ندر طبعها بعد البحث والتصنيف .

الخامس — صاحب على شار . ذكر أنه كان بها الأمير محمد ولم يذكر نسبه .  
وقال : إن المكتبة اليه الأسم والسامى بالياء .

السادس — الأمير ذروان بن كزبان بن منشأ . ذكر أنه من أستجنت مكاتبته  
في شوال سنة سبع وستين وسبعائة .

وأعلم أنه قد زاد في "التتيف" ذكر مكتبة جماعة لم أتعمق هل هم من أهل  
هذه البلاد أم من غيرها .

منهم صاحب قلعة الحقاء؛ ذكر أنه كان اسمه سيف الدين قورجى؛ وأن المكتبة  
اليه في قطع الثلث والسامى بالياء .

ومنهم صاحب قلعة الجوز؛ في قطع الثلث الأسم والسامى بالياء، وتعرفه اسمه .  
ومنهم صاحب بكجري : أستجنت الكتابة اليه في شوال سنة سبع وستين  
وسبعائة، وكتب اليه الأسم والسامى بغير ياء .

ومنهم الحاكم بقلعة آيىص كتب اليه الأسم ويجلس الأمير :

ومنهم الحاكم بقلعة نعمة، كتب اليه الأسم ويجلس الأمير أيضا .

ومنهم الحاكم بقلعة أشقى : وهى أشنوكتب اليه كذلك .

على أنه قد ذكر منهم جماعة أيضا ليسوا من أهل هذه البلاد جملة؛ منهم نائب  
خلاط، وصاحب مؤغان، وهى مؤقان، والحاكم بإسعرود وهى سيعرت، وصاحب  
قيشان وهى قاشان .

وقد تقدم أن خلاط من أرمينية، وموقان من أرمينية، وأسعرود من ديار ربعة  
من الجزيرة الفراتية، وقاشان من عراق العجم، وبالجملة فقد خلط في "التتيف"  
في البلدان تخطيطا كثيرا، وخلط بعض أقاليم البلاد ببعض .

قلت : قد تقدم في صدر الكلام على المكتبات ذكر أصول يستعملها الكاتب في كتبه ثم الكتب السلطانية وغيرها ، وأنا أذكر هنا ما يختص منها بالكتب الصادرة عن السلطان على النمط الجاري عليه الاصطلاح الآن ليسهل التقصّد إليها لقربها ، ويحصل الفرض من ذلك ، بذكر [ تسعة ] أمور :

أولها — مقادير قطع الورق ؛ قد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق المستعملة في دواوين الإنشاء جملة ، والذي يختص منها بالكتب الصادرة عن السلطان أربعة مقادير :

أحدها — قطع البندائي الكامل ؛ وقد مرّ أنه يكتب فيه للقائات .

وثانيها — قطع النصف ، وفيه يكتب إلى أكابر الملوك من دون القائات .

وثالثها — قطع الثلث ، وفيه يكتب إلى الرتبة الثانية من الملوك .

ورابعها — قطع العادة ، وفيه يكتب إلى أصاغر الملوك والولاة وغيرهم .

الثاني — العنوان ؛ قد تقدم في مقدمة الكتاب أنّ الذي كان يكتب عنوانات الكتب السلطانية في الزمن المتقدم هو صاحب ديوان الإنشاء دون غيره ؛ أما الآن ، فإنّ كاتب كل كتاب صار هو الذي يكتب عنوانه بنفسه .

وقد جرت العادة في عامة الكتب السلطانية أن يكون المكتوب فيها هي ألقاب المكتوب إليه وتوحيته التي في صدر المكتبة في الباطن ؛ ثم يدعى المكتوب إليه في آخر الألقاب بالدعوة التي صدر بها الدعاء في الصدر مثل : أعزّ الله أنصاره ، أو ضاعف الله نعمته ، وما أشبه ذلك من الأدعية التي تفتتح بها المكتبات ؛ فإن كان الكتاب مفتوحاً بالجملة أو بلفظ من فلان ، كُتب في العنوان الألقاب التي في صدر الكتاب بعد ذلك ؛ ثم بعد الدعاء يُحلى بياضاً قليلاً ؛ ثم يذكر تعريف

المكتوب إليه . مثل «صاحب فلانة» ونحو ذلك مما تقدم ذكره من التعريفات .  
وتكون كتابة العنوان بنظير قلم الباطن في الدقة والنظ . وتكون أسطره متصلة من  
أول عرض الدرج إلى آخره ، وأسطره متلاصقة متتالية .

الثالث — الطرة التي يكتب فيها تعريف المكتوب إليه ، والعلامة التي يكتبها  
المكتوب عنه ، والسبب في كتابته .

وقد جرت العادة في ذلك أنه يكتب في رأس الدرج في الجانب الأيمن  
«إلى فلان» وفي الجانب الأيسر «بسبب كذا وكذا» وفي الوسط العلامة التي يعاينها  
السلطان مثل «أخوه» أو «والده» أو «أسمه» : يُنظر عند علامة السلطان على  
الكتاب فيعلم حال الكتاب ، ويعرى الأمر في العلامة على هذا الرسم ، وتكون كتابتها  
بقلم الكتاب من ثلث أو رفاع أو غيرهما ، إلا أن يكون الكتاب مختصر الطومار في قطع  
البغدادى فيكون ذلك بقلم الثلث . وهذه الطرة تقطع بعد أن يعلم على الكتاب .

الرابع — البياض في أصل الكتاب ، وقد جرت العادة في الكتب السلطانية أن  
العلامة إلى المكتوب إليه : إن كانت «أخوه» أو «والده» ترك فيه ثلاثة أوصال  
بياضا بما فيه من وصل العنوان ؛ ثم تكتب البسملة في رأس الوصل الرابع ؛ وإن  
كانت العلامة إليه الاسم ، ترك وصلان بياضا فقط وكتبت البسملة في أول الوصل  
الثالث ؛ ثم يكتب السطر الأول من الكتاب على سمت البسملة ملاصقا لها ، ثم يحل  
موضع العلامة بياضا ، ويكتب السطر الثانى على سمت الأول في أواخر ذلك  
الوصل على قدر إصبعين من آخره ؛ ثم يجعل بين كل سطرين أربعة أصابع مطبوعة ،  
إن كان القطع صغيرا ، وإن كان القطع كبيرا كان فيه قدر ربيع ذراع أو نحوه بحسب

(١) لعله في الكتابة أى يكتب مايناسب العلامة .

المناسبة؛ فإذا انتهى إلى آخر الكتاب كتب «إن شاء الله تعالى» في الوسط على بُعد قدر إصبعين من السطر الآخر. ثم يكتب: «كُتِبَ في تاريخ كذا من شهر كذا سنة كذا وكذا» ويكون إلى آخر ذكر الشهر سطر، ومن أول سنة كذا إلى آخره سطر. ثم يكتب المستند على نحو البُعد المذكور: فإن كان بتلقّي كاتب السّر خاصّة كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» فقط. وإن كان بتلقّي كاتب السّر وكتاب اللّهُت من دار العدل كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، وتحتّه بقدر إصبع «من دار العدل الشريف» في سطر. وإن كان برسالة الدوّادار كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، وتحتّه بقدر إصبع «برسالة الجناب العالي الأميريّ الفلانيّ الدوّادار الفلانيّ» بقلب السلطان «ضاعف الله تعالى نعمته». وإن كان من ديوان الخاصّ، كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر وتحتّه «من ديوان الخاصّ الشريف». وإن كان بخط السلطان: بأن كُتِبَ على القصّة بالخط الشريف، كتب «حَسَبَ الخطّ الشريف» في سطر واحد. وإن كان بإشارة النائب الكافل كتب «بالإشارة العالية الأميريّة الكيريّة الفلانية» في سطر، وكتب تحتّه بقدر إصبع «كافِل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى». وإن كان بإشارة أستاذ الدار، كتب «بالإشارة العالية الأميريّة الكيريّة الفلانية» في سطر، ثم يكتب تحتّه بقدر إصبع «أستاذ الدار العالية أعلاها الله تعالى». على أنه قد تقدّم في الأقطاب أن كتابتهم أستاذ الدار هو عرف جرى عليه اصطلاحهم؛ وأنّ الصواب فيه إستدّار بغير ألف بعد التاء. وتكون كتابة المستند بياض من جانبيه، سواء كان سطرا واحدا أو سطرين؛ ثم إذا فرغ من كتابة المستند، كتب الحمدلة والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم في سطر كامل على بُعد قدر إصبعين من المستند؛ ثم يكتب الحسبلة على قدر إصبعين من سطر الحمدلة والصلاة.



وقد تقدم في الكلام على الخواتم في المقالة الثالثة قلاً عن عبد الرحيم بن شيث أن موضعها من ثلث السطر الأخير من أوله إلى حين تنهى كتابتها

الخامس — قد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة أنه لا يكتب في حواشي الكتب السلطانية : لأن في ذلك تحق بالورق ، وذلك مما لا يليق بالسلطان ، ولا خفاء في استقبح ذلك ، بل قد يستقبح ذلك في غير السلطان كما سيأتي ذكره في الإخوانيات ١٠٠

السادس — العلامة السلطانية على المكتوب ، في بيت العلامة من البياض السابق ذكره . قد ذكر في «التعريف» أن أكبر من يكتب إليه من الأمراء وماليك البيت الشريف فترجمته بالخط الشريف «والده» ومن دون ذلك «الأمم الشريف» ؛ أما القرباء كملوك المسلمين والعربان وأكابر القضاة وأهل الصلاح والأكابر ، فترجمته بالخط الشريف «أخوه» ومن دون ذلك الأمم الشريف .

والذي استقر عليه الحال آخر في زماننا أن لأكابر الأمراء من التواب وغيرهم «أخوه» لفضة مكان الأخ على الولد ، ولن دونهم «والده» ولن دون ذلك «الأمم» وباقي الحال على ما ذكره ؛ وقد سبق ترجمة كل مكتوب إليه في الكلام على المكتبة إليه .

أما القانات الكبار فقد تقدم في الكلام على المكتبة إليهم أنه تكتب لهم طغرة بالألقاب السلطانية في موضع العلامة ؛ وأما ملوك الكفر ، فسيأتي أنه تكتب طغرة بالألقاب السلطانية فوق البسملة .

١٠ السابع — على الكتب السلطانية : قد تقدم في صدر الكلام على المكتبات نقلاً عن ابن شيث من كتاب الدولة الأيوبية أن كتب السلطان يكون طياً

في عرض أربعة أصابع ، وأن مقتضى ذلك أن تُكتب السلطان بالديار المصرية كانت تُطوى على هذه الهيئة كما في كُتُب أهل المغرب الآن ؛ والذي استقر عليه الحال أمرا أنها يعمل عليها في صورة أنبوب القناة ولا تُضغط في طيها لتكون بيالة تعظيما لأمر السلطان وإجلالا لقدره .

الثامن — ختم الكتاب : قد تقدم في الكلام على الخواتم واللواحق في المقالة الثالثة أن الكتب السلطانية كانت تَحْتَم بِسَعَاءَةٍ ، وَيُطَبِّعُ عَلَيْهَا بِطِينٍ أَحْمَرٍ ، يُؤْتَى بِهِ مِنْ سِيرَافٍ ، وَتَحْتَمُ بِخَاتَمٍ كَمَا تَحْتَمُ الْمَغَارِبَةُ الْآنَ ؛ أما الآن فقد استقر الحال على أن الكتب تُكَلِّصَقُ بِالنَّشَاءِ أوما في معناه من الكَثِيرَاءِ ونحوها ؛ وقد سأل الشيخ جمال الدين بن ثبَّاتٍ في رسالته التي كتبها إلى الشهاب محمود رحمه الله حين بلغه وقوع بعض كُتُب دِمَشْقَ في حقه عن فَيَرِّطِينَ انلتم إلى النَّشَاءِ ولم أَقِفْ على زمان تَغْيِيرِ ذلك وَلَا مَنْ فَعَلَهُ ، على أني حَلَلْتُ مَعْظَمَ أَسْئَلَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي خِلَالِ هَذَا الْكِتَابِ مَفْرَقَةً فِي مَوَاضِعِهَا .

التاسع — أن الكتب الصادرة عن الأبواب السلطانية : إن كانت إلى أحد من حُظَّاهِ الْمُلُوكِ كَالْقَانَاتِ بِلَادِ الشَّرْقِ ، أَوْ مُلُوكِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَنَحْوِهِمْ مِنْ بَنَاتَانِي الْبَلَاغَةِ فِي الْكِتَابِ الصَّادِرَةِ عَنْهُ ، كَتَبَتْ مَسْجُوعَةً كُلُّهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ إِلَى صِغَارِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ كَتَبَتْ غَيْرَ مَسْجُوعَةٍ ؛ وَإِنْ كَانَتْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْمُلْكَةِ ؛ فَإِنْ كَانَتْ فِي أَمْرِ بَعْدِ وَقُوعِهِ : كَالْكَاتِبَةِ بِالْإِشَارَةِ بِوَفَاءِ النَّيْلِ ، أَوْ جُلُوسِ السُّلْطَانِ عَلَى النَّخْتِ لِأَقْرَبِ أَمْرِهِ ، أَوْ بُرْئِهِ مِنَ الْمَرَضِ ، أَوْ وِلَادَةِ وَلَدٍ لَهُ ، أَوْ الْإِشَارَةِ بِفَتْحِ ، أَوْ الْإِعْلَامِ بِرُكُوبِ الْمَيْدَانِ ، أَوْ الْإِنْعَامِ بِجَيْشٍ أَوْ نَحْوِهَا ؛ كَتَبَتْ مَسْجُوعَةً ، وَإِلَّا كَتَبَتْ مُرْسَلَةً غَيْرَ مَسْجُوعَةٍ .

(١) يريد تلف عليها صماء كما يؤخذ من بقية العبارة وما تقدم في جن هـ

## الطرف الثاني

( في المكتبة عن ملوك الديار المصرية على المصطلح المستقر عليه  
الحال، إلى ملوك الكفر )

وأعلم أن ملوك الكفر المكاتبين عن هذه المملكة جميعهم نصارى : من الروم ،  
والفرنج ، والكرج ، والحبشة وغيرهم ؛ إذ كانوا هم المستوين على أكثر الممالك ؛  
أما اليهود ، فإنهم لم يبق لهم مملكة معروفة ، بل هم تحت الذمة أين كانوا . قال  
تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَا نَقَفُوا إِلَّا يَجْعَلِ مِنْ أَهْلِ مِنْ النَّاسِ ﴾ .  
قال في " التعريف " وجميع الكتب المكتوبة إلى ملوك الكفر لا يشملها الخط  
الشريف أصلاً ، بل يكتب فوق البسملة في الكتاب بخط الكاتب عوض العلامة  
الشريفة أسطر قصيرة بياض من الجانبين ماصورته :

« من السلطان الأعظم الملك الناصر - مثلاً - العالم ، العادل ، المجاهد ، المرائط ،  
المثابر ، المؤيد ، المظفر ، المنصور ، الشاهنشاه ، فلان الدنيا والدين ، سلطان الإسلام  
والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، وارث الملك ، ملك العرب والعجم والترك ؛  
ظل الله في أرضه ، القائم بسنته وقرضه ؛ إسكندر الزمان ، مملك أصحاب المنابر  
والثغور والتيجان ، واهب الأقاليم والأصبار ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ، حامي  
الحرمين والقبيلتين جامع كلمة الإيمان ، ناصر لواء العدل والإحسان ؛ سيد ملوك  
الزمان ، إمام المتقين ، قسيم أمير المؤمنين ؛ أبي فلان ، ابن السلطان الشهيد الملك  
الغلامي فلان ، خلد الله سلطانه ، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه » .

وأوضح ذلك في " التتيف " قال : ويكون في الطرة بعد وصلين بياضاً من أول  
الكتاب بهامش جيد من الجانبين يمتة وبسرة ، ويكونان في قدر بياضهما سواء

تقدّر أربعة أصابع فأكثر من كل جانب، من الورق العريض؛ وفي قطع العادة دُونَ ذلك . وتكون الأسطر متقاربة، ما بينهما من البياض تقديراً لهم أو أزيد منه بشيء يسير؛ وإذا انتهت الألقاب بترك بعدها وصلاً أبيض؛ ثم يكتب البسملة الشريفة، وبعدها رسم المكتبة للكتوب إليه .

### الطرف الثالث

( في المكتبة إلى مَنْ وراء بحر القيرم بالجانب الشمال منه )

وهو صاحبُ البُلغار والسُّرب . وهى بلادٌ فى نِهاية الشمال ، متاخمةٌ لصاحب السُّراى ؛ وقد ذكر فى " التعريف " المكتبة إليه فى المكتبة إلى جملة ملوك المسلمين . وقال : إِنَّ صاحبها يُظهر الإِقيادَ لصاحب السُّراى ، وإنه أرسلَ رُسله تَطَلُّبَ له الألوِيَّة من الأبواب السلطانية فجُهِزت إليه مع ما جرّت به العادة من السيف والتشريف والحيل المُسرَّجة المُلجّمة . وذكر أن رسم المكتبة إليه على ما كُتِبَ إذ ذاك :

« أعزَّ الله نصرَ الجانب الكرم ، العالى ، المَلَكى ، الأَجَلِّى ، الكِبَرى ، العالمى ، العادى ، المجاهدى ، المؤيِّدى ، المُرايطى ، المتأخِّرى ، الأوحدى ، سيف الإسلام والمسلمين ، ناصر الفُزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدّم العساكر ، جمال الملوك والسلطين ، ذُئْرَ أمير المؤمنين » .

ثم هذا الطرف يشتمل على أربعة مقاصدٍ شتمةٍ على الجهات الأربع :

## المقصود الأول

(في المكتبة إلى ملوك الكُفَّار ببلاد الشرق ؛ وجملة من بها من ملوك  
النصارى المكاتبين عن هذه المملكة مملكان)

الأول - مملكة الكُرج من النصارى المَلِكِيَّة . قال : في "التعريف" ويقال  
في المسلمين الكُرد، وفي النصارى الكُرج . قال : وموقع هذه [البلاد] بين بلاد الروم  
وبين بلاد أرمينية . وهي بلادٌ جليَّةٌ ، ومملكةٌ منخمة ، وكأنها مقطّعة من  
البلادين ، وهما ملك قائم ، وبها ملك دائم ، وأما مدينة قفليس ، وسَلطان بيت  
هولاكو بمملكة إيران يحكم عليها ، ويرأيه تَصِلُ إليها ؛ إلا أنه لا يَطْفئُ بها سَيْلَهُ ،  
ولا تجوسُ خِلَالَ ديارها للحرب المَضْرِمَةِ خَيْلَهُ ؛ وإنما له بها ثومانُ اتخذ سِدادا  
لثغرها ، وقيامًا بأمرها ، مَتَرْلَمُ فَسِحُ بَوَادِيها ، أهلُ حَلٍّ وَتَرحال ، وتثقل من حال  
إلى حال . قال : وآخر من كان له في هذه البلاد شُمة ، وأُقيلت به للمهاجرة صرمة ؛  
الشيخُ محمودُ بْنُ جُوبان ، وكان باسلاً لا يُطاق ، ورجلاً مَرَّ المَنَاق ؛ ولما جرت  
الكائنة لأبيه ، لاذَ بالسلطان (أزبك قان) ثم لم تَعْلُ له مُتة ، ولا أَفْرَجَتْ له حِلَقُ  
سِندِهِ ، وأما أَجلُهُ وما استَطاع رَدُّهُ . ثم قال : وعسكر الكُرج صَليبةَ دِين الصَّليب  
وأهلُ البأس والتَّجده ، وهم للعساكر الهولاكويَّة عِتادٌ وَذُنُر ، ولهم بهم وثوق  
وعليهم أَعْياد ، [ولا] سِيما لأولاد جُوبان وبَنِيه ، وبَقايا عَظَمِيه ، لسالِبِ إحسانِ  
جُوبان إليهم ، ويد مشكورة كانت له عندهم ، وكان صديقاً للملكهم برطلماء يقرس  
عنده السَّنائع ، وَيَسْتَرِيعِيهِ الودائع ؛ فكان أخصَّ خَصِيص به ، وأصدقَ صديق  
له ، يدعوه للمُهم ، ويستصرِّخ به في المُلِم ، ويَعُدُّ رِداءً لسكره ، ومُزِيلاً لمُنكره .

وعقب ذلك بأن قال : وربطها المذكور عهدي به حتى يَرْزُقَ من أجل ملوك  
النصرانية ، وأغرق أنساب بنى المعمودية ؛ وقد كان كاتِبُ الأبواب السلطانية  
بسبب كنيسة المصلب ، وأن تُرفع عنها الأيدي المتعلّبة ؛ فبرزت الأوامر المطاعة  
بإعادتها عليهم وكانت قد أخذت منهم سوى بظاهر القدس الشريف وأُخِذَتْ  
مسجدا ، وعز هذا على طوائف العلماء والصالحاء وإن لم يعمل هذا سدى . قيل  
إنه كان يُحسِّن لجوآن قصد البلاد ، ويُنزل له عليه الطارف والتلاد . وذكر أن  
رسم المكتبة إليه : « أدام الله تعالى بهجة الحضرة العلية ، حضرة الملك الجليل  
الهام ، الباسل ، القرمط ، السمينع الكرار ، الفضنقر ، المتخت ، المتوج ، العالم  
في ملته ، العادل في رعيته ، بقية الملوك الأغريقية ، سلطان الكرج ، دُثر ملك البحار  
والخلج ، حامى حمى القرمسان ، وارث آباءه في الأسرة والتيجان ، سياج بلاد الروم  
وإيران ، سليل اليونان ، خلاصة ملوك الشريان ، بقية أبناء الثخوت والتيجان ،  
مُعز النصرانية ، مؤيد العيسوية ، مسيح الأبطال المسيحية ، معظم البيت المقدس  
بعقد النية ، عماد بنى المعمودية ، ظهير الباب بابا رومية ، مؤاد المسلمين ، خالصة  
الأصدقاء المقربين ، صديق الملوك والسلاطين » .

وهنا دعاء أورده في " التعريف " يليق به وهو : وحى ملكه بوذه لايحجده ،  
وبوقائه بعهده لايحشيه ومبئده ، وبما عندنا من تجمايا الإحسان لا بما يظن أنه من  
عنده ، وبما في رأينا المورى لا بما يقدح النار من زنده - وربما قيل مُصافي  
المسامين بدل مؤاد المسلمين .

أما في " التتيف " فقد ذكر أن للكُرج ملكين (أحدهما) صاحب تفليرس المقنم  
ذكره ، وذكر أنه كان اسمه إذ ذاك «داود» (الثاني) الحاكم «بسخوم» و«إنجاس»  
وهما مدينتان على جانب بحر القيرم من الجانب الجنوبي كما هُتَم ذكره في الكلام على

الممالك والممالك في الجانب الشمالي ، وسمى صاحبها إذ ذاك (ديادان) . قال :  
ورسمُ المكتبة إلى كلٍّ منهما في قطع النصف : أطال الله تعالى بقاء حضرة الملك  
الجليل ، المكرَّم ، الخليل ، الباسل ، الهمام ، المقدس ، الروحاني ، فلان ، عزَّ الأُمَّة  
المسيحية ، كثُر الطائفة الصليبية ، نفرد دين النصرانية ، ملك الجبال والكرج  
والجرجان ، صديق الملوك والسلاطين . وتعريف كلٍّ منهما "ملك الكرج" .

ثم قال : وقد ذكر القاضي المرحوم شهاب الدين بن فضل الله في المكتبة  
المذكورة من التغييرات مالا حاجة إلى ذكره : لأنَّ ما ذكرته هو المستقرُّ في المكتبة  
إليه إلى آخر وقت .

قلت : وذلك لأنه في زمن المقر الشهابي بن فضل الله كان مَرَعِي الجانب  
بمُالاة التتر وأنضمامه إلى جوبان ، كما تَقَدَّمت الإشارة إليه ، فكانت المكتبة إليه  
إذ ذاك أعلى وأُنعم ، فلما زالت دولة التتر من إيران وتعدت قسوتهم انحطت رتبة  
المكتبة إلى ملك الكرج عن هذه الرتبة . ثم قد هتَم في الممالك والممالك  
في الكلام على مدينة تَقْلِس أنها من إقليم أَرَّان ، وأنها كانت قد فتحها المسلمون .  
ثم غلب عليها الكرج وملكوها ، فلو عبَّر عن صاحبها بتملك تَقْلِس كما كان يعبر عن  
المستولى على سِيس من الأرمن بتملك سِيس ، وعن المستولى على قُبُرس بتملك  
قُبُرس على ما ساقى ذكره على الأثر إن شاء الله تعالى .

الثانية — مملكة الأرمن وقاصبتها مدينة "سِيس" قبل فتحها ؛ وقد سبق  
في الكلام على مدينة سِيس عند ذكر مُضافات حَلَب ، في الكلام على الممالك الشامية  
في الممالك والممالك ذكر حدود هذه البلاد وبيان أحوالها ؛ وأنها كانت تسمى

في زمن الخُفَاء بلادَ الثُغُور والعَوَاصم ؛ وأنها كانت بأيدي المسلمين ، وأهلها نصارى  
أرمن ؛ وعليهم حِزْبِيَّةٌ مقررةٌ يُؤَدُّونَهَا إِلَى المُلُوكِ ؛ إِلَى أَنَّ كَانَتْ طَاعَتُهُمْ أَتْرَا لِبَقِيَّةِ المُلُوكِ  
السَّلَاجِقَةِ بِلَادِ الرُّومِ ، وَالْعَمَالِ وَالشَّحَانِي عَلَى بِلَادِهِمْ مِنْ جِهَةِ المَلِكِ السَّلْجُوقِي حَتَّى  
ضَعُفَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ ، وَسَكَنْتْ شَقَاشِقُ تِلْكَ الصُّوْلَةِ ، وَآتَنَدَبَ بَعْضُهُمْ لِقِتَالِ  
بَعْضٍ ، وَصَارَتْ الكَلِمَةُ سُورِي ، وَالرَّعِيَّةُ نَوْضِي ، وَشَوَاحُ المَعَاقِلِ مَجَالًا لِلتَّخْرِيبِ ،  
وَالْبِلَادُ المَصُونَةُ قَاصِيَةً مِنَ الغَنَمِ اللَّذِيبِ ، وَطَمِيعُ رِئِيسِ النِّصَارِيِّ بِهَذِهِ البِلَادِ حِينَئِذٍ  
فِيهَا وَاسْتَنْسَرُ بَغَاثُهُ ، وَاشْتَدَّ إِنْكَارُهُ ، وَرَأَى سَوَامًا لَا ذَائِدَ عَنْهُ فَسَاقَهُ ، وَمَتَاطًا لِاحَامِيَّةٍ  
لَهُ فَلَا مِنْهُ أَوْسَاقُهُ ؛ فَاسْتَوَى عَلَى هَذِهِ البِلَادِ وَتَمَلَّكَهَا ، وَغَيَّفَ مَوَارِيثَ بَنِي سَلْجُوقٍ  
وَاسْتَهْلَكَهَا . وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الأَبْصَارِ" أَنَّ كَبِيرَهُمْ كَانَ يُسَمَّى قَلِيحَ بْنَ لَأُونِ .

قال في "التعريف" : "وقد أُخِذَ فِي أُنْثَرَكِ الأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ ، بِعَنِي (مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ)  
بِلَادَهُ مَاورَاءَ نَهْرِ جَاهَانَ وَأُشْهَا آيَاسَ ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ بَعْضُ ذَلِكَ [أَيَّامِ] المَلِكِ المَنْصُورِ  
(لَا حِينَ) وَاسْتَيْبَ بِهِ اسْتَدْمَرَ الكُرْجِي ؛ ثُمَّ أُصِيبَتْ إِلَى الأَرْمَنِ بِمَوَاطَاةِ اسْتَدْمَرَ  
حِينَ قَتَلَ لَاحِينَ وَضَعُفَتْ الدَّوْلَةُ . وَذَكَرَ أَنَّهُ قُرِّرَ عَلَى الأَرْمَنِ المُلُوكِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ  
قَطِيعَةً مَقْرُورَةً بَلَّغَتْ أَلْفَ وَمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ مَعَ أَصْنَافٍ ، ثُمَّ حُطَّ لَهُمْ مِنْهَا ؛  
ثُمَّ صَارُوا بِعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ طَاعَةِ وَعِصْيَانٍ . وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ المُلُوكُ البَيْتِ المُوَلَا كُوهِي  
عَلَيْهِمْ حُكْمٌ قَاهِرٌ ، وَلَهُ فِيهِمْ أَمْرٌ نَافِذٌ ، قَبْلَ ضَعْفِ شُوكَتِهِمْ ، وَلِئِنْ قَسَوْتَهُمْ ، وَخَلَّوْا  
غَايِبُهُمْ مِنْ قَسَوَاتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ : وَلَوْ تَمَكَّنُوا مِنْ دِمَشْقَ نَحْوًا آتَارَهَا ، وَأَنْسَوْا أَخْبَارَهَا ؛  
ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ مَلِكَهَا يَوْمَئِذٍ صَاهِرَ صَاحِبِ قُبْرُسَ لِيَتَقَوَّى بِهِ ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ أَوْصَى  
سُلْطَانَنَا صَاحِبَ مِصْرَ عَلَى ابْنِهِ بِوَصِيَّةٍ أَشْهَدُ عَلَيْهَا أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ وَسِيلَةً  
لِبَقَاءِ دَوْلَتِهِ ؛ وَكُتِبَ لَهُ تَقْلِيدُ عَرَضًا عَنْ أَبِيهِ وَجُهَّزَ إِلَيْهِ ، وَالْأَيْسَ التَّشْرِيفَ فَلَبَسَ



وَقَبْلَ الْأَرْضِ بِهِ وَخَدَمٌ . قَالَ فِي "التعريف" : وَمِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ سَمِيَ التَّكْفُورُ ،  
 سَمَةً جَرَتْ عَلَيْهِمْ مِنْذُ كَانُوا وَإِلَى الْآنَ . قَالَ : وَمَلِكُهُمْ مَلِكٌ عَرِيقٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ،  
 يَزْعُمُ أَنَّ أَصْلَهُ مِنَ الْبَيْتِ الْقُسْطَنْطِينِيِّ . قَالَ : وَعِنْدِي نَظَرٌ فِي دَعْوَاهُمْ ذَلِكَ : إِذَا  
 كَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الْبَيْتِ هُمْ حَبْلِيَّةُ الرُّومِ وَمَعْتَقَتُهُمْ مَعْتَقِدُ الْمَلِكَانِيَّةِ وَالْبَيْتُ التَّكْفُورِيُّ  
 أَرْمَنُ وَمَعْتَقَتُهُمْ مَعْتَقِدُ الْيَمَانِيَّةِ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ ، وَبَيْنَ الْمَعْتَقِدِينَ بَعْدَ عَظِيمٍ ، وَبَوْنٌ تَاهٌ .  
 وَقَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" أَنَّ اسْمَهُ لِيَفُودِ بْنِ أَوْشِيرٍ . وَذَكَرَ أَنَّ رَسْمَ الْمَكْتَابَةِ :  
 [ إِلَيْهِ ] صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ إِلَى حَضْرَةِ الْمَلِكِ ، الْحَلِيلِ ، الْبَطَلِ ، الْبَاسِلِ ، الْهَامِ ،  
 السَّمِيدِ ، الضَّرْفَامِ ، الْغَضَبَقَرِ ، فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، نَفِيرِ الْمَلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ ، ذُنُرِ الْأَمَةِ  
 النَّصْرَانِيَّةِ ، عِمَادِ بْنِ الْمَمُودِيَّةِ ، صَدِيقِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ .

وهذه أدعية — ذكرها في "التعريف" تناسبه :

وَقَّهَ اللَّهُ تَعَالَى لَطَاعَةَ يَكْفُتُهُ ذِمَامُهَا ، وَيَقْبِيهِ مَصَارِعَ السُّوءِ الْإِزَامُهَا ، وَيَجْرِى لَهُ  
 بِالسَّلَامَةِ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ أَحْكَامُهَا .

آخِرُ : وَلَا عِدَمَ مِنْ مَنَفَةِ الْكَرَمِ الَّذِي أَجَارَهُ ، وَالْأَمْنِ الَّذِي أَمَّنَ جَارَهُ ،  
 وَالْأَمَانَ الَّذِي وَسَّعَ عَلَيْهِ وَجَارَهُ ، وَالْعَفْوَ الَّذِي وَقَاهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ نَارًا وَقُودَهَا  
 النَّاسُ وَالْجَحَارَةُ .

آخِرُ : أَبْقَاهُ اللَّهُ لَوْلَا يَدَيْهِ ، وَفَرَضَ مِنَ الْخِلْمَةِ يُؤْذِيهِ ، وَدَيَّنَ فِي ذِمَّتِهِ مِنْ  
 الْوُظَيْفَةِ يَقُومُ بِهِ مَعَ طَرَائِفِ مَا يَدِيهِ .

(١) في التصريف بدون خدم .

(٢) في التعريف المطبوع ص ٥٧ ليون بن أوشير ، ونحشى أن يكون تصحيحاً .

آخر : أَرَامَ اللَّهُ مَا يَسْتَدْفِعُ بِهِ مِنْ مَوَاضِي السُّيُوفِ الْبَلَاءَ إِذَا نَزَلَ ، وَالسَّهْمَ هَرِيَّةَ  
الَّذِي لَا يَرْوِيهِ الْبَحْرُ إِذَا نَهَلَ ، وَالسَّيْلَ الَّذِي لَا يَقِفُ فِي طَرَفِهِ شَيْءٌ وَلَا يَمِشِي  
عَلَى مَهْل .

آخر : صَانَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَصَانَعَتِهِ مِنْ أَهْلِ مِلَّةِ كُلِّ قَبِيلٍ ، وَأَمَّنَ اللَّهُ بِمُدَارَاتِهِ  
مِنْ خَوْفِ جُبُوشِنَا الْمَنْصُورَةِ كُلِّ سَبِيلٍ ؛ وَصَدَّ عَنْهُ بِصِدْقِ صِدَاقَتِهِ بَعَثَ جُنُودَنَا  
الَّذِي لَا يُرَدُّ وَأَوَّلُهُ بِالْفَرَاتِ وَأَخْرَهُ بِالنَّيْلِ .

آخر : وَلَا زَالَ يَتَوَقَّى بِطَاحَتِهِ بَوَادِرِ الْأَيْسَةِ ، وَعَوَادِي الْخَلِيلِ مُوَحَّعَةً  
بِالْأَعْنَةِ ، وَبِمِثِ الْجَيْشِ حَيْثُ لَا يَبْقَى إِلَّا أَحَدُ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ : الْقَتْلُ أَوِ الْأَمْرُ  
أَوِ الْيَمْنَةُ .

آخر : جَبَّ اللَّهُ رَأْيَهُ سُوءَ التَّعْكِيسِ ، وَشَرَّ مَا يُزَيِّنُ لِمِثْلِهِ الْبَلَسَ ، وَأَخَذَ  
جَنَائِبَ قَلَاعِهِ وَأَوَّلُ تِلْكَ الْجَنَائِبِ سَيْس .

والذي ذكره في "التتقيف" أنه كان اسمه كستندين بن هتيوم ؛ وأن رسم  
المكتبة إليه على ما كان استقر عليه الحال إلى حين الفتح في سنة ست وسبعين  
وسبعمائة ، في قطع العادة : « صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك الجليل ، المكرم ،  
المبجل ، المعظم ، المعزز ، الهام ، الباسل ، فلان بن فلان ؛ عز دين النصرانية ، كبير  
الطائفة الصليبية ، عماد بن المممودية ، صديق الملوك والسلاطين ؛ أدام الله  
نعمته ، وحرس مهجته ، تعلمه كذا وكذا » . وتعرفه « ممتلك سيس » قال : وكتبت  
أنا والجماعة إليه بهذه المكتبة مرات .

قلت : وقد بطلت هذه المكتبة بفتح سيس حين فتحها قشتمر المنصوري  
نائب حلب في الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » في التاريخ المقبتم ذكره ،

وَأَسْتَقَرَّتْ نِيَابَةٌ فِي رَتْبَةِ نِيَابَةِ طَرَابُلُسَ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ؛ ثُمَّ أَسْتَقَرَّتْ تَحْتِمَةُ عَسْكَرٍ فِي مُضَافَاتِ حَلَبَ عَلَى مَا تَحْتَمُّ ذِكْرُهُ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ هُنَاكَ . وَإِنَّمَا كَانَ يُقَالُ لَهُ مَمْلَكَةُ سِيسَ دُونَ مَلِكِ سِيسَ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ أَوَّلًا بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهَا رِئِيسُ الْأَرْمَنِ الْمُقْتَلُ ذَكَرَهُ فَلَمَّا كَانَتْ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ أُلْجِئَتْ فِي إِعَادَتِهَا إِلَى يَدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَسْتَقَرَّتْ فِي جَمَلَةِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

### المَقْصِدُ الثَّانِي

( فِي الْمَكْتَبَةِ إِلَى مُلُوكِ الْكُفَّارِ بِيَلَادِ الْمَغْرِبِ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ  
وَمَا وَالِاهَا مَا هُوَ يَتِمُّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ )

قَدْ تَحْتَمُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدْ أَفْتَتَحُوا جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَّهَا أَقَامَتْ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَأْسِ السَّتِّائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا غَرْبَانَاةٌ وَمَا مَعَهَا مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، صَرَّضَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي طُولِ حَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَبَاقِي الْجَزِيرَةِ عَلَى سَعْتِهَا بِيَدِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ نَصَارَى الْفَرَنْجِ ، وَأَنَّ الْمُسْتَوْلى عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ مُلُوكَ :

الْأَوَّلُ — صَاحِبُ طُلَيْطَلَةَ وَمَا مَعَهَا ، وَلَقَبُهُ الْأَذْفُونَسُ : سَمَّاهُ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ ، وَدَامَتْ الْمَخَارِبَةُ يَسْمُونَهُ الْفُنْسُ ، وَلَهُ مَمْلَكَةٌ عَظِيمَةٌ وَتُمَالَاتٌ مُتَبَعَةٌ ، تَشْتَمِلُ عَلَى طُلَيْطَلَةَ ، وَقَشْتَالَةَ ، وَاشِيبِيلَةَ ، وَلَيْفَسِيَةَ ، وَقَرْطَاجَنَةَ ، وَجِيَّانَ ، وَجَلْقِيَةَ ، وَسَائِرِ أَعْمَالِهَا .

(١) ضَبَطَهَا يَاقُوتٌ عَنِ الْجَيْدِيِّ بِضَمِّ الطَّائِنِ وَضَحَّ الْمَدِينِ ثُمَّ قَالَ وَأَكْثَرُ مَا سَمَّاهُ مِنَ الْمَخَارِبَةِ فِي الْأَوَّلِ وَكَرَّرَ الثَّانِيَةَ . وَكَذَلِكَ ضَبَطَ الْمُؤَلِّفُ فِيهَا تَحْتَمُّ فِي جَنِّ هـ قَلْبِيهِ .

الثانى - صاحب آشبونة وما معها، وتسمى البرتقال، ومملكته صغيرة واقعة في الجانب الغربى عرّضا له، تشتمل على آشبونة وغرب الأندلس .

الثالث - صاحب برشلونة، وأرغون، وشاطبة، ومرقسطة، وبلنسية<sup>(١)</sup>، وجزيرة دانية، وميورقة .

الرابع - صاحب بيرة : وهى بين عمالات قشتالة، وعمالات برشلونة، وقاعدته مدينة يبلونث، ويقال للملكها ملك البشكنس . ووراء هؤلاء بالأرض الكبيرة صاحب إفرنسة التى هى أصل مملكة الفرنج كما جهتم في الكلام على المسالك والممالك، وملكها يقال له الريد إفرنس . قال في "التعريف" : وهو الملك الكبير المطاع، وإنما الأدفونش هو صاحب السطوة، وذكره أشهر في المغرب لقربه منهم، وبعد الريد إفرنس .

والمكاتب منهم ملكان :

الأول - الأدفونش المبدأ بذكره . قال في "التعريف" : ويده جمهور الأندلس، وبسيفه فينت بجماجمها الشمس، وهو وارث ملك الدريق . والدريق هذا الذى أشار إليه في "التعريف" هو الذى آتت بها المسامون من يده حين الفتح في صدر الإسلام . قال صاحب "التعريف" : وحديثي رسول الإدفونش بتعريف ترجمان موثق به من أهل العدالة يسمى صلاح الدين ترجمان الناصرى : أن الأدفونش من ولد هرقل المفتاح منه الشام ؛ وأن الكلب الشريف النبوى الوارد على هرقل متوارث عنهم مضمون ؛ يلف بالنسياج والأطلس، ويلتصأ أكثر من ادخار الجواهر والأعلاق، وهو إلى الآن ضلعم لا يخرج، ولا يُسمح بإخراجه،

(١) هى بلنسية المقيدة أضفت إلى برشلونة فيما بعد .

يُنْظَرُ فِيهِ بَيْنَ الْإِجْلَالِ ، وَيُكْرِمُونَهُ غَايَةَ الْكَرَامَةِ ، بِوَصِيَّةٍ تَوَارَثَهَا مِنْهُمْ كَارِغٌ عَنْ كَارِيهِ  
وَخَلْفٌ عَنْ مَلْفٍ .

قال : وكان الأدفونس عن قَوِيٍّ طَمَعَهُ فِي بِلَادِ مِصْرَ وَالشَّامِ فِي أَمْرِئِ لِيَالِي الْأَيَّامِ  
الْفَاطِمِيَّةِ . ثُمَّ قَالَ : وَمَكَاتِبُهُ مُتَوَاصِلَةٌ ، وَالرُّسُلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَا تَقْطَعُ عَلَى سُوءِ  
مَقْصَدِهِ . وَخُبْتُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ ؛ أَهْدَى مَرَّةً إِلَى السُّلْطَانِ سَيْفًا طَوِيلًا وَثَوْبًا بَنْدُكِيًا  
وِطَارِقَةً طَوِيلَةً دَقِيقَةً ، تَشَبَهُ النَّعْشَ ، وَفِي هَذَا مَا لَا يَخْفَى مِنْ أَسْتِغْنَاحِ بَابِ الشَّرِّ  
وَالْتَصَرُّعِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَثَايَةِ ؛ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنْ أُرْسَلَ إِلَيْهِ جِلُّ أَسْوَدَ وَحُمْرٌ ، أَيْ  
لِأَنَّهُ كَلَبٌ لِمَنْ رُبِّطَ بِالْجِلِّ وَالْأُرْيَى بِالْحُمْرِ .

قال في "التعريف" : ورسم المكتبة إليه أطال الله بقاء الحضرة السامية ، حضرة  
الملك الجليل ، الهمام ، الأسد ، الباسل ، الضُّرَّام ، الْفَضْلُفَر ، بَقِيَّةُ سَلَفٍ قَبْصَر ،  
حَامِي حُمَاةِ بَنِي الْأَصْفَر ، الْمُنْعَ السُّلُوك ، وَارِثُ لَذَرِيقٍ وَذَوَارِي الْمُلُوك ؛ فَارَسَ  
الْبَرَّ وَالْبَحْرَ ، مَلِكٌ كُلِّ غِلْطَلَةٍ وَمَا يَلِيهَا ، بَطَلُ النِّصْرَانِيَّةِ ، عِمَادِ بَنِي الْمُعْمُودِيَّةِ ، حَامِلُ  
رَايَةِ الْمَسِيحِيَّةِ ، وَارِثُ التَّيْجَانِ شَيْبِهِ مَرِيحُنَا الْمَعْمَدَانِ ، حُبِّ السَّامِينِ ، صَدِيقِ  
الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ .

دعاء وصدور يليقان به

وَكَفَاهُ شَرُّ نَفْسِهِ ، وَجَنَاهُ ثَمَرُ غَرَسِهِ ، وَوَقَاهُ فَعْلُ يَوْمٍ يُحْرَقُ عَلَيْهِ مِثْلُ أَمْسِهِ ، وَأَرَاهُ  
مِقْدَارَ النِّعْمَةِ بِالْبَحْرِ الَّذِي تَمْنَعُ بِسُورِهِ وَتَوَقَّى بِثَرَسِهِ .

أَصْدَرْنَاهَا إِلَيْهِ وَجَدُّهُ اللَّهُ لَا يَمْتَنِعُهُمْ مَانِعٌ ، وَلَا يُضَرُّهُمْ فِي اللَّهِ مَا هُوَ جَامِعٌ ، وَلَا يَبَالُغُونَ  
أَكْتَائِبَ يُخَفِّفُونَهَا أَمْ كُتُبًا ، وَجَدَاوِلَ تَعْرِضُ لَهُمْ أَمْ بِحَارٍ لَا تَقْطَعُهَا إِلَّا وَثْبًا .

آخِرُ : وَوَقَاهُ بِتَوْفِيقِهِ تِلَافَ الْمُهْجِ ، وَكَفَاهُ بِأَسْ كُلِّ أَسَدٍ لَمْ يُجِجْ ، وَحَمَاهُ مِنْ  
شَرِّ نَفْتِهِ لَا يُبِيلُ الْبَحْرُ الَّذِي تَحْصَنُ بِهِ عُبَارَهَا مِنَ الرَّجْحِ .

أصدرناها إليه وأستثنا لأرتد عن بحر ، وأعثننا لا تُصد بسور ولو ضرب من وراء البحر .

قلت : وينبى أن تكون في قطع النصف .

الثاني - صاحب برجلونة ، ووم في " التنقيف " بفعله هو الأذفوش المقدم ذكره . وقال : إنه يقب أنفوش ، دُون حاكم . ثم قال : وهم طائفة الكبيلان ورم المكتبة إليه في قطع النصف بقلم الثلث الكبير « أدام الله تعالى بهجة الحضرة الموقرة ، الملك الخليل ، المكرم ، المبجل ، الخبير ، البطل ، الباسل ، الهمام ، الضرم ، الريدارغون ، فلان ، نصير النصرانية ، نغر الأمة العيسوية ، ذخر الملة المسيحية ، حامى الثغور ، مقلك السواحل والبحور ، عماد المعمودية ، ظهير بابا روميه ، ملاذ القرمات ، جمال الثغور والبيجان ، صديق الملوك والسلطين ، صاحب برجلونة » .

قال في " التعريف " : أما الريد فرئس فلم يرذ له إلا رسول واحد ، أبرق وأرعد ، وجاء يطلب بيت المقدس على أنه يفتح له ساحل قيسارية أو عسقلان ، ويكون للإسلام بهما ولاية مع ولاته ، والبلاد مناصفة ، ومساجد المسلمين قائمة ، وإدارات قوميتها دائمة ، على أنه ينقل مائتي ألف دينار تُسجل وتُحمل في [ كل ] سنة ، نظير دخول [ نصف ] البلاد التي يسلمها على مبدل ثلاث سنين ، ويُطريف في كل سنة بنواب الشف والهدايا . وحسن هذا كتاب من كتبة القبط ، كانوا صاروا رؤوساً في الدولة بجامع بيض وسراير سود ، وهم أعداء زرق ، يجرعون الموت الآخر ، وعملوا على تمشية هذا القصد و [ ان ] سري في البدن هذا الشم ، وتطلب له الدرايق فز .

(١) مراده الثلث الثقيل .

(٢) الزيادة من " التعريف " ص ٦٣ .

وقالوا : هذا مالٌ جليلٌ معجَّلٌ ثم ماذا عسى أن يكون منهم وهم نُقطةٌ في بحرٍ ، وحصاةٌ في دَهْناء .

قال : وبلغ هذا أبى رحمه الله ، قالنى أن يُبَاهِرَ فى هذا ، ويَعَاهِدَ بما أمكنه ، ويدافعَ بهما قَدْرَ عليه ، ولو لاوى السلطان على رأيه إن أصفى إلى أولئك الأفعكة ؛ وقال لى : تقوم معى وتُكَلِّمُ ، ولو خُضِبَتْ منا ثيابنا بالدم ، وراسلنا قاضى القضاة القزوينى الخطيب ، فأجاب وأجاد الإستمداد ؛ فلما بَكَّرْنَا إلى العُدْمَةِ وحضرنا بين يدي السلطان بدار العُدل ، حضرت الرَسُول ، وكان بعضُ أولئك الكُتَيْبَةِ حاضراً ، فاستمدَّ لأن يتكَلَّمَ ، وكذلك استمدنا نحن : فما استتم كلامهم حتى غَضِبَ السلطانُ وحسبى غَضَبُهُ ، وكاد يَغْرَمَ عليهم حَطْبُهُ ، ويتعَجَّلَ لهم عَطْبُهُ ، وأُسْكِتَ ذلك المناقِقُ بيزيَته ، وسكتنا نحن اكْتِفَاءً بما بلغه السلطان بما رَدَّه بِحَيْثِهِ ؛ فَصَدَّ ذَلِكَ الشيطانُ وكفى الله المؤمنين القتالَ ، ورُدَّتْ على راسِهَا النصال . وكان الذى قاله السلطان : والكم أتم حرَقتم ما لَقِيتُمْ تَوْبَةً دِمَياط من حسكر المَلِكِ الصالح ، وكانوا جماعة أكرادٍ مَلْفُقةٍ مجَمَّعةٍ ؛ وما كان بعدُ هؤلاء الأتراك ؛ وما كان يشغلنا عنكم إلا قتال التتر ؛ ونحن اليوم بحمد الله تعالى صَلُّحٌ [ نحن وإياهم ] <sup>(١)</sup> من جلس واحد ما يَتَقَلُّ بعضه عن بعض ، وما كان يُرِيدُ إلا الابتداء ؛ فأما الآن فَتَحَصَّلُوا وتعالَوْا ، وإن لم تَجْهَوْا فنحن نَجِيكم ولو أننا نخوض البحر بالخيال ؛ والكم صارت لكم السنة تَذْكُرُون بها القُدْس ؛ والله ما ينال أحد منكم منه تَرَابَةٌ إلا ما تَسْفِيهِ الرياح عليه وهو مصلوب ! وصرخ فيهم صَرَخَةً زَعَزَعَتْ قُؤُومَهُمْ ، ورتهم أَفْبَحَ رَدً ، ولم يقرأ لهم كتاباً ، ولا رَدَّ عليهم سوى هذا جواباً .

(١) الزيادة من "الصریف" .

قلت : فإن أتفق أن يكتب إلى الرّيد إفرنس المذكور فتكون المكتبة إليه مثل المكتبة إلى الأدفونس أو أجل من ذلك .

وأعلم أن الريد قرّس هو الذى قصد الديار المصرية بمواطاة الأدفونس : صاحب طليطة المقدم ذكره ، وملكوا دمياط ، وكانت الواقعة بينهم فى الدولة الأيوبية فى أيام الصالح أيوب ، وأخذ الرّيد قرّس وأميسك وحُس بالدار التى كان يتربى نغر الدين بن لقمان : صاحب ديوان الإنشاء ، بالمنصورة ، ورسم عليه الطواشى صبيح ، ثم نفّس عنه ، وأطلق لأمر قرّ عليه ، وقال فى ذلك جمال الدين بن مطروح أبياته المشهورة وهى :

[قُلْ للقرّيس إذا جتّه \* مقال صنيق من قُلْ نصوح  
أتمت مصرًا تخبى ملكها \* تحسب أن الزمر يا طبل رنج  
وكل أحمالك أودعتهم \* بحسن تدبيرك بطن الضرم  
خمسين ألفًا لآثرى منهم \* خير قتييل أو أسير جريح  
وقدك الله لأمثالها \* لعل عيسى منكم يستريح  
أجرك الله على ما جرى \* أفنت عبادة يسوع المسيح  
قل لهم إن اضممروا عودة \* لأخذ نار أو لقصص صحيح :  
دار ابن لقمان على حالها \* <sup>(١)</sup> والقيد باقى والطواشى صبيح]

(١) يعض هذه الأبيات فى الاصل نقلها مما تقدم فى ج .



### المقصود الثالث

( في المكتبة إلى ملوك الكفار بالجانب الجنوبي )

والمكاتب بهذا الجانب منهم ملكان :

الأول — صاحب أحرار : ملك ملوك الحبشة ، ولقبه عندهم حطى . ففتح الحاء وكسر الطاء المشددة المهملين ، سمة على كل من ملك عليهم منهم .

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أنه نصراني يعقوبي ، يحكم على تسعة وتسعين ملكاً ، منهم سبعة مسلمون ، وهم صاحب وفات ، وصاحب دوارو ، وصاحب أرايبي ، وصاحب شرما ، وصاحب هذية ، وصاحب بالي ، وصاحب دارة ، وأنه لولا أن معتقد دين النصرانية لطاعة اليعاقبة أنه لا يصح تعمد معمودى إلا باتصال من البطريك ، وأن كرسى البطريك كنيسة الإسكندرية فيحتاج إلى أخذ مطران بعد مطران من عنده ، لشمع بأفقه من المكتبة ، لكنه مضطراً إلى ذلك .

قال في " التعريف " ورمم المكتبة إليه :

أطال الله بقاء الحضرة العالية ، الملك ، الجليل ، المهام ، الضرغام ، الأسد ، الغصنقر ، الخطير ، الباسل ، السميع ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ، المنصف لرعيته ، المستمع لما يجب في أقضية ، عزز الملة النصرانية ، ناصر الملة المسيحية ، ركن الأمة العيسوية ، عماد بنى المعمودية ، حافظ البلاد الجنوبية ، متبع الخواريين ، والأخبار الزبانيين ، والبطاركة القديسين ، معظم كنيسة صهيون ، أوجد ملوك يعقوبية ، صديق الملوك والسلاطين . ويدعى له دعاء مفعماً يليق به .

وهذا دعاء وصدر يليقان به، ذكرهما في "التعريف" :  
وأظهر فضله على مَنْ يُدانيه من كُلِّ ملك هو بالتاج مَعْتَصِب، وَلَكَّفَ الْجَبَاحَ  
بِالْعَدْلِ مَعْتَصِب، ولقطع حِجَاج كُلِّ معاند بالحق معصر أو للحق مَعْتَصِب .

صدرت هذه المُفَاوِضَةُ إِلَى حضرته العلية ومن حضرة القُدُس مَسْرَاهَا، ومن  
أُسْرَةِ الْمَلِكِ الْقَدِيمِ مَسْرَاهَا، وَعَلَى صَفَاءِ تِلْكَ السَّرِيرَةِ الصَّافِيَةِ تَرَدُّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا  
غَيْلِيل، وَلِإِنَّ ذَلِكَ الصِّدِّيقَ الصُّنُوقِيَّ [الْمَسِيحِيَّ] أَتَصَلَّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بُعِثَ إِلَّا مِنْ  
تِلْغَاهِ الْخَلِيل .

ولم يذكر القطع الذي يكتب إليه فيه . أما في "التتيف" : فإنه ذكر أنه  
يُكْتَبُ إِلَيْهِ فِي قِطْعِ التُّلُكِ بِقَلَمِ التَّوْقِيعَاتِ مَا نَصَبَهُ :

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْمَلِكِ، الْجَلِيلِ، الْمَكْرَمِ، الْخَطِيرِ، الْأَسَدِ، الضَّرْفَامِ، الْمُهَامِ،  
الْبَاسِلِ، فَلَانِ بْنِ فَلَانِ، الْعَالِمِ فِي مِلَّتِهِ، الْعَادِلِ فِي مَمْلَكَتِهِ، حَطَّى مَلِكِ أَتَحْرَا، أَكْبَرِ  
مُلُوكِ الْحَبْشَانِ، نَجَاشِي عَصْرِهِ، سَنَدِ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ، عَضُدِ دِينِ النُّصْرَانِيَّةِ، عِمَادِ بَنِي  
الْمَعْمُودِيَّةِ، صَدِيقِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَالِدَعَاءِ، وَتَعْرِيفِهِ «صَاحِبِ الْحَبْشَةِ» .

قال : فَإِنْ كَانَتْ الْمَكْتَابَةُ جَوَابًا، صُدِّرَ الْكَتَابُ إِلَيْهِ بِمَا صَوَّرْتَهُ : وَرَدَّ كِتَابُ الْمَلِكِ  
الْجَلِيلِ، وَيَذْكُرُ بَقِيَّةَ الْمَكْتَابَةِ . ثُمَّ قَالَ : وَهَذِهِ الْمَكْتَابَةُ هِيَ الَّتِي أَسْتَقَرَّ عَلَيْهَا الْحَالُ عِنْدَ  
مَا كُتِبَ جَوَابُهُ فِي التَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .



وهذه نسخة جوابِ كِتَابِ وَرَدَ عَنْ صَاحِبِ الْحَبْشَةِ مِنْ سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ  
صَاحِبِ الْيَمَنِ، عَلَى الْمَلِكِ «الظَّاهِرِ بَيْرُوسَ» رَحِمَهُ اللَّهُ، بِطَلَبِ مِطْرَانٍ يُقِيمُهُ لَهُمُ  
الْبَطْرُكُ، بِمَا كُتِبَ بِهِ الْقَاضِي عَمِّي الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهِيَ :

ورد كتابُ الملك، الجليل، الهام، العادل في ملته، حظي ملك أعمرًا أكبر ملوك  
العُشَاشَان، الحاكم على الملم من البُلْدَان، نَجَاشِي عصره، صديق الملوك والساطين،  
سلطان الأعمر حرس الله نفسه، وبنى على الخير أسه؛ فوقفنا عليه وفيهنا ماتضمنه:  
فأما طلبُ المطران فلم يحضر من جهة الملك أحدٌ حتى كنا نعرف الغرض المطلوب،  
وإنما كتبُ السلطان الملك المظفر صاحب اليمن ورد مضمونه أنه وصل من جهة  
الملك كتابٌ وقاصد، وأنه أقام عنده حتى يسير إليه الجواب. وأما ما ذكره من كثرة  
صاكره، وأن من جعلها مائة ألف فارس مسابين، فآله تعالى يكثر في صاكر  
الإسلام. وأما ونخم بلاده فالآجالُ مقدرة من الله تعالى، ولا يموت أحدٌ إلا بأجله،  
ومن فرغ أجله مات.

وأعلم أن العادة جرت أنه كتبَ كُتِبَ إليه كتابٌ عن الأبواب السلطانية كتب  
قريبته كتابٌ عن البطريرك. قال في "التعريف": ولأوامر البطريرك عنده  
مالشرعيته من الحرمة، وإذا كتب كتابًا فأتى ذلك الكتابُ أولَ ملكته، نرج  
عيسى ذلك الأرض فعمل الكتاب على رأس علم، ولا يزال يحمله بيده حتى يخرج  
من أرضه، وأرباب الديانة في تلك الأرض: كالقسوس والشمامسة حوله مشاةً  
بالأذينة؛ فإذا خرجوا من حد أرضهم تلقاهم من يليهم أبداً كذلك في كل أرض  
بعد أرض حتى يصلوا إلى أعمر، فيخرج صاحبها بنفسه، ويفعل مثل ذلك الفعل  
الأول؛ إلا أن المطران هو الذي يعمل الكتاب لعظمته لا لتأني الملك. ثم لا يتصرف  
الملك في أمر ولا تنهى، ولا قليل ولا كثير، حتى ينادى للكتاب، ويجتمع له يوم الأحد  
في الكنيسة، ويقرأ الملك واقف؛ ثم لا يجلس مجلسه حتى ينفذ ما أمره به.

الثاني — صاحب دُقْشَلَة. قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك  
أن دُقْشَلَة هي قاصدة ملكة النوبة، وأنها كانت في الأصل يكون ملكها من نصارى

النوبة، ومعتقدهم معتقد اليعاقبة، وأنه ربما غلب عليها بعض المسلمين من العرب فلنگها، وقد تقدم ذكر المكتبة إلى صاحبها إذا كان مسلماً؛ أما إذا كان نصرانياً فقد ذكر في "التتيف" أن المكتبة إليه: هذه المكتبة إلى النائب، الجليل، المبجل، الموقر، الأسيد، اباسل، فلان؛ مجد الملة المسيحية، كبير الطائفة الصليبية، غرس الملوك والسلطين، والدعاء، وتعريفه «النائب بئقله».

### المفصل الرابع

(في المكتبة إلى ملوك الكفار بالجانب الشمالي من الروم والفرسجة على اختلاف أجناسهم، وجميعهم معتقد المليكانية)

وجملة ما ذكر من المكتبات في "التتيف" و"التتيف" اثنتا عشرة مكتبة: الأولى — مكتبة الباب، وهو بطريرك المليك، القائم عندهم مقام الخليفة، والعجب من جملة في "التتيف" بتزلة القان عند التار، والقان إنما هو بتزلة ملكهم الأكبر، والباب ليس من هذا القليل، بل إليه أمر الديانة حتى في التحليل والتحرير.

وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك عند ذكر البطارقة أنهم كانوا يُسمون القيسيس ونحوه آباء، ويُسمون البطريرك آباء فأحبوا أن يأتوا على البطريرك بسمية له تميزه عن غيره من الآباء، فاختاروا له لفظ الأب، وأنه يقال فيه الباب والبابا ومعناه أبو الآباء، ثم لما غلب الروم على المملكة، وطلت كلمتهم على اليعاقبة، خصوا اسم الباب ببطريركهم؛ فصار ذلك علماً عليه، ومقره مدينة رومية على ما تقدم

(١) مراده أن يلقوا على البطريرك سمعة الخ.

هناك ، ورسمُ المكتبة إليه على ما ذكره في "التتيف" ضاعفَ الله تعالى بهجةَ الحضرة السامية ؛ الباب الجليل ، القديس ؛ الروحاني ؛ الخاشع ، العامل ، ياباً رومية ؛ عظيم الملة المسيحية ، قُدوة الطائفة العيسوية ، مملك ملك النصرانية ، حافظ الجُسور والخُلجان ، ملاذ البطارقة والأساقفة والقُسوس والرهبان ، تالي الإنجيل ، معرّف طائفته التحريم والتحليل ، صديق الملوك والسلاطين . والدعاء ، وصدرت هذه المكتبة .

قال في "التتيف" : هنا ما وجدته مسطوراً ولم يكتب إليه شيء في مادة مباشرتي ، ولا أدري في أية شيء كان يكتب إليه ولا عرفت تعرفه . ولم يتعرض له المقتر الشهابي بن فضل الله في "التتيف" جملة ، ورأيت في بعض النسايب أنه لم يكتب إليه إلا مرة واحدة ، وأن الكتابة إليه في قطع النصف مع المكتبة المتقائمة .

الثانية — المكتبة إلى ملك الروم صاحب القُسطنطينية . قد تهدم في الكلام على المسالك والممالك أنها صارت آنحاً إلى بني الأشكرى ؛ فصار الأشكرى ممة لم ملكاً بعد ملك . قال في "التتيف" وقد كان قبل غلبة الفرنج ملكاً جليلاً ، يرجع إليه من جُباد الصليب سائر الملوك ، ويفتخر إليه منهم الغني والمُعولوك ؛ وكتب التواريخ مشحونة بأخباره ؛ وذكر وقائمه وأثاره ، وأول من آلمس هامته الله ، وأصار جمعه إلى القلعة ، هارون الرشيد حين أغزاه أبوه المهدي إياه ، فأزال السَّمم من أنفه ، وثقى جامع عطفه . فأما غزوات سلمة بن عبد الملك ويزيد بن معاوية فإنها لم تبلغ فيه حد النكايه ؛ ولا أعظمت له الشكاية ؛ قال : وهذا الملك الآن كان السلطان (أزبك) قد كاد يترتاجه ، ويقيم تتاجه ؛ ويحل من جانب البحر المُعَلَّق رتاجه ؛ فاحتاج إلى مداراته وبذل له فائس المال ، وصحِب أيمه على مَضَض

الاحتمال؛ وكانت له عليه قطعة مقررّة، وجملة مال مقدّره؛ ثم عميت علينا بعده منهم الأخبار، وتوثق بالدنيا الإخبار .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في " التعريف " : ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة العالية ، المكرمة ، حضرة الملك ، الجليل ، الخطير ، المهّام ، الأسد ، الغضنفر ، الباسل ، الضرم ، المشرق ، الأصيل ، المجد ، الأمير ، الإثيل ، البلاوس ، الرّيدارغون ، ضابط الممالك الروميّة ، جامع البلاد الساحليّة ، وارث القياصرة القدّماء ، محي طرق الفلاسفة والحكام ، العالم بأمور دينه ، العادل في ممالكه ، معزّ النصرانيه ، مؤيد المسيحيه ، أوحّد ملوك العيسويه ، محوّل الصخوت والتّيجان ، حامى البحار والتّلجان ، آمر ملوك اليونان ، ملك ملوك السّريان ، عماد بنى المعموديّه ، رضى الباب بابا رومية ، ثقة الأصفياء ، صديق المسلمين ، أسوة الملوك والسلاطين . ثم يكتب اسمه هنا ويدعى له ؛ ولم يذكر قطع الورق الذى يكتب إليه فيه .

وهذا دطاء وصدر يليقان به ، أوردهما فى التعريف .

وجعل له من السّلامة<sup>(١)</sup> يّلا لا ترّغمه من أوطانه ، ولا تنزّعه من سُلطانه ، ولا تُوجب له إلا استقّاراً ليجانه ، واستقراراً بملكه على مادارت على حصونه مناطق خُلفانه ، ولا يرحّث ثمار الوُدّ تدنو من أفتائه ، وموائيق العهد تُبوى له ما يُسرّ به من إشادة معالم سلفه وشدّ بناء يونانه : أصدرناها ، وشكره بكاره البحر لا يُوقّف له على آجر ، ولا يُوصّف مثل عقده الفانر ، ولا يكاتّر إلا قيل : أين هذا القليل من هذا الزّاجر .

(١) فى التعريف « مع الإسلام » .

آخِرُهُ : وَنَظَمَ سِلَكَهُ ، وَحَمَى بِحُسْنِ تَأْتِيهِ مُلْكَهُ ، وَكَفَى يُحْيِيهِ مُلْكُهُ ،  
وَأَجْرَى بِوَدِّهِ رِكَابَتَهُ وَقُلْكَهُ ، وَوَقَاهُ كَيْدَ الْكَاذِبِ وَكُفَّ إِفْكَهُ ، وَأَشْهَدُ عَلَى وَدِّهِ  
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا جَنَّ كَافُورُ هَذَا كَافُورُهُ وَلَا مَسْكُ هَذَا مِسْكُهُ .

قلت : هذا الدعاء والصنن وإن أوردته في " التعريف " في جملة الأدعية له  
والصدور ، فإنه منقطع الرتبة عن المكتبة السابقة ، اللهم إلا أن يُخصَّصَ هذا بحالة  
مناظرة أو تهديد ، ونحو ذلك .

وذكر في " التعريف " أن الذي استقر عليه الحال في المكتبة إليه أنه يُكتَبُ إليه  
في قَطْعِ النَّصَفِ ما نصه : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى <sup>(١)</sup> [ بهجة ] حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ ،  
الْمَكْرَمِ ، الْمَبْجَلِ ، الْأَسَدِ ، الْخَطِيرِ ، الْبَظَلِ ، الْبَاسِلِ ، الْهَمَامِ ، الضَّرْطَامِ ، فَلَانِ ،  
الْعَالَمِ فِي مِلَّتِهِ ، الْعَادِلِ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، عَزَّ الْأُمَّةَ الْمَسِيحِيَّةَ ، كَبِيرَ الطَّائِفَةِ الصَّالِحِيَّةِ ،  
بِحَمَالِ بْنِ الْمُعَمُّودِيَّةِ ، قَهْصَامِ الْمُلُوكِ الْيُونَانِيَّةِ ، حُسَامِ الْمَمْلَكَةِ الْمَاكْصُونِيَّةِ ،  
مَالِكِ الْبَرْقِيَّةِ وَالْإِمْلَاحِيَّةِ ، صَاحِبِ أَمْصَارِ الرُّوسِ وَالْعَلَّانِ ، مُعِزِّ اعْتِقَادِ الْكُرْجِ  
وَالشَّرِيانِ ، وَارِثِ الْأَمِيرَةِ وَالتَّيْجَانِ ، الْحَاكِمِ عَلَى الثُّغُورِ وَالْبُحُورِ وَالْعُطْبَانِ ، الضُّوْقِسِ  
الْأَيْمُحَالُوسِ الْكَيْنِيُونُوسِ الْبِلَالُؤُغُوسِ ، صَدِيقِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، ثُمَّ الدَّعَاءُ .  
صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ إِلَى حَضْرَتِهِ تَشْكُرُ مَوْلَاتِهِ ، ( وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ ) وَتَوْصِغُ  
لِعَالِمِهِ السَّعِيدِ .

ورأيت في بعض الدساتير أنه يُختَمُها بقوله : فَيُحِيطُ بِذَلِكَ عِلْمًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى  
يَذِيحُ بِهِجَتِهِ .

(١) مقتبسة من " التعريف " لكمة الكلام .

قال في "التحيف" : وتعريفه « ضابط مملكة الروم » وذكر أن هذه المكتبة هي المتداولة بديوان الإنشاء بين مكاتبه ، وأنه هو كتب بها إليه ، ولم يتعرض لإيراد المكتبة التي ذكرها في "التحيف" بل أحال في معرفتها لمن أرادها على النظر فيه .

الثالثة — المكتبة إلى حكام جنوة : وهم جماعة متفاوتو المراتب ، وهم : البودشطا ، والكبطان ، والمشايخ . ورسم المكتبة إليهم على ما ذكره في "التحيف" في قطع الثلث :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة البودشطا والكبطان الجليلين ، المكرمين ، الموقرين ، المبجلين ، الخطيرين ، فلان وفلان ، والمشايخ الأكابر المحترمين ، أصحاب الرأي والمشورة ، الكتون<sup>(١)</sup> يمنوه ، أجماد الأئمة المسيحية ، أكابر دين النصرانية ، أصدقاء الملوك والسلاطين ، ألهمهم الله تعالى رشدهم ، وقرن بالخير قصدهم ، وجعل النصيحة عندهم . تتضمن إعلامهم كذا وكذا . وتعريفهم «الحكام يمنوة» .

قال في "التحيف" والذي استقر عليه الحال آجرا في مفتتح سنة سبع وستين وسبعمائة إبطال المكتبة إلى البودشطا والكبطان ، بحكم أنهما أبطالا ، واستقر [ت مكتبة] اللوج مكانها بما نصه :

صدرت هذه المكتبة إلى اللوج الجليل ، المكرم ، المبجل ، الموقر ، الخطير ، فلان ، والمشايخ ، والباقي على ما تقدم ذكره .

قلت : هكذا هو في "التحيف" بدال وواو وجيم ، والمعروف بإبدال الجيم في آخره كانا على ما سيأتي ذكره في الكلام على صاحب البندقية على الأثر .

(١) لله الحاكمون يمنوة .



وأعلم أنه قد ذكر في "التحيف" أنه كان لصاحب جنوة مُقَدِّم على الشَّوَانِي بِقُرْسٍ ، وقيل إنه كان بالمأغوصة ، وأنه كتب إليه في رمضان جواباً عما ورد عنه في قطع العادة مانصه :

وردت مكتبة المُحْتَشِم ، الجليل ، المجل ، الموقر ، الاسد ، الباسل ، فلان ؛  
مجد الملة المسيحية ، كبير الطائفة الصليبية ، غرس الملوك والسلاطين ؛ ثم البطاء .  
وتعرفه «مقدم الشَّوَانِي الجنوية بِقُرْسٍ» .

الرابعة — المكتبة إلى صاحب البندقيّة . قال في "التحيف" : ورسم المكتبة  
إليه على ما استقر عليه الحال عند ما كتب إليه جوابه في شهر رجب سنة سبع وستين  
وسبعمائة ، وهو يومئذ مكر يأتو في قطع الثلث :

وردت مكتبة حضرة النّوج ، الجليل ، المكرم ، الخطير ، الباسل ، الموقر ،  
المفخم ، مكر يأتو غير الملة المسيحية ؛ جمال الطائفة الصليبية ، دوج البندقيّة  
والمناسية ، دوج كزال دين بنى المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين ، والبطاء .  
وتعرفه «صاحب البندقيّة» : ثم ذكر بعد ذلك قلا عن خط القاضي ناصر الدين  
أبن الشّائي أنه كتب في الجواب إلى دوك البنادقة :

وردت مطالعة الملوك الجليل ، المكرم ، المجل ، الموقر ، البطل ، الهام ، الضّرغام ،  
الغضنفر ، الخطير ، مجد الحلة النصرانية ، غير الأئمة العيسوية ، عماد بن المعمودية ،  
معز ياكأ رومية ، صديق الملوك والسلاطين ، دوك البنادقة ، وديارقة ، والرؤسا ،  
والإصطنبوليّة . ثم قال : ولم يذكر تعرفه ولا قطع الورق الذي يكتب إليه فيه ؛  
ثم نقل عنه أيضا أن المكتبة إلى دوك البندقيّة : هذه المكتبة إلى حضرة  
المحتشم ، الجليل ، المجل ، الموقر ، المكرم ، المفخم ، الباسل ، الضّرغام ، فلان ؛

حِرَّ الأَمةِ المَسيحيَّةِ، جَمالِ الطائِفَةِ العيسويَّةِ، ذُنُرِ المَلَّةِ الصليبيَّةِ، صَديقِ الملوِكِ والسلاطينِ . ثم قال : هَكذا رأيتُه من غيرِ ذَكرِ تَريقِه ولا القَطْعِ الَّذي يَكتبُ إِلَيهِ فيه . إِنْ قال : وما يَعدُّ أَنه غيرُ الأَوَّلِ ولم يَزدَ عَلى ذَلكَ .

قلت : ومقتضى ما ذكره من جميع ذلك أن الدوك غيرُ المَلِكِ نَفسِه . عَلى أن [ المَكتَبَةَ الأَوَّلَى والثانِيَةَ في الجَوابِ مَقتارِبَتانِ . أما المَكتَبَةُ الثالثَةُ فمَصحَّةٌ عَن الأَوَّلَتَيْنِ . عَلى أَنه قد نَتهِمُ في الكلامِ عَلى المَسالكِ والمَهاالكِ عَندَ ذَكرِ البَندِقيَّةِ نَقلًا عَن ابنِ سَعيدٍ أَن مَلِكِ البَنادِقَةِ يُقالُ لَهُ الدوكُ بضمِ الدالِ المَهمَلَةِ وواوِ وكافِ في الآخرِ، وهذا مما يَحتاجُ إلى تَحريرٍ؛ فَإِن كانَ الدوكُ هُوَ المَلِكُ فَتَكونُ المَكتَبَةُ إِلَيهِ أَختَلَفَتْ بِاختلافِ الحالِ، أو بِاختلافِ غَرَضِ الكُتُبِ، أو عَدمِ أَطَلاعِهِم عَلى حَقيقَةِ الأَقدارِ والوقوفِ مَعَ ما يُلقَى إِلَيهِم مِنَ المَؤامِرَةِ في كُلِّ وَقَيتٍ وَهُوَ الظاهرُ .

الخامسة — المَكتَبَةُ إلى صاحِبِ سَنُوبَ، من سَواحِلِ بِلادِ الرُومِ، قَبلَ أن تُفتَحَ وَيستولَى عَلَيها التُركُمانُ . قالَ في "التَعرِيفِ" وَهِيَ عَلى صَفةِ الخَليجِ القُسطنطينيِّ، ومَلِكُها رُومِيٌّ من بَيتِ المَلِكِ القَديمِ، من أَقاربِ صاحِبِ القُسطنطينيَّةِ . قالَ : وَيقالُ إِن أباهُ أَمَرَ تُقُ من آبائِهِ في السُلطانِ . قالَ : وَلَكن لَيسَ مَلِكُهُ بِكَبيرٍ، ولا عَندَهُ بِكثيرٍ، وَيَكونُ بَينَهُ وَبَينَ أَمرِاءِ الأَتراكِ حُروبٌ، يَكونُ في أَكثَرِها المَغلُوبُ . وَذَكَرَ أَنَّ رَسمَ المَكتَبَةِ إِلَيهِ مِثْلُ مَملُوكٍ سَيمِ، فَتَكونُ عَلى ما ذَكَرَهُ في مَكتَبَةِ مَملُوكٍ سَيس :

صَدَرتْ هَذهِ المَكتَبَةُ إلى حَضرَةِ المَلِكِ، الجَليلِ، البَطلِ، الباسِلِ، الهُمامِ، السَيمِيعِ، الضَّرغامِ، النَضِيقِ، فِلانٍ، نَحرِ المَلَّةِ المَسيحيَّةِ، ذُنُرِ الأَمةِ النَصْرائِيَّةِ، عَمدِ بَنى المَعمُودِيَّةِ، صَديقِ الملوِكِ والسلاطينِ .

وهذا دعاء يليق به، ذكره في "التعريف" :

وكفاه شَرَّ ما يُنَوَّب ، وروَّجَ خاطِرَه في الشَّمالِ بَرِّاً ما يَهْبُ من الجَنُوبِ ، ووقَّاه  
سُوءَ فِعْلي يُوْرِث النَّدَمَ وأَقْل ما يَفْرَع السَّنَّ سَتُوبَ .

السادسة - المكتبة إلى صاحب البُلغار والسَّرب . قد تَهَمَّت في الكلام على  
المكتبات إلى ملوك الإسلام بالجانب الشَّمالِ قِلا عن " التعريف " ما يَتَضَيُّ أَنَّ  
ملكها مسلمٌ ، وَذُكِرَت مَكَاتِبُهُ الإِسْلامِيَّةُ هناك ، وعلى ذلك أَقْتَصِر في " التعريف "   
وتَقَدَّمَ الثَّقَل عن "مسالك الأبصار" أنها صارت إلى ملوك النُّصرانية ، وعليه أَقْتَصِر  
في "التتيف" وهو المراد هنا .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في " التتيف " قِلا عن ابن النشائي في قِطْع  
الثَلث ما نصه :

أطال الله تعالى بقاءَ حضرة الملك ، الجليل ، المَكْرَم ، المَبْجَل ، الهام ، الضُّرغام ،  
الباسل ، النُّوقِيس ، الأَنْجَالُوس ، الكِنِينُوس ، فلان ؛ عمادِ النُّصرانية ، مالك السَّرب  
والبُلغار ، نَحْرُ الأُمَّة المِيسُويَّة ، ذُنُر المِلَّة المِسيحيَّة ، فارس البُحُور ، حامي الحُصُون  
والتُّغُور . والدعاء ، أصدرنا هذه المكتبة ، وتَعرِيفه «صاحب البُلغار» .

وأعلم أنه في "التتيف" بعد أن أورد المكتبة المتقدمة لصاحب السَّرب والبُلغار،  
قِلا عن ابن النشائي ذكر قِلا عنه أيضاً أن المكتبة إلى صاحب السَّرب في قِطْع  
الثَلث نظير مِثْلِكَ سِيسَ ، فَكُون المكتبة إليه على ما تَهَمَّت أنه الذي استقر عليه الحال  
في المكتبة لِمِثْلِكَ سِيسَ :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك ، الجليل ، المَكْرَم ، المَبْجَل ، المعز ،  
الهام ، الباسل ، فلان ؛ عِزِّ دِين النُّصرانيَّة ، كَبِير الطائفة الصَّليبيَّة ، عماد بن

(١) أى البلد التي هي عاصمة ملكه .

المعمودية، صديق الملوك والسلاطين، أدام الله نعمته، وحرس مهنته، تعلمه كذا وكذا؛ وتعرفه «صاحب السرب» .

ثم قال : ولم أدر هل يجتمعان لشخص واحد تارة فيكون بهما أثنان تارةً وواحد تارةً أم لا . ثم قال : على أنه لو كان الأمر كذلك لكان يتعين أن يذكر مكتبة صاحب البُلغار وحده مفردًا كما ذكر مكتبة صاحب السرب وحده مفردًا .

قلت : كلاً الأمرين محتملٌ، فيجوز أنهما كانا مجتمعين لواحدٍ ، وأنه كتب تعريفه بالإضافة إلى أحدهما استغناءً به عن الآخر، أو أنه كتب إلى صاحب السرب بمفرده، ولم يحط رتبته في قطع الورق عن رتبة من اجتماعه، ولا يلزم من ذلك أنه كان يكتب لصاحب البُلغار بمفرده لاحتمال أنه لم يكتب إليه شيء حينئذٍ، وبالجملة فهذا أمر راجع إلى النقل .

السابعة — المكتبة إلى ملك رُودس . قال في "التعريف" وهي جزيرة تهايل شطوط البلاد الرومية . قال : وأهلها في البحر حرامية ، إذا ظفروا بالمسلم ، أخذوا ماله ، وأحيوه ، وباعوه أو أسخضوه ؛ وإذا ظفروا بالفريسي ، أخذوا ماله وقتلوه .

ورسم المكتبة إليه مثل ممتلك سيس ، إلا أنه لا يقال فيه معزٍ بابا رومية ، وتختصر بعض ألفابه لأنه دونه، وحينئذٍ فينتج أن تكون المكتبة إليه :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك الحليل ، البطل ، الباسل ، السميذع ، فلان ؛ نغرا الملة المسيحية ، ذخرا لامة النصرانية، صديق الملوك والسلاطين ، أونجو ذلك . على أنه في "التعريف" لم يذكر في المكتبة إلى ممتلك سيس ، معزٍ بابا رومية؛ فلم يكن ليجتاج أن يقول : إلا أنه لا يقال فيه معزٍ بابا رومية .

وهذا دعاء يليق به، ذكره في "التعريف" وهو  
 قَدَّمَ اللهُ لَهُ الْأَعْزَارَ، وَكَفَاهُ قَوَائِعَ الْإِنْذَارِ، وَحَدَّرَهُ عَاقِبَةَ الْبَغْيِ قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ الْحَذَارُ .  
 آخِرُ : فَكَّ اللهُ مِنْ وَثَاقِهِ كُلِّ مَاسُورٍ، وَأَقَالَ كُلَّ غَرَابٍ لَهُ مِنَ الرُّجُوعِ  
 وَجَنَاحُهُ مَكْسُورٌ، وَعَصَمَهُ بِالتَّوْبَةِ مِمَّا أَقْرَفَ، لَا بِالْبَحْرِ وَلَوْ أَنَّهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، وَسُورِ  
 مَدِينَتِهِ وَلَوْ أَنَّهُ مَائَةُ سُورٍ .

الثامنة - المكتبة إلى صاحب جزيرة المصطكى . قال في "التعريف" : وهى  
 جزيرة صغيرة لا تبعد مدى من الإسكندرية، وصاحبها صغير لاف مال ولا فى رجال،  
 وجزيرته ذات حط لا يطير شاربها بززع، ولا يدحائها بضرع، إلا أنها شئت  
 هذه الشجرة فتحمّل منها وتجلّب، وتروى السفن عليها بسببها وتطلب، قال :  
 وفى ملكها خدمة أرسلنا إذا ركبوا شبح البحر، ونجهز لهم إلى حيث أرادوا، وتبيز  
 لهم إذا توجّهوا وإذا عادوا . ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" كالمكتبة  
 إلى صاحب جزيرة رويس المتقدمة الذكر آنفاً وهى :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك الجليل إلى آخر ما تقدم .

وهذه أدعية تليق به ذكرها فى "التعريف" دعاء من ذلك، وفقده الله لطاعته،  
 وأنفضه من الولاء بقدر طاقته .

آخِرُ : أَلْطَبَ اللهُ قَلْبَهُ، وَأَدَامَ إِلَيْنَا قُرْبَهُ .

آخِرُ : لَا زَالَ إِلَى الطَّامَةِ يُسَادِرُ، وَطَى الْخِدْمَةِ أَنْهَضَ قَادِرُ، وَمَكَانُهُ تَرْمِ  
 إِلَيْهِ وَكَاتِبُ السُّقْنِ بِكُلِّ وَارِدٍ وَصَادِرٍ .

التاسعة - المكتبة إلى ممتلك قبرس . وإنما قيل له ممتلك قبرس لأنها كانت  
 قد فصحها المسمون، ثم تملّب عليها النصارى وملكوها، فقيل لمن غلب عليها ممتلك

ولم يُقَلْ له مَلِكٌ ، وذكر في "التخفيف" عن القاضي ناصر الدين بن النشائي أن المكتبة إليه [ مثل ] ممتلك ميسر ولم يَزِدْ على ذلك ، وحيث أن تكون المكتبة إليه مثل ما استقر عليه الحال في المكتبة إلى ممتلك ميسر في قطع العادة :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك ، الجليل ، المكرم ، المجل ، المعز ، المهام ، الباسل ، فلان ، عز دين النصرانية ، كبير الطائفة الصليبية ، عماد بن المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين ، أدام الله نعمته ، وحرس مهجته . وتعرضه « ممتلك قبرس » .

قال صاحب "التخفيف" : ولم أِفْ على مكتبة إليه ابتداءً ولا جواباً سوى ذلك ، إلا أنه كتب إليه عن الأمير الجاي اليوسفي عند وقوع الصلح في سنة اثنتين وستين وسبعائة ، يعني عند ما كان الجاي أتابك الساكر المنصورة .

العاشر - المكتبة إلى ملك مؤقرد . ذكر في "التخفيف" أنه كان بها ابن ملك إصطنبول ، وأنه كتب إليه في سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة :

أصدرتها إلى حضرة الملك الجليل ، المكرم ، البطل ، المهام ، الأمد ، الضرام ، فلان ، مجد النصرانية ، نحر العيسوي ، عماد بن المعمودية ، جمال الطائفتين الرومية والقروية ، ملك مؤقرد ، وارث التاج ، مُعز الباب ، أدام الله بقاءه ، وحفظه ووقاه ، وأورثه من أبيه نعمته وتاجه وآلاه ، تتضمن إعلامه كذا وكذا . ثم قال : هذا ما وجدته مسطوراً في رسم المكتبة المذكورة ، ولم يكتب إليه شيء في مدة مباشرتي ، ولم أدر ما تعرضه ، ولا في أي قطع يكتب إليه . قال : والذي يظهر أنه يكتب إليه في قطع العادة ، وأن يكون تعريفه « ملك مؤقرد » .

الحادية عشرة — المكتبة إلى صاحبة نأيل . وقد ذكر في "التتيف" أنه كان أسم صاحبها جوانا، وأنه كُتِبَ إليها في أواخر سنة ثلاثٍ وسبعين وسبعائة ماصورته :

صدرت هذه المكتبة إلى الملكة، الجليّة، المكرّمة، المجلّة، الموقّرة، المفخّمة، المعزّزة، فلانة، العالمة في ملّتها، العادلة في مملكتها، كبرى دين النصرانية، نصيرة الأئمة العيسويّ، حامية الثغور، صديقة الملوك والسلاطين . ثم الداء، تتضمن إعلامها، وتعرفها «صاحبة نأيل» ولم يذكر قطع الورق لمكتبتها، ولا خفاء أنه يكتب إليها في قطع العادة ليصغر مقامها .

قلت : فإن ولي مملكتها رجل، فينبى أن يكتب إليه بهذه المكتبة على التذكير أو أعلى من ذلك، ليّزة الرجال على النساء . وهؤلاء جملة من تعرض إلى مكاتبتهم في "التتيف" و"التتيف" من ملوك الكُفَر، فإن اتفقت المكتبة إلى أحد سواهم فليُقَسَّ على من هو مثله منهم . ثم قد ذكر في "التتيف" القنصل بكفا، وذكر أنها جارية في حكم جنوة، وأنه لم يكتب إليه شيء عن المواقف الشريفة، ولا خفاء في ذلك، فإن مقام القنصل دُونَ أن يكاتب عن الأبواب السلطانية .

## الفصل الخامس

### من الباب الثاني من المقالة الرابعة

( في الكتب الواردة على الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية ؛  
من جرت عادة بمكاتبة إليها من أهل المملكة وغيرها من  
سائر الممالك المكتبة عن هذه المملكة ؛ وهي نواتج )

### النوع الأول

( المكتبات الواردة عن ملوك المسلمين ، وهي على قسمين )

القسم الأول — في الكتب الواردة عن أهل هذه المملكة ، بالديار المصرية ،  
والبلاد الشامية ، من يؤهل للكتابة إلى الأبواب السلطانية ، من التواب وغيرهم :  
من الأمراء ، وأرباب الأعلام : من الوزراء ، والعلماء ومن في معانهم ؛ وهم على  
ضريعتين :

### الضرب الأول

( في المطالعات الواردة عن أكابر أهل الدولة بالديار المصرية )

والبلاد الشامية : من التواب ومن في معانهم )

قد جرت عادة من يكتب إلى الأبواب السلطانية من أهل هذه المرتبة ، أن  
يكتب جميعهم كتبتهم في قطع العادة ؛ فإن كان بالديار المصرية فن الورق البلدي ،  
وإن كان بالبلاد الشامية فن الورق الشامي ، وجميع ذلك في الورق الأبيض ، إلا  
نائب الشام ونائب الكرك ، فهما قد جرت عادة فيهما بأنهما يكتبان إلى الأبواب  
السلطانية في الورق الأحمر الشامي ، شيء اختصابه دون سائر أهل المملكة .



ثم قد ذكر في «عرف التعريف» أن الملوك لا يكتب إليهم إلا «يقبل الأرض»  
ويُنهى . ويُنمّ الكتاب بما صورته : طالع الملوك بذلك والآراء العالية مزيد العلو،  
أو أنهى الملوك ذلك والآراء العالية مزيد العلو، والعنوان «الملكي الفلاني» مطالعة  
الملوك فلان » وحيلت فالتى جرت به السادة في ذلك أن يتدنى الكاتب فيكتب  
فهرست الكتاب في رأس النرج من جهة وجهه، في عرض اصبع، في الجانب الأيمن  
« إلى الأبواب الشريفة » وفي الجانب الأيسر « بسبب كنا وكنا » ثم يقبل النرج  
ويكتب في ظاهره، بعد ترك ما كتب الفهرست في باطنه، العنوان فيكتب :  
« الملكي الفلاني » في أول العنوان، و«مطالعة الملوك فلان» في آخره . ثم بعد ذلك  
يقبل النرج، ويترك وصل أبيض، ويكتب البسملة في رأس الوصل الثاني بعد  
خلو هامش من الجانب الأيمن . ثم يكتب تحت البسملة ملاصقاً لها ما صورته  
« الملكي الفلاني » بحيث يكون آخر الملكي الفلاني مساماً بلحالة البسملة، بلقب  
السلطان، كأنه ينسب نفسه إلى سلطانه . ثم يكتب صورة المكتبة على سمت البسملة  
في سطر ملاصق للكي الفلاني « يقبل الأرض » وينهى كنا وكنا » فإن كان ابتداء  
كتب وينهى أن الأمر كنا وكنا ، ويأتي بمقاصد المكتبة : فإن كانت فصلا  
واحداً ذكره وختم الكتاب بآخر كلامه ؛ وإن كان الكتاب مشتملاً على فصول أتى  
بالفصل الأول إلى آخره . ثم يخلّي بياضاً قدر خمسة أسطر . ثم يتردّد الفصول بعد  
ذلك فصلاً فصلاً : يخلّي بين كل فصلين قدر خمسة أسطر أيضاً، ويقول في أول  
كل فصل «الملوك ينهى كنا وكنا » وإذا أتى على ذكر السلطان ، قال : خلد الله  
سلطانه ؛ أو خلد الله ظله ؛ أو أتى على ذكر المرسوم الشريف ، قال : شرفه الله  
وعظمه ونحو ذلك ؛ وإذا سأل في أمر ، قال : والملوك يرض على الآراء الشريفة  
كنا وكنا ، أو إن اقتضت الآراء الشريفة كنا ظها مزيد العلو، ولا يقال : يسأل

الصدقات الشريفة، إلا في أمر جليل أو شيء مهم، والعرض أبلغ في الأدب، ولا يلقَّب أحدًا بالجناب والمجلس ومجلس الأمير، وإذا ذكر كبيرًا في الدولة كالنائب الكافل، ونائب الشام، أو نائب حلب، أو أمير كبير. قال: إن مملوك مولانا السلطان خلد الله ملكه الأمير فلان الدين فلان الناصري مثلاً، كافل الممالك الشريفة، أو نائب السلطنة الشريفة بالمملكة الشامية المحروسة، أو كافل المملكة الشامية المحروسة، أو نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة، أو الأمير فلان الدين فلان الناصري مثلاً، أو القاضي فلان الدين، أو ناظر الجيوش المنصورة بالأبواب الشريفة، وما يجري هذا الجري، ولا يدعى في المطالعة لأحد. وإذا انتهت الفصول إلى آخرها، قال: وقد جهَّز المملوك بمطالعتة هذه مملوكه فلانا السيئي مثلاً المسائل بها. وإن كان ثم مشافهة، قال: وقد حمَّله مشافهة يسأل المسامح الشريفة سماعها إن اقتضت ذلك، أو يُنهيها إلى المسامح الشريفة إذا رُسم له بإنهائها، طالع بذلك، أو أنهى ذلك.

ثم قد جرت عادة الثواب بالبلاد الشامية أن يُقدِّموا في صدر المكتبة ما أشتمل على أخبار البلاد الشرقية من مملكة إيران المجاورة لأواحي هذه المملكة: من تجديد أمر، أو حركة مدو، أو حكاية حال مهمة من أحوال تلك البلاد، مثل أن يقال في أول المكتبة، ويُنتهى أن قصَّاده حادوا من البلاد الشرقية بخبرين بكنا وكذا، ويشرح الحال التي أخبر بها قصَّاده.

وإن كان الخبر قلائد عن نائب من نواب الأطراف كالرها ونحوها، قال: إن مطالعة نائب فلانة وردت بكنا وكذا، ويذكر ما تضمنته ملخصاً. وإن كانت المطالعة جواب مشال شريف ورد فقط، قال: وينهى أن المرسوم الشريف

شرفه الله تعالى وعظمه ورد على المملوك على يد فلان الدين فلان البريديّ بالأبواب الشريفة يتصمّن ما اقتضته المراسيم الشريفة ، أو ما اقتضته الآراء الشريفة شرفها الله تعالى وعظمها : من كذا وكذا ، ويذكر نصّ المثال الشريف حرفاً حرفاً . ثم قال : وتفهّم المملوك ما رُسم له به ، وقابل المراسيم الشريفة زاد الله تعالى شرفها - بتكرار تهليل الأرض والامتثال ؛ وتهتم بكنا ، ان كان الأمر مما نهد ، أو والذي ينهيه المملوك كذا وكذا إن كان الأمر قد توقف .

ثم إن كان النائب عظيم القدر كاتب السلطنة الشريفة بالشام أو حلب ، جعل بعد ما ين كل سطرين تقدير رأس لصح ؛ وإن كان دون ذلك جعل ما بينهما أقل من ذلك حتى ينتهي في أقل الرتب إلى ملاصقة السطور بعضها ببعض .

وإن كانت المطالعة في أمر مهم كاستقرار نائب أو بشارة بفتح أو نحو ذلك ، أتى بجمع الكتاب مسجماً وإلا فلا .  
وهذه نسخة مطالعة عن نائب الشام ابتداءً .

يقبل الأرض ، وينهى أنه ورد على المملوك مكتوبة نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ، يذكر فيها أن قصاده عادوا من جهة بلاد الشرق ، وأخبروا أن العدو المختول فلانا قد خرج عليه مدو من ورائه وقصد بلاده فكرّاجعا إليه بعد أن كان قاصداً هذه الجهة ، وأحب المملوك إحاطة الخواطر الشريفة بذلك .

المملوك ينهى أن مطالعة نائب الرّحبة المحروسة وردت على المملوك بخبرها أن فلانا التركي قد عاد إلى الطاعة الشريفة ، ولأدّ بمراحم الأبواب العالية ، وأنه ما كان حمله على ما وقع منه من عدم المقابلة إلا الخوف من السطوات الشريفة ، وأنه يسأل كتابة أمان شريف له ولجماعته ومن يليه بأن يكونوا آتين على أنفسهم ،

وأموالهم، وصاتر ذات يَبعهم، وأنه إذا وصل إليه الأمان قصد الأبواب السلطانية، وتمثل بالمواقف الشريفة، وأمتل ما تبرز به الأواصر المطاعة في أمره وأمر جماعته. والمملوك ينظر ما يردُّ به الجواب الشريف في أمره لكاتب نائب الرِّجبة المحروسة بما يعتمده في أمره .

المملوك يُنبئ أنه قد بلغ المملوك أنَّ البحر مشغولٌ بمراكب القَرَنج، ولم يعلم إلى أى مكان يقصِّدون، وقد أخذ المملوك في الاحتراز على السواحل المذكورة بإقامة المرَّكبين، وأمرهم بالاحتراز والاحتفاظ، وقد عرض المملوك ذلك على الآراء العالية ليكون ذلك على الخواطر الشريفة، ويكاتب به التواب بالبلاد المجاورة للبحر .

المملوك يُنبئ أن الأمير فلان الفلاني : أحد أمراء الطليخانة بدمشق المحروسة قد توفَّى إلى رحمة الله تعالى، والمملوك يسأل الصَّدقات الشريفة في استقراء أمرته باسم مملوك مولانا السلطان عز نصره، ولد المملوك فلان، لإمانه له على الخليفة الشريفة، وجبراً لحاطر المملوك، فإنَّ حسن ذلك بالآراء الشريفة، وإلا فلترأى العالى من يدُ العلو .

المملوك يُنبئ أن الأمير فلان الدين فلان : أمير حاجب بالشام المحروس، كان قد برزت المراسيم الشريفة باستقراره في نيابة صفد المحروسة، وقد توجه إلى محل نيابته، والمملوك يعرض على الآراء الشريفة إنَّ حسنُ بالرأى الشريف أن يستقر في الوظيفة المذكورة الأمير فلان الدين فلان : أحد الأمراء الطليخانة بدمشق المحروسة، فإنه كفَّه لذلك، أو يستقر من تبرز به الآراء الشريفة .

المملوك ينهى أن فلان : أحد رجال الحلقة المنصورة بدمشق المحروسة، قد درج بالوفاة، وقد كتب المملوك مربيةً باسم فلان الدين فلان باستقراره على إقطاعه، وجهزها إلى الأبواب الشريفة لتعرض على الآراء العالية، فإنَّ حسنُ بالرأى الشريف

إمضاءها وإلا فيستقر على إقطاعه من تبرُّ المراسيم الشريفة باستقراره، وقد جهز  
المملوك هذه المطالبة على يد مملوكه فلان إلى الأبواب الشريفة .  
طالع بذلك، إن شاء الله تعالى ثم يكمل .



وهذه نسخة مطالعة من نائب الشام أيضا، في جواب مكتبة شريفة وردت  
عليه وهي :

يقبل الأرض وينهى أن المرسوم الشريف - شرفه الله تعالى وعظمه - ورد على  
المملوك على يد فلان الدين فلان البريدي، بالأبواب الشريفة، يتضمن أن المرسوم  
الشريف اقتضى الإجتهد والأهتمام في حفظ السواحل والمواني، وإقامة الأيالك  
والأبدال في أوقاتها على العادة، وإلزام أربابها بمواظبتها، وإلزام المتورين بالديبانات  
والمناظر والمناور في الأماكن المعروفة، وتمهيد أحوالها وتفقدها، وتقويم أحوالها  
بحيث تقوم أحوالها على أحسن العوائد وأكملها، ولا يقع على أحد ذلك بسببها .  
وأن المملوك يتقدم باعتد ما اقتضاه المرسوم الشريف من ذلك مع مضاعفة الاحتفال  
بذلك والمبادرة إليه . فوقف المملوك على المرسوم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه،  
وتفهم ما رسم له به، وقابل المراسيم الشريفة زاد الله تعالى شرفها بالامتثال، وتقدم  
باعتد ما اقتضته المراسيم الشريفة من ذلك، وأخذ في حفظ السواحل والمواني،  
وإقامة الأيالك والأبدال، وإلزام أربابها بمواظبتها، وإلزام المتورين بالديبانات  
والمناظر [ فقامت الأحوال ] على أحسن العوائد، وجرى على أكمل القواعد، ولم  
يكن عند المملوك غفلة عما هو بصدد من ذلك، وقد أعاد المملوك فلان الدين فلان  
البريدي المذكور بهذه المطالبة : ليحصل الوقوف عليها . طالع بذلك ... ..



وهذه نسخة مطالعة تشتمل على ابتداء وجواب : يقبل الأرض وينهى أنه  
قد حضر رسول من القيان فلان بالملكة الفلانية [ وقصد التوجه ] إلى الأبواب  
الشرقية ، والمملوك يعرض على الآراء العالية آخره ، فإن أذن له في التوجه إلى أبوابه  
الشرقية ، جهزه المملوك إليها على العادة .

المملوك ينهى أن المرسوم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ورد على المملوك على يد  
فلان الدين فلان المسافر من الأبواب الشرقية ، يتضمن طلب فلان الفلاني ،  
وحمله إلى الأبواب الشرقية محققاً به ، فبادر المملوك ما برزت به المراسيم الشريفة  
بالامتثال ، وتقدم بطلب فلان المذكور وسأله إلى فلان الدين المسافر المذكور ،  
وبعث معه من يحتفظ به في الطريق إلى حين وصوله إلى الأبواب الشرقية .



صورة وضع المطالعة من تواب السلطنة ومن في معانهم ، إلى الأبواب الشرقية	الطيرة	الجانب الأيمن
الجانب الأيسر		
بسبب كذا		إلى الأبواب الشرقية

### العنوان

مطالعة المملوك		الملكى الفلاني
فلان		

الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الملكى الظاهري مثلاً

يقبل الأرض وينهى أن المرسوم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ، ورد على  
المملوك ، على يد فلان الدين فلان البريدى ، ويكل عليه إلى آخره .

## الضرب الثاني

( من المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن أهل المملكة )

<sup>(١)</sup>  
المطالعات الواردة من الولاية ومن يقى معانهم .

القسم الثاني - في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية، عن أهل الممالك الإسلامية المكتوبة من هذه المملكة. وحالها مختلف باختلاف حال مصطلح أهل البلاد وحال المكتوب عنه في رفعة القدر. وفائدة معرفة ذلك أنه إذا عرف الكاتب مصطلح كل مملكة في الكتابة، ظهر له ما هو وارد عن ملكها حقيقة وما هو مقتل عليه، ولا يخفى ما في ذلك من كبير الفائدة، وعظيم النفع، وارتفاع قدر الكاتب عند ملكه بإظهار الزيف بحك المعرفة.

ومن غريب ما وقع في هذا المعنى أنه ورد رسول من الشرق، في الأيام الظاهرية الشهدية برقوق سني الله تعالى هذه، وأظهر لأهل الطرقات أنه رسول من عند طقتمش صاحب بلاد أذربك، ورفعت بطاقته بالقلم المحروسة بذلك، فأمر السلطان النائب الكافل وأكابر الأمراء بالخروج لملاقاته على القرب من القاهرة، فخرجوا ولقوه بالتمظيم، على أنه رسول طقتمش خان المقدم ذكره، وأُتِزل بالميدان الكبير تعظيماً لأمره، فلما عرض كتابه نظره المقر البدر بن فضل الله، تقدمه الله تعالى برحمته، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء الشريف، فوجده غير جار على مصطلح كتب القانات في الورق والكتابة، فاستفسر الرسول المذكور عن ذلك ونوقش في فضيته، فأخبر أنه عن الحاكم بالقرم من أتباع طقتمش خان، فانكر عليه ذلك، وحط رتبته عند السلطان وأهل دولته عما كان عليه، وعلا بذلك مقدار المقر البدر بن فضل الله المشار إليه عند السلطان، وشكر له ما كان من ذلك.

ويشتمل على أربعة مقاصد :



## المقصود الأول

( في الكتب الواردة عن أهل الشرق ؛ وفيه أطراف )

## الطرف الأول

( الكتب الواردة عن الثقات العظام من بني جَنْجَرَان ؛ ولها حالان )

الحال الأولى — ما كان الأمر عليه قبل دُخُولهم في دين الإسلام .

وكان الأمر يجرى في كتابهم تجرى المناشئة ، والتصريح بالمناوأة ، ولم أقف على مقادير قطع ورق كُتِبهم يومئذ ولا ترتيب كتابها .

وهذه نسخة كتاب كُتِب به هُوَ لا تُكو بن طويحي ، بن جَنْجَرَان ، المترجم العراق من أيدي الخلفاء العباسيين . كتب به إلى الملك المظفر قُطُر في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وهو :

من ملك الملوك شرقاً وغرباً الثعان الأعظم :

بأسمك اللهم باسط الأرض ودايع السماء .

يعلم الملك المظفر قُطُر الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتمتعون بأنعامه ، ويقتلون من كان سلطانه بعد ذلك .

يعلم الملك المظفر ومئات أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حوّلها من الأعمال ، أننا جُند الله في أرضه ، خَلَقْنَا من سَخَطه ، وسلطنا على مَنْ أَحَلَّ عليه غَضَبه ، فاسْمُوا إلينا أُمُورَكُمْ تَسْمُوا ، قبل أن يَنْكشِفَ الغطاءُ فتَنَسُّوا ، وقد عرِقُمْ أَنَّا نَحْرِبُنا الْبِلادَ ، وقتلنا العباد ، فلَكُمْ منَّا الْهَرَبَ ، ولنا خَلْقُكُمْ الطَّلَبَ ؛

فإلّا لكم من سيوفنا خلاص : خيولنا سوابق ، وسيوفنا قواطع ، وقلوبنا كالجبال ،  
ومعدننا كالزئال ، ومن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سليم ؛ فإن أتم لشروطنا  
وأوامرنا أطعمتم فلحم مالنا ، وعلينا ما علينا ؛ فقد أعددنا من أنكر . وقد ثبت عندكم  
أننا كفرة ، وثبت عندنا أنكم الفجرة ، فامرؤوا إلينا بالجواب قبل أن تُضرم الحرب  
نارها ، وتزيمكم بشرارها ، فلا يبقى لكم جاه ولا عز ، ولا يعصمكم منّا جبيل ولا  
حرز ، فإبقى لنا مقصد سواكم ، والسلام علينا وعلينا ، وعلى من أتبع الهدى ،  
وخشي عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى .

الحال الثانية — ما كان الأمر عليه بعد دخولهم في دين الإسلام مع قيام العداوة  
بين السولتين .

وكان عادتهم في الكتابة أن يكتب بعد البسملة « بقوة الله تعالى » ثم يكتب  
بعد ذلك « بإقبال قان قرمان فلان » يعنى كلام فلان .  
ولهم في ذلك طريقتان .

إحدهما — أن يكتب بسم الله سطرًا ، ويكتب « الرحمن الرحيم » سطرًا  
تحتها ، ويكتب « بقوة الله » سطرًا « وتعالى » سطرًا آخر تحته ؛ ثم يكتب تحت  
ذلك في الوسط بهامش من الجانبين « بإقبال قان » سطرًا ، وتحتها « قرمان فلان »  
باسم السلطان المكتوب عنه سطرًا آخر .

والطريقة الثانية — أن يكتب البسملة جميعها سطرًا واحدًا ، ثم يكتب تحت  
وسيط البسملة « بقوة الله تعالى » سطرًا « وميامين الملة المحمدية » سطرًا آخر ؛  
ثم يكتب تحت ذلك سطرًا آخر بزيادة يسيرة من الجانبين « قرمان السلطان فلان »  
يعنى كلام السلطان فلان .

ولم أَفِ على قَطْعِ الورق الذى كُتِبَ فيه حينئذ ، والظاهر أنه فى البَعدَى الكامل تعظيماً لسان المكتوب عنه عندهم . وبالجملة فإنَّ الظاهر أنَّ الكتبَ الواردةَ عنهم على تَمَطِّ الكتب الواردة من هذه المملكة إليهم ، جَرَّأ على قاصدة كُتِّبَ هذه المملكة من أنَّ الغالب مضاهاتهم لأكابر الملوك فى كتبهم فى الهيئة والترتيب شرقاً وغرباً .

وهذه نسخة كُتِّبَ على الطريقة الأولى ، ورد عن السلطان « أحمد » صاحب مملكة إيران ، من بنى هولاكو المقدم ذكره ، وهو أوَّل من أسلم منهم ، كتب به إلى الملك المنصور « قلاوون » صاحب الديار المصرية ، تَعَمَّدَهُ اللهُ تعالى بِرِضْوَانِهِ ؛ ورد مؤرخاً بأوسط جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانين وستمائة ، ورأيت فى بعض الدساتير أنه من إنشاء القَصر بن عيسى المَوْصِلَى ، وورد بخطه وهو :

بِقُوَّةِ اللهِ

بِسْمِ اللهِ

تعالى

الرحمن الرحيم

بِإِقْبَالِ قَافٍ .

فرمان أحمد .

إلى سلطان مصر؛ أما بعدُ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى بسابِقِ عَنَانِهِ، وَنُورِ هِدَايَتِهِ، قد كان أَرشَدَنَا فى عُنُقُونِ الصَّبَا، وَرَعَانِ الصَّدَائَةِ، إلى الإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَالاعْتِرَافِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالشَّهَادَةِ لِمُحَمَّدٍ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، بِصُنْقِ نُبُوَّتِهِ، وَحُسْنِ الْإِعْتِقَادِ فى أَوَلِيَّائِهِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ وَرِيَّتِهِ ﴿لَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فلم نَزَلْ نَمِيلُ إلى إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ، وَإِصْلَاحِ أُمُورِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، إلى أَنْ أَفْضَى إلَيْنَا بَعْدَ آبِنَا الْجَلِيلِ، وَأَخِينَا الْكَبِيرِ، تَوْبَةُ الْمَلِكِ، فَأَضْفَى عَلَيْنَا مِنْ

جَلَّابِيبَ الطَّافَةِ وَلَطَافِهِ ، مَا حَقَّقَ بِهِ آمَالَآ فِي جَزِيلِ آلَائِهِ وَعَوَافِقِهِ ، وَجَلَّى هَذِهِ الْمُلْكَةَ طِينًا ، وَأَهْدَى حَقِيلَتَنَا إِلَيْنَا ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَنَا فِي قُورَيْيَلَانَ الْمُبَارَكِ - وَهُوَ الْمَجْتَمِعُ الَّذِي تُنْهَضُ فِيهِ الْأَرْأُ - جَمِيعُ الْإِخْوَانِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْهَاءِ الْكِبَارِ ، وَمَقْدَمُو الْعَسَاكِرِ ، وَزَعَمَاءُ الْبِلَادِ ، وَاتَّخَفَتْ كُلُّهُمْ عَلَى تَنْفِيزِ مَا سَبَقَ بِهِ حُكْمُ أَخِينَا الْكَبِيرِ ، فِي إِنْغَازِ الْجَمْعِ الْفَقِيرِ ، مِنْ عَسَاكِرِنَا الَّتِي ضَاقَتْ الْأَرْضُ بِرُجْحِهَا مِنْ كَثَرَتِهَا ، وَأَمْتَلَتْ الْأَرْضُ رُجْعًا مِنْ عَظِيمِ صَوْلَتِهَا ، وَشَدِيدِ بَلْشَتِهَا ، إِلَى تِلْكَ الْجِلْهَةِ بِهَيْمَةِ تَخَضُّعِ لَهَا صُمُّ الْأَطْوَادِ ، وَعِزْمَةِ تِلْهِنِ لَهَا الصُّمُّ الصُّلَادِ ، فَفَكَّرْنَا فِيمَا تَخَفَضَتْ زُبْدُ عِزَائِهِمْ عَنْهُ ، وَاجْتَمَعَتْ أَهْوَاؤُهُمْ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْنَاهُ خَالِفًا لِمَا كَانَ فِي ضَمِيرِنَا مِنْ اقْتِضَاءِ الْخَيْرِ الْعَالَمِ ، الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْوِيَةِ سِمَارِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ لَا يَصُدَّرَ عَنْ أَوْامِرِنَا مَا أَمَكْنَا إِلَّا مَا يُؤَيِّبُ حَقْنَ السَّمَاءِ ، وَتَسْكِينِ الدُّمُوءِ ، وَتَجَرُّي بِهِ فِي الْأَقْطَارِ ، رُخَاءُ تَسَامِي الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ، وَبِاسْتِزْجِ بِهِ الْمَسَامُونَ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ ، فِي مَهَادِ الشَّفَقَةِ وَالْإِحْسَانِ ، تَعْظِيمًا لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَشَفَقَةً عَلَى خَلْقِ اللَّهِ ، فَالْهَمَمْنَا اللَّهُ تَعَالَى إِطْفَاءَ تِلْكَ النَّارِ ، وَتَسْكِينِ الْفِتَنِ النَّارِ ، وَإِعْلَامَ مَنْ أَشَارَ بِذَلِكَ الرَّأْيِ بِمَا أَرْضَيْنَا اللَّهُ إِلَيْهِ : مَنْ تَهْدِيهِ مَا يُرْجَى بِهِ شِفَاءُ مَرَاجِ الْعَالَمِ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَتَاخِيرِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الدَّوَاءِ ، وَأَنْتَا لَا نَحِبُ الْمَسَارَعَةَ إِلَى هَرِّ النَّصَالِ لِلنَّصَالِ إِلَّا بَعْدَ إِضْطِحَاحِ الْمُتَحَبِّهِ ، وَلَا تُبَادِرُ لَهَا إِلَّا بَعْدَ تَنْبِيهِنِ الْحَقِّ وَتَرْكِيبِ الْحُجَّةِ ، وَقَوِيَّ عِزِّ مَنَا عَلَى مَا رَأَيْنَاهُ مِنْ دَوَاعِي الصَّلَاحِ ، وَتَنْفِيزِ مَا ظَهَرَ لَنَا بِهِ وَجْهُ النَّجَاحِ ، إِذْ كَانَ الشَّيْخُ قُدْوَةُ الْعَارِفِينَ «كَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» الَّذِي هُوَ نِعْمَ الْعَوْنُ لَنَا فِي أُمُورِ الدِّينِ ، فَارْسَلْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لِمَنْ [لَبَّى] دُعَاةَ ، وَنِعْمَةً عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَعَصَاهُ ، وَأَعْتَدْنَا أَقْصَى الْقَضَاةِ قَطَبَ الْمِلَّةِ وَالْدِّينِ ، وَالْأَتَاكَ بِهَاءِ الدِّينِ ، الَّذِينَ هُمَا مِنْ تِقَاتِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الزَّاهِرَةِ لِيُعْرِفُوهُمْ طَرِيقَتَنَا ، وَيَحَقِّقُوا عَنْدهُمْ مَا تَطَوَّى عَلَيْهِ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا نَبِيتَنَا ، وَبَيْنَا لَهُمْ أَنَّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ

يُحِبُّ مَا بَقِيَهُ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى الْوَقْتُ فِي قُلُوبِنَا أَنْ تَقْبَلَ الْحَقُّ وَأَهْلُهُ ، وَتُشَاهِدَ أَنَّ عَظِيمَ  
نِعْمَةِ اللَّهِ لِلْكَافَّةِ بِمَا دَعَانَا إِلَيْهِ مِنْ تَهْدِيمِ أَسْبَابِ الْإِحْسَانِ ، أَنْ لَا يُجَرِّمُوهَا بِالنَّظَرِ  
إِلَى سَائِرِ الْأَحْوَالِ فَكُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، فَإِنْ تَطَلَّعْتَ فَوْسَهُمْ إِلَى دَلِيلِ تَسْتَعْمُكَ  
بِسَبَبِهِ دَوَاعِيَ الْإِحْيَادِ ، وَحُجَّةِ يَتَّقُونَ بِهَا مِنْ بُلُوغِ الْمُرَادِ ؛ فَلْيَنْظُرُوا إِلَى مَا ظَهَرَ مِنْ  
أَمْرِنَا عَمَّا أَشْتَرَّ خَبَرَهُ ، وَحَمَّ أَثَرَهُ ، فَإِنَّا أَبْتَدَأْنَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ بِإِعْلَاءِ أَهْلَامِ الدِّينِ  
وإِظْهَارِهِ ، فِي إِبْرَادِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِصْدَارِهِ ، تَهْدِيمًا لِنَامُوسِ الشَّرْعِ الْمُحَمَّدِيِّ ، عَلَى  
مُقْتَضَى قَانُونِ الْمَدَلِّ الْأَحْمَدِيِّ ، إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا ، وَأَدْخَلْنَا السُّرُورَ ، عَلَى قُلُوبِ  
الْجُمْهُورِ ، وَعَفَوْنَا عَنْ كُلِّ مَنْ اجْتَرَحَ سَيِّئَةً وَأَقْتَرَفَ ، وَقَابَلَنَاهُ بِالصَّفْحِ وَقُلْنَا عَفَا اللَّهُ عَنْمَا  
سَلَفَ ، وَتَهَنَّنَا بِإِصْلَاحِ أُمُورِ أَوْقَافِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْمَدَارِسِ ،  
وِعِمَارَةِ بَيْعِ الدِّينِ وَالرِّبَاطِ الدُّوَارِسِ ، وَإِصْلَاحِ حَاصِلِهَا بِمُوجِبِ عَوَائِدِهَا الْقَائِمَةِ إِلَى  
مُسْتَحْقِقِهَا بِشُرُوطِ وَاقِفِهَا ، وَمَتَعْنَا أَنْ يُكْتَسَمَ شَيْءٌ مِمَّا اسْتَحْلِلَتْ طَلِبُهَا ، وَأَنْ لَا يَتَبَيَّرَ  
أَحَدٌ شَيْئًا عَمَّا قُرِّرَ أَوَّلًا ، وَأَمْرُنَا بِتَعْظِيمِ أَمْرِ الْحُجَّاجِ وَتَجْهِيْزِ وَقْدِهَا ، وَتَأْمِينِ سُبُلِهَا ،  
وَتَسْيِيرِ قَوَائِلِهَا ؛ وَإِنَّا أَطْلَقْنَا سَبِيلَ التَّجَارِ الْمُتَقَدِّينَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ لِيَسَافِرُوا بِحَسَبِ  
اِخْتِيَارِهِمْ عَلَى أَحْسَنِ قَوَائِدِهِمْ ، وَحَرَمْنَا عَلَى الْعَاكِرِ وَالْقَرَاغُولَاتِ وَالشُّحَاكِ  
فِي الْأَطْرَافِ التَّمَرُّضَ لَمْ فِي مَصَادِرِهِمْ وَمَوَارِدِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ قَرَأَتُكَ صَادِفَ جَانُوسَا  
فِي زِيَّ الْفُقَرَاءِ كَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يُمْلِكَ ، فَلَمْ تُهْرِقْ دَمَهُ : حُرْمَةُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَمْدَنَاهُ  
إِلَيْهِمْ . وَلَا يَخْفَى عَنْهُمْ مَا كَانَ فِي إِتْقَانِ الْجَوَاسِيسِ مِنَ الضَّرْرِ الْعَامِّ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ  
عَسَاكَرَنَا طَالَتْ رَأَوْهُمْ فِي زِيَّ الْفُقَرَاءِ وَالنَّسَاكِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ ، فَسَاعَتْ طُلُوتُهُمْ  
فِي تِلْكَ الطَّوَائِفِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوا ، وَقَتَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلُوا ، وَارْتَضَعَتِ الْحَاجَةُ  
بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى ذَلِكَ بِمَا صَدَرَ إِذْنُنَا بِهِ مِنْ فَتْحِ الطَّرِيقِ وَتَرَدُّدِ التَّجَارِ ، فَإِذَا أَمْنُوا الْفِكَرَ  
فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَأَمَانَهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ أَنَّهُ أَخْلَاقُ جِيلِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ ، وَعَنِ شَوَائِبِ

التَّكْلُفُ وَالْتِصَاحُ عَرِيَّةٌ . وإذا كانت الحال على ذلك فقد أَرْضَعَتْ دَوَاعِيَ الصَّعْرَةِ  
التي كانت مُوجِبَةً للخالفَةِ، فإنها إن كانت طريقًا لِلدَّبِّ والنود عن حَوْزَةِ الإسلام،  
فقد ظهر بفضل الله تعالى في دَوَلَّتِنَا التَّوَرُّدَ الميِّينَ، وإن كانت لما سَبَقَ من الأسبابِ،  
فَرَنْ يَحْتَرِى الآنَ طريقَ الصَّوَابِ، فَإِنَّ لَهُ حِسْدَنَا لَزَلْنُوْا وَحُسْنَ مَأَبٍ . وقد رَفَعْنَا  
العجابَ، وَأَتَيْنَا بِفَصْلِ الْخِطَابِ، وعَرَفْنَاهُمْ [طريقتنا و] مَا عَزَمْنَا بِلِيَّةِ خَالِصَةِ اللَّهِ تَعَالَى  
على اسْتِنَافِهَا، وَحَرَمْنَا على جميع المَسَاكِرِ الْعَمَلِ بِخِلَافِهَا، لِنُرِضِيَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ،  
وَيُلَوِّحَ على صَفَحَاتِهَا آثَارُ الْإِقْبَالِ وَالْقَبُولِ، وَتُسْتَرِجَ من آخِلَافِ الْكَلْبَةِ هذه  
الْأُمَّةُ، وَتَجَلِّي بُنُورُ الْإِكْتِلَافِ، غَلَامَةُ الْإِخْتِلَافِ، وَالْقَمَّةُ، وَيَشْكُرُ سَابِغَ ظِلِّهَا  
الْبُودَى وَالْحَوَاضِرَ، وَتَهْرَ الْقُلُوبُ التي بَلَّغَتْ من الجَهِلِ الْعَتَايِرَ . وَيُعْنَى عن سَالَفِ  
الْجَرَارِ؛ فَإِنَّ وَقَفَ اللَّهُ سُلْطَانًا مِصْرًا إلى مَا فِيهِ صَلَاحُ الْعَالَمِ، وَأَنْتَظَامُ أُمُورِ بَنِي آدَمَ،  
فقد وَجِبَ عليه التَّمَسُّكُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَسُلُوكُ الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِ، بَفَتْحِ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ  
وَالْإِتِّحَادِ، وَبَذَلِ الْإِخْلَاصِ بِحَيْثُ تَعَمَّرَ تِلْكَ الْمَهَالِكُ وَتِيكَ الْيَلَادِ؛ وَتَسْكُنُ الْفِتْنَةُ  
النَّابِرَهُ، وَتُقَمِّدَ السُّيُوفَ الْبَاسِرَهُ، وَتَعْمَلَ الْعَامَّةُ أَرْضَ الْهُوْنِ وَرَوْضَ الْهُدُونِ،  
وَتُخْلَصَ رِقَابُ الْمُسْلِمِينَ من أَضْلَالِ الذَّلِّ وَالْهُونِ . وإنْ غَلَبَ سُوءُ الظَّنِّ بِمَا تَفَضَّلَ  
به وَاهِبُ الرَّحْمَةِ، وَمَتَّعَ مَعْرِفَةَ هذه النِّعْمَةِ، فَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ مُسَاهِدَةً وَأَبْلَى عُذْرَنَا،  
(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَوْفِقُ لِلرَّشَادِ وَالسَّدَادِ، وَهُوَ الْمُهِمِّنُ  
على الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة كتاب على الطريقة الثانية، كُتِبَ به عن السلطان « محمود غازان »  
صاحب إيران أيضا، إلى السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار  
المصرية وما معها من البلاد الشامية، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

بِقُوَّةِ الله تعالى

وَمِيَّانِ الْمِلَّةِ الْحَمْدِيَّةِ

فرمان السلطان محمود غازان

لِيَعْلَمَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ، أَنَّهُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي، بَعْضُ عَسَاكِرِهِ الْمُفْسِدَةِ دَخَلُوا  
أَطْرَافَ بِلَادِنَا، وَأَفْسَدُوا فِيهَا لِعُنَادِ اللَّهِ وَعِنَادِنَا، كَجَرِيدِينَ وَقَوَاحِيَا، وَجَاهِرُوا  
اللَّهَ بِالْمَعَاصِي فِيمَنْ ظَفَرُوا بِهِ مِنْ أَهْلِيهَا، وَأَقْدَمُوا عَلَى أُمُورٍ بَدِيعَةٍ، وَأَرْتَكَبُوا  
آثَامًا شَلِيعَةً، مِنْ مُحَارِبَةِ اللَّهِ وَتَرْقِ نَامُوسِ الشَّرِيعَةِ، فَأَنَّهُنَا مِنْ تَهْجِيمِهِمْ، وَغِرْنَا  
مِنْ تَهْجِيمِهِمْ، وَأَخَذْنَا الْحَيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِغَذْبِنَا إِلَى دُخُولِ بِلَادِهِمْ، وَمَقَابِلِهِمْ عَلَى  
فَسَادِهِمْ، فَرَكِبْنَا بَيْنَ كَانٍ لَتَيْنَا مِنَ الْعَسَاكِرِ، وَتَوَجَّهْنَا بَيْنَ اتَّفَقٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ حَاضِرٌ،  
وَقَبْلَ وَقُوعِ الْفِعْلِ مِنَّا، وَأَشْتَهَارِ الْفِتْكَ عَنَّا، سَلَكْنَا سَبِيلَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَقْتَفَيْنَا آثَارَ  
الْمُتَقَدِّسِينَ، وَأَقْدَمْنَا بِقَوْلِ اللَّهِ ﴿لَقَدْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِمَا رُفِلَ﴾ وَأَقْدَمْنَا  
مُحِبَّةً يَسْقُوبُ السَّكْرَى جَمَاعَةً مِنَ الْقَضَاءِ، وَالْأُتَمَّةِ النَّقَاتِ، وَقُلْنَا ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ  
النَّذْرِ الْأُولَى أَزِفَتِ الْآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ فَقَابَلْتُمْ ذَلِكَ بِالْإِصْرَارِ،  
وَحَكَمْتُمْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْإِضْرَارِ، وَخَالَفْتُمْ مَسَنَ الْمُلُوكِ، فِي حُسْنِ السُّلُوكِ،  
وَصَبَرْنَا عَلَى تَمَادِيكُمْ فِي عَيْبِكُمْ، وَخُلُودِكُمْ إِلَى بَعْثِكُمْ، إِلَى أَنْتُمْ نَصَرْنَا اللَّهَ، وَأَرَاكُم  
فِي أَنْفُسِكُمْ قَضَاءَ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ وَظَنَّنَا أَنَّهُمْ حَيْثُ تَحَقَّقُوا كُنْتُمْ  
الْحَالِ، وَأَلْ بِهَمِّ الْأَمْرِ إِلَى مَا أَلْ، أَنَّهُمْ تَدَارَكُوا الْفَارِطَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَرَهَقُوا مَا تَقَرَّبُوا  
بِفَنْدَرِهِمْ، وَوُجَّهَ إِلَيْنَا وَجْهَهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّهِمْ رِبْمَا سَيَّرُوا إِلَيْنَا حَالَهُ دُخُولِهِمْ إِلَى الدِّيَارِ  
الْمَصْرِيَّةِ، رُسُلًا لِإِصْلَاحِ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ، فَبَقَيْنَا بِمَشَقِّ ضَيْرِ مَشْغُوعِينَ، وَتَلَبُّطْنَا تَلَبُّطَ  
الْمُتَمَكِّتِينَ، فَصَلَّمْهُمْ عَنِ السَّغَى فِي صِلَاحِ حَالِهِمُ التَّوَالِي، وَعَقَّوْا نَفْسَهُمْ عَنِ الْيَقِينِ

بِالْأَمَانِي، ثُمَّ بَلَّغْنَا بَعْدَ عَوْدِنَا إِلَى بِلَادِنَا أَنَّهُمْ أَلْقَوْا فِي قُلُوبِ الْعَاكِرِ وَالْعَوَّامِ، وَرَأَوْا  
جَبْرًا أَوْهَنُوا مِنَ الْإِسْلَامِ، أَنَّهُمْ فِيَا بَعْدَ يَقُونَنَا عَلَى حَلَبَ وَالْقُرَاهِ، وَأَنَّ عِزَّ مَهْمِ  
مُصِرُّ عَلَى ذَلِكَ لِأَسْوَاهِ؛ بِفَمَعْنَا الْعَاكِرِ وَتَوَجَّهْنَا لِلْقَامِ، وَوَصَلْنَا الْقُرَاتِ مَرْتَبَيْنِ  
ثُبُوتَ دَعْوَاهُمْ، وَقَلْنَا لَمَلٍّ وَعَسَاهُمْ، فَمَا لَمَعَ لَمْ يَارِقْ، وَلَا ذَرَّ شَارِقَ، فَقَدِمْنَا إِلَى  
أَطْرَافِ حَلَبَ، وَعَجِبْنَا مِنْ تَبْطُّهِمْ غَايَةَ الْحَجَبِ؛ وَفَكَّرْنَا فِي أَنَّهُ مَتَى تَهْتَمُّنَا بِسَاكِرِنَا  
الْبَاهِرَةِ، وَجَمْعُونَا الْعَظِيمَةِ الْقَاهِرَةِ، رُبَّمَا أَنْزَلَ الْبِلَادَ مَرُورُهَا، وَبِلِقَامَتِهِمْ فِيهَا  
فَسَلَّتْ أُمُورُهَا، وَعَمَّ الضَّرَرُ الْعِبَادَ، وَالْخِرَابُ الْبِلَادَ؛ فَعُدْنَا بَقِيَا عَلَيْهَا، وَنَظَرَةُ لُطْفِ  
مِنْ اللَّهِ إِلَيْهَا. وَهَذَا نَحْنُ الْآنَ مَهْتَمُونَ بِجَمْعِ الْعَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ، وَمُشَاهِدُونَ عِرَارَ  
عِزَاتِنَا الْمَشْهُورَةِ، وَمُسْتَفْلُونَ بِصُغْرِ الْمَجَابِقِ وَأَلَاتِ الْحِصَارِ، وَهَازِمُونَ بَعْدَ  
الْإِنْذَارِ ﴿وَمَا كُنَّا مُعْذِرِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. وَقَدْ سَبَّحْنَا حَامِلَ هَذَا الْكِتَابِ  
الْأَمِيرَ الْكَبِيرَ نَاصِرَ الدِّينِ عَلَى خَوَاجَا، وَالْإِمَامَ الْعَالِمَ مَلِكَ الْقَضَاءِ جَمَالَ الدِّينِ مَوْحِي  
أَبْنِ يُوسُفَ، وَقَدْ حَمَلْنَا هَذَا كَلَامًا شَافَهُمَا بِهِ، فَتَحَقَّقُوا بِمَا تَهْتَمُّنَا بِهِ إِلَيْهِمَا فَإِنَّهُمَا  
مِنْ الْأَعْيَانِ، الْمُعْتَمِدِ عَلَيْهِمَا فِي الدِّيَوَانِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَقَدْ جَاءَ بِالْحَقِّ الْبَالِغَةُ  
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فَتَعَلَّلُوا لَنَا الْمَدَايَا وَالصَّحَفَ، فَمَا بَعْدَ الْإِنْذَارِ مِنْ عَاطِرٍ،  
وَإِنْ لَمْ تُتَدَارَكُوا الْأَرْضَ فِدْمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ مَطْلُوبَةٌ بِتَدْيِيرِهِمْ، وَمَطْلُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ  
فِي طَوْلِ تَقْصِيرِهِمْ.

فَلْيَمْنِ السُّلْطَانُ لِرِجَّتِهِ النَّظَرَ فِي أَمْرِهِ. فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ وَلَّاهُ  
اللَّهُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ، آحْتَجَبَ دُونَ  
حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَتَقَرَّه». وَقَدْ أَهْلَرْنَا مِنْ أَنْذَرٍ، وَأَنْصَفْنَا مِنْ حَلَرٍ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ



أتبع الهدى - في العشر الأوسط<sup>(١)</sup> من شهر رمضان سنة سبعمائة - بمجال الأكراد،  
والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا [ محمد ] المصطفى وآله وصحبه  
وصحبه الطاهرين .

قلت : وقد تهم جواب هذين الكاين في الكلام على المكتبات إلى القانات  
ببلاد الشرق من بني جنكرخان فليُنظر هناك .

### الطرف الثاني

( في المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن أهل الشرق :  
من الملوك والحكام ببلاد أتباع القانات ومن في معانهم<sup>(٢)</sup> )

(١) تهم له أنه لا يقال العشر الأوسط بل العشر الوسطى أو الوسط قال وبعض التحوين أجازوه  
لنا في الجواب على ذلك الرأي .

(٢) ترك في الأصل إلى الصفحة بيضاء ولم يكتب من هذا الطرف شيئا .

## الطرف الثالث

( في رسم المكاتبات الواردة عن صاحب اليمن إلى هذه المملكة )

ومادة مكاتبه أن يَحْذَوْحَذُوا الديار المصرية ، فيما يُكْتَبُ إليه عنها ، فيبتدئ المكتبة بلفظ : أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقام الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الفلانى بقب السلطنة ؛ ثم يقول أصدرها من مكان كذا ، ويذكر المقصد ، ويتم بالدعاء ونحوه ، ويكتبون في قطع الشاى الكامل بقلم الثلث .

وهذه نسخة كتاب عن الملك الأشرف « إسماعيل » صاحب اليمن ، إلى الملك الظاهر « برقوق » صاحب الديار المصرية ، في شهر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، على يد القاضى برهان الدين المحلى ، تاجر الخصاص ، والطواشى آقغاز الدين فائز دؤادار الملك الأشرف صاحب اليمن المذكور ، وهو :

أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقام الشريف العالى السلطانى الظاهرى ، وزاده فى البسطة والقُدرة ، وضاعف له مَوَادَّ الاستظهار والنظر العزيز ، وجعل الظفر مقرونا برأياته أينما يَمُتُّ ما بينهما تَمَيِّزٌ ، ومحبوباً إلى عساكره المنصورة حيث تَوَجَّهَتْ وفتح بركة أيامه كلُّ مُقْفَلٍ ممتنع بأمرٍ وجيز ؛ ولا زال يَمْتَلِئُ الأوامر والمَراسِمُ ، رايَفاً فى أودان العِزِّ والسَّكَّامِ ، مُتَوَدِّداً على الأُمة [ منه ] ظلُّ المَراحِمِ ، بمنَّةٍ وكرمه . أصدرها إليه من رُبَّةِ زَيْدِ المحروسة مُعَرِّبَةً عن صِدْقِ وِلاَمِهِ ، متمسكةً بوثيق أسباب الآلِية ، ناشرةً طَيْبَ نَسَائِهِ ، مَرَّجَةً نَاطِمَةً لِمَشْهُورِ الكَرَامِ الظاهرى الوارد على يد المجلس العالى البرهانى ، بتاريخ ذى الحِجَّةِ عَظَمَ اللهُ بَرَكَاتِهِ ؛ سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، أحسنَ الله خَاتِمَتَهَا ؛ فَتَلَقَّيْنَاهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَوَضَعْنَاهُ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ ، وَاسْتَلَمْنَا بِهِ عَلَى شَرِيفِ هِمَّتِهِ ، وَصَفَاهُ مَوَدَّتِهِ ، وَتَأَكَّدَ أُخُوَّتَهُ ، وَمَا لَنَا اللهُ

تعالى أن يمتنع بقاء دولته القاهرة، وينشر في المشارق والمغارب أعلامه الزاهرة؛  
ففضضنا ختامه، فوجدنا فيه من نشر السلم الأربع أذكاه، ومن أثار ما مجه القلم  
الشريف ما يجهل منه قوار الربع وبهائه، فانشرح به الصدور، وتزايد به الشهود؛  
وقوت به الأعين، وكثر التهجيد به لآ استعذبته الألسن؛ وأمتلنا المرسوم الشريف  
في تعظيم المجلس العالي ذى الجلالين؛ برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلى، ومراياته  
في جميع أموره وسرعة تجهيزه؛ على أنا نجله ونجله، ونوجب حقه ولا نجهله، فهو  
حينئذ كما كان في عهد الوالد المرحوم الملك الأفضل، بل أمكن وأفضل، فهو لدينا  
المكين الأمين، وجهزنا له المنجر السعيد الظاهري، وبرزت مراسمنا إلى الثواب  
بنشر مدن الجروس أن لا يعتز في عثور ونول، وحناءه على ظهور مرأبنا عزيزا  
مكرما، ومرافاه أن لا يصرف على الحمل السعيد ولا الدرهم القرد، وذلك قليل منا  
لأجل غلمان بابكم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه؛ وجهزنا الهدية السعيدة المباركة  
المتقبلة، محبته هو والأمير الأجل الكبير الافتخاري : أفضار الدين فاجر الدوادار،  
وصارت بأيديهما بأوراق مقبلة، لقام الشريف والأمرء الأجله الكبراء، ومحبتهما  
نقر من المظلمين البازدارية، برسم حمل الطيور للصيد السعيد، والمهتارية للصافيات  
الحساد. على أنا لو أهدينا إلى جلال المقام الشريف الظاهري أمر الله أنصاره  
يعتدازهمته الشرفة العاليه، ورؤيته المنيعة السامية، لاستصغرت الأفلاك الدائر،  
والشهب السائر، واستقلت السبعة الأقاليم تحفه، والأرض وما أقته طرفه، ولم  
نرض أن نبعث إليه الأثام ممالك وخولا، ونجني إليه ثمرات كل شيء قبلها، ولو دام  
حجب المقام هذه القضية، قصص عنه حوله، ولم يصل إليه طوله، ولكنه يرجع  
إلى المشهور، بين الجمهور، فوجدنا العمل يقوم مقام الاعتقاد، وليس على المستتر

(١) لله "الاعتقاد يقوم مقام العمل" أو "العمل يقوم مقام الاعتقاد" تأمل .

على الطاعة سوى الاجتهاد ، والخلص في الولاء محمول على قدرته لا على ما أراد ؛  
فوثق بهذه القضية ، وأغذ إلى المقام الشريف على يد موصليها هذه الهدية ؛ رغبة  
إلى إنعامه في بسط طوره ، وحمله على شروط المحبة طول دهره ، وتصريفه بين  
أوامره المتتله ، ومراسيمه المتقبلة . والمسئول الإنحاف بالمهمات والمراسيم الشريفة  
شرعها الله تعالى وعظمها .

ونوضح لعلمه الكريم ما أفاء الله به علينا من النصر الذي خفقت بنوده ، وأشرق  
سعوده ، وبرقت سيوفه في رقاب المارقين ، وأطردت في راياته المارب فتناولها باليمن  
( نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ) وفتح القلاع والمصانع ، والاستيلاء على  
المرايع والمزارع ، واستئصال شاة المارقين ، واسترجاع حصن قاف المحروس بعد  
طول مكثه تحت يد العرب ، فك من كمي مقتول ، وأسير مكبول ، وحصان ترك  
سبيلها ، ورب حصان كثر عليه عويلها ، غرنا المعازل ، وأطلقنا العقائل ، وأوطناهم  
الحميم ( وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله  
العزيز الحكيم ) وغير ذلك ما أرسلنا على يد المجلس البرهاني والأمير أختار الدين :  
فانحر النوادر ، لقضاء بعض الحوائج الطارئة من الديار المصرية « ألف وأربعمئة  
ومبعمون قطعة من أصناف البهار ، وسبع قطع حرير » والمستمد من إحسان المقام  
الشريف العالي ، برؤ أمره الأشرف العزيز النافذ المطاع ، أهذه الله تعالى شرفا  
وغريبا ، وأضاه بعدا وقربا ، في قضاء حوائجهما وسرعة تجهيزهما وقبولها إلى اليمن  
اليمن ، وعز تفرقيا .

وبعد ، فإن الجلالة والاحترام بهما دوام الموالاة ، وتوفير الحرمان ، بل  
هي أعظم الكرامات ، والمسئول من المقام الشريف الظاهرى أعز الله تعالى  
أنصاره ، وضاعف اقتداره ، برؤ أمره الأشرف إلى النواب بمصر المحروسة ،

وغير الإسكندرية ، والشام ، بالجلالة والإحرام ، لكافة غلستانا الواردين الى الديار المصرية ، ومن انتسب إلينا من تاجر وغيره ، مسافراً كان أو مقبياً ، وأن يسافر في مهماته ، جلالة تقياً ظلالاً ، ويشمله إقبالاً ، كما سبق للوالد المرحوم المقدس الملك المجاهد ، نقضه الله رحمة ، بل نزح فوق ذلك مظهرها ، إن شاء الله ، فتم خضوع ناصرية من السلطان حسن والملك الصالح لخداثنا القديما ، لما أرسلوا الى الإسكندرية ودمشق ، كُتب لهم مريعات ومثلاث شريفة ، ولا غرو أن يندى المستعطي ما في صميمه الى المعطي ، والأشهر بما بيننا وبين المقام الشريف من الأخوة الممهدة ، والمصافة المؤكدة ، والمودات المحككة ، والأسباب التابسة ، أوجب ذلك ؛ وحسن الفن الجميل تعلق به لسان الحال ، في هذا الاسترسال ؛ ولم يخف عن المقام الشريف أن الله عوارف يجذب بها القلوب إليه ، ولطائف خفية يستدل بها المحب عليه ؛ وتعاظم كاس الوداد ، يدل على حسن الاعتقاد ؛ ولذلك نطق اللسان ، وكتب البيان ، بما أقرض على عبيده الرحمن ؛ فقال في محكم كتابه المبين ﴿ وَرَبِّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . وعبَّ المقام الشريف يقدم الحجاب ، ويسأل الجواب ، بالإذن الشريف : ليعتمد بعد الله عليه في حج البيت الحرام ، عند تيسير الله تعالى لذلك ، فقد حسن ظنه بذلك ، وركن إليه لقضاء القرض والتبرك بالمشاعر العظام ، فلا زالت أيام المقام الشريف على منابر الدنيا تتلأ ، وآيات الشكر لله سبحانه على استقراره في السلك العقيم تملأ . جميع هذا الخطاب مقدمة الإيجاب بالإذن بالحج ، وتفسير التحمل في كل عام ، الى بيت الله الحرام ، فحاج اليمن تعذر عليه الطرقات ، ولم يطق حل التفقات ، ونزح من الله تعالى أن يفتح بركة أيامه الشريفة ، وتتمول الفكر الشريف ، بحل عقدة هذه الأسباب ، إنه هو الكريم الوهاب ، بمنه وكرمه .

وأما ما منتقده من أمانة المجلس البرهاني فلأنها متينة ، وشواهدُها من أقواله وأفعاله تُبينه ، خصوصاً في المقام الشريف ، وأسمائه للقلوب بالعبارات اللطيفة ؛ فقد نظم معاقده الاختلاف ، وتزايد بشرحه الأئس في محاورته والاختلاف ؛ ولولا المهيم الشريف لاستوقفناه عندنا طاماً كاملاً من بعد هذا التاريخ : يُعَلِّي علينا آيات المقام الشريف ؛ شرفه الله تعالى وعظمه . وعلى لسانه ما يُدِيه في المواقف الشريفة شفاهاً إن شاء الله تعالى .

في سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومبعمائة ، أحسن الله تعالى ختامها ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً .

قلت : أما إمام الزيدية باليمن فلم أقف له على مكتبة ، وإن كان المقر الشهابي ابن فضل الله قد أشار في كتابه "التعريف" إلى أنه ورد عنه مكتبة إلى الأبواب السلطانية الناصرية (محمد بن قلاوون) يستجيشه على صاحب اليمن ، والغالب على الظن أن مكتبة أعرابية ، كما أن إمارته أعرابية : إذ لا أعيناه لأهل البادية وحرّبان الوادي بفن الإنشاء جملة ؛ وإنما يكتب عنهم بحسب ما يقتضيه حالهم ، على أن فيما يأتون به مقتضا من الفصاحة والبلاغة بكل حال ، إذ عنهم قد طمّ اللسان وطيم فيه يُؤول .

### الطرف الرابع

( في الكتب الواردة إلى الأبواب السلطانية عن ملوك الهند )

قد جتهد أن المكتبة إلى صاحب الهند تُسَمَّى المكتبة إلى القانات العظام بإيران وتوران . وتقدم أن الكتب الواردة عن القانات المذكورين تكون في معنى الكتب الصادرة إليهم في قطع الورق والترتيب ، من حيث إن الغالب جريان العادة

في الأجوبة بأن تكونَ على نمط الكتب الواردة ، وحينئذ فيكون مقتضى ذلك أن الكتب الواردة من صاحب الهند في هيئة الكتب الصادرة إليه في قطع الورق وغيره ، فتكون في البغدادى الكامل بقلم مختصر الطومار بالطغراء والخطبة المكتبتين بالذهب ، إلى ما يجرى مجرى ذلك مما تقدم ذكره في المكتبات إلى القانات .

قلت : ولم أقف على صورة مكتبة من فلك ولا على نسخة شيء ورد ، لكن قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية عند ذكر مملكة الهند أن من جملة ممالك الهند مملكة تُعرف بالسيلان ، وقد رأيت في تذكرة (محمد بن مكرم) التي جمعها في وقائع ديوان الإنشاء بالديار المصرية ؛ أنه في سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، وصل كتاب من صاحب السيلان هذه في صفيحة ذهب رقيقة ، عرض ثلاثة أصابع ، في طول نصف ذراع ، وحوله مدورة (حلقة) داخلها شيء بالخط أحضر ، طيه كتابة تشبه الخط الرومى أو القبطى ، فطلب من بقره فلم يوجد ، فُسِّلَ الرُّسل عما هو مكتوب فيها . فقيل : إنه سيررسوله رومان ورفيقه ، وقصد أن يسير معهما الهدية إلى الباب الشريف ، فقيل له : ما لم طريق . فقال لم : سافروا إلى (هرمز) فحضروا إليها ، وذكروا أن مضمون الكتاب السلام ، والدعاء للسلطان ، وأن بلاد السيلان مصر ، وبلاد مصر السيلان ؛ وأنه ترك حجة صاحب اليمن مرة واحدة ، وتعلق بحجة مولانا السلطان خلد الله ملكه ؛ وسأل أن يحضر رسول من عند مولانا السلطان إلى عنده حجة رُسله ، ورسول آخر إلى عدن ينتظر حضورهم من تلك الجهة على تلك الطريق ، وأن عنده الجواهر والألئ والفيلة والعماش الكثير من البز وغيره ، وكذلك البقم والقرفة وجميع ما يطلب الكارم ؛ وأن عنده في كل سنة عشرين مَرَجًا يسيرها إليه ، فيطلق مولانا السلطان التجار إلى

البلاد ، وأن رسول صاحب اليمن حضر في هذه السنة يتسلم التَّقايدَ والفيلةَ حتى يسافروا إلى اليمن فردّه ، ولم يُعطه شيئاً ، وأنه يُعَيِّ التَّقايدَ والفيلةَ إلى أبواب مولانا السلطان ، وأنَّ بِمملكة سِيلان سبعمائة وعشرين قلعةً ، وبها معادنُ الجواهر والياقوت ومناصُ اللؤلؤ . ولم يزد على ذلك . ورأيت في كتاب "الذيل" على تاريخ ابن الأثير نحو ذلك ، وفيه ذكر البلاد التي مرّت عليها رسلُ صاحب السِيلان في طُرُقها .

## المقصد الثاني

( في المكتبات الواردة عن ملوك الغرب )

والعادةُ الجاريةُ في الكتب الواردة عنهم أن تكونَ على نمط واحد في الورق ، مع تحاربِ الحال في الترتيب ، وتكونُ كتبهم في طومار واحد ، في عَرْض نحوِ شبرين ، في طُول نحوِ ثلاثة أشبار ، والبسملةُ بعد بياض نحوِ شبر وثلاثة أصابع مطبوعة من أعلى الطومار ، وعَرْض سبعة أصابع مطبوعة عن يمين البسملة ؛ والسطور منحطّةُ الأوائل مرتفعةُ الأواخر حتى يصيرَ البياض الذي في أعلاها في آخر سطرِ البسملة قدرَ شبر فقط ، وبين كلِّ سطرين قدرُ عَرْض إصبع ونصف إصبع ، وكلُّ سطر ينقص عن الذي فوقه قليلاً من جهة اليمين على التدرج ، حتى يكون السطرُ الآخر قطعةً لطيفة في زاوية الطومار التي على اليسار من أسفل ؛ ثم يكتب بحاشية الطومار من أسفل أخذاً من آخر السطر الأخير ، ويكون بين ذلك وبين الكتابة الأصلية قدرُ رأس خِصَر ، ويتبدى السطرُ الأول منها بقطعةٍ لطيفةٍ منحطّةٍ الأول مرتفعةٍ الآخر ثم السطر الثاني قطعةً أطول من ذلك ، ولا يزال كذلك حتى يكمل السطر فيكتب أسطراً كاملةً ، إلا أنه في أول كلِّ سطر ينقصه قليلاً من الذي قبله حتى يكون السطرُ



الأخير قدر الأئمة في زاوية الطومار من جهة البسملة ؛ ويكون بين كتابة الأصل وبين كتابة الحاشية قدر أصبعين بياضاً إلى سمت البسملة ، أسطرًا متضايقة حتى ينتهي إلى آخر الكلام ؛ ويكتب في آخره بقلم الثلث : وكتب في التاريخ المؤرخ ، وزاد فيه هاء مشقوقة راجعة إلى الخلف . وفيه جمل :

### الجملة الأولى

( في المكتبة الواردة عن صاحب تونس ) .

وعادة مكتبته أن تفتتح بلفظ : « من عبادة الفلاني » بقلب الخلافة الخاص به ، « أمير المؤمنين ابن فلان » . ويقال : في كل من آياه أمير المؤمنين إن كان قد ولي الخلافة ويدعى له « إلى أخينا فلان » ويؤتى بالسلام والصحية ، ثم يختص بالبدئية إلى المقعد ، ويختم الكتاب .

وهذه نسخة كتاب عن المتوكل على الله أحمد بن أبي عبد الله بن أبي بكر ، إلى السلطان الملك الظاهر ( برقوق ) صاحب مصر ، جواباً عن كتابه إليه . وهو :

من عبد الله ، المتوكل على الله ، أمير المؤمنين « أحمد » ابن مولانا الأمير أبي عبد الله ، ابن مولانا أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ، ابن الأمراء الراشدين ؛ أعلى الله به كلمة الإسلام ، وضاعف نوافل سيفه من عبدة الأصنام ، وغص عن جانب عزه عيون حوادث الأيام .

إلى أخينا الذي لم تزل تُشاهد من إخوانه الكريم ، في ذات الرب الرحيم ، قبلة صفاء لم تغيرها يد عباد ولا أفراس ، ونثار من حفظ عهده ، والقيام بحق وده ، على ما يؤكده معرفة الخلو من لذن تعارف الأرواح ؛ ونبادر لما يبعث القلوب على الاختلاف ، والأمن بفضل الله من هوائك الإختلاف ؛ وإن شحطت النار وتناعت

الصور والأشباح . وتَعَرَّفَ بما له من مَزِيدِ الإِعْظَامِ ، بِمَاجورةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَالْقِيَامِ  
بِمَا هُنَا لك من مَطَالِحِ الْوَحْيِ الْكَرِيمِ وَمَشَائِرِ الصَّلَاحِ ، وَبِحَجَلِي من أَنْوَاعِ الْكَرِيمَةِ  
الشَّرِيفَةِ ، وَمَطَالِمِ الْعَالِيَةِ الْمُنِيفَةِ ، وَجُوهِ الْبَشَائِرِ رَاقَةِ الْفَرْدِ وَالْأَوْضَاحِ . وَتَسْتَهْدِي  
مَائِسُرُنَا من أَنْبَاءِهِ ، مِمَّنْ يَرُدُّ من يَفْقَاهِهِ ، حَتَّى من أَنْوَارِ الصَّبَاحِ وَسُفْرَاءِ الرِّيَّاحِ ، وَتَبْتَهِلُ  
إِلَى اللَّهِ بِالْإِدْعَاءِ أَنْ يُخَبِّرَنَا عَنْهُ ، وَيُطْلِمَنَا مِنْهُ ، عَلَى مَا يُقَرِّعُونَ الْقَوْزَ وَيَسْرَحُ صُدُورَ  
الْبَحَاجِ - السُّلْطَانِ الْجَلِيلِ الطَّاهِرِ ، الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ «الظَّاهِرِ» ، جَمَالِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ،  
مُؤَيَّدِ كَلِمَةِ اللَّهِ الْعُلْيَا ، سَيْفِ الْمِلَّةِ الْمَرْهُوبِ الْمَضَاءِ ، بِيَدِ الْقَضَاءِ ، وَرُكْنِهَا الْبَاسِطِ  
الْعَلَاءِ ، فِي أَوْجِ عِزِّهَا الْمُتَدَلِّحِ لِلْقَضَاءِ ، الْمَشْهُودِ لَهُ مِنْ لَدُنْ حُلِّ التَّائِمِ ، وَلَوْثِ الْعَالِمِ ،  
بِالشَّهَادَةِ الَّتِي تُرِصُّبُ الْأَمَدَ فِي أَبْجِهَا ، وَتُسْتَخْلِمُ لَهُ سَائِرَ الْأُمَمِ : تُرْكُهَا وَعَرَّيَهَا  
وَتَحْمِيهَا ، الْخِتَارِ لِلْقِيَامِ بِحَقِّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ ، الْفَائِزِ مِنْ جَوَارِ بَيْتِ اللَّهِ  
وَمَقَامِ خَلِيلِهِ ، وَمُشْرِعِ الْمَجْبِجِ إِلَيْهِ وَتَيْسِيرِ سَبِيلِهِ ، بِمَا أَحْرَزَ لَهُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ ، وَعِزَّ  
الْمَقَامَيْنِ ؛ كَوَكِبِ السَّعْدِ الَّذِي شَقِيَتْ بِهِ أَعْدَاؤُهُ ، وَبَدْرِ الدِّينِ الَّذِي اسْتَضَاءَتْ بِهِ  
أَنْعَاؤُهُ ، مِيزَانِ الصِّدْقِ لِإِنْصَافِ الْحَقُوقِ ، وَشَمْسِ الْهُدَايَةِ النَّيِّرَةِ الْفُرُوبِ وَالشُّرُوقِ ؛  
(أَبِي سَعِيدِ بَرْقُوقِ) وَصَلَ اللَّهُ لَهُ رُتَبَةً رَاقِيَةً يَتَّبِعُهَا ، وَنِعْمَةً بَاقِيَةً يَتَّقِيهَا ظُلُمًا ،  
وَعِزَّةً وَاقِيَةً تَسِمُ وَجُوهَ أَعْدَائِهِ حَسْفَهَا وَقُدُمًا ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .  
سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ نَازِلِ السَّمَلِ وَقَدْ رَابَ قَرْنُهُ وَشَتَاتُهُ ، وَجَابِرِ الصَّنْعِ وَقَدْ آتَمَسَتْ  
عَنِ الْجَبَرِ جِهَاتُهُ ، وَرَادَّ الْأَمْرَ وَقَدْ أَحْيَا قَهَابُهُ وَقَوَاتُهُ ، وَوَاصِلِ الْجَبَلِ وَقَدْ آسَتَوَلَّى  
أَهْطَاطُهُ وَأَنْبَتَاتُهُ ، الْعَالِمِ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِمَّا تُكِنُّهُ أَرْضُهُ وَسَمَوَاتُهُ ،  
الَّذِي قَرْنَ الْعَصْرِ يُسْرًا ، وَجَمَلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، فَلَا تَحْوُكُ ذَرَّةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا يَكُونُ  
فِي مَلِكِهِ إِلَّا مَا سَقَفَهُ أَحْكَامُهُ وَإِرَادَاتُهُ .

والصلاة والسلام الأكين ، على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذى صدعت  
بالحق آياته ، وقامت بحجة دعواه معجزاته ، ونطقت بأنه رسول الله على لسان  
وحيه الصادق الأمين كساؤه ، المبعوث بالملة السمحة ، ومن أركها حج بيت الله  
المقدسة أركأته ومُجراته ، المعظمة عند الله حرُماته ، المغفورة لمن سبقت له الحسن  
بحجه سيئاته ، وصل آلُه وأصحابه الذين قَضُوا رضى الله عنهم وهم أوليائه دينه الكريم  
وولائته ، وأنصار حزيه المُفلح ومُحائته ، ولِوُث دِفَاعه فى صدور الأعداء وِجائته .  
والرضا عن الإمام المهدي القائم بهذه الدعوة الموحّدية قيام من خلّصت لله نِيَّاتُه ،  
وصدّقت فى ذاته دَعَوَاتُه ، وسمّمت لإظهار دينه القويم عِزَمَاتُه ؛ وصلة الدماء  
لهذا المقام الأحدي المتوكل الفاروق ، بنصير تمضى به فى صدور أعدائه شَبَابُه ،  
وعزّ يطرُد به استقلاله وثباته ، وسعد تطيب به أيامه المتصلة وأوقاته ، وتطول  
به حَيَاتُه .

فلننا كتبنا لسلطانكم - كتب الله لكم من إسماعه ما يتكفل بعزه ونصره ، وينضمّن  
إطالة زمنه المبارك وعصره ، ويقوم بحفظ قطره الشريف ومصره - من حُفَرَتَا  
العلية "نُؤُس" كَلَّأَهَا اللهُ تَعَالَى ، ووَجَّهَ نَصْرَهُ اللهُ العِزِّ زَلَيْنَا وَصَاحَةُ الْأَمِيرَةِ  
مُتَبَلِّجَةُ الصُّورِ ، وَأَيَّاتُ فَحِهِ الْمَبِينِ وَفِيهِ الْمِنَّةُ مُحْكَمَةُ السُّورِ ، وأَحَادِيثُ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمِهِ  
سَبْعَانَهُ مَسَلْسَلَةُ الْخَبَرِ ، وَبُشْرَا بِمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ قَدْ عَمِلَ بِمُقْتَضَاهُ مَنْ نَحْتُ  
لِبَالَتِنَا الْكَرِيمَةِ مِنَ الْبَشَرِ . وإلى هذا فُوجِبَ إِلَيْكُمْ بِعَدِّ تَهْرِيْبِ حُبِّ شُرِعتِ فى ملة  
الوفاء قَوَاعِدُه ، وَقِيلَ فى حَقِّهِ الصِّفَاءُ شَاهِدُه ، وَأَسْتَقَلَّ بِصِلَةِ انْخِلَاصِ عَائِدُه ، وَثَبَتَ  
فى مَرْسُومِ الصَّدَاقَةِ الصَّادِقَةِ زَائِدُه ؛ إِبْلَامُكُمْ أَنَا عِلْمُ اللهِ مِنْ حِينَ أَنْصَلَ بِنَا خَبْرُكُمْ  
الذى جَرَّ الْقَدَرُ الْمَقْدُورُ ، وَجَرَى بِهِ فى أَمِّ الْخَطَابِ الْحُكْمُ الْمَسْطُورُ ، لم نزل نتوجه إلى

(١) مراده من تحت حكمتا وسياستا .

الله تعالى في مَقَانِ قُبُولِ الدَّعَاءِ ، وَرَفْعِ الدُّعَاءِ ؛ بَأَن يُجِبْكُمْ بِفَضْلِهِ مِنْ حَيْثُ صَدَعَ ، وَيُصَلِّحْكُمْ بِخَيْرِهِ إِثْرَ مَا قَطَعَ ، وَيُعْطِيَكُمْ مِنْ نِعْمَتِهِ أَضْعَافَ مَا مَنَعَ ، إِلَى أَنْ دَارَكَ اللَّهُ بُلْفَهَ وَأَجَابَ ، وَتَأَذَّنَ بِفَضْلِهِ فِي قَبُولِ الدَّعَاءِ بِظَهَرِ الْغَيْبِ وَهُوَ مُسْتَجَابٌ ، فَرَدَّ عَلَيْكُمْ مُلْكَكُمْ ، وَصَرَفَ إِلَيْكُمْ مُلْكَكُمْ ، فَاخْذِ الْقَوْسَ بَارِئًا ، وَفَوْقَ السَّهْمِ مُقَرَّرُطُهَا وَرَامِيًا ، وَأَهْذِ الْقَضِيَا حَكْمًا وَمُقْتَمًا ، وَإِذَا كَانَ الْعَوِيلُ بِغَضِي إِلَى النَّجْدِ ، وَالْيَلَا يَفْضِي بِالْحَدِّ ، وَالْفَرْجُ يَدْنُغُ فِي صَدْرِ الشَّدِّ ، فَلَا حَرَمَ خَفَرُ اللَّهِ لِلْأَيَّامِ مَا اقْتَرَفَتْ ، لَمْ أَتَابَتْ وَأَعْتَرَفَتْ ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا التَّحْيِيصُ الْإِلَهِيُّ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْ بَاطِنِ الضَّرَاءِ سَرَاءَكُمْ ، وَأَجْزَلَ مِنْ جَانِبِ الْقَمَاءِ نَعْمَاءَكُمْ ، وَالتَّكْبَرُ بَعْدَ السُّبُكِ يُرَوِّقُ النُّوَاطِرَ خُلَاصَةً نُضَارِهِ ، وَالْبَدْرُ بَعْدَ السَّرَارِ تَتَأَلَّى أَشْعَةُ أَنْوَارِهِ .

ولما جاءنا بِنَصْرِكُمُ الْهَشِيرِ ، وَطَلَعَ مِنْ قَلْبَةِ الْمَنَاءِ بِأَكْثَامِ السُّرُورِ إِلَيْنَا يُسِيرُ ، هَزَزْنَا لَهُ أَصْطَفَ الْإِرْتِيَاحِ ، وَتَلَقَّيْنَا مِنْهُ وَارِدَ التَّهَانِي وَالْأَفْرَاحِ ، وَحَدَّثْنَا اللَّهُ لَكُمْ حَلَّ مَا مَنَعَ بِهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالنَّجَاحِ ، وَرَأَيْنَا أَنَّ تَهْنِئَتَكُمْ بِهِ مِنْ قُرُوضِنَا الْمُؤَكَّدَةِ ، وَعُجُودِنَا الْمُجَكَّدَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقُومُ بِهِ عَنَّا هُنَالِكُمْ ، وَيُؤَدِّي مَا يَجِبُ مِنْهُ بَيْنَ يَدَيِ كَرَمِي جَلَالِكُمْ ، إِلَّا مَنْ لَهُ مِنْ دِيَارِ الْمُلُوكِ ، قَرُبُ الْأَدَبِ وَالسُّلُوكِ ، فَاقْتَضَى نَظَرُنَا الْجَمِيلُ أَنَّ عَيْنًا لَهُ شَيْخَ دَوْلَتِنَا الْمُسْتَشَارِ ، وَعَلَيْهَا الَّذِي فِي مُوَحَّاتِهَا إِلَيْهِ يُسَارُ ؛ فَلَان .

وقد كان منذُ أَعْوَامٍ يَتَطَارَحُ عَلَيْنَا فِي أَنْ تُحْمَلَ لِلْحَجِّ سَبِيلُهُ ، وَبُلْفَهَ مِنْ ذَلِكَ مَأْمُومَةٌ ، وَيَدُ الضَّنَّةِ لَا تَسْمَحُ بِهِ طَرَفَةٌ دِينٍ ، وَنَفْسُ الْإِقْتِبَاطِ لَا تُجِيبُ فِيهِ دَوَاعِي الْبَيْنِ ، إِلَى أَنْ تَعَيَّنَ مِنْ تَهْنِئَتِكُمُ الْكَرِيمَةِ مَا صَيَّتَهُ ، وَسَهَّلَ شَأْنَهُ عَلَيْنَا وَهَوَّنَهُ ، فَوَجَّهَنَا وَاللَّهُ تَعَالَى يُسْعِدُ وَجْهَتَهُ ، وَيَعْمَلُ حُجَّتَهُ لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ مُجْتَمَةً . وَحَمَلْنَاهُ مِنْ أَمَانَةِ الْحُبِّ مَا يُلْقِي إِلَيْكُمْ ، وَمِنْ حَابِثِ الشُّوقِ مَا يُفَضُّ أَخْبَارَهُ عَلَيْكُمْ ، وَمِنْ طَيِّبِ الثَّنَاءِ مَا يُفَضُّ خِتَامَهُ

بين يديكم، وأصحبناه برسم اصطبلاتكم الشريفة مايسر الحب سبلها، وأوضح الخلوص دليها، ورجونا من فضلكم على نزارتها قبولها، إذ لو كانت الملوكة تهادى على قدر جلالها، لما أتمعت لئلك خزائن أموالها، لئكتها عنوان الحب السليم، حسب ما اقتضاه الحديث النبوي الكريم .

وفى أثناء شرونا فى ذلك، وسؤوكنا منه أئمن المسالك، وصل إلينا كتابكم الكريم، تعرف النواظر فى وجوه بشارته نضرة النعم، فاطلعنا منه على مارات العيون وصفا وقتنا، وصبر الخلوص سبلا لا ترى القلوب فيها حرجا ولا آثنا، والله هو من كتاب كتب من البيان كتاب، وأستأثر بقلك الإجابة فأحرز به سعادة الكاتب، قسما بالقلم وما سطرنا وإلحروما حبرا لو رآه عبد الحميد لتركه غير حميد، أو بصر به ليد لأعاده فى مقام ليد، ولو قصص على قس ليد فصاحت لئله عن مبر خطابته بمكاظ، أو صعب على صعبان وإل ذيل بلاغته لأراه كيف يتولد السحر الحلال بين المعاني الزائفة والألفاظ .

ولما استقرينا من لغواه، وخطابه الكريم ونجواه، تشوقكم لأخبار جهادنا، وسؤورك بمأئسئله الله من ذلك ببلادنا، رأينا أن نضيف اسماعكم منه بما قرئت به أئمن الإسلام، وأطلع صئور اللئالى والأئام . وذلك أنا من حين صدر من صئور الملة فى الجزيرة ماصدر، حسب ماجره محنوم القدر، لم نزل نبيع لأساطيلنا المنصورة حرمة وحماء، ونطرق طروق الغارة الشواء بلاءه وقراه، ونكتسح بأئدى الإستلاب ماجمعت بها يده، إلى أن ذاقوا من ذلك وبأل أمرهم، وتمزفوا طائبة مكرم .

وكان من جزائهم المعترضة شجبا فى حلق الخطار، ومتجشئى الأخطار، وركاب البحار : من العجاج والتجار، جزيرة "غودش" وبها من أعداء الله جم كثير، وجمع

كبير، فأرسلنا عليهم من أسطولنا المنصور غير أننا نفقت عليهم بالمؤمن ، وعرفت  
المسلمين بركة هذا الطائر الميمون، وفتحناها صدداً وعدداً، واستمددنا لها من الله  
ملائكة سماه مدداً، فسارت تحت أجنحة النجاح إليها ، ونحوم إلى أن رمت  
مخالب مراسيها عليها ، فلما نزلوا بساحتها ، وكبروا تكمية الإسلام لإباحتها ، بُيت  
الذي كفر، وودَّ الفرار والحين يناديه ابن المفر، فلما قضى السيف منهم أوطاره ،  
وشفى الدين من دعائهم أواره ، وشكر الله من المسلمين أنصاره ، عمدوا إلى ما عطفاه  
السيف من الولد وولد ، ومن أخلد إلى الأرض من رجالهم عن المدافعة فلم يعترضه  
بالقتل منهم أحد ، فجمعوا منهم صدداً يليف بعد الأريانة على الأربعين ، وجاءوا بهم  
في الأصفاد مقرنين ، وأمتلأت بنائيمهم والحمد لله أيدي المسلمين ، وأقلبوا فرحين  
بما آتاهم الله مستبشرين ، إلى أن دخلوا حضرتنا العلية بسلام آمين .

فوزناكم بهذا الفتح : لناخذوا بحظكم من شكر الله عليه ، وتوجهوا في مثله بصلاح  
أدعيتكم إليه ، وهو سبحانه وتعالى يُطْلِمُ ويطلعكم على ما يسر النفوس ويهينها ،  
ويملو وجوه البشائر ويُنْصِبُها ، بمنه وكرمه ، والسلام العطر المحيا الجليل الحيا طائد  
عليكم ورحمة الله وبركاته .

### المجلة الثانية

(في المكتبات الواردة عن صاحب "تليسان" من نبي عبد الواد)

ورسم مكاتبه فيما وقفت عليه في المكتبة الواردة على صاحب الديار المصرية أن  
يتداً الكتاب بقوله : إلى الحضرة الفلانية حضرة فلان - بالألقاب المعظمة المفتحة  
ثم يدعى له بما يناسب الحال ، ويؤتى بخطبة ، ثم بالسلام ، ويقع الخطاب في أثناء  
الكتاب بالإخاء بلفظ الجمع ، ويُحتم بالنساء المناسب .

كما كتب عبد الرحمن بن أبي مويى بن يَمْرَاسِن ، إلى السلطان الملك الناصر ( محمد بن قلاوون ) في سنة خمس وعشرين وسبعمائة :

إلى الحضرة العلية السامية ، السنية ، الماجدة ، المحسنة ، الفاضلة ، المؤيدة ،  
المظفرة ، المنصورة ، المالكة ، حضرة السلطان ، الملك ، الجليل ، الفاضل ،  
المؤيد ، المنصور ، المظفر ، المعظم ، ناصر الإسلام ، ومُئَلِّ عَبدَةِ الأصنام ، الذى  
أيده الله بالبراهين القاطعة ، والأنوار المثيرة الساطعة ، الأعلیٰ ، الأُوحد ، الأَكمل ،  
الأرفع ، الأتجد ، الأسمى ، الأسمى ، ذى المجد الظاهر ، والشرف الباهر ، الملك  
الناصر ، أبى السلطان ، الملك ، الجليل ، العادل ، الفاضل ، المؤيد ، المظفر ، الأعلیٰ ،  
الأُوحد ، الأَكمل ، الأرفع ، الأتجد ، الأسنى ، الأسمى ، ناصر الإسلام والمسلمين ،  
ومُعَلِّ كلمة الموحدين ، المقدس ، المرحوم ، ذى المجد المشهور ، والفخر المنشور ،  
والذكر المُنْخُور ، الملك المنصور ، أدام الله طوقه في الدنيا والآخرة ، وأسبغ عليه  
نعمه باطنة وظاهرة ، وجعل وجوه محاسنهم في صفحات الدهر سارة مافره ،  
وصَفَقَة أصدائهم خاشةً خاسره .

وبعد حمد الله الذى أظهر الأمر العلى الناصرى وأيده ، وبسط في قول الحق  
وفيه لسانه ويده ، وسد نحو الصواب متعاه كلّه ومقصده ، والصلاة التامة المباركة  
على سيدنا محمد رسول المصطفى ، الذى خصه الله بمُؤْمِ الدعوة وأفرده ، وقرن ذكره  
بذكره فأبهاه أبد الدهر وخَلَّده . والرّضا عن آله الكرام ، ومحابته الأعلام ، الذين  
حَفِظُوا بالتوقيع والتجزير مَنِيَّته وشَهِدَهُ ، وكأَنَّهُمْ عند أسْتِلَالِ السُّيُوفِ ، وبِحَالِ  
الْخُتُوفِ ، عَدَدَهُ المَظْفَرِ وَمُدَّهُ . والثناء لذلك المقام الشريف بسعدٍ يُطِيلُ في شرف  
الدين والدينيا مُدَّهُ وأَمَدَهُ .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من أخيك، البريك، الحريص على تصافيك،  
عبد الرحمن بن أبي موسى بن يغمراسن . وإنا كتبناه إليك كتب الله لكم النجح  
المقاصد وأرجحها، وأثبتنا عزاً وأصحها، من حصن "تلمسان" حرماً الله تعالى،  
ولا ناثي بفضل الله تعالى إلا ما عود من بشائر تحث جياؤها، ومسار يتناول  
إلى المزيد أعتيادها - وإلى هذا أمل الله كلمتكم، وأمتع المسلمين بطول بقائكم،  
فإنا نعرفكم بوصول كتابكم الخطير الأثير، فتقينا بما يجب من التكريم والتعظيم،  
وتتبعنا قصوره، وأستوعبنا فروعه وأصوله، وتحققنا مقتضاه ومحصوله، وعلما  
ما أنطوى عليه من المِنَّ والإنضال، وأشمل عليه من التفصيل والإجمال، ومن أعظم  
ذلك إذنكم لنا في أداء فرض الحج المبرور وزيارة سيد البشر، الشفيع في المحشر،  
الذي وجبت له نبوته، ومثى الغيب عليه تسليد، وأدم صلوات الله عليه في طيبته  
مُتَجِدِل، وطم الله أننا لم نزل آمالاً متعلقة بطلكم المشاعر الكريمة، وقلوبنا منشوقة  
إلى تِلْكَ المشاهيد العظيمة، فلنا في ذلك نيات صادقة التحريم، وعزمات داعية  
التصميم، وكان بؤدنا لو ساعدنا المقدار، وجرى الأمر على ما نحب من ذلك ونختار،  
أن نمتنع برؤية المواطن التي تهز أبصارنا، ويُنشئ بها إراداً وإصداراً، ولعل الله  
تعالى ينفعنا بخالص نياتنا، وصادق طوياتنا، بمنه وكرمه .

وقد وجب شكركم علينا من كل الجهات، وأتصلت المحبة والمودة طول الحياة،  
غير أن في قلوبنا شيئاً من ميلكم إلى غيرنا وأستئناسكم، ونحن والحمد لله أعلم الناس  
بما يجب من حقوق ذلك المقام الشريف، ولنا القدرة على القيام بواجبكم، والوفاء  
بكرم حقكم، وليس بيننا وبين بلادكم من يُحْثي والحمد لله من كيد، ولا يُبالي بهزله  
ولا جدّه، وقد توجه إلى بابكم الشريف قرابتنا الشيخ الصالح الحسيب الأودع  
الأكمل الزاهد أبو زكريا يحيى ابن الشيخ الصالح المراتب المقدس المرحوم أبي عبد الله



محمد، بن جرار الوادى، وهو من أهل الدين والخير، وقد شافهناه بما يلقى إليه من ذلك  
المقام الشريف من تقرير الوُدِّ والإخاء، والمحبة والصفا، مما يتجز عنه الكتاب،  
فالمقام الشريف يتق إلى قوله ويعامله بما يليق ببيته ودينه. وغرضنا أن نعرفه  
بجميع ما يصلح لذلك المقام الشريف مما فى بلادنا، ويصلكم إن شاء الله فى أقرب  
الأوقات، على أحسن الحالات، ولكم بذلك علينا المنة العظمى، والمزية القصوى،  
والله تعالى يثبى ذلك المقام الشريف محروس المذاهب، مشكور المتأقب، إن شاء  
الله تعالى.

### الجملة الثالثة

( فى المكتبات الواردة عن صاحب "فاس" إلى الأبواب

السلطانية، بالديار المصرية )

وعادة كتبهم أن تفتح بلفظ « من عبد الله فلان أمير المسلمين ». وأول من  
كتب منهم أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » حين استولى على المغرب، قبل  
بني مرين، خصوصاً أن يتلقب بأمر المؤمنين مضاهاةً للخلفاء. وهو :

من عبد الله على أمير المسلمين، وناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين،  
ملك البرين، ومالك العدوتين،<sup>(١)</sup> أبى سعيد، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد فى سبيل  
رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوتين، أبى سعيد ابن مولانا أمير المسلمين،  
المجاهد فى سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوتين، القائم لله بإعلاء

(١) كذا فى الأصل الوحيد وصوابه "أبى الحسن" كما يؤخذ مما تقدم فى الكلام على ملوك فاس من  
أن طلياً هذا يكنى أبى الحسن وأنه ابن السلطان أبى سعيد حسان ابن السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق  
قلد مافى الأصل من أعمال التسلخ فيه.

دين الحق، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، منح الله التأييد مقامه، وفسح لفتح معاقِل الكفر وكسر بحافل الصُفر أيامه .

إلى السلطان، الجليل، الكبير، الشهير، العادل، الفاضل، الكامل، الحافل، الملك، الناصر، المجاهد، المرابط، المتأخر، المؤيد، المظفر، المنصور، الأستد، الأصعد، الأرقى، الأوفى، ناصر الدنيا والدين، وقامع البغاة والمعتدين، مفيد الأوطار، مُيد الكفار، هازم جيوش الأرمين والقرنم والكُرج والتتار، مالى صدور البرارى والبحار، حامى القبلين، خديم الحرمين، غيث العفاة، عون العناء، مُصرف الكاتب، مُشرف العوأكب، ناصر الإسلام، ناشر الأعلام، قُصر الأنام، دُخر الأيام، قائد الجنود، طاقد البُود، حافظ الثغور، حامى الجمهور، نظام المصالح، بقية السلف الصالح، ظهير الخِلافة وعَضْبِها، وليّ الإمامة وسنَدِها، حاضِد كلمة الموحدين، وليّ أمير المؤمنين، أبى المَعالى (محمد) أبْن السلطان، الكبير، الجليل، الشهير، الشهيد، انكطير، العادل، الفاضل، الكامل، الحافظ، الحافل، المؤيد، المظفر، المعظم، المبجل، المبكر، الموقر، المعز، المجاهد، المرابط، المتأخر، الأوحِد، سيف الدين (فلأوون) أدام الله فضلَ عزمه الماضى بتأييده، وأدار الأفلاك بتشييد ملكه الشاخي وتمهيد، وطهر أرجاه من أرجاس المنافقين، وأذناس الماريقين، بما يُرى فيها من دِمَائِهِمْ، فما كلُّ متطهر يُجزئ عنه غسلُ مائه أو تيمُّ صعيده .

سلامٌ كريم، طيبٌ عَميم، أريجُ الشَّميم، متضوِّع النسيم، تستمدُّ الشمسُ بَاهِرَ سَنَاه، ويستمرُّ المسكُ عَاطِرَ شَذَاه، يَخْصُ إخوانه كَم العِلى، ووفاء كَم الوَفى، ورحمة الله وبركاته .

أما بعدَ حَمْدِ الله الذى أيدَ المؤمنين، على مَنَاقِم فاصبَحُوا ظاهِرِينَ، وعرفَ الإسلامَ وأهلَه من السَّرِّ العجيب، والصَّنْع الغريب، ما فيه حِزْبٌ للسامعين والنَّاظِرِينَ؛

حكمة عجزت عن فهم سرها المكشوف ، وقصرت عن كشفها المختوم ، ألباب عيسيه القاصرين . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذي أرشد به الحائدين الحائرين ؛ وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله برحم الجاهدين الكافرين ، وعلى آله وصحبه الذين هاجروا إليه وبلائهم هجروا ، والذين آووا من أوى إليهم ونصروا ، والذين جاهلوا في الله فصبروا ، فهاؤوا بذكر المهاجرين والأنصار وأجر المجاهدين الصابرين ؛ وصلة الدعاء لحزب الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بفضل لايزالون معه لأعدائهم قاهرين ، وسعد لايفكون له بآلهم ظافرين ، ونصر من عند الله وما النصر إلا من عند الله وهو خير الناصرين .

فإنا كتبنا لكم - كتب الله لكم بحمدنا مديد الطلال ، وعصدا حديد الإلال ، وسعدنا جديد السراب - من منصورة "تليمان" حرمها الله تعالى ، والصانع الربانية تكيف العجائب ، وتعرف العوارف الغائب ، وتشتف الأسماع بما تسمعها من إجمال المنوح والمواهب ، وتقفو الرقاق بما تودعها من أحاديث الفتوح الغرائب ، والحمد لله على مايسر من المآرب ، وسهل من المواهب . وإخاؤكم الصادق مبرور الجواب ، مأثور المناقب ، مشرق الكواكب ، مغلق السحاب ، ناي المراتب ، ساي المراقب ، والله تعالى يقيه في ذاته ، ويقيه من صرف الدهر وأذاته . وإلى هذا وصل الله لكم سعدا جديدا ، وجدا سعيدا ، وجمدا حميدا ، وحمدا مجيدا ، فقد وصل كتابكم الأثير ، المزرى بالمسك الثير ، فاجتلتا مندروسة جادها البيان فامرعا ، ورادها البيان فوشعا ، واجتنتا من حصون سطوره ثمرات ودايا ما أبتعها ، إنباء عما تلقاه الإخاء الكرم من قبل الشيخ الأجل ، أبي عبدالله محمد بن الجراح مما عتا محمل ، وفي إلقائه

وأدائه بحضرتكم الكريمة أحسن وأجمل ، وهو ما كان عليه عزم مولانا الوالدة  
الحقها الله تعالى رضوانه ، وبوأها جثاته : من حج البيت المحرم ، وزيارة [القبر] المعظم  
المكرم ، والصلاة بالمسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وثالثها في شد  
الرجال المسجد الأقصى ونعم المغتَم ، وقضاء النسك بتلك المناسك والمشاهد ، والتبرك  
بتلك المعالم المنيقة والمعاهد ، وما وصف مع ذلك بهذا الجانب الثغرى ، ووصف  
من أمر قتالنا لكل مارق أبى وكافر حرى ، وما منحنا الله من نعيم لصلوب أهل  
الإيمان مُبهِج ، ولصدور عبدة الصُلبان مُخْرِج ، وأن الإخاء الكريم حصل له بذلك  
أبهى أبتهاج ، وحل منه علّ القبول الذى أتبع له من آقنى سبيل القصد أنهى  
أبتهاج ، وفقد العزم على تلقى الوافد من تلقائنا ، والوارد رجاء أداء فرض الحج من  
أرجائنا ، بتسهيل سبيله ، وتيسير آرجاله إلى بيت الله ورسوله ، وأنه متى وقع الشعور  
بمقدم المولاة رحما الله تعالى على بلاده ، وقربها من جهاته المحبودة من جود جوده  
بعباده ، يقدم الخروج من تلقى ركبائها ، ويستمد بالبر والتكريم جانبها ، حتى تعمد وجهتها  
الشريفة بجمل نظره ولأبائها ، وقام عنا بما نوهه من برها ، وسأهم فيما تقدمه إلى الله عز  
وجل من صالح أجريها . وقد فأنبنا هذا الفضل من الشكر بأجزله ، ومن البر بأخفاه  
وأحفله ، وحصل لدينا بإزائه سليم وده وكريم إخوانه ، من تخليص وآلته ، وتمحيص  
صفاة ، من لا يزال عهد الأتيق في نهائه ، ودقده الوثيق في آزديده ونمائه ، وغضنه  
الوريق في روثق خلواته ؛ ولئن كانت المولاة الوالدة قدس الله روحها ، وبرد ضريحها ،  
قد وافت بما قدمت عند الله من صالح العمل ، وماتت على ما أبرمته في قصد البيت  
الشريف من نية وأمل ، اذ كانت رحمة الله تعالى عليها قد تأهبت لذلك ، واعتدت  
لسلوك تلك المسالك ، وأداء ما فرض الله من السعاية والمناسك ، وعلى الله لإجزال  
نواياها ، وعنده تحسب ما ألم قائم من مصابها - فإن لدينا ممن يمت بحرمه المحرم إلينا ،

ويلزم بحق التربية علينا ، من يقومُ عندنا مقامها ، ويرومُ من ذلك المقصد الشريف  
مرامها ، وسنوردها إن شاء الله تعالى على تِلْكَ البقاع ، ونوردها من تلك الأقطار  
والأصقاع ؛ ما يجعلُ بحسن نظركم مورده ومصدره ، ويطابق في جميل اعتنائكم  
وحفيل أحفالكم خبره ومخبره ، بفضل الله وعونه .

وأما تشوقُ ذلك الإخاء ، لمواصلة الكتب بسائر الأنباء ؛ فإنَّ من أقرها عهدا ،  
وأعتبها حديثا يُهادى ويُهدى ، ما كان من أمر المائق قاتل أبيه ، الحال من إقليم  
تلمسان وممالكها بالحلّ النبيه ؛ وذلك أنَّ أسلافه بنى زيان ، كانوا قد استولوا على  
هذه المملكة في سالف الزمان ، ولم يزل بينهم وبين أسلاف الموحدين على ملك المغرب  
الأقصى وقائع تُوردهم الحام ، وتذيقهم الموت الزؤام ، فيدعون المتازعه ، ويعودون  
للوراده ، ثم لم يلبثوا ، أن يتكثروا ، ولم يصبروا ، أن يقدروا ، إلى أن كان من حصار  
عمنا المقدس المرحوم أبي يعقوب قدس الله ثرته إياهم ، فأكثرت موتهم وكثرت محيائهم ،  
وتمادى بهم الحصار تسع سنين ، وما كانوا غير شردمة قليلين ، وهنالكم اتصلت بينكما  
المراسلة ، وحصلت الصداقة والمواصلة ، ثم حُمّ موته ، وتمّ فوته ، رحمة الله تومته ،  
ورضوانه يشمله ويحمه ، فتبس خنائهم ، وعاد إلى الإبدار محاقهم ، وصرف القائم  
بعده عنهم الحين ، عما كان هو رحمه الله قد طوقه من بلاد مَفراوة وبحين ، فالتسعت  
عليهم المسالك ، وملكوا ما لم يكن فيه لأوائهم طمع من الممالك ، لكن هذا الخائن  
وعمه كانا من أسارته الفتن ، وعم به فيما غوامر المحن ، فسلكا سلك أسلافهما  
في إناضة المهادنه ، والزوغان عن الإعلان بالمفاته .

ولما سؤل الشيطان لهذا المائق قتل والده ، والإستيلاء على طارفه وتاليه ،  
لم يقدم عملا على إخفاص لإرساله بحضرة مولانا المقدس أبي سعيد ، قدس الله

مَثْوَاهُ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ ، فِي السَّلَامِ رَاغِبًا ، وَلِحُكْمِ بَوَادِعِهِ طَالِبًا ، فَاقْتَضَى النَّظَرَ  
 الْمَصْلُحِي حِينَئِذْ مَوَاقِفَتَهُ فِي غَرَضِهِ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِنُهُ عَلَى مَرَضِهِ ، فَقَوِيَ أَمْرُهُ ، وَضَرَى  
 ضَرُّهُ ، وَشَرَى شَرُّهُ ، وَوَقَدَ تَحْتَ الرَّمَادِ جُحْرَهُ ، وَسَرَى إِلَى بِلَادِ جِيرَانِهِ الْمُوحِدِينَ دَأْوَهُ ،  
 وَطَالَ عَلَيْهِمْ تَضْيِيقُهُ وَأَعْيَلَاؤُهُ ، وَاسْتَشْعَرَ ضَعْفُهُمْ عَنْ مِلَادَتِهِ ، وَوَهَنَتْ عَنْ مَقَاوِمَتِهِ  
 وَمَنَازَعَتِهِ ، فَبَغَى وَطَنِي ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ مِنْ فَوْقِهِ سَقَبَ السَّمَاءِ رَقَاً ، وَبَاطِنَ جَمَاعَةٍ مِنْ  
 عَرَبٍ أَفْرِيقِيَةِ الْمُفْسِدِينَ وَجُرُوهَ بِجَمَلِ الْأَطْلَاجِ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ عَلَى بِحَايَةِ عَشْرِينَ سَنَةً  
 يَشُدُّ عَلَى بِحَايَةِ الْحِصَارِ ، وَيُسْنُّ عَلَى أَحْوَازِ تُوْنُسَ الْغَارِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ هَزِيمَةِ جَيْشِهِ  
 لَصَاحِبِهَا مَا كَانَ ، بِمَالِيَةٍ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ وَرَاتِيهِ (١) كَابِنَ الْخِيَانِي ، وَأَبْنَ الشَّهِيدِ ،  
 وَأَبْنَ عِمْرَانَ ، فَاتَى ذَلِكَ صَاحِبُهَا السُّلْطَانُ أَبُو بَحِيٍّ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا  
 وَزِيرَهُ فِي طَلَبِ الثُّغْرَةِ رَسُولًا ، وَأَوْقَدَ عَلَيْنَا أَعَزَّ وَلَدِهِ أَبَا زَكَرِيَّا فِي إِذْهَابِ الْمَضْرَّةِ عَنْهُ  
 دَخِيلًا ، غَاطَبْنَا إِذْ ذَاكَ هَذَا الْخَالِثُ الْعَاقِقُ مَبْصُرِينَ ، وَقَبُولُهُ تَعَالَى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ  
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا) مَذْكَرِينَ ، فَمَا زَادَتْهُ الْمَوْعِظَةُ إِلَّا شَرًّا ، وَلَا أَفَادَتْهُ  
 التَّذَكُّرَةُ إِلَّا بَطْرًا ، وَحِينَ ذُكِّرَ فَلَمْ تَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ، وَفُكِّرَ فَلَمْ يَتَبَسَّرْ لِلْيُسْرَى ، أَمْتَلْنَا  
 فِيهِ أَمْرَهُ تَعَالَى الْمُرْتَبَ عَلَى قَوْلِهِ (فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى) فَازْمَعْنَا قَدْحَهُ ،  
 وَأَجْمَعْنَا رَدَّهُ وَرَدْعَهُ . وَفِي أَشَاءِ ذَلِكَ وَصَلَ إِلَيْنَا أَيْضًا سُلْطَانُ الْأَنْدَلُسِ مُسْتَفِيتًا عَلَى  
 النَّصَارَى أَعْدَاءِ اللَّهِ جِيرَانِهِ عَلَى طَائِفَتِهِمْ ، الْمِصْرَ عَلَى عِدَاوَتِهِمْ وَصَدَاوَتِهِمْ ، فَجَهَزْنَا مَعَهُ  
 وَلَدَنَا عَبْدَ الْوَاحِدِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَبْطَالِ ، وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِمَا كَفَاهُمْ مِنَ الطَّعَامِ  
 وَالْعُدَّةِ وَالْمَالِ ، فَاجْزَأَ مِنْ سَهْتَةٍ إِلَى الْخَضِرَاءِ عَجَلًا ، وَلَمْ يُقَدِّمْ عَلَى مَنَازِلَةِ جَبَلِ الْفَتْحِ  
 عَمَلًا ، وَكَانَ هَذَا الْجَبَلُ الْخَطِيرُ شَأْنُهُ مِنْذُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْعَدُوُّ قَصَبَهُ اللَّهُ فِي سَنَةِ  
 تِسْعٍ وَسِتِّينَ نَحْبًا فِي لَهَوَاتِ أَهْلِ الْمُتَوَتِّينَ ، وَغُصَّةِ لُتْفُوسِ السَّاكِنِينَ بِالْجَلْهَتَيْنِ ،

لإطلائه عليهما، وإرساله جوارح جواريه إليهما، تخطف من رام العبور يمر الزقاق، وما يقرب للملجأ إلى هذا المعقل المستقر من الحقائق، فكَمَ أَرَمَلْ وَأَتَمَ، وأُنْكَلْ وَأَيْمَ - فأحاطت به العاديات السواجحُ برًّا وبحراً، وأذاقت من به من أَمْسَاجِ الْأَصْلَاحِ شُرًّا وحَصْرًا، إلى أنْ أَسَامُوهُ لِسَامِينَ قَهْرًا وَقَسْرًا، ومنَعَ اللَّهُ حَزْبَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَتْحًا وَنَصْرًا، وسمِعَ الطاغيةُ الفادر إجابةَ الله تعالى بأمره، فطار بما قَدَّرَ عليه من حُشُودِهِ وَجُنُودِهِ إلى إغاثته ونصره، فوصله بعد ثمانية أيام، من تسليمه للإسلام، فنزل بجبله ورجله لِمَازَاهِ، وأقسم بمعبوده لا يرجع فَنَاهَهُ، حتى يُبْسِدَ إِلَيْهِ دِينَهُ، أو يُلْقَى مَنُودُهُ دُونَهُ، فأَكْذَبَ اللَّهُ زَعْمَهُ، وأَوْهَنَ عَزْمَهُ، وأَحْنَثَ يَمِينَهُ، وأَقْلَعَ بعد شهرين وأيام مُدْبِلًا، وأسرع العود إلى مستقره وأسأله كَيْفَ تَجَا، وكان ذلك سَبَبَ إِبَاتِهِ لِلسَّلَامِ وَأَنْقِيَادِهِ، وإِجَابَتِهِ تَرْكُ مَا كَانَ لَهُ عَلَى أَصْحَابِ "غُرْنَاطَةَ" من مُعْتَادِهِ، وكانوا يُعْلُونَهُ مَأْيُتُفَ عَلَى الْأَرَبِينَ أَلْفًا مِنَ النَّهْبِ فِي الْعَامِ، ضَرِيَّةَ الْأَزْمِهِمِ الطَّاعِيَةِ أَدَامَا فِي عَقْدِ مَصَالِحِهِ أَيْ إِلْزَامِ؛ فَسَمَنَاهُ تَرْكَهَا وَإِسْقَاطَهَا، وَأَلْزَمَاهُ فِيهَا عَقْدَنَاهُ لَهُ مِنَ السَّلَامِ أَنْ يَدَعَ أَشْتِرَاطَهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّ بَنَاءَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَذَلَّ رِقَابَ عِبَدَةِ الْأَصْنَامِ، وَقَدْ أَهْتَنَيْنَا بِتَحْصِينِ حِصْنِ هَذَا الْجَبَلِ تَقِيًّا لَهَا وَتَكِيْلًا، وَأَبْتَدَأْنَا مِنْ تَحْصِينِ أَسْوَارِهِ وَأَبْرَاجِهِ بِمَا يَنْدُو عَلَى جَبِينِهِ تَاجًا وَإِكْلِيلًا. وكنا في هذه المدة التي جرت بها هذه الأحوال، وعمرت فيها هذه الأهواء والأهوال، منازلين أخافنا المُنْعَ "بِسَجِّ جَلْمَانَةِ" من بعض بلاد القِبْلَةِ، ومحاولين من إزاحة ضُرِّهِ، والإِِرَاحَةِ مِنْ شَرِّهِ، ما فيه الصِّلَاحُ وَالْفَلَاحُ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْجَمْلِ، لِعِتَابَتِهِ فِي الْفَسَادِ، وَدِيَابَتِهِ إِلَى الْعِنَادِ، وَمُعَاذَتِهِ صَاحِبِ "بِلَاسَان"، وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى الْبَغْيِ وَالْعُدُونِ، فَسَهَّلَ اللَّهُ أَفْتَاتِحَهَا، وَعَجَّلَ مِنْ صَنَائِمِهِ الْجَبِيلَةَ مِنْهَا مُبَاحَهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ تَسْلِيمِ جَبَلِ الْفَتْحِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ، وَيَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ بَدَائِعِ الصَّنَائِعِ مَا يَقْصُرُ عَنْهُ كُلُّ نَفْسٍ وَوَصْفٍ.

وفي خلال تلك المنازلة ، وحال تلك المحاولة ، لاحت لخائن التيساني قرصه ، برغ منها غصه ، إذ ظن أنا عنه مشغولون ، وفي أمر ماعرض من مجيئاسة وجبل الفتح معتملون ، فخرج من بلده على حين غفلة بالعزيمة والجد ، إلى حصن ماوردت الذي هو بين بلاده وبلادنا كالحمد ؛ فوجد هناك ولدنا الأسعد تاشفين ، في ثلة من بني مرين ، أساد العرين ، فلما نذرُوا به ثارُوا إليه مُمرين ، فنكص على عقبه ، ولم يزل نجتة أوقى من هربه ، وطاد لذلك ثانيه ، فلم تكن عساكرنا عن طرده وانيه ، بل ردت في الحافره ، وأئندته بلسان حاليها الساحر :

إن حاديت العقربُ عُدنا لها \* وكانت النمل لها حاضره

ولما فرغنا والحمد لله من تلك الشواغل ، وأرغنا من الخائن التيساني ترك ما هو فيه من إثارة الفتن وإذل ، فأعرض وأشاح ، وما لاحت عليه غيلة فلاح ؛ نهذا نحو أرضه ، لتجزيه بقرضه ؛ يبيوش يضيق عنها فيسبح كل مدى ، وخيول تذر الأكم للخوافر مجبدا ؛ تنقص دلي الأقران أمثال الأجادل ، وتنقص الجنادل من حوافرها بأصلب من الجنادل ؛ نكفنا بتسلم منازل متزلا فترلا ، وتسئم مفايله معقلا فتعقلا ؛ وجبل رعاياه تفر بفضلنا ، وتفر من جوره إلى عدلنا ؛ ومن تمسك منهم بجبله ، أو سلك من النقي في سبله ، قاده السيوف برحمه ، وأستزل على حنكه ، والعفو مع ذلك يؤمهم ، والإحسان يسملهم ويضمهم ؛ حتى لم يبق إلا معقله الأشب ، ومنزله الذي رأى أنه عن عين الثواب محجب ؛ قد شمع أنفا حيا ، وصالح كفا للثريا ؛ ولم يرض لهامته حمايم إلا الغمام ، ولا لأنامل شرفاته خواتم ، إلا النجوم العوام ؛ فترلا بساحه ، وأقبلنا على كفافه ؛ وجعلنا قذوقهم من حجارة الحبايق ، بأمثال النيق ؛ ومن كيزان النقطة الموقدة ، بأمثال الشهب المرصده ، ومن السهام العقاره ، بأمثال العقارب



الجراره ؛ حتى غدت جذرائهم مهشومه ، وجسومهم مكثومه ، وثقور شرفاتهم  
 في أفواه أبراجهم مهتومه ؛ وظلت الفعلة تسيد إزاء أبراجهم أبراجا ، وتمهد منها  
 لتسوير أسوارهم أذرأجا ؛ ولعلول في أسانلها إغوال ، وللعواسل على أنالها أعمال ،  
 وللأشقياء مع ذلك شدة وجلد ، وعدة وعدد ، وسدة ولدد ، يقاتلون حيه ، وينازلون  
 بنفوس أبيه ، وحجارة الخبايق تسدح هامهم ، وبنات الكائن تزلزل أقدامهم ؛ وهم  
 في مثل ذلك لازمون أقدامهم ، إلى أن أشتدت أزمته فلم يبدؤا لها من فارج ،  
 وأحاطت بهم الأوبال من خارج ؛ وهيدمت أبراجهم الشواقي ، ورديت حفاثرهم  
 والخناديق ؛ وأخذت الكآبة ، في العروج ، إلى البروج ، والحماة ، في السباق ، إلى الأشواق ،  
 والرماة ، في النضال ، بالنضال ، فمن مرتقي سلما ، خير متقي مؤلما ، ومشتغل بالنقب ،  
 خير محتفل بشأور المجارة المنصب ؛ وأفرج المضيق ، وأتبع الطريق ؛ وأتجمعت  
 أطلاب الأبطال ، وولحت أقبال القبايل وولى الأشقياء الأذبار ، وطأوا بالفرار ،  
 وبدت طيلم علامات الإذبار ؛ وسأجؤا إلى الأبواب ، فكانت يحيطهم من أقوى  
 الأسباب ، وقتل منهم الزحام ، من أساره الهدم والحسام ؛ فتملأنا مادارت عليه  
 الأسوار الخارجية : كفرار السبع والمغيب ، وجميع الحنان والعروش التي ما أنفك الشق  
 يمتد في عمارتها ويتعب ؛ وأعلنا بالنداء أن كل من جاءنا هاربا ، ووصل إلينا تابعا ،  
 منحنه الصفو ، وعثونا عنه الحقو ؛ وأوردناه من إحساننا الصفو ؛ فبادروا عند ذلك  
 يساقطون من الأسوار ، تساقط جنات الثمار ؛ فؤادى ومضى ، آيين إلى الحسنى ؛  
 فيسمعهم الصفح ، ويحسبهم المن والمنح .

ولما رأى الخائن قلة من بقي معه ، وشاهد تفرق من ذلك الموقف جمعه أمر  
 برأح من قبضته ويحجته ، واعتقدتم عونا له فكانوا أعون شوى على وتهي ووهنه ،  
 وأحمد الناس في بقية يومهم السور تتوسع ألقابه ، ويخفق أبوابه ؛ إلى أن جنهم

الليل، وحقّ منهم بالأعداء الويل؛ ولزم كلّ مكرّره، ولم يكن الليل ليصجبه من عمله ولا يصحّزه؛ وبات الفرار إلينا يهرون، ومن كلّ فقي يتسرون؛ فلما ارتفع الضياء، ومتّع الضمء، أمرنا ولدينا: يعقوب وعبد الواحد، ووزيرنا القاعدله بالمرأصد، بأن زحفوا إليها، مع أطلاننا تحت راياتنا المنصورة عليها؛ فرجفت قلوبهم، ووجبت جنوبهم؛ ولم يكن إلاّ كلاً حتى أمطيت تلك الصهوة، وتسنمت فيها الذرّوه، وتسلّمت بيد العتوه، وفصمت عراها عروة عرّوه، وأنزلوا من صياصيمهم؛ وتمكّنت يد القهر من نواصيمهم، وحقّت عليهم كلمة العذاب من معاصيمهم؛ وفرا الشقي إلى فناء داره، في قعر من ذويه وأنصاره؛ وفهم ولداه مسعود وعثمان، ووزيره موسى ابن عليّ ميعنه على البغي والعصيان؛ وعبد الحق بن عثمان الخائن العادر، وابن أخيه العامل بعمله ثابت بن طاهر، فتكنّفهم هنالك أولياء دولتنا العلية، فأوردوهم ويوسف ولد الشقيّ السالِب حياض المنيّه، ونبتت بالعرّاء أجسامهم، وتقدّمتا للقيح، بأن يمدّ على الرعيّة ظلّ التامين؛ ويوطأ لم كفّ التهديّة والتسكين، ويوطد لم مهادّ العافية، وتكفّ عنهم الأكلّف العاديه، حتى لا تمتدّ إليهم كفّ متّهب، ولا يلتفت نحوهم طرف مستلب؛ ومن آتتهب شيئاً أمر برّده، وصدّ عن قصده - وكلّ لنا والحمد لله بالاستيلاء على هذا القطر جميع البلاد، الداخلة في ولاية بني عبد الواد؛ وتسيخت منها دولتهم، ونجّحت من صحيفتها دعوتهم؛ وعوض الرّيايا من خوفهم أمنا، ومن شؤمهم يمتنا؛ وتيمّلتهم كلمتنا الراقية، المنصورة بكلمة الله الباقية؛ وفي ذلك معتبر لأهل اليقين، والأرض لله يؤرثها من يشاء من عباده والعاقبة للّٰتقين .

والحمد لله على هذه النعمة التي أفاضت على النّعم جلالاً، والصّنيعه التي بهرت الصنائع بجمالها؛ وأضفت على المسابن من الصّلاح والعافية سربالاً . وقد رأينا من حقّ هذا الإتمام الجسم، والصّنع الرابح الوسيم؛ أن تيسع القو بعد المقدّره،

بالإحسان لمن أسلف لنا غمطه أو شكره ؛ <sup>(١)</sup> [فتنا] على قبائل بني عبد الواد ، وأضفينا عليهم صنوف الملابس نساء ورجالا ، وأوسعنا لهم في العطاء مجالا ، وأقمنا لهم من الجيـء بجالا ، وأقطعنا لهم من بلاد المغرب حاطها الله تعالى ما هو خير من بلادهم ، وحبوناهم منها بما كفل بإحساب مرادهم ، وإخصاب مرادهم ، وخططناهم بقبائل بني مرين ، وحططناهم بالجماد الكلمة من قول المتقولين ، وتزوير المزورين ؛ وأمددنا منهم لأوان الجهاد أوفر عدد ، وأعدنا من قوسانهم ورجالهم لطلعان الأعداء أكبر مدد ؛ وأزِيل عن الرأيا بهذه البلاد الشرقية إضرهم ، وأزيج عنهم بتوتى العدل فيهم جورهم ووزرهم ؛ وخففتنا عنهم ما آد من المغارم ، وهاد من المكارم ؛ فانشرح صدورهم ، وصلحت أمورهم .

والحمد لله الذى تلى محال الباقين ومجالم ، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأخلفهم بما أحققوا من المآثم ، واكتسبوا من الجرائم واستحلوا من المحارم ؛ وأباحوا من المسكرات ، وأذاعوا من المنكرات ، وطالما أصبح ربهم معيد الفسوق ، وموطن العقوق ، ومقطع إضاعة الحقوق ، لاسيما في أيام المسرور بهائيه ، المغرور بما سؤل له الشيطان وأمل له من ترهاته ، المشهور بقتل أبيه ، المأثور من متالبه ومعايه بما لم يأت النفر له بشيه ، ولقد طبقت الآفاق معاصيه ، وبلغت أخبار خيائته من أطراف المعمور وأقاصيه ، ولكن الله تعالى أمل له ليكفر ما يمه ، حتى إذا شاء أخذه أخذ القرى وهى ظالمة .

والحمد لله الذى طهر بأيدينا هذه الأرجاء من أرباصه ، ورحض عنها بأيدينا أوضار أدناسه وأعجاسه ؛ وأطاح لأهلها بهلاك هذا المرید المراد ، وأراح منه ومن شيعته

(١) يرض فى الأصل لهذه الكلمة وقد اقتبسناها من القام .

البلاد والعباد ؛ ولو لم يكن إلا ما نال الجُحَّاجَ من تمَّنيهِ وتمَّنيهِ ، وطالَ عليهم من تَعَرُّضِهِ لمَ وتَصَدِّيهِ ؛ حتى حَجَرَ عن الجِجَارِ الشَّريفِ قُصَّادَهُ ، وحَجَرَ بَقَطْعِ السَّيْلِ عن بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ مَنْ أَرَادَهُ ؛ فَكَمْ سَلَبَ الجُحَّاجُ ، وَسَدَّ طِيْهِمَ المَسَالِكِ وَالْفِجَاجِ ؛ وَفَرَّقَ فَرِيقَهُمْ ، وَعَوَّقَ طَرِيقَهُمْ . وَالآنَ بِمَحْمَدِ اللَّهِ حَقَّتْ الحَقَائِقُ ، وَأَرْتَفَعَتِ العَوَائِقُ ؛ وَنَحَّى العَلِيلَ ، وَوَضَعَ السَّيْلَ ؛ وَتَسَهَّلَ المَرَامُ ، وَتَبَسَّرَ القَصْدُ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ ؛ مَكَانٌ تَرِدُهُ الرُّؤَاةُ عَلَيْكُمْ أَرْسَالًا ، وَوَعْدُ الأَبْرَارِ السَّلَامَ خَفَانًا وَثِقَالًا ؛ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، وَيَقْضُونَ مَا يَقْضُونَ مِنْ مَتَاعِهِمْ ، آمِنِينَ فِي مَسَالِكِهِمْ ، إِلَى البَيْتِ النَّبِيِّ ؛ وَهَكَذَا أَيْضًا خَلَا وَجْهُنَا لِجِهَادِ الرُّومِ ، وَلِإِعْدَادِ مَنْ يَفْزُونَهُمْ فِي عُقْرِ دَارِهِمُ لِلْقَبْضِ المَرُومِ ؛ وَأَنْ نَجِدَّ مِنْ هَذَا الصِّمْلِ بِمِزْرَةِ الأَنْدَلُسِ حِمَاةَ اللَّهِ تَعَالَى مَا لِسَلَفِنَا سَلَفٌ ، وَنَبْدَّ مِنْ شَمْلِ عِبَادِ الصَّلِيبِ مَا لِحَلِيقِهِمْ بِقَبْضِ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ خَلْفٌ ؛ فَمَعْلُ الجِهَادِ ، بِهِذِهِ البلادِ ، هُوَ الفَضِيلَةُ الَّتِي لَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذَنْحَهَا ، وَالْحَسَنَةُ الَّتِي فِي صِهَائِفِ أَعْمَالِنَا سَطَرَهَا ، وَبِجُودِهَا المَنْصُورَةُ عَنْ دِينِ الإسلامِ بِهِذَا المَغْرِبِ الغَرِيبِ ، وَبُسُوفِنَا المَشْكُورَةِ وَلِلَّهِ المَشْكُورُ ذَلِكَ بِهَا الصَّلِيبِ ، أَوْزَعَنَا اللَّهُ تَعَالَى شُكْرَ آيَاتِهِ ، وَأَمْتَعَنَا بِتَوَاتُرِ نِعَمَاتِهِ ، بِمَنَّةٍ وَفَضْلِهِ .

وَأَنبِئْنَا لِعَالِمِكُمُ الكَرِيمِ هَذِهِ الأَنْبَاءَ السَّائِرَةَ ، وَالآلَاءَ النَّازِلَةَ : لِمَا ذَكَّرْتُمْ مِنْ تَشَوُّفِكُمْ لِاسْتِطْلَاعِهَا ، وَسَطَّرْتُمْ مِنْ تَشَوُّفِكُمْ لِاسْتِمَاعِهَا ، وَلِعَالِمِنَا أَنْكُمْ تُسْرُونَ بِقَطْعِ دَابِرِ الْبَاغِينَ ، وَتَسْتَشِيرُونَ بِحَسْمِ أَدْوَاءِ الطَّاعِينَ ؛ وَتُعْزِزُونَ الإِخْبَارَ بِإِثْلَافِ الكَلِمَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الكَافِرِينَ إِنْ بَارَأَ الحَامِدِينَ لِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِظْهَارِ دِينِهِ الشَّائِرِينَ . لِأَنَّا نَزِمْنَا تَشْرِيعَ تَحَوُّمِ البَشَائِرِ ، وَنَحْرَعَ بِذِكْرِكُمُ المَتَابِرِ ، وَتَرَفَّعَ لِاجْتِلَاءِ آثَارِ أَمْرِكُمُ السَّنَابِرِ ،

(١) لم يذكر في الكلام جواب لو، ولكنه سلّم أي تكفى تأمل .

وَأَسِيْلَاءَ أَخْبَارِ سِرِّكُمْ الْبَاهِرَةِ النَّوَظِرِ، وَتَجَمُّعُ لَسَجَايَاكُمْ السَّنِيَّةِ الْعَلَاءِ، وَمَزَايَاكُمْ الْعِلْيَةِ السَّنَاءِ، نَوَاقِبُ الْمَنَاقِبِ وَقَوْلُ خَيْرِ الْمَفَازِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ ، الْأَضْوَعُ الْأَتَمُّ، يُحْصِي إِخْوَانَكُمْ الْأَوْفَى، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

قلت : جواب هذا الخطاب [تتم] في الكلام على المكتبات عن الأبواب السلطانية في المكتبات إلى الملوك .



وهذه نسخة كتاب ورد من أبي الحسن المريني حبيبة الهدايا، والحررة الحاجة في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ونصه بعد الإسملة :

من عبيد الله على أمير المسلمين ، ناصر الدين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، ملك البرين ، مالك العدوتين ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، ملا البرين ، وسُلطان العدوتين ، أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، ملك البرين ، وسُلطان العدوتين ، أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، ملك البرين ، وسُلطان العدوتين ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، منح الله التأييد مقامه ، وفسح لفتح مآقيل الكفر وكسر مجاهيل الصفر أيامه .

إلى السلطان الجليل ، الكبير ، الشهير ، العادل ، الفاضل ، الكامل ، الكافل ، الملك ، الناصر ، المجاهد ، المرابط ، المؤيد ، المنصور ، الأسعد ، الأضعد ، الأوفى ، الأوفى ، الأتجد ، الأتجد ، الأتخم ، الأتخم ، الأوفى ، ناصر الدين ، حاضد كلمة المسلمين ، نجي العدل في العالمين ، فاتح الأمصار ، حائر ملك الأقطار ، مفيد

الأوطار، مُبِيد الكُفَّار، هازم جيوش الأَرَمَن والقرنَج والكرَج والتَّار، خادم الحرمين، فَيْثُ العَفَاء، غَوثُ العَنَاء، مُصَرِّفُ الكَاتِب، مُشْرِفُ المَوَاقِب، ناصر الإسلام، نَاشِرُ الأَعْلَام، نَقَرُ الأَنَام، ذُخْرُ الأَيَّام، قَائِدُ الجُنُود، عَاقِدُ البُنُود، حَافِظُ الثُّغُور، حَاطِطُ الجُمُهور، حَامِيُ كَلِمَةِ المُوَحِّدِينَ، أَبِي المَعَالِي، مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَان، الجَلِيل، الكَبِير، الشَّهِير، الشَّهِيد، الخَطِير، العَادِل، الْفَاضِل، الْكَافِل، الْكَامِل، الْحَافِظ، الْحَافِل، الْمُؤَيَّد، الْمَكْرَم، الْمَبْجَل، الْمَكْبَر، الْمُوقَّر، الْمُعَزَّز، الْمُعَزَّز، الْمُجَاهِد، الْمُرَابِط، الْمُتَغَاوِر، الْأَوَّاحِد، الْأَسْعَد، الْأَصْعَد، الْأَوْفَى، الْأَتَمُّ، الْأَتْقَمُّ، الْمُقَدَّس، الْمَرْحُوم، الْمَلِكُ الْمَنْصُور، سَيِّفُ الدُّنْيَا وَالدِّين، قَاسِمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . أَيْتَى اللهُ مُلْكَا مَوْصُولِ الصَّلَاةِ وَالْإِقْتِدَار، تَحْيَى الْحَوَازَةَ حَامِيَا لِلدِّيَار، حَمِيدُ الْمَآثِرِ الْمَأْثُورَةِ وَالْآثَار، عَزِيزُ الْأَوْلِيَاءِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَالْأَنْصَار .

سَلامٌ كَرِيم، زَاكِي عَمِيم، تُشْرِقُ إِشْرَاقَ النَّهَارِ صَفْعَاتُهُ، وَتَعْبِقُ عَنْ شَذَا الرُّوضِ الْمَطَارُ نَفْعَاتُهُ، يُخَصُّ إِخَاءَهُ كَمِ الْعِلَى، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِي وَسَّعَ الْعِبَادَةَ مَتَا جَسِيماً، وَفَضَّلَا جَزِيلاً، وَالْهَمَّهُمُ الرِّشَادَ بِأَنْ أَبْدَى لَهُمْ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ، عَلَى مِقْدَارِ وَحْدَتِهِ، بُرْهَانًا وَاحِشًا وَدَلِيلًا، وَأَزِمَ أَمَّةَ الْإِسْلَامِ، حُجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، مِنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا؛ وَجَعَلَ تَعْلِيمَ شَعَائِرِهِ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ، وَمَتَابَاتِ حَطِّ الْأَوْزَارِ وَالذُّنُوبِ؛ فَمَا أَجَزَلُ نِعْمَتِهِ مَنِيلاً، وَأَجْمَلُ رَحْمَةِ رَبِّهِ مَنِيلاً؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى مِنْ أَفْضَلِ الْعَرَبِ فَضِيلَةً، فِي أَجْلِ بَقَاعِ الْأَرْضِ فَضِيلَةً، وَأَكْرَمِهَا جَمَلَةً وَتَفْصِيلًا، الْمُجْتَبَى لِنَحْمِ الرِّسَالَةَ، وَحَسَمِ أَدْوَاءِ الضَّلَالَةِ، فَاحْسَبَ اللهُ بِهِ النُّبُوَّةَ تَعْلِيمًا وَالرِّسَالَةَ تَكْمِيلًا، الْمُخْصُوصَ بِالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَالْمَقَامِ الْحَمُودِ، يَوْمَ يَقُولُ الظَّالِمُ (يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ خَلِيلًا) الْمُبِينَا

من دار هجرته ، ومقرّ نصرته ، معلّماين بيته ومبته فيه روضةً من رياض الجنة لم يزل بها نزىلا ، والرضا عن آله الأبرار ، وأصحابه الأخيار ، الذين فضلتهم سابقة السعادة تفضيلا ، وأهلتهم العناية [بأمر الدين إلى أن يؤسّعوا الأحكام ربّها ودليلا ، فإننا نحيط علم الإخاء الأحرار ما كلف من عزّم مولانا الوالدة قدّس الله روحها ، وتقرّ ضريحها ، على أداء فريضة الحجّ الواجبه ، وتوفية مناسكه اللازمة ؛ فاعترض الحسام ، دون ذلك المرام ، وعاق القدر ، عن بلوغ ذلك الوطر ، فكلوى كتابها ، ومجّل إلى مقرّ الرحمة بفضل الله نأبها ، وعلّى الله أجرها ، وعنده يمتسب ذُرْعها ، وإنّ لدينا من توجب إعظامها ، وتعيمها بحكم البرّ مقامها ، وعزّمها إلى ما أمّته مصروف ، وأملها إلى ما كانت أمته موقوف ؛ وهى محلّ والدتنا المكرّمة ، المبرورة ، الأئمة ، الموقرة ، المبجلة ، المفضلة ، المعززة ، المعزرة ، المعظمة ، المطهرة ؛ أسئ الله مكاتبتها ، وسئ من هذا القصد الشريف لبأتها ؛ وقد شيعناها إلى حجّ بيت الله الحرام ، والمثول بحول الله تعالى ماين زمرم والمقام ، والفوز من السلام ، على صريح الرسالة ، ومثابة الجلاله ، يذلّ السؤل والمرام : لتظفر بأملها المرغوب ، وتشرق بعد أداء قرّضها لأكرم الوجوب .

وحين شغص للكم الفرض الكريم ، موكبها ، وخلص إلى قصد الحرم العظيم ، مذهبها ، والكرامة تلحفها ، والسلامة إن شاء الله تكفّنها ؛ أمحبناها من حور دولتنا وأحظيائها ، ووجوه دعوتنا العلية وأوليائها ؛ من اختزاه هذه الوجهة الحميدة الأخرى ، والرحلة السعيدة الورد إن شاء الله تعالى والصدر ، من أعيان بنى سرين أعزّم الله تعالى والعرب ، وأولاد المشايخ أولى الديانة والتقوى المالكين دلاء القرب ، إلى

(١) فى الأصل وأهلتهم العناية الاخاء الخ ولا يضى ما فيه . ولله سقط من لم الشيخ شى . فردا ماين التريمين لاجل انه هو الساقط بل يرتبط الكلام نوع ارتباط تأمل .

قَدَّ الكَرْبَ ؛ وَكُلُّ مَنْ لَهُ أَثَرُهُ مشهوره ، وَشُهُرُهُ بِالْمَزَايَا الرَّاجِحَةِ وَالسَّجَايَا الصَّالِحَةِ  
مَأْثُورُهُ ؛ وَقَصْدُهُمْ مِنْ أَدَاءِ فَرِيضِ الْحَجِّ قَصْدُهَا ، وَوَرْدُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ  
مَنْهَلِ بَرَكَاتِهِ الْجَمَّةِ وَرَدُّهَا ؛ وَهَكَذَا سِيرَتُنَا مِنْ تَحْفِيفِ هَذِهِ الْبِلَادِ إِلَيْكُمْ مَا تيسَّرُ فِي الْوَقْتِ  
تَسِيرُهُ ، وَإِنْ تَعَلَّزْ فِي كَثِيرٍ مِمَّا قَصَدْنَاهُ وَلِهَذَا الْفَرِيضُ أَرْدَنَاهُ تَسِيرُهُ ، لَطُولِ الْمَيْسَبِ  
عَنِ الْحَضَرِ ، وَالشُّغْلُ بِتَهْيِيدِ الْبِلَادِ الَّتِي قَصَدَهَا اللَّهُ طِينًا فِي هَذِهِ السَّفَرِ ؛ وَعَيْنًا  
لِإِرَادَةِ لَدَيْكُمْ ، وَإِفَادَةِ عَلَيْكُمْ ؛ أَبَا إِصْحَاقَ ابْنَ الشَّيْخِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنَ حِثَّانَ  
السُّوَيْدِيَّ ؛ وَامِيرَ الرِّكَبِ الْحَسَنَ بْنَ عِمْرَانَ وَغَيْرَهُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ سَلَامَتَهُمْ ، وَيَمِّنْ  
ظَعْنَهُمْ وَإِقَامَتَهُمْ . وَبِقَامِ ذَلِكَ الْإِخَاءِ الْكَرِيمِ يُسَنِّى لَمْ مِنْ الْيُسْرَى وَالتَّسْهِيلِ الْقَصْدَ  
وَالسُّوْلَ ، وَيَأْمُرُ ثَوَابَ مَالَهُ مِنَ الْمَالِكِ ، وَقَوَامَ مَا بَيْنَ مِنَ الْمَسَالِكِ ، لَتُكْمَلَ الْعَنَاءُ بِهِمْ  
فِي الْمَرِّ وَالْقُفُولِ . وَبِقَامِ قَصْدِنَا مِنْ هَذِهِ الْوِجْهَةِ الْمُبَارَكَةِ لِإِصَالِ الْمُصْحَفِ الْعَزِيزِ  
الَّذِي خَطَطْنَاهُ بِيَدِنَا ، وَجَعَلْنَاهُ ذَخِيرَةً يَوْمِنَا لِنَدِيءَ إِلَى مَسْجِدِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ، وَعَصْمَةِ  
دِينِنَا وَدُنْيَانَا ؛ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْنِيَّةً زَادَهَا اللَّهُ تَشْرِيفًا ، وَأَبْقَى عَلَى  
الْأَيَّامِ نَحْرَهَا مُنِيفًا ، رَغْبَةً فِي الثَّوَابِ ، وَحِرْصًا عَلَى الْقَوْزِ بِحَقِّهِ مِنْ أَجْرِ التَّلَاوَةِ فِيهِ  
يَوْمَ الْمَلَأَ .

وَقَدْ عَيَّنَّا بِيَدِ مَحَلِّ الْوَالِدَةِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ ، كَرَّمَ اللَّهُ جَبَّهَتَهَا ، وَيَمِّنْ وَجْهَتَهَا ، مِنْ  
الْمَسَالِ مَا يُتَسَرَّى بِهِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْمُحَوَّلَةِ مِنَ الْمَسْتَقَلَّتِ مَا يَكُونُ وَقْفًا عَلَى الْقِرَاءَةِ  
فِيهِ ، مُؤَبَّدًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ فَوَائِدُهُ وَجَنَائِيهِ . وَالْإِخَاءَ الْكَرِيمِ يَتَلَقَّى  
مِنَ الرُّسُلِ الْمَذْكُورِينَ مَا إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْأَغْرَاضِ أَلْقِيَانَهُ [وَيَأْمُرُ] بِاحْضَارِهِمْ لِأَنَابَتِهِمْ  
بِالْمَشَافَهَةِ مَا لَدَيْهِمْ أَوْعِيَانَهُ ، وَبُوعِزَ بِإِعَاتِهِمْ عَلَى هَذَا الْفَرِيضِ الْمَطْلُوبِ ، وَيُسَرِّسْ لَهُمْ  
أَسْبَابَ التَّوَصُّلِ إِلَى الْأَمَلِ وَالْمَرْغُوبِ ، وَشَأْنَهُ الْمَوْئِلَ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَلَا سِيَّمَا



ما كان من أمثال هذا إلى مثل هذه السُّبُل الواضحة، وشكراً أدراككم موطنه الأساس،  
مطَّرد القياس، متجدد مع المحطات والأفاس؛ والله يصل للاخاء على نُصرة أيامه،  
ويوالى نُصرة أعلامه؛ ويبقى الثغور القصية، والسُّبُل السَّرية، بنوطة بقضه  
وإبرامه، محوطة بمعاودة أسيافه وأقلامه، والسلام الكرم العميم، يخص إخوانكم  
الأحرار، ورحمة الله وبركاته - وكتب في يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين  
من ربيع الأول عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة .



وهذه نسخة كتاب عن السلطان عثمان بن أبي العباس المُرَينِّي، في العشر الأوسط<sup>(١)</sup>  
من شعبان سنة أربع وثمانمائة، وهو :

من عيادته وولَّيه : عثمان أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، سلطان  
الإسلام والمسلمين، ناشر بساط العدل في العالمين، المقتدى بآثار آبائه الكرام،  
المقتنى سننهم الحميدة في نُصرة الإسلام، المعمل نفسه العزيزة في التَّهَم بما قلَّده  
الله من أمور عبادته، وحيطة ثنوره وإلاده، سيف الله المسلول على أعدائه، المنتشر  
صدله على أقطار المعمور وأمخائه، ظل الله تعالى في أرضه، القائم بسُنَّته وفرضه،  
عماد الدنيا والدين، حلم الأئمة المهتدين، ابن مولانا السلطان المظفر القان الخليفة  
الإمام، ملك الملوك الأعلام، فاتح البلدان والأقطار، مهَّد الأقاليم والأصهار، جامع  
أشتات الحمائد، ملجأ الصادِر والوارد، الملك الجواد، الذي حلَّت محبته في الصُّور  
محلَّ الأرواح في الأجساد؛ أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين؛ أبي العباس  
ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سالم، ابن مولانا

(١) جرى على طريقة بعض النعاة وإن كان الأكثر أنه يقال العشر الوسطى أو الوسط .

أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي الحسن، ابن مولانا أمير المسلمين،  
المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سعيد، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل  
رب العالمين، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وصل الله تعالى أسباب تأييده  
وعضديه، وقضى باتصال عرف نجد سعيه، وأتاه من جميل صنعه ما يتكفل  
بتيسير أمره وبلوغ قصده .

إلى محل أخينا الذي نُؤثِرُ حق إخائه الكريم، ونُثْنِي على سلطانه السعيد ثناء الولي  
الحليم، ونشكر ماله فينا من الحب السليم، والود الثابت المقيم، السلطان الجليل،  
المجاهد الأصيل، الآخر المظلي الميثل، الشهير الأجد الأرفع، الهام الأمتع،  
السري الأرضي، المجاهد الأمضي، الأوحِد الأسمى، المكين الأتمى، خديم  
الحرمين الشريفين، حائر الفخرين المنيقين، ناصر الدنيا والدين، محي العدل  
في العالمين، الأجد، الأود، المكين، الأخلص، الأفضل، الأكل، أبي السعادات  
فرج، ابن السلطان الجليل، الآخر الميثل، المظلي الأصيل، الأرفع، الأجد،  
الشهير، الهام، الأوحِد، الأسمى، الأسرى، الأرضي، المجاهد، الأمضي، خديم  
الحرمين الشريفين، حائر الفخرين المنيقين، الأفضل، الأكل، المبرور، المقدم،  
المرحوم، أبي سعيد (برقوق) بن أنص، وصل الله تعالى لسلطانه المؤيد جدًا  
لا يُسَجَّم عوده، وعِزًّا لا يَمِيلُ عموه، ونصرًا يملأ قطره بما ينص به حسوده،  
وعَضْدًا يأخذ بزمام أمليه السنِّي فهووفه ويُقوِّده .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله على سُبُوغ نعمائه، وتراذف لطفه وآلائه، الذي عرَّفنا من ولآئكم  
الكريم ما سرنا من أطراد آجئاته، وأبجج النفوس والاشماعات من صفاء ولآئه،

ومواصله صَفَاتِهِ ، والصلاة والسلام الأكلين على سيدنا ومولانا محمد خاتم رُسُلِهِ  
وأَنْبِيَائِهِ ، ومبَلِّغ رسالَتِهِ وَأَنْبِيَاءِهِ ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، واللواء  
المعقود ، فأَكْرِم بِمَقَامِهِ وَحَوْضِهِ وَلِوَانِهِ ؛ والرضا عن آلِهِ وصحبهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، الذين  
هم للَّذِينَ بنور أَهْنَدَائِهِ وَنُجُومِ أَقْنَدَائِهِ ؛ وصلة الدعاء لمقامكم الكريم بآبَاءِ عَزِّهِ  
وَأَعْلَانِهِ ، وأَقْبِيَالِ النُصْرِ المَبَالِغِ فِي أَحْفَالِهِ وَأَحْفَاتِهِ ، وَجَاوِظَةِ انْعَمَائِهِ وَأَرْجَائِهِ ،  
وَأَتَائِهِ عَزَمَاتِهِ وَأَرَاتِهِ .

فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ سَعْدًا سَافِرًا ، وَعَزَمًا ظَافِرًا ، من حضرتنا العلية  
بالمدينة البيضاء كَلَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى وَحَرَّمَهَا ، وَنِعْمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَدَيْنَا وَكَفَّةُ السَّجَالِ ،  
وَوَلَاؤُهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَا بَعَثَ الْأَذْيَالِ ، وَخَلَّافَكُمْ الَّتِي نَزَعْنَا بَيْنَ الرُّجُوزَيْنِيَّاهُ ، وَقَتْنَيْنِي .  
فِي كُلِّ مَقْبَعَةٍ كَرِيمَةٍ مِيزَهَا الْحَمِيدَةُ وَتَلَاهِبَهَا - وَإِلَى هَذَا وَصَلَّ اللَّهُ سَعْدُكُمْ وَوَالِي  
عَضْدَكُمْ ، وَكَتَبْنَا هَذَا يُقَرَّرُ لَكُمْ مِنْ وِدَادِنَا مَا شَاعَ وَذَاعَ ، وَوَقَدْ كُنَّا مِنْ إِخْلَاصِنَا  
إِلَيْكُمْ مَا تَحَدَّثْتُ بِهِ السَّمَاءُ فُتُوِجِهِ جَمِيعِ الْأَسْمَاعِ ؛ وَقَدْ كَانَ آتِيهِ الْإِنْسَانُ حَرَكَةً  
حَدَّثُوا اللَّهَ وَصَدَّقُوا الْإِسْلَامَ ، الْبَاغِي بِالْأَجْتِرَاءِ عَلَى عِبَادِهِ سُبْحَانَهُ بِالْبُؤْسِ وَالْإِفْطَامِ ،  
الْأَخِذِ فِيهِمْ بِالْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، السَّاعِي بِمُجْهَدِهِ فِي تَهْدِيمِ الْحُصُونِ وَتَحْرِيبِ الْبِلَادِ ،  
وَتَعَرُّفُنَا أَنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ أَمْلَهُ الْخَلَّابَ بِالْوُصُولِ إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِكُمُ الْمَصْرِية ، وَأَتَهَازِ  
الْقُرُوسَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ خِلَافَتِكُمُ الْعَلِيَّة ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَى بِفَضْلِهِ شَرَّهُ ، وَدَفَعَ  
بِقِيَمَتِهِ وَضَرَّهُ ، وَأَنْصَرَفَ نَاكِصًا عَلَى عَقْبِهِ ، خَاطِبًا مِنْ نَيْلِ أَرِيدِهِ . وَلَقَدْ كُنَّا حِينَ سَمِعْنَا  
بُسُوءَ رَأْيِهِ الَّذِي ظَلَمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ وَمَا أَضْمَرَ خَلْقِي اللَّهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يَمِيزُهُ فِي أَنْحَاءِ  
ظُلْمِهِ لَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ [عَزَمْنَا عَلَى] أَنْ يُمِدَّكُمْ مِنْ عَسَاكِرِنَا الْمُنْفَرَةِ بِمَا يَضِيقُ عَنْهُ  
الْعُضَا ، وَنُجَهِزَ لِيُجَاهِدَكُمْ مِنْ أَسَاطِينِنَا الْمَنْصُورَةِ مَا يُتَّحَدُّ فِي إِعْدَادِ الْمُنَاصَرَةِ وَيُرْتَضَى ؛

فالمجد لله على أن كفى المؤمنين القتال ، وأذهب عنهم الأوجال ، وسر لهم الأعمال ،  
وعياً لخلاصكم السيئة وللسلمين ، هناءً يتضمن السلامة لكم ولهم على تعاقيب الأعداء  
والسنيين .

وبحسب ما لنا فيكم من الود الذي أسست المصافاة بنبأته ، والحُب الذي أوصح  
الإخلاص برهانه ، وقع تحيُّرنا فيمن يتوجه من بابنا الكريم لفصيل مجمله ، وتقرير  
مالدينا فيه على أتم وجه الاعتقاد وأكمله ؛ على الشيخ ، الأجل ، الشريف ، المبارك ،  
الأصيل ، الأسنى ، الحظي ، الأعز ، الحاج ، المبرور ، الأمين ، الأحفل ، الأفضل ،  
الأكل ؛ أبي عبد الله محمد ، ابن الشيخ الأجل ، الأعز ، الأسنى ، الأوجه ، الأقوه ،  
الأرفع ، الأجد ، الآخر ، الأزهى ، الشريف ، الأصيل ، المعظم المثيل ، الأنهر ،  
الأخضر ، الأمتل ، الأجل ، الأفضل ، الأكل ، المرضى ، المقدس ، المرحوم  
أبي عبد الله محمد ، بن أبي القاسم ، ابن نفيس الحسنى العراقى ، وصل الله تعالى  
سعادتته ، وأحمد على حضرتكم السنية رفاذته ، حسب ما يغى بشرح ما حملناه نقله ،  
ويكمل بايضاحه لديكم يقظته وبُله ، إن شاء الله تعالى ، وهو سبحانه وتعالى يُديم  
سعادتكم ، ويحفظ مجادتك ، ويُسنى من كل خير إرادتكم ، والسلام عليكم ورحمة  
الله وبركاته .

### الجملة الرابعة

(في عادة الكتب الواردة عن صاحب الأندلس)

والرسم في ذلك أن يُكتب «الأبواب الشريفة» ويصفها ، ثم يقول : «أبواب  
السلطان الدلائى» ويصفه ، ويذكر ألقابه ، ثم يدعوله ، ثم يقول : «سلام كريم»  
ويصفه . من فلان ، ويذكر السلطان المكتوب عنه ، ثم يقول : أما بعد حمد الله ،

ويأتى مُجْطَبَةً في المعنى تشتمل على التعميد، والتصلة على النبي صلى الله عليه وسلم،  
والرضا عن الصحابة رضى الله عنهم؛ ثم يقول: فإنا كتبنا اليكم، ويأتى على مايناسب  
المقام، ثم يخرط في سلك المقصود إلى آخره ويختم بالدعاء.

وهذه نسخة كتاب كُتِبَ به عن أمير المسلمين السلطان أبى عبد الله محمد بن  
أبى الحجاج يوسف بن نصير بن الأحمر، صاحب غرناطة — من الأندلس،  
إلى السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون،  
إنشاء الوزير أبى عبد الله بن الخطيب، صاحب ديوان إنشائه، يشير فيه إلى حادثة  
الفرج بالإسكندرية، الواقعة في سنة سبع وستين وسبعمائة، إلا أنه وهم في لقبه  
الملوكي فلقبه المنصور. وهي:

الأبواب الشريفة التي تعول لمة قدرها الأبواب، وتعتري إلى تسب علقها  
الحكمة والصواب؛ وتنديها الأقطار البعيدة مفتخرة بولائها، واصله السبب بعلاها،  
فيصُدُّر بما يشفي الجوى منها الجواب؛ فإذا حسن متاب عن أمة الهدى، وسباق  
المدى، كان منها عن عمومة النبوة الثواب؛ وإناضفت على العفا بغيرها أثواب  
المصلات، صفت منها على الكعبة المقدسة الأثواب — أبواب السلطان الكبير،  
الجليل الشهير، الطاهر، الظاهر، الأوحى، الأسعد، الأصعد، الأجد، الأعلى،  
العادل، العالم، العادل، الكامل، الفاضل، الكافل، سلطان الإسلام والمسلمين،  
رافع ظلال العدل على العالمين، جمال الإسلام، حليم الأعلام، نفع اليبالي والأيام،  
ملك البرين والبحرين، إمام الحرمين، مؤيد الأمصار والأقطار، وطاصب تاج  
القبَّار، هزيم القرَّج والترك والتار، الملك المنصور أبى الفتوح شعبان، ابن الأمير،

الرفيع المجتهد ، الكريم البتوة والولادة ، الطاهر الظاهر ، الكبير ، الشهير ، المعظم ،  
 المجيد ، الاسمي ، الموقر ، الأجل ، نحر الملة ، سيف الأمة ، تاج الإمارة ، عز  
 الإسلام ، جمال الأيام ، قمر الميادين ، أسد أجمه الدين ، تمام الطغاة والمعتدين ،  
 المقدس ، المظفر ، الأمير أبي علي - حسين ، ابن السلطان الكبير ، الشهير ،  
 ملك الإسلام والمسلمين ، والد السلاطين ، [ سيف خلافة الله في العالمين ، ولي  
 أمير المؤمنين ، وظهير الدين ] سلطان الحج والجهاد ، وكلي الخرم الأيمن ،  
 قايح المعتدين ، قاهر انتوارج والمتمردين ، ناصر السنة ، حيي الله ، ملك البرين  
 والبحرين ، مقيم رسوم الحرمين الشريفين ، العادل ، العالم ، العامل ، الطاهر ،  
 الظاهر ، الأسعد ، الأصعد ، الأوحده ، الأجل ، المنصور ، المؤيد المعان ، المرفع ،  
 المعظم ، المبجل ، المؤمل ، المجاهد ، المرابط ، الغازي ، أبي عبد الله محمد بن قلاوون ،  
 الصالح - أبقاه الله ، وفق الصباح يشهد بكاله ، وخدمة الحرمين الشريفين طراز  
 منتهب على حلة أعماله ، ومسورات الإسلام ، آمنة على طول الأيام ، من إهماله ،  
 ولا زال ركا للدين الحنيف ، تراحم على مستلمه الشريف ، شفاء أماله .

سلام كريم ، برعميم ، كما استودعت الرياض أسرارها ، صدر النسيم ، وأرسلت  
 مطالع الفجر أنهارها ، من بحر الصباح الوسيم ، يسرى من الطيب ، والحمد المطيل  
 المطيب ، في الصوان الكريم ، ووقف موقف الأدب والفهامه ، بما استحفِظ  
 من الأمانة إلى محل الإمامه ، وقوف الحفيظ العليم ، يتمد مشارع تلك الأبواب  
 الشارعة إلى الفضل العليم ، المقابلة لإنمام وسائل الإسلام بالصدر المشروح ، والبر  
 المنوح ، والقلب السليم - من معظم سلطانه ، ومجل شأنه ، المفتخر بالانتظام في سلك

خُصَّاهُ ، أمير المسلمين بالأندلس ، عبد الله الغالب بالله ، محمد بن يوسف بن إسماعيل  
ابن فرج بن نصر ، بلغه الله من رضاه أفعلى سوله ، وأعانه على جهاد صلواته  
وعُدَّ رسولُه .

أما بعد حمد الله جاعل قِلادة الإسلام ، على الدوام ، أمانة من الإخرام ، والإنتثار ،  
مفصلة النظام ، بجزر المآثر العظام ، والآثار . معزف أهلها ، في حزن البسيطة وسهلا  
عوارف المنع المثار ، وإقالة العثار . القوي العزيز الذي لا يغالِبُ قدره بالإحتشاد  
والاستيثار ، ولا يبدل غيبه المحجوب ، بعد ما عين حكمة الوجوب ، في خرائن  
الاستثثار ، حتى تظهر خبيثة عيائته بأوليائه ، المعترفين بالآله ، بادية للأبصار ، فيما  
قرب وبعد من الأعصار ، ورحمته عند الاستغاثه به والإكتصار ، في مخلف الإهطار  
والأمصار . الولي الذي لا تُكدر هبات فضله شروط الإختصار ، ولا تسين حُطَب  
حمده ضرائر الإختصار والإختصار .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله نعمة الاكوان ، وسر الدهور والأزمان ،  
وفائدة الأدوار . نور الله التميز باختصاصه ، وأستصفاته واستخلاصه ، قبل خلق  
القلل والآوار . ورحمته الوارفة الشاملة ، الهامية الهائلة ، على المضاب والوعاد  
والفجاء والأغوار . أقرب عوالم الشهادة والخلق ، إلى حضرة الحق ، على تعدد الرتب  
وتفاضل الأطوار . معيذ الناس من البوار ، ومبشِّرهم من جوار الله خير الحوار .  
نبي الرحمة والجهاد والفيوار . المنصور على الأحزاب عند ما استنداروا بمشوى نبوته على  
الأطم والأشوار دور السوار . الواحد عن ربه بظهور دينه الحق على الأديان فهما  
أوقدوا نار الحرب تكفل الله لهم بإطفاء النار وإخماد الأوار .

والرضا عن آله وأصحابه حمة النمار ، ومقتضي الفمار ، وبإثلي كرائم الأموال من  
دونه ونفائس الأعمار ، القائم في سماء ملته للاهتداء بسنتهم ، والإقتداء بسنتهم ،

مَقَامَ النجومِ المادية والأقمار، ماصَقَلَتْ مَدَاوِسُ النِّسَمِ سُيُوفَ الأَنهارِ، وَتَجَلَّ  
الْوَرْدُ مِنْ تَبَسُّمِ البَّهَارِ، وَفَازَلَتْ عَيُونُ زَهَرِ المَثَرَةِ عُيُونَ الأَزْهَارِ، وَطَرَدَ أَدْهَمُ اللَّيْلِ  
أَشْهَبَ النَّهَارِ.

والشَّعَاءُ لَتَلِكِ الأبوابِ، المتعددةِ الحِجَابِ، المعوَّدةِ بِاجْتِلَاءِ غُرْدِ المُنْتَوَحِ، والمَطَالَعِ  
المشيَّدةِ الصَّصَانِ عَلَى العُزِّ المُنْتَوَحِ، والأَوَاوِينِ، المؤيَّدةِ الدَّوَاوِينِ، بالمَلَائِكَةِ والرُّوحِ،  
بِإِعْلَاءِ المَظَاهِرِ والشُّرُوحِ، وَإِنَارَةِ اللهِ تَعَالَى بِإِهْلَةِ تِلْكَ الشُّرُوحِ سَاحَاتِ تِلْكَ  
الشُّرُوحِ، وَلَا زَالَتْ أَقْلَامُ بَشَائِرِهَا تَاقِي عَلَى سُورَةِ الفَتْحِ بِأَكْلِ الشُّرُوحِ.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ لِمَتَابَتِكُمُ السَّاطِنِيَّةِ دَارِ العِزِّ الأَحْمَى، وَالْمُلْكِ الأَشْرَفِ الأَسْمَى،  
وَالصَّبِيَّةِ البَعِيدِ التَّوْحَى، كَتَبَ اللهُ لَهَا مِنْ عِتَابَتِهِ - وَقَدْ فَعَلَ - أَوْفَرَ مَقَاسِمِ النُّعْمَى،  
وَيَجْعَلُ غَيْثَ نَوَايَا الأَهْمَى، وَحَظَّ جَلَالَهَا مِنْ اللهِ الأَعْمَى، وَدَامَتْ كَوَاكِبُ سُودِهَا  
تَمَزُّقِي جَلَالِيبِ الظُّلُمَا، وَأَخْبَارَ بِأَسْهَا وَجُودِهَا، وَسَعَادَةِ وَجُودِهَا، تُهْنِئُهَا عَلَى البُعْدِ  
رُكَّابُ الدَّامَا، وَتَرْفِرُفُ بِرِيَّاحِ آرْتِيَا حَهَا أَجْنَعَةُ بَنَاتِ المَا، مِنْ مَتَزَلْنَا المَحْبُورِ،  
بِسَعَادَةِ سُلْطَانِكُمُ المَنْصُورِ، وَنِزْوِي عَدْوَهُ المَنْحُورِ، بِمَحْرَاءِ غُرْمَا طَةِ: دَارِ مَلِكِ الجِهَادِ  
بِجِزِيرَةِ ثَمَرِ الأَنْدَلُسِ، وَآلَى اللهُ عَنْهَا الدِّفَاعِ، وَأَنَارَ بِمَشْكَاةِ نُورِهِ الَّذِي وَصَدَ بِتَامَاهِ  
الأَعْلَامِ مِنْهَا وَالأَيْفَاعِ، وَوَصَلَ لَهَا بِشَرْفِ غَاطِبَتِكُمُ الأَرْضَاعِ وَالأَيْفَاعِ، حَتَّى تَشْفَعَ  
بِتَهَانِيكُمُ الأَوْتَارَ وَتُوقِرَ الأَنْفُسَاعِ، وَآلَاءُ اللهِ لَدُنَّيْنَا، بِنِعْمَةِ دِينِ الإسلامِ عَلَيْنَا،  
قَدْ أَتَجَلَّتِ اللِّسَانُ الشُّكُورِ، وَإِنْ أَسْتَفْغَدْتَ الرُّوَّاحَ وَالبُكُورِ، وَالثَّقَّةُ باللهِ فِي هَذَا  
الشُّعْرِ القَرِيبِ قَدْ كَثُرَتْ المَدَدُ المَتَّوَرِ، وَالحَقُّ الصَّرِيحُ قَدْ كَافَعَ الزُّفْرَ، وَالتَّوَلُّطُ عَلَى  
الشَّهَادَةِ قَدْ شَرَحَ الصُّدُورِ، وَأَقْطَعَ فِي الجَنَّةِ المَنَازِلَ وَالدُّورِ، وَالمَعْرِفَةُ بِمَقَامِ تِلْكَ  
الأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ حَقِيقَةً لِأَتَبْدُلَ، وَأَدْوَا حَ عَلَانِهَا حَامِئُ المَحْمَدِ بِهَا تَهْدِيلُ، وَمَحَافِلُ



شأنها تَرَائِكُمْ فِي سَمَائِهَا الْآلُوهَ وَالْمَنْدَلُ؛ [وَالْحُلُّ مَا عَلِمَ : بِمُزَانِرِ الْأَوَاجِ ، وَعَدُوُّ  
وَأَفْرِ الْأَفْوَاجِ] وَحَرَمٌ لَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ مَقْتَحَمُ السَّيَاحِ ؛ وَجِيَادٌ صَغَرَتْهَا مُصَابِرَةُ الْهِبَاجِ ،  
وَدَاءٌ عَلَى الْآيَامِ مَتَوَقِّعُ الْإِهْتِاجِ ، وَتَعَدُّ إِلَى الْإِصْرَاحِ وَالْإِمْجَادِ عَظِيمُ الْإِحْتِاجِ ؛  
فَالنُّفُوسُ إِلَى اللَّهِ تُجَهِّزُ وَتُسَلِّمُ ، وَالصَّبِيَانُ فِي الْمَكَاتِبِ تُكْرَبُ عَلَى مَوَاقِفِ الشَّهَادَةِ  
وَتُعَلَّمُ ، وَالْأَلْسِنَةُ بِغَيْرِ شِعَارِ الْإِسْلَامِ لَا تَسْتَبِيسُ غَالِبًا وَلَا نُنْكَمُ ، إِلَّا أَنَّ عَادَةَ الْخَلِيدِ  
الْأَطْلُفِ ، تَخْفِيفُ الثَّغْرِ الْمُطِيفِ ، وَنَصْرُ الثَّرِّ الضَّعِيفِ ، عَلَى عَدَدِ التَّضْعِيفِ ؛  
وَالْحَالُ تُرْجَى بَيْنَ الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ ، وَالْمُكَالَمَةِ وَالْكَلَمِ ، وَتَأْمِيلِ الْجَبْرِ ، وَارْتِهَابِ عَاقِبَةِ  
الصَّبْرِ ، عَلَى حِمَاةِ الدَّبْرِ .

وَاللّٰهُ هَذَا فَلَمَّا اتَّصَلَ بِنَا مَارَامَتِ الرُّومِ مِنَ الْمَكِيدَةِ الَّتِي كَانَ دِفَاعُ اللَّهِ مِنْ دُونِهَا  
سَدًّا ، وَالْمَلَائِكَةُ جُنْدًا ، وَالْعِصْمَةُ سُورًا ، وَالرُّوحُ الْأَمِينُ مَدَدًا مَنْصُورًا ، وَأَنَّا  
اسْتَفْدَيْتِ الرُّوسُ فِي أَحْتِشَادِهَا ، حَتَّى ضَاقَتِ الْمَجْعُ عَنْ أَغْوَادِهَا ، وَبَلَغَتِ الْمَجْهُودَ  
فِي اسْتِفْدَائِهَا ، حَتَّى غَصَّ كَافِرُ الْبَحْرِ بِكُفَّارِهَا ، يَصْبِحُ بِهِمُ التَّالِبُ ، وَيَكْمُرُهُمُ  
الصَّبِيبُ ، وَقَدْ سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ يَكَادِفُ قَفَرِ الْإِسْكَانَةِ نَجْمًا صُدُورِهِمْ ، وَمَرَمَى  
أَمَالِ غُرُورِهِمْ ، وَخُحْمٌ قَدِيمُهُمْ ، وَمَتَعَلٌّ غَرِيمُهُمْ ، لِيَرْتَمُوا قَفَرِ الْإِسْلَامِ بِصَلَمَتِهَا ،  
وَيَقُودُوا جَنَائِبَ السَّاحِلِ فِي رَمَتِهَا ، وَيَرْفَعُوا عَنْ دِينِهِمُ الْمَعْرَةَ ، وَيَتَلَقَّوْا فِي الْقُدْسِ  
كَوْنَةَ الْكَتْرَةِ ؛ وَيَقْلَصُوا مَا أَمْتَدَّ مِنْ ظِلَالِ الْإِسْلَامِ ؛ وَيَشِيمُوا سُيُوفَ التَّغْلِبِ عَلَى  
الشَّامِ ؛ وَيُحْمَلُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ عَهْدِ أَوْزَارِهِمْ ، وَتُجَهِّمُ وَمَزَارِهِمْ ، وَيَبْتَ دِينَهُمُ  
الَّذِي يَقْصِدُونَهُ مِنْ كُلِّ لُجٍّ عَمِيقٍ ، وَيَرْكَبُونَ إِلَيْهِ نَهْجَ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَقَبْرِ نَبِيِّهِمُ الَّذِي  
يُعَاطِفُونَ زِيَارَتَهُ مِنَ الشَّرْقِ كُلِّ حَرِيقٍ ، وَيَكْمُلُونَ الْخُفْرَ بِمُشَاهَدَةِ آثَارِهِ عَنْ بُكَاءِ

(١) الزيادة من الرحمة وهي لازمة كما لا يخفى .

(٢) شام السيف عنده واسمه ضد . والمراد هنا المعنى الثاني كما لا يخفى .

وتسبيح، وشوق بذلك الحبيب خَلِيق . وقَطَعُوا جَبَلَ الْمَسْلُومِينَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَلُوغٌ  
فَرِيقٌ وَلَا غَرَضٌ تَشْرِيقٌ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ، وَيَدَاهُم مُمِشِطٌ ، وَبِعِبَادِهِ  
بَصِيرٌ ، وَلِدِينِهِ الْحَقُّ وَلِيُّ وَنَصِيرٌ ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ  
لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ . فَا هُوَ إِلَّا أَنْ صَمَّا جَرَادُهُمْ ، وَخَلَصَ  
إِلَيْهَا مُرَادُهُمْ ، وَفَاضَ عَلَيْهِمْ بَحْرُهُمْ ، وَعَظَمَ مِنْ الْمَحَاوِلَةِ أَمْرُهُمْ ، حَتَّى أَشْتَرَكَ الشَّرَكَ  
بَعْضُ أَسْوَارِهَا ، وَنَالَ النَّهْبُ مَسْتَطَرَفَ دِيَارِهَا ، وَظَنَّتْ أَنَّهَا الْوَهْيَةُ الَّتِي لَا تَرْتَقِعُ ،  
وَالْمُصِيبَةُ الَّتِي قَلَّتْهَا لِاتَّقِعُ ، وَأَشْتَمَلَ الْبَاسُ ، وَذُهِرَ النَّاسُ ، وَأَرَى الشَّدَّةَ مِنْ  
تَدَارِكِ الْفَرَجِ ، وَأَعَادَ إِلَى السَّعَةِ مِنَ الْحَرَجِ ، وَأَثْنَا رِيحَ النَّصْرِ حَاطِرَةَ الْأَرْجِ ، وَنَصَرَ  
حَزْبَ الْإِسْلَامِ مَنْ لَا ظَالِمَ لِمَنْ يَنْصُرُهُ ، وَحَصَرَ الْعَدُوَّ مَنْ كَانَ الْعَدُوُّ يَحْصُرُهُ ، وَظَهَرَ  
الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَالْحَالِي بِزِينَةِ اللَّهِ عَلَى الْعَاطِلِ ، فَفَرَجَ الْعَدُوُّ الْخَاسِرَ عَمَّا حَازَهُ  
وَالسِّيُوفُ تَرَهُّفُهُ حَيْثُ تَلَفِيهِ ، وَالسَّهَامُ تَنْجِيهِ ، وَغَرَمَاءُ كَرَّةِ الْإِسْلَامِ تَسْتَقْصِي  
مِنْهُ دَيْتَهَا وَتُسْتَوْفِيهِ ، وَالْخَزْيُ قَدْ جَلَّ سِبَالَهُ الصَّهْبُ ، وَحَتَاءُ الدِّمَاءِ قَدْ خَضَبَتْ  
مَشِيخَتَهُ الثُّمْبُ ، وَالْعَلَبُ قَدْ أَخْضَعَ رِقَابَهُ الثَّلَبُ ، فَكَمْ مِنْ غَرِيقٍ أَرْدَتْهُ دُرُوعُهُ ،  
لَمَّا حُسِيَ بِالرُّوعِ رُوعُهُ ، وَطَعِمَ نَظْمَتِ السَّهَرِيِّ ضُلُوعُهُ ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَأَقْلَبُوا  
صَافِرِينَ ، وَأَحَقَّ اللَّهُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَقَطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ، وَ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ  
ظَلَمَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَا ذِئِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ . فَأَيُّ رَحْمَةٍ مَنْشُورَةٍ صَفَّتْ عَلَى  
الْإِسْلَامِ ظِلَامُهَا ، وَخِطَّةُ نَمَةِ الْأَسْعِ نَطَاقُهَا وَرَحْبُ جَمَالُهَا ، وَجَمَلِي صَبِيغَةُ رَاقِ  
عِيُونِ الْمُؤْمِنِينَ جَمَالُهَا ، فَاهْتَرَّتْ بِهَا الْأَرْضُ وَرَبَّتْ ، وَتَسْكُرُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَهْرَيْتْ ،  
وَأَسْتَبَشَّرَتِ الثُّغُوسُ ، وَذَهَبَ الْبُوسُ ، وَصَفَا بِمَنَّةِ اللَّهِ اللَّبُوسُ ، وَظَهَرَتْ عَنَائَةُ اللَّهِ  
بِقَامِكُمْ ، وَإِقَالَةُ عَثَرَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَيَّامِكُمْ ، فَا كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِيُضَيِّعَ لَكُمْ خِدْمَةَ

الحرمين، وإنها لتوسيلة الكبرى، والذريعة إلى سعادة الدنيا والأخرى؛ وهى  
عهدة الله التى يصونها من كل احتضام، وقلاذته التى ما كان يتركها بغير نظام .  
وكان من لطائف هذا الفتح الذى أجزل البشرى، وأوسع أعلام الإسلام نشرًا،  
ورؤده بعد أن شفيبت العلة، ونصرت الملة، وبعد أن جفا الدهر ونجافى، وطدئ  
ثم صافى، وهجر ووافى، وأمرض ثم عافى؛ فلو ورد مقلته قبل تأليه، وقده متأخرًا  
عن كاليه، أو كانت أواخره بعيدًا ما بينها وبين آوآليه، لأوحشت القلوب وسامت،  
وبلغت المموم من النفوس ماشأت؛ فإن الإسلام كالجسد يتداعى كله لتألم بضيه،  
ويتسامم إخوانه فى بسطه وقبضه، وسماؤه مرتبطة بأرضه، ونفله متعلق بفرضه،  
فالحمد لله الذى خفف الأثقال، وألم حائل الضرر الانتقال، وسوغ فى الشكر المقال،  
وزاروا قال، وجمع بين إيقاظ القلوب، وإزالة الملووب، وإن وجد العدو طم  
الإسلام مرًا فما ذاقه، وعوده صلبًا فما أطاقه، ورفع عن طريق بيت الله عائقه،  
وقاد إليكم فى يوتيكم فضل الجهاد وساقه [ ورد المكر السيئ على العدو وأحاقه <sup>(١)</sup> ]  
فما كانت هذه المكيدة إلا داهية للكفر طارقه، ونكتة لمصعب التليث طارقه،  
ومعجزة من آثار النبي الشريف لهذا الدين المنيف خارقه؛ واستأصلت للعدو المال،  
وقطعت الآمال، وأوهنت اليدين والشمال . فبادرنا عند تعرف الخبر، المختل من  
أفواب المصرة فى أبهى الجبر، المهدى أعظم العبر، إلى تهنتكم تطير بنا أجنعة  
الرياح، مبارية للرياح، وتستغزنا دواعى الأفراح، بحسب الود الشراح؛ وكيف  
لايسر اليسار يمينه [ والوجه يمينه، والمسلم يمينه، وخاطبتكم مهتين ولولا العوائق <sup>(٢)</sup> ]  
التى لا تخرج، والموانع التى وصحت حتى لا تشرح، ومكايده هذا العدو الذى يأسوبه  
الدهر ويخرج، لم تجتر بإعلام القلم، عن أعمال القدم، حتى تشرف [ بالورود على

(١) الزيادة من "الرياسة" .

تلك المثابة الشريفة، ونمتاز بزيارة الأبواب المنيفة، فتفضي [تفضي] الفرض تحت رخصها، وبركة سعيها، لكن المرء جنب أمله، ونية المؤمن أبلغ من عمله، فهنيئاً بما حوّلكم الله من ظفر شهيدت برضا الله مرأسمه، وأقترت عن ثنور العنابة الرأينة مباسمه، وتوفرت لديكم مواهبه ومقاسمه، وبعث البيت المقدس مكان فضل الله ومنه، وسلامة مجته، وبعث الإسلام عصمة فخره المؤثر، وطهارة كتابه المنشئ، وجمال عنوانه، وقفل صوانه، وباب إيوانه : مرقا القسطاط، ومركو لواء الرباط، وعط رحال الإغباط، ومتغير الإسكندر عند البناء والإخطاط . وما زادنا بصحا بهذا الفتح، ومرورا زائدا بهذا المنع، ما تحققنا أنه ينير من شقة المسامين لهذا القطر الذي لا يزال يطرقه ما طرق الإسكندرية على مر الأيام، وتجلب عليه برأ وجرأ عبدة الأصنام، بحيث البرموصول، والكفر بكثرة السد يصول، وينرائ الجوار [متأينة للبيان، والقرايع القليلة] متوسطة بين مختلف النحل والأديان، والعدد لا ينسب، والصريح إلا من عند الله لا يحسب، فتتجدنا بالدعاء السنة فضلائه، ونسبها خواطر صالحيه وأوليائه، والله لا يقطع عن الجميع عوائد آلائه، ويعرفنا بركة أنبيائه، وينصرا في أرضه بلاءة سمائه .

وقد كلف اتصل بنا في هذه الأيام الفارطة الثنر الذي ملأ اليد استنكارا، والحمد اعتدادا واستغفارا، وإلهم تقارا، وأضاء القطر أنوارا : جوابكم الكريم يثم من تقاعته شدا الإذخِر والجليل، وتتمس من خلال حافاته بركات الخليل، وتقرئ الوجوه به آثار المعاهد، وتتمتع من ثايا وقادته بوارق الفوائد، فأشركم به من وافد تحطوب، وزائر مرثوب، صلعتابه في حفل الجهاد انتفاء وأتخارا، ثم صنائه

فى كرائم الخزان أفتاءً تَلَفَ وأَحْماراً ، وجعلنا قِرَاءَ سُكْرًا مِطْطاراً ، وشَاءَ سِنِي  
فى الخلقين مَطَاراً ، ودَعَاءَ يُعْلِي اللهُ به لمقامكم السنى فى أولياته مِندَاراً ، ويجهز به  
لِمُلْكِكُمْ كما قَمَلْ أَنْصاراً ، ويُنِيسُكم الجنة التى لا يَرْضَى السعداءُ بغيرها قَرَاراً ،  
والله تعالى يَمْلِكُ لأفلاكِ الهناء على غَاطِبَةِ مقامِكُم الرفيع العلاء مَدَاراً ، ويُقِيمُ الشكرَ  
أَلَزَمَ الوظائفِ لحَقِّكم أَجْدَاراً ، والثناء أَوَّلَى ما تَحُلُّ به مجدكم شماراً ، ويُنِيقُكم للإسلام  
رُحْمًا شديداً ، وظلاً مَدِيداً ، وسماءَ مِندَاراً ، ما استأنفتِ البدورُ إِبْدَاراً ، وطاقَبَ الليلُ  
نهاراً ، والسلام .

### المقصود الثالث

( فى رسم المكاتبات الواردة عن ملوك السودان ؛ وفيه ثلاثة أطراف )

#### الطرف الأول

( فى المكاتبات <sup>(١)</sup> إلى صاحب مالى )

وهو المستولى على التَّكْوِردِ وغانه وغيرهما ، وهى أعظمُ ممالك السودان المسامِينِ  
مملكةً ، ولم أَقِفْ لأحدٍ منهم على صورةٍ مكتبة إلى الأبواب السلطانية ، إلا أَنَّ المقرَّ  
الشهابيَّ بنَ فضل الله فى كتابه "مسالك الأيصار" عند الكلام على هذه المملكةِ  
تمرَّضَ لِذِكْرِ سُلْطَانِها فى زمان الملك الناصر «عبد بن قلاوون» وهو منسى موسى ؛  
وذكر أنه ورد منه كتاب يُمِلكُ نفسه فيه ناموساً ولم يورد نسخته .

(١) كذا فى الأصل دله « المكاتبات الواردة من صاحب مالى » كما يقتضيه التقسيم فتنه .

## الطرف الثاني

(في المكتبات الصادرة عن صاحب البرنو)

ورسم مكاتبه أن تُكتب في ورق مربع بخط الخط الماغاربة : فإن فضل من المكتبة شيء، كُتِبَ بظاهرها، وفتحت المكتبة بخطبة مفتحة بالحد، ثم يتخلص إلى المقصد ببعدي، ويأتى إلى المقصد إلى آخره، ورأيت قد ختم مكاتبه إلى الأبواب السلطانية بقوله : والسلام على من أتبع الهدى . وكان ذلك جهل من الكاتب بمقاصد صناعة الإنشاء ، إذ لا يهتدون إلى حقها .

وهذه نسخة كتاب ورد على الملك الظاهر « أبى سعيد برقوق » ووصل في شهر سنة أربع وتسعين وسبعمائة، محبة ابن عمه، مع هدية بعث بها إلى السلطان بسبب ما يدكره من أمر عراب جدام المجاورة لهم، وهى في ورق مربع، السطر إلى جانب السطر، بخط مغربي، وليس له هامش في أطراف ولا جانبيه، وثمة الكتاب في ظهوره من ذيل الكتاب وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

الحمد لله الذى جعل الخط ترأساً بين الأباة، وترجماً بين الأقارب، ومصافحة بين الأحياء، ومؤنساً بين العلماء، وموحشاً بين الجهال، ولولا ذلك لبطلت الكلمات، وفست الحاجات. وصلوات الله على نينا المصطفى، ورؤسولنا المرتضى، الذى أخلق الله به باب النبوة وختم، وجعله آخر المرسلين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، مانحاً الورق، وما طاب الشروق الأصيل . ثم بعد ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، رضى الله عنهم أجمعين .

من المتوكل على الله تعالى ، الملك ، الأجل ، سيف الإسلام ، وريث الأيتام ،  
الملك المقدم ، القائم بأمر الرحمن ، المستنصر بالله المنصور في كل حين وأوان ،  
ودغير وزمان : الملك ، العادل ، الزاهد ، التقى ، النقي ، الأتجد ، الأتجد ، القشتم ،  
نفر الدين ، زين الإسلام ، قطب الجلالة ، سلالة الكرماء ، كهف الصدور ، مصباح  
الظلام ، أبو عمرو عثمان الملك ، ابن إدريس الحاج أمير المؤمنين المرحوم ، كرم الله  
ضريحه ، وأدام ذرية هذا بملكه - هذا اللفظ وارد على [لسان] كاتبنا لأننا ولا نفر -  
إلى ملك المضر الجليل ، أرض الله المباركة أم الدنيا .

سلام عليكم أعظم من المسك الأذفر ، وأعذب من ماء الغمام واليم ، زاد الله ملككم  
وسلطانكم ، والسلام على جلسائكم وفقهائكم وعلمائكم ، الذين يدرسون القرآن والعلوم ،  
وجامعيتكم ، وأهل طاعتكم ، أجمعين .

وبعد ذاك ، فإننا قد أرسلنا إليكم رسولنا ، وهو ابن عمي ، أحمد إدريس بن محمد  
من أجل الجاهلية التي وجدناها ، وملوكنا ، فإن الأعراب [الذين] يُسمون جنداما  
وغيرهم قد سبوا أحرارنا : من النساء والصبيان ، وضُعفاء الرجال ، وقرابتنا ، وغيرهم  
من المسلمين . ومنهم من يشركون بالله ، يُمارقون للدين ، فناروا على المسلمين  
فقتلهم قتلًا شديداً ؛ لفنتة وقت يئنا وبين أعدائنا ، فبسبب تلك الفنتة قد قتلوا  
ملكنا ، عمرو بن إدريس الشهيد ، وهو أخونا ابن أيتنا إدريس الحاج ، بن إبراهيم  
الحاج ، ونحن بنو سيف بن ذي يزن ، و[الد] قبيلتنا ، العربى القرى ، كنا  
ضبطناه من شيوخنا ، وهؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها ، في بلد رنوكاة  
حتى الآن ، وسبوا أحرارنا وقرابتنا من المسلمين ، ويدعونهم للآب مصر والشام  
وغيرهم ، ويختلئون ببعضهم ؛ فإن حكم مصر قد جعله الله في أيديكم من البحر إلى  
أسوان ، فإنهم قد آتخلوا متجرا ؛ فبعتوا الرسل إلى جميع أرضكم ، وأمرائكم ،

وَوَزَرَاتِكُمْ، وَقَضَاتِكُمْ، وَحُكَّامِكُمْ، وَعِلْمَائِكُمْ، وَصَوَاحِبُ أَسْوَاقِكُمْ، يَنْظُرُونَ وَيَحِثُّونَ وَيَكْتَشِفُونَ؛ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَلْيَتَرَعَوْهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَلْيَتَلَوُّهُمْ، فَإِنَّ قَالُوا نَحْنُ أَرْحَرُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ فَصَدَّقُوهُمْ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ؛ فَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ لَكُمْ فَاطْلِقُوهُمْ وَرُدُّوهُمْ إِلَى حُرِّيَّتِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ، فَإِنْ بَعْضُ الْأَعْرَابِ يُفْسِدُونَ فِي أَرْضِنَا وَلَا يُصَالِحُونَ، فَإِنَّهُمْ الْجَاهِلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِنَا، فَإِنَّهُمْ يَزَيِّنُونَ الْبَاطِلَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاخْشَوْهُ وَلَا تَحْدُثُوا لَهُمْ يُسْتَرْقُوا وَيُبَاوُوا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَنُبَيِّتَ عَلَيْهِ السَّلَامَ ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾. وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ». وَقَالَ: «الْمُؤْمِنُونَ كَالْبُذَيَّانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وَقَالَ: «الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ» إِلَى آخِرِهِ. وَفِي الْحِكْمَةِ: وَمِنَ الْفَرَائِضِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ عَلَى كُلِّ مَنْ بَسِطَتْ يَدُهُ فِي الْأَرْضِ (أَرَادَ بِهِ السُّلَاطِينَ) وَعَلَى مَنْ تَصَلَّ يَدُهُ إِلَى ذَلِكَ (أَرَادَ بِذَلِكَ الْقَضَاةَ وَالْحُكَّامَ وَالْأَمْرَاءَ) فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِلِسَانِهِ، (أَرَادَ بِذَلِكَ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ) وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِقَلْبِهِ، (أَرَادَ بِذَلِكَ عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ) أَطْلَعَ اللَّهُ بَقَاءَكُمْ فِي أَرْضِكُمْ. فَازْجُرُوا الْأَعْرَابَ الْمُفْسِدِينَ عَنْ دَعْوِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ جَاءَهُمْ فِتْنًا لَنَزِدْهُمْ سَبْلًا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْخَسِيئِينَ﴾ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلُّكُمْ رَايِعٌ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ: لَوْلَا السُّلْطَانُ لَا كُلَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَقَالَ تَعَالَى لَنُبَيِّتَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْضُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى - وَلَمْ يُوَرِّخْ -



### الطرف الثالث

(في المكتبات الصادرة عن ملك "الكلم" ولم أقف له على مكتبة إلا أنه يُشبه أن تكون المكتبة عنه نظير المكتبة من صاحب "البرق" فإنه على قُرب من مملكته والله أعلم

### المقصود الرابع

(في الكتب الواردة من الجانب الشمالي، وهي بلاد الروم) قد تقدم ذكر المكتبة إلى أسرتها، وأن كبيرهم الذي صار أمرهم إليه وأتقنوا إلى طاعته الآن هو ابن عثمان صاحب برسا.

### القسم الثالث

(من المكتبات الواردة إلى هذه المملكة الكتب الواردة عن ملوك الكُفَر، وهي على أربعة أضرب)

#### الضرب الأول

(الكتب الواردة عن ملوك الكرج<sup>(١)</sup>)

#### الضرب الثاني

(الكتب الواردة عن ملوك الحبشة)

والمادة فيها أن ترد في قطع<sup>(٢)</sup> باللسان<sup>(٣)</sup> ولم أظفر بصورة مكتبة في هذا المعنى إلا مكتبة واحدة وردت على الملك الظاهر بيبرس، ضمن كتاب إلى صاحب اليمن، وصاحب اليمن أرسله إلى هنا فيما وقفت عليه في بعض المصنفات، وهو:

(١) لم يذكر في الأصل نموذجاً من المكتبة ولا تركها يائسا كالمادة فصبه.

(٢) لم يذكر لها نموذجاً ولم يتكلم على رسمها كثيراً. (٣) يياض في الأصل.

أَقْلَ المَالِكِ يَقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهَى بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، خَلَدَ اللَّهُ  
مُلْكَهُ ، أَنَّ رَسُولًا وَصَلَ إِلَى مَنْ وَإِلَى قُوصَ ، بِسَبَبِ الرَّاهِبِ الَّذِي جَاءَنَا ، فَتَحَنَّنَ  
مَا جَاءَنَا مَطْرَانُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَنَحْنُ عَيْدُهُ ، فِيرْسَمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ لِلْبَطْرِيرِكِ  
[ أَنْ ] يَهْزِلْنَا مَطْرَانًا يَكُونُ رَجُلًا جَيِّدًا طَلِبًا ، لَا يَتَّخِذُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً ، وَيُرْسِلُهُ  
إِلَى مَدِينَةِ "عَوَانَ" . وَأَقْلَ المَالِكِ يُسَيِّرُ إِلَى نَوَابِ مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ : صَاحِبِ  
الْيَمَنِ مَا يُلْزِمُهُ ، وَهُوَ يُسَيِّرُهُ إِلَى نَوَابِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَمَا كَانَ سَبَبُ تَأْخِيرِ الرُّسُلِ  
عَنِ الْحَاضِرِ إِلَى [ مَا ] بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ فِي سَكَارٍ ( ؟ )  
وَالْمَلِكُ دَاوُدُ قَدْ تَوَقَّى ، وَقَدْ مَلَكَ مَوْضِعَهُ وَلَهُ ، وَعِنْدِي فِي عَسْكَرِي مِائَةُ أَلْفِ فَارَسٍ  
مُسْلِمِينَ ، وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ ، وَالْكُلُّ غُلْبَانُكَ وَنَحْتُ أَمْرِكَ ، وَالْمَطْرَانُ  
الْكَبِيرُ يَدْعُو لَكَ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ يَقُولُونَ آمِينَ ؛ وَكُلُّ مَنْ يَصِلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
إِلَى بِلَادِنَا نَكُونُ لَهُ أَقْلَ المَالِكِ ، وَنُحْفَظُهُمْ وَنَسْقُرُهُمْ كَمَا يَحِبُّونَ وَيُخَافُونَ ؛  
وَأَمَّا الرُّسُولُ الَّذِي سَقَرُوهُ فَهُوَ مَرِيضٌ ، وَبِلَادُنَا وَنِعْمَةٌ . أَيُّ مَنْ مَرِيضٌ لَا يَقْدَرُ  
أَحَدٌ يَدْخُلُ إِلَيْهِ ، وَأَيُّ مَنْ شَمَّ رَائِحَتَهُ فَيَمْرَضُ فَيَمُوتُ . وَنَحْنُ نَحْفَظُ كُلَّ مَنْ يَأْتِي  
مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَيَرُوا مَطْرَانًا يُحْفَظُهُمْ .

قلت : وقد تَهْتَمُّ الْجَوَابُ عَنْ هَذَا الْكَتَابِ مِنْ كَلَامِ الْقَاضِي عَمِّي الدِّينِ بْنِ  
عَبْدِ الظَّاهِرِ ، فِي الْكَلَامِ عَلَى الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَى أَهْلِ  
الْجَانِبِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ ، وَلَكِنْ الْكَتَابُ الْمَذْكُورُ يَخَالَفُ مَا تَهْتَمُّ هُنَاكَ  
مِنْ أَدْعَائِهِ الْعَظِيمَةِ ، وَأَنَّهُ لَوْلَا أَضْطِرَّارُهُ إِلَى اخْتِالِ الْمَطْرَانِ مِنْ بَطْرِيرِكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ  
لَكَانَ يَشْمُخُ بِنَفْسِهِ عَنِ الْمَكْتَبَةِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْمُنْقَضِ .

## الضرب الثالث

(الكتبُ الواردةُ عن ملوك الروم، ورأسُ الكلِّ صاحبُ القُسطنطينية)

وقد وقفتُ على كتاب ورد منه في السابع والعشرين من صفر سنة أربع عشرة وثمانمائة في درج ورق قرني في نحو عشرين وصلًا قطع النصف، والياض في أعلاه وصل واحد، وفي أسفلهِ وصلان، وله هامش عن يمينه وهامش عن يساره، كلُّ منهما تقدير أصبعين، ومقدار ما بين السطور متفاوت : فأعلاه بين كل سطرين أربعة أصابع مطبوعة؛ ثم بعد تقدير ثلث الكتاب بين كل سطرين قدر ثلاثة أصابع؛ ثم بعد ذلك بين كل سطرين قدر أصبعين؛ ثم بعد ذلك بين كل سطرين قدر ثلاثة أصابع إلى آخر الكتاب، والقلم في غاية [الدقة بـ] قلم الرقاع الدقيق، وفي آخره ثلاثة أسطر وقطعة بالجرمة بقلم أجمل من الأول قليلا .

وهذه نسخة كتاب معربة بترجمة بطررك المملكانية، بحضور سيف الدين سيف الترمجان، وهي :

المعظم، المجدد، المبجل، الضابط، السلطان، الكبير، سلطان مصر ودمشق وحلب وغيرها؛ الملك الناصر (فرج) ابن السلطان الكبير المرحوم الظاهر (برقوق) المحبوب إلى العزيز أكثر من أولاد مملكتي .

يحيطُ علمه أني ومملكتي طيبون بنعمة الله تعالى، وكذلك تكونُ - أن شاء الله تعالى - سلطنتك المجددة طيبة في خير؛ وأنَّ المحبة والمودة لم تزل بين والدك المرحوم وبين والدي إلى آخر وقت . ونحن بحمد الله قد ترايدت محبتنا على ذلك وتكاثرت،

ونؤكد أيضا المحبة بيننا وبين سلطنتك المعظمة إلى الأبد ، فإن ذلك واجب ،  
وتردد رؤسكم بكتبكم إلينا ، وكذلك رسلنا بكتبتنا إلى ملككم ؛ وكان قصدنا أن نجهز  
إليكم رسولا لكن الفتن في بلادنا ، وما بلغنا من سفر مولانا السلطان من تحت  
ملكته ، ولم نعرف إلى أي مكان توجه ، أوجب تأخير ذلك ؛ وأن حامل هذا الكتاب  
الموجه به إلى السلطان المعظم المسمى (سورمش) التاجر من اسطنبول هو من جهتنا ،  
وله عادة بالتردد إلى مملكتكم المعظمة ، ونحن نعلم أن سلطنتك تحب الطيور الكواهي ؛  
فجهزنا لكم محبة المذكور خمس كواهي وبازدار ، ليكون نظركم الشريف عليهم ،  
وكذلك على البطاركة والنصارى والكنايس على حكم معلة السلطان ومحبة ، والوصية  
بهم ، ومعاونتهم ورايتهم وإجراؤهم على جاری عوائدهم ، من غير تشويش على  
مالهم من انصافكم أولا وآخرا لأجل محبتكم لنا ومحبتنا ، واستمرار العناية بهم ،  
مع أن البطاركة عرفونا أن مولانا السلطان يبرز مرسومه بمراعاتهم ، والإحسان  
إليهم ، ولم يزالوا داعين له شاكرين من معالته ، ونضاعف شكرنا من إحسانكم  
على ذلك ، وتكونوا ان شاء الله تعالى طيبين ، والمحبة متزايدة في أيامكم وأيامنا ،  
ومهما كان لمولانا السلطان بمملكتنا من أطواع<sup>(١)</sup> ، فيرسم يرفقنا بها وينادي بذلك .

والذي يأتيه بالجرة علامة الملك مضمونها ( مانويك المسيحي بنعمة الله ،  
ضابط مملكة الروم البلاؤوس ) .

(١) كذا في الأصل ومراحه من خدم أو حاجات .

## الضرب الرابع

( الكتب الواردة من جهة ملوك الفرنج بالأندلس، والجهات الشمالية،  
وما إلى ذلك )

والعادة فيها أن تكتب باللسان الفرنسي، وعادة الكتب الواردة عنهم جملة أن تكتب في فرخة ورق فرنجي مربعة على نحو مقدار الفرخة البلدي أو دونها، بأسطر متقاربة، باللسان الفرنسي وقلمه، ثم يطوى طياً مسطوحاً ويمتد في وسطه، ويطوى من جهتي الأول والآخري حتى يصير العنوان ظاهراً من الطي، ثم يحرز ويثبت بساعة، ويثبت عليه بطمعة في شمع أحمر على نحو ما تقدم في الكتب الواردة من ملوك الغرب، فاذا ورد على الأبواب السلطانية فكُتِّمَتْ، وترجم بترجمة الترجمان بالأبواب السلطانية وكُتِّبَ تعريبه في ورقة مفردة وألصقت به بعد كتابة الجواب من التعريب على ما تقدم ذكره في مقدمة الكتاب .

وهذه نسخة كتاب وارد من دُوج البنادقة ميكائيل، على يد قاصده نُقُولَا البندق في سادس عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة، ترجمة شمس الدين سُقُر، وسيف الدين سُودُون، الترجمة بالأبواب الشريفة، في فرخة ورق فرنجي مربعة متقاربة السطور، وهو :

السلطان المعظم، ملك الملوك «فرج الله» ناصر الملة الإسلامية، خلد الله سلطانه .  
يقبل الأرض بين يديه نُقُولَا دُوج البنادقة<sup>(١)</sup>، ويسأل الله أن يزيد عظمتَه : لأنه ناصر الحق ومؤيده، وموتل الممالك الإسلامية كلها . ويُنبئ ما عنده من الشوق

(١) تقدم قيل بأسطر أن اسمه ميكائيل وأن أم رسولهُ قُولَا . فنبه

والحبة لمولانا السلطان، وأنه لم تزل أكابر التجار والمحتشمين والمتريدين من الفرنج إلى الممالك الإسلامية شاكرين من عدل مولانا السلطان وعلو مجده، وتزايد الدماء ببقاء دولته، وقد رغب التجار بالتردد إلى مملكته الشريفة بواسطة ذلك، ولأجل الصلح المتصل الآن بيننا والمحبة.

وأما غير ذلك، فإنه بلغنا ما اتفق في العام الماضي من حسن العرف في قنصلية المحروس، وأن مولانا السلطان مَسَّ قُنْصُل البنادقة والمحتشمين من التجار بغير الإسكندرية المحروس، وزَجَرهم بالحديد، وأحضرهم إلى القاهرة، وحصلت لهم البهلة بين جُنُوسهم والقَرَر والقهر الزائد، وكسر حرمتنا بين أهل طائفتنا، فإن الذي قُيِّل مع المذكورين إنما قُيِّل معنا، وتجبنا من ذلك: لأن طائفتنا لم يكن لهم ذنب، وهذا مع كثرة عدل مولانا السلطان في مملكته، ومحبتنا له، ومتادئا في جميع مملكيتنا بكثرة عدله، وبعبثيه لطائفتنا، وإقباله عليهم، وقولنا لجميع قُوابنا: إنهم يكرمون من يخدمونه من مملكة مولانا السلطان ويراعونه ويحسنون إليه، والمسئول من إحسانه الوصية بالقنصل والتجار وغيرهم من البنادقة، ومراعاتهم وإكرامهم والإقبال عليهم، والنظر في أمورهم إذا حصل ما يشبه هذا الأمر، ومنع من يشاكلهم لتحصل بذلك الطمأنينة للتجار، ويرددوا إلى مملكته.



وهذه نسخة كتاب ورد من كبطان الماغوصة والمستشارين بها، في ثامن عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة، ترجمة شمس الدين سُقْر ومسيف الدين سودون الترمجائين بالأبواب الشريفة، وهو:

الملك المعظم، ملك الملوك، صاحب مصر المحروسة، الملك الناصر، عظم الله شأنه.

يَقْبَلُ الْأَرْضَ مِنْ أَيْدِيهِ الْكِبْطَانُ وَالْمُسْتَارُونَ، وَيُتَّهَمُونَ أَنَّهُمْ آتَاءُ اللَّيْلِ دَاعُونَ  
بَطُولَ بَقَائِهِ، مَجْتَهِدُونَ فِي أَسْتِمْرَارِ الصُّلْحِ وَالْمَوَدَّةِ الَّتِي لَا يَشُوْهُمَا كَدَرُ بَيْنِ الْقَوْمِ (١)  
وَبَيْنَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَأَنَّ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَمَّ حَرَامِيَّةُ غِرَابٍ يَحْمَرُّونَ بِأَطْرَافِ هَذِهِ  
الْبِلَادِ، وَالْمِيْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ وَنَحْنُ لَمْ نَزَلْ نُشْجِطُهُمْ بِالْمَرَكَبِ وَالْأَغْرَبَةِ، وَنَمْنَعُهُمْ  
مِنْ ذَلِكَ جُهْدَنَا وَقُدْرَتَنَا، حَتَّى إِنْ أَحَدًا صَارَ لَا يَحْتَصِرُ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى مِيْنَا  
الْمَاغُوصَةِ جَمْلَةً كَافِيَةً، مَعَ أَتْنَا كَمَا خَلَصْنَا فِي الْمَلَّةِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْحَرَامِيَّةِ الْمَذْكُورِينَ  
خَمْسَةً وَعَشْرِينَ قَرَارًا مِنَ الْمَسَامِينِ، وَأَكْرَمْنَاهُمْ وَأَطْلَقْنَا سَبِيلَهُمْ [وَعَزَمْنَا أَنْ] نَجْهَزَهُمْ  
إِلَى دِيْمَاطٍ أَوْ إِلَى نَقَرِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ .

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ، فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنْ بَرِطَلَمَا أَوْسَقَ لِلْوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ صَابُونًا فِي مَرَاكِبِهِ،  
وَكَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَهْرَبَ بِذَلِكَ، فَلِلْحَالِ عَمَّرْنَا مَرَجًا كَبِيرًا، وَأَخَذْنَا بَرِطَلَمَا الْمَذْكُورَ  
بِالْمَحَارِبَةِ، وَأَحْضَرْنَاهُ إِلَى الْمَاغُوصَةِ، وَعَهْدْنَا بِطُرُقِ الْمَرْكَبِ إِلَى شَخْصٍ يُسَمَّى  
(أَرْمَانِ سَلِيُورِيُون) وَهُوَ رَجُلٌ مُشْكُورُ السَّيْرِ، وَقُلْنَا لَهُ إِنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى خَازِنِ الصَّابُونِ  
الْمَذْكُورِ وَيَسْتَشِيرُهُ إِنْ كَانَ يُوسِقُ شَيْئًا مِنَ الْأَصْنَافِ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَيُجْهِزُهُ إِلَى  
أَيِّ مَكَانٍ اخْتَارَهُ لِيَسَامَهُ لِيَدَّ مِنْ تَهْزِيلِ الْمَرَاسِمِ الشَّرِيفَةِ بِسَلِيمِهِ، فَلْيَفْعَلْ، وَهَذَا  
الْقَوْلُ كُلُّهُ يَكُونُ دَلِيلًا عِنْدَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ عَلَى صِنْقِ الْوَلَاءِ وَالتَّمَسُّكِ بِالصُّلْحِ،  
وَالْمُسْتَوْلِ مِنَ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ الْإِحْبَالِ عَلَى التَّجَارِ الْخَنَوِيَّةِ الَّتِي عِنْدَ مَمْلَكَتِهِ،  
وَكُفِّ أَسْبَابِ الضَّرَرِ عَنْهُمْ، وَيَنْشُرَ مَعْدَلَتَهُ عَلَيْهِمْ، وَآلَهُ تَعَالَى يَدِيمُ بَقَائِهِ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ « وَتَقْبَلُهُمْ نَجْهَزُهُمْ » .

## الفصل السادس

[من الباب الثاني] من المقالة الرابعة

( في رسوم المكتبات الإخوانية - وهي جمع إخوانية ، نسبة إلى الإخوان ،  
جمع أخ - والمراد المكتبات الدائرة بين الأصدقاء . وفيه طرفان )

### الطرف الأول

( في رسوم إخوانيات السلف من الصعابة رضوان الله عليهم والتابعين ؛  
وهي في الغالب لا تخرج من ضرين )

### الضرب الأول

( أن تفتتح المكتبة باسم المکتوب عنه )

وكان رسمهم فيه أن تفتتح المكتبة بلفظ « من فلان إلى فلان ، سلام عليك ،  
إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو » فلما كانت خلافة الرشيد وأمر أن يزداد  
هنا في السلطانيات « وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله » كما تقدم  
في موضعه ، جرى الكتاب في الإخوانيات على ذلك أيضا ، وكان الخطاب يجرى  
بينهم في ذلك بأنا ، وأنت ، ولي ، ولك ، وعندي ، وعنده ، وما أشبه ذلك  
من ألفاظ الخطاب ، وكانت خاتمة الكتب عندهم بالسلام .



### الضرب الثاني

( أن تفتتح المكتبة باسم المكتوب إليه : تفضيلاً لأمره ، وتعظيماً لشأنه )  
 وكان رسمهم في ذلك أن يفتحوا المكتبة بلفظ « إلى فلان من فلان ، سلامٌ  
 عليك ، إني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو » وباقي الكتاب على ما تقدم في الضرب  
 الأول في الخطاب والختام وغيرهما .

### الطرف الثاني

( في رسوم الإخوانيات المحدثّة بعد السلف ، وفيه ثلاثة مقاصد )

#### المقصد الأول

( في رسوم إخوانيات أهل المشرق ، وفيه أربعة مباحٍ )

#### المهيمع الأول

( في صدور الابتدآت ، وهي على أساليب <sup>(١)</sup> )

الأسلوب الأول - أن تفتتح المكتبة بالدعاء ، وعليه اقتصر أبو جعفر النحاس  
 في كتابه « صناعة الكتاب » وكان على رأس التثنية في خلافة الرازي ، وقد تقدم  
 في الكلام على مقدمات المكتبات نقلاً عن « مواد اليان » أن الأديبة كانت  
 في الزمن الأول تستعمل فيما يتعلق بأمر الدين : مثل قولك : أكرمك الله ، وحفظه الله  
 ووفقه ، وحاطه ، وما أشبه ذلك ؛ فبدل منها قصداً للإجلال والإعظام إلى الدعاء  
 بإطالة البقاء ، وإدامة العز ، وإسباغ النعمة ، ونحو ذلك : مما يتنافس فيه أبناء

(١) لم يذكر منها إلا الأسلوب الأول ونحوه على أن النحاس اقتصر عليه فكتبه .

الدنيا، جراً على عادة القُرس . ثم رتبوا الدماء على مراتب : بفعلوا أعلها الدماء بإطالة البقاء ، ثم بإطالة العمر ، ثم بالمد في العمر ، وكذلك سائر المكتبات على ما تقدم بيانه هناك .

ثم هو على ستة أضرب :

### الضرب الأول

(المكتبة من المرموس إلى الرئيس ؛ وهو على صنفين )

### الصنف الأول

(المكتبة إلى الأمراء)

قد ذكر النعّاس أنه يقال في افتتاح مكتباتهم : أطال الله بقاء الأمير، فإذا أردت أجل ذلك كله، كتبت : أطال الله بقاء الأمير في آخر العز وأدوم الكرامة والشروع والغبطة، وأتم عليه نعمة في طو الدرجة، وشرف من الفضيلة، ونتائج من الفائدة، ووهب له السلامة والعافية في الدنيا والآخرة، وبلغ بالأمير أفضل ما تجرى إليه همته، وتسمو إليه أمنيته، أو بلغ بالأمير أفضل شرف العاجل والآجل، وأجل له نواب الآخرة .

ثم قال : ومن الدماء له : أطال الله بقاء الأمير في عز قاهر، وكرامة دائمة، ونعمة سابغة، وزاد في إحسانه إليه، والفضيلة لديه، ولا أخلى مكانه منه .  
قال : ومنه أطال الله بقاء الأمير، وأدام عزه وتأييده، وطوّقه وتمكينه، وكبت عدوه .

ثم ذكر أدعية أخرى للأمراء عن الفضل بن مهمل . منها - أطال الله بقاء الأمير، ومكن له في البسطة وتزايد النعمة، وزاده من الكرامة والفضيلة ؛ والمواهب

الجليلة ، في أعزِّ عزِّ وأدوم سلامة ، وأسبل طافية - ومنها - أطال الله بقاء الأمير ، وأدام له الكرامة مرغوباً إليه ، وزاد في إحسانه لديه ، وأتم نعمته عليه ، ووصل له خير العاجل يميز الآجل .

## الصنف الثاني

### (المكتبة إلى القضاة)

وقد قال النحاس : إنه يدعى للقاضي بمثل ما يدعى به للأمير ، غير أنه يحصل مكان الأمير القاضي ، إلا أن الفضل بن سهل قال : يدعى القاضي القضاة : أطال الله بقاء القاضي ، وأدام عزِّه وكرامته ، ونعمته وسلامته ، وأحسن من كل جميل زيادته ، وألبسه عقوه ومافيته . وإنه يدعى له أيضاً : أطال الله بقاء القاضي في عزِّ وسعادة ، وأدام كرامته ، وأحسن زيادته ، وأتم نعمته عليه في أسبغ طافية ، وأكمل سلامة . قال : وقال غير الفضل : إن الكُفَّه يكتب كُفَّاه ومن كان خارباً من نعمته : أدام الله بقاءك أيها القاضي .

## الضرب الثاني

### (المكتبة من الرئيس إلى المرموس : كالمكتبة عن الوزير وقاضي القضاة)

وغيرهما ، والخطاب في جميعها بالكاف )

قال النحاس : وهي على مراتب ، أعلاها في حق المكتوب إليه أطال الله بقاءك وأدام عزِّك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك ، وإحسانه إليك وعندك . ودونه « أطال الله بقاءك ، وأعزِّك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وعندك » . ودونه « أدام الله عزِّك ، وأطال بقاءك ، وأدام كرامتك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك » .

ودونه « أَعَزَّكَ اللهُ ، وَمَدَّ فِي عُمْرِكَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَمَا بَعْدَهُ عَلَى تَوَالِي الدَّهَاءِ الَّذِي تَقْتُمُ » . ودونه « أَكْرَمَكَ اللهُ وَأَبْقَاكَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَأَدَامَهَا لَكَ » . ودونه « أَنْ تُسْقَطَ وَأَدَامَهَا لَكَ » . ودونه « أَبْقَاكَ اللهُ وَحَفِظَكَ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَأَدَامَهَا لَكَ » . ودونه « أَنْ تُسْقَطَ وَأَدَامَهَا لَكَ » . ودونه « حَفِظَكَ اللهُ وَأَبْقَاكَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ » . ودونه « حَافَاً اللهُ وَإِيَّاكَ مِنَ السُّوءِ » .

قال في «صناعة الكتاب» : هذا إذا جرى الأمر على نُسبته ولم تتغير الرسوم ، وإلا فقد يعرض أن يكون في الدولة من هو مقدم على الوزير أو مساوئ به فتتغير المكتبة ، فقد كان عبد الله بن سليمان (يعني وزير المعتضد) يكتب أبا الجيش (يعني ثُمَارَويه بن أحمد بن طولون) : أطال الله يَأْنِي بَقَاكَ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ ، لِلصَّاهِرَةِ التي كانت بين أبي الجيش وبين المعتضد ولأنَّ المعتضد نكَّاه . ثم قال : فإن كان الرئيس غير الوزير ، فربما زاد في مكاتبتة زيادة لمن له محلٌّ : فيزيده ويكتبه زيادة التأييد ودوام العِزِّ . قال : ويُدْعَى للفقهاء : أدام الله بَقَاكَ في طَاعَتِهِ وَسِلَاقَتِهِ وَكَفَافَتِهِ ، وأعلى جَدِّكَ وصان قَدْرِكَ ، وكان لك ومعك حيث لا تكون لنفسك . أو : أدام الله بَقَاكَ في أَسْرَعِشِ وَأَتَمَّ بَالٍ ، وَخَصَّكَ بِالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى ، وَحَبَاكَ بِرُشْدِهِ ، وَقَطَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ . أو : أطال الله بَقَاكَ بِمَا أطال به بَقَاءُ الْمُطِيعِينَ ، وَأَعْطَاكَ مِنَ الْعَطَاءِ مَا أَعْطَى الصَّالِحِينَ . أو : أَكْرَمَكَ اللهُ بِطَاعَتِهِ ، وَتَوَلَّاكَ بِحِفْظِهِ ، وَأَسْعَدَكَ بِعَوْنِهِ ، وَأَيْدَكَ بِنَصْرِهِ ، وَجَمَعَ لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِرَحْمَتِهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ . أو : تَوَلَّاكَ مَنْ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَكَانَ لَكَ مَنْ هُوَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . أو : أَكْرَمَكَ اللهُ عَنِ النَّارِ وَجْهَكَ ، وَزَيَّنَ بِالتَّقْوَى تَجَلَّكَ . أو : أَكْرَمَكَ اللهُ بِكَرَامَةٍ تَكُونُ لَكَ فِي الدُّنْيَا عِزًّا ، وَفِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّارِ حِرْزًا .

### الضرب الثالث

(المكتبة إلى النظراء، والمخاطبة فيه بالكاف)

قال في "مصنعة الكتاب" وأعلى ما يكتب في ذلك (يعني بالنسبة إلى المكتوب إليه) ياسيدى «أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك إلى آخر الصدر». ودونه «أطال الله ياسيدى بقاءك». ودونه «ياسيدى وأتى أطال الله بقاءك». ودونه «أدام الله يا أئى بقاءك».

### الضرب الرابع

(المكتبة إلى الأبناء، والخطاب فيه بالكاف)

قال في "مصنعة الكتاب" يكتب الرجل إلى أبه : ياى أنت ، أو : فذاك أبوك . أو : مات قبلك . أو : أسأل الله عز وجل حفظك وسياطتك ورباتك . أو : أرشدك الله أمرك . أو : أحسن البلاء بك . أو : بلغ الله بك أفضل الأمل ، وأتم السرور بك ، وجعلك خلفا صالحا ، وبقيّة زاكية .

### الضرب الخامس

(المكتبة إلى الفتيان، والخطاب فيه بالكاف)

قال النحاس : يدعى لهم : صبر الله السوء عنك ، ومن حظى منك . أو : أطال الله بقاء النعمة عليك وعلى بك . أو : جعلت أنا وطارى وتالدى فذاك . أو : ملأنى الله إخماءك ، وأدام بقاءك . أو : أستودع الله عز وجل ما وهب لى من خلقتك ، ومنحني من أخوتك ، وأعزنى به من مودتك . أو : حاط الله حظى منك ،

وأحسن المدافعة عنك . أو : ببقائك مُنعت ، وقُدَّلك مُنعت . أو : تقسى قَدِيدِكَ ،  
والقَسِيْقِيك ، ويقبني الأسواء فيك . أو : ملأني الله النعمة ببقائك ، وهنأني مامتحنى  
من إختائك . أو : أبق الله النعمة لى ببقائها لك ، وبلعثها بك . أو : وفر الله حظى  
منك ، كما وفر من المكارم حظك . أو : ملأني الله ببقاك ، كما منحني إحتاك .  
أو : دافع الله لى وللكارم من حوْبائك ، وأمنعني ببقائك ، وجمع أملي فيك لجمعه  
المكارم لك . أو : زادك الله من النعم حسب تزيتك فى البر لاخوانك ، وبلغ بك  
أملهم كما بلغ بهم آمالهم فيك .

### الضرب السادس

#### ( المكتبة إلى النساء )

قد ذكر النحاس أنهن يُكاتبَن على نظير ما هتَم من مكتبة الرئيس والمرئوس  
والنظير ، غير أنه قد وقع فى الاصطلاح من بعضهم أنه لا يقال فى مكاتبتهن وكرامتك  
ولا وأتم نعمته عليك ، ولكن وأتم نعمته لَدَيْكَ ، ولا فضله عندك ، ولا سعادتك ،  
ولا فعلت ولا أن تفعل ، ولكن يقال : إن رأيت أن تمنحني بذلك منلت به ، وما  
أشبه ذلك ، وقد هتَم فى الكلام على مقدّمات المكتبات بيان كراهتهن لذلك .

قلت : ثم راعى الكُتَّاب فى تعظيم المكتوب إليه أن عدلوا عن خطابها بالكاف  
عن نظير خطاب المواجهة إلى معنى القية ، فقالوا : له ، وإليه ، وعنده ، ونحو ذلك  
وخصوا الخطاب بالكاف بأدنى المراتب فى حق المكتوب إليه . على أنه قد هتَم  
من كلام النحاس إنكار ذلك على من أعتمد عتجا عليه بأنه لا أعظم من الله تعالى  
مع أنه يقال فى الدعاء يا الله ونحو ذلك .

(د) كتاب فى الأصل يمل مراده وغير الكاتِب من ضمير خطاب المواجهة إليه . الخ .

وقد ذكر ابن حاجب الثمان في كتابه "ذخيرة الكتاب" أدعية مرتبة على النية، وقال: أعلاها «أطال الله بقاء»، وأدام تمكينه وأرحامه، ورَفَقته وسَنَاءه، وكَبَتْ مَنُوهُ. ودونه «أطال الله بقاء»، وأدام تأييده، وعَلَّاه وتمهيدَه، وكَبَتْ عِذَاهُ. ودونه «أطال الله بقاء»، وأدام تأييده وحرس حَوْبَاهُ. ودونه «أطال الله بقاء»، وأدام تأييده ونُصَاهُ. ودونه «أطال الله بقاء»، وأدام نُصَاهُ. ودونه «أطال الله بقاء»، وأدام عِزَّهُ. ودونه «أطال الله بقاء»، وأدام توقيفه وتَسْلِيده. ودونه «أطال الله بقاء»، وأدام سَدَّاه وإِرشاده. ودونه «أطال الله بقاء»، وأدام حِرَاسَتَهُ. ودونه «أدام الله تأييده». ودونه «أدام الله توقيفه». ودونه «أدام الله عِزَّهُ وسَنَاءَهُ». ودونه «أدام الله عِزَّهُ». ودونه «أدام الله حِرَاسَتَهُ». ودونه «أدام الله كَرَامَتَهُ». ودونه «أدام الله سَلَامَتَهُ». ودونه «أدام الله رِيعَتَهُ». ودونه «أدام الله كِفَايَتَهُ». ودونه «أبْهَاهُ اللهُ». ودونه «حَفِظَهُ اللهُ». ودونه «أَعَزَّهُ اللهُ». ودونه «أَيْدَهُ اللهُ». ودونه «حَرَسَهُ اللهُ». ودونه «أَكْرَمَهُ اللهُ». ودونه «وَقَّفَهُ اللهُ». ودونه «سَأَمَهُ اللهُ». ودونه «رَعَاهُ اللهُ». ودونه «عَافَاهُ اللهُ». وعلى معنى النية يقال في الدُّعَاءِ أطال الله بقاء الأمير. أو بقاء القاضي. أو بقاء سيدي. أو بقاء مولاي، وما أشبه ذلك في كلِّ رتبة بحسبها.

وأعلم أن الناهيين من الكُتُبِ إلى إجراء المخاطبة في المكتبة على معنى النية كما هو طريقة ابن حاجب الثمان وغيره، يبرهن عن المكتوب إليه بلبه الخاص: كالوزير، والأمير، والحاجب، والقاضي، وما أشبه ذلك؛ وذِكْرُهُ بالسيادة وما في معناها، مفضلين لفظ الجمع، كسيدنا ومولانا على لفظ الأفراد كسيدي ومولاي، ويتعنون المكتوب إليه بالجليل أو الحاجب الجليل، ويعملون الأفراد تكون ذلك في الرتبة فيقولون: سيدي، أو مولاي الأمير الجليل، أو الحاجب الجليل،

ونحو ذلك . ثم توسّعوا في ذلك بفعلوا الدعاء متوسطا كلام الصدر على القرب من  
الابتداء ، مقتضين بعض كلام الصدر عليه ، ومؤثرين بعضه عنه . مثل أن يقال  
في المكتبة بشكر : إذا كان الشكر - أطال الله بقاء سيدنا الأمير فلان - ترحمان النبي ،  
ولسان الطوبى ، وشاهد الإخلاص ، وصون الاختصاص ، وسببا إلى الزيادة ،  
وطريقا إلى السعادة ، وكانت معارفه قد أحاطت بمعادينه ، واستولت على محاسنه ،  
فألّسن آثارها مع الصمت أفصح من لسانه ، وبيانها مع الجهد أبلغ من بيانه ،  
ونحو ذلك . ثم أخذوا اصطلاحا آخر أضافوه إلى الاصطلاح الأول ، فقدموا على  
الدعاء لفظ «كُتِبَ» أو لفظ «كُتِبَ» رتبة دون رتبة ؛ مثل أن كتبوا : كُتِبَ - أطال  
الله بقاء الأمير - ونحن على أفضل ما عودنا الله من انتظام الأمور وسدادها ، واستقامتها  
بحضرتنا وأطرافها . أو كُتِبَ - أطال الله بقاء مولاي الحاجب - عن سلامة ينقصها  
تلك ، ويتقصها فرائك ، وما يجرى تجرى ذلك . وربما أبدلوا لفظ كُتِبَ أو كُتِبَ  
بلفظ كتبت بصيغة الفعل ، وربما أبدعوا بلفظ أنا ونحوه . ثم خرج بهم الاختيار  
إلى مصطلحات اصطلاحها عليها مع بقاء بعض المصطلح القديم : فحاطبوا بالحضرة  
تارة ، وبالخدمة تارة ، وبالحبس أخرى ، فكتبوا : كُتِبَ - أطال الله بقاء حضرة سيدنا  
الوزير ، أو سيدنا الأمير ، ونحو ذلك ، أو أسعد الله الحضرة ، أو أسعد الله الخدمة ،  
أو ضاعف الله جلال الخدمة ، أو أعز الله أنصار الخدمة . وربما كتبوا : صدرت  
هذه الخدمة إلى فلان . وقد يكتبون : صدرت هذه الجملة ، إلى غير ذلك من  
تمتنتهم التي لا يسع استيفائها ، ولا يمكن اجتماع متفرقها .

قلت : وبالجمله فضبط صدور الإخوانيات وابتدائها على هذا المصطلح  
غير ممكن لاختلاف مذاهبهم في ذلك ، والذي تحصل لي من كلام النحاس



وَأَبْن حَاجِبِ النِّعَانِ، وَتُرْسِلُ أَبِي إِصْحَاقَ الصَّابِي، وَالْعَلَّامَ بْنَ مُوَصَّلَايَا، وَأَبِي الْقَرَجِ  
الْبَغْدَادِيَّ، وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُجِيدِينَ أَنَّ الْغَالِبَ فِي الْمَكْتَابَاتِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ أَهْلِ  
الدُّوَلِ عَلَى سَبْعَةِ أَسَالِيبَ :

## الأسلوب الأول

### أَنْ تَفْتَحَ الْمَكْتَابَةَ بِالْهَدَاءِ

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِصْحَاقَ الصَّابِي إِلَى الصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الشَّكْرِ وَالتَّشَوُّقَ .

أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ سَيِّدِنَا الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ، فِي سَلَامَةِ دُنْيَا وَدِينٍ، وَتَقَاضِي أَمْرٍ وَمَكِينٍ،  
وَتِمَامِ عِزٍّ وَتَأْيِيدٍ، وَثَبَاتٍ وَطَاقَةٍ وَتَمَهِّدٍ، وَطَوْقٍ قَدَرٍ وَسُلْطَانٍ، وَتِمَاطُكٍ خَطَرٍ وَشَانٍ،  
وَتَوَلَّاهُ فِي نَفْسِهِ وَأَوْلِيَائِهِ بِأَحْسَنِ مَا عُرِفَ وَأُلْفَ، مِنْ نَيْمِ دَارَةِ الْخَلَبِ، مِنْتَزِعَةٍ  
الشَّعْبِ، حِجَّةِ الْجِهَاتِ وَالْجَوَانِبِ، مَحْجُوبَةٍ مِنَ النَّوَابِغِ وَالشَّوَابِغِ، وَأَرَاهُ فِي حُصَادِ  
فَضَائِلِهِ، وَكُفَّارِ قَوَاضِيهِ، مَا عَوَّدَهُ فِيهِمْ مِنْ شَقَاءِ جُنُودِهِمْ، وَقُلُوبِ حُدُودِهِمْ، وَخُلُوفِ  
النِّكَالِ بِهِمْ، وَاثْبَاتِ الْمِصْصَةِ مِنْهُمْ . وَجِئْتُ حُكْمَهُ قُطْبًا لِمَذَارِ الْأَفْلاكِ، وَنَهْجًا  
لِحَجَارِي الْأَقْدَارِ، فَلَا يَنْزِلُ مِنْهَا مَحْبُوبٌ مَطْلُوبٌ إِلَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَتَحَاوَى، وَلَا يَحْذَرُ إِلَّا  
أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَحَامَى، ثُمَّ كَانَ بِرُؤُوسِ مَعَانِيهِ حُلُولُهُ، وَبِرِيقِهِمْ إِحْاطَتُهُ، وَفَوْقَ  
ظُهُورِهِمْ عَمَلُهُ، وَعَلَى صُدُورِهِمْ بَحْثُهُ، أَمْرًا جَزَمَا قَضَاهُ اللَّهُ لَهُ وَخَصَّهُ بِهِ، وَأَعْطَاهُ  
الْأَيَّامَ عَلَيْهِ عَهْدَ أَمَانَتِهِ، وَأَمَرَّتْ لَهُ بِهِ عَقْدَ صَحَابَتِهَا، عَاطِفَةً عَلَيْهِ بِطَاعَتِهَا وَمُؤَاتَاتِهَا،  
مُفْضِيَةً لَهُ عَنْ نَوَائِبِهَا وَنَبَوَاتِهَا، وَحَقِيقٌ عَلَيْهِ جَلُّ أَسْمِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ، وَيَسْمَعَ  
هَذَا الْهَدَاءَ فِيهِ، إِذْ كَانَ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ فِي أَوْفَرِ عِبَادَةِ قَضَلَا، وَأَعْمَرَهُمْ نَيْلًا، وَأَجْرَهُمْ  
أَدْبَا، وَأَكْثَرَهُمْ حَسْبَا، وَأَعْمَلَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَأَوْلَاهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَمُسَوِّتَهُ،

كتب هذا الكتاب أطل الله بقاء سيدنا صاحب الجليل ، ثم انخرط في سلك مقصده إلى آخره .

### الأسلوب الثاني .

أن يتوسط الدعاء صدر الكتاب بعد الابتداء بكلام مناسب للحال .  
كما كتب أبو إسحاق الضابي أيضًا عن بعض الأمراء إلى أمير آخر، مبشرًا بفتح :  
ومن أعظم النعم - أطل الله بقاء مولانا الأمير الجليل - خطرًا ، وأحسنها أثرًا ،  
نعمة سكتت ثوره ، وأطفاث قوره ، وصادت على الناس بحيل الصنع ، وجيل النعم ،  
ونظام الأمور ، وصلاحي الجمهور ، تلك التي يجب أن يكون الشكر طيبا متردفا ،  
والاعتباد بها متضاعفا ، بحسب ما أزالنا من المضره ، وجددت من الممره ،  
وأما كتب من المحدثور ، ونشرت من المأمول . وحقيق على الناس أن يعرفوا حقاها ،  
ويؤفوها من حمد الله قسطها ، ويتجزؤه وعده الحق في أداها ، وإطالة الإمتاع بها ،  
والحمد لله على أن جعلنا ممن يعرف ذلك ويمتدئ إليه ، ويعتقد ويتطوى عليه ،  
ويؤدى فرض الاجتهاد في الاستدامة والاستراة منه ، وأن خصنا من هذه النعم  
بذوات الفضل السابغ ، والظلل الماتع ، الجامعة لكبت العدو ومساءته ، وابتهاج الولي  
ومسرتة ، وهو المسئول جل اسمه وعز ذكره ، أن لا يسلبنا ما ألبسناه من سرايلها ،  
وأجرتنا من فضل ذيولها ، وودداته من جلالة أقدارها ، وتعاضل أخطارها ، ولا يمدنا  
معونة منه على بلوغ أقصى الوسع في الاعتداد بها ، ومتمنى الطوق في البشرها ،  
بمنه وطوله ، وقوته وحوله .

وقد عرف مولانا الأمير فلان ما كان من كذا وكذا ، ثم أتى على ذكر الفتح إلى آخره .

### الأسلوب الثالث

أن يُفتتح الكتاب بلفظ « كتابي » كما كتب الصابي عن الوزير أبي عبد الله الحسن بن سعدان ، إلى نحر الدولة بن بويه في إشارة فتح .

كتابي - أطال الله بقاء مولانا الأمير الجليل نحر الدولة - ومولانا الملك السيد مصمم الدولة وشمس الملة ، جاري على أفضل حال ، جمع الله بينهما في تمام عمر ونصر ، ونفاد أمر ونهى ، وعلو كلمة ورأي ، وسبوع موهبة ونعمة ، وشكر الله يستريد من فضله ، ويستند المائدة من طوله ، وأنا جاري في أحمله من أعباء خدمتهما ، وأتولاه من تاعلم شئونهما ، على أجل مآل الله ووزراء هذه المملكة المتحابين لها ، وأولياها المحامين عنها ، من هداية إلى مرآشد الأمور ، وتوفيق لصواب التدبير ، والحمد لله رب العالمين ، وقد كان كذا وكذا .

### الأسلوب الرابع

أن يُفتتح الكتاب بلفظ « كتب » كما كتب الصابي إلى صاحب الجيش في تزييه : كتب - أطال الله بقاء سيدنا صاحب الجيش - والدين عري ، والكيد حري ، والصبر مسلوب ، والعزاء مغلوب ، باللعجمة في سيدي فلان نصر الله وجهه ، وكرم مثقله ، التي هدت الجلد ، وفقت في المضد ، وبسطت عنز الجزوع ، وهجنت حلم الحليم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإلى أمره صائرون ، وعند الله نحسبه غصنا دوى ، وشهاباً حبا ، وطاق مضنة طلفت به أيدي التواب ، وتحيرته سهام المصائب ، وقارنت بين قلوب الأبعاد والأقارب ، والخواص والعوام في التالم لفقده والإستعاش لمصره ، والكأية لوقوع المخدور به ، وعز على أن يمرى لساني بهذا القول ، ويدي بهذا الخط ، إلى آخر المكتبة .

## الأسلوب الخامس

أَنْ يُقْتَضِحَ الْكَتَابُ بِالْخَطَابِ : كما كتب صاحبُ ديوان الإنشاء في زمن المسترشد عن نفسه ، إلى مُجَاع الدولة وزير دمشق ، بعد هلاك زَيْكِي بن أَقْسُقُر .

أيها السيد الرئيس المحامي عن مِرْبِه ، والذي قَصُرَ إلّا في المَعَالَى ، رَبُّ نَائٍ بِجِسْمِهِ وهو دَانٍ بقلبه ، وغريب إذا نَسَبَتْ وَأَمِيرٌ عَلَى دِمَشْقٍ مطاع في مَحَبَّةٍ ، وله بالعِراق إخوانٌ من حِزْبِهِ ، إلى آخر المكتبة .

## الأسلوب السادس

أَنْ تُقْتَضِحَ الْمَكْتَبَةُ بِلَفْظِ : «أَنَا» كما كتب الصابى عن نفسه إلى الأمير أبي الحسن بهتله بعيد .

أنا - أطال الله بقاء سيدنا الأستاذ الأمير - أَحَاوِلُ الخِدْمَةَ لَهُ وَالْقُرْبَةَ مِنْهُ مِنْذُ وَصَلْتُ إِلَى الصَّبَرِ الْمَنْصُورِ ، فَيَعْتَرِضُ دُونَ ذَلِكَ عَوَارِضٌ يَجْرِي بِهَا الْمَقْدُورُ ، إِلَى الْحَيْنِ الْمَوْقُوتِ الْمَسْطُورِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ مَنَى وَشَهْرَ عَنَى كَذَا وَكَذَا ، إِلَى آخِرِ الْكَتَابِ .

## الأسلوب السابع

أَنْ تُقْتَضِحَ الْمَكْتَبَةُ بِلَفْظِ « صَدَرَتْ » أو « أَصْدِرَتْ » كما كتب صاحب ديوان الإنشاء في زمن المسترشد عن نفسه إلى أبي الفرج سعد بن محمد تشوقاً .

صَدَرَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ إِلَى فُلَانٍ ، وَلَوَاعِجُ الْأَشْوَاقِ إِلَيْهِ مُتَضَاعِفَةٌ مُتَرَادِفَةٌ ، وَاسْتِغْرَارُ الصَّبْرِ عَلَى الْبُعْدِ عَنْهُ قَدْ رَتَّ قُوَاهُ ، وَهَنَ عُرَاهُ ، وَأَعْوَزْنَا وَجْدَانَهُ إِذْ حَسْتُ ذِكْرَاهُ ،

وإن كان ذكره سميحاً لمخاطب، ونجماً الناظر، والغريم الملازم، الذى يستحق ظالمه  
اللييب الحازم، إلى آخر الكتاب .

## المهيع الثانى

( فى الأجوبة على هذا المصطلح ، وهى على ضربين )

### الضرب الأول

أن يفتتح الجواب بما يفتتح به الابتداء ثم يقع الترض بعد ذلك لوصول الكتاب  
والجواب عنه : إما ملاصقاً للأول الابتداء ، وإما بعد كلام طويل .

فأما ما هو متصل بأول الابتداء ، فكما كتب الصابى .

كتابى — ووصل كتاب مولائى وفهمته ، وجل عني قدره وموقعه ، وسكنت  
إلى ما دل عليه من سلامته ، وصالت الله أن يسبح عليه ظلمها ، ويبلغه نعمه كلها ؛  
فأما ما ذكره من كذا وكذا ، إلى آخر الكتاب .

وأما ما هو بعد كلام طويل ، فكما كتب الصابى أيضاً عن نفسه إلى صاحب  
ابن صباد .

كتابى — أطال الله بقاء مولانا صاحب الجليل كافى الكفاة — وليس من جارية  
إلا ناطقة بشكره وحده ، ولا فى التمر حراحة إلا حافية بفضلته ورغبته ، وأنا مستمر له  
على دعاء : إن خلوت من أن يكون عائقاً لصلاحي ، ورأيتنا لحنائى ، لأكثر منه عن  
الأحرار العائشين فى نداء ، المستظلين بذراه<sup>(١)</sup> ، فكيف وأنا أول ساهر فى مرأبسه ،

(١) الذى ما يستكن فيه الانسان والفلل راجع ج ١٨ من السان .

ووارِد لشرايعه ، وأحوالى جاريه على استقامه أقوى أسبابها تصرف الأيام على آرائه ،  
 واتباعها إشاره في أولياته وأعدائه ؛ والحمد لله رب العالمين ، قضاء لحقه واقتضاء  
 لزميده ، واستدامة للنعمه عنده ، التى استحصفت في أيدينا سعتها ، وسالت طينا  
 شعاها ، وعمرتنا ببحائها ، ونعمت لنا ظلالها ، وما يزال بين رغبة مولانا الصاحب الجليل  
 كافى الكفاة - أدام الله علوه ، وكبت علوه ، في عبده ورغبة عبده إليه سر مكنون  
 في الصدور ، ومستور تحت الضلوع ، فهما يتناجيان به على بُعد الدار ، ويتقيان  
 عليه بالأفكار ، فإن تطلع من حجاب القلوب ؛ وشد من ظهور النيوب ، فإن ظهوره  
 يكون من جهته في قناعات الإنعام ؛ ومن جهتي في ثمرات الكلام . وقد وصل كتابه  
 المخطوط بكرمه لا بقائه ، إلى صديقه السائل بين يديه يحميه لا بقدمه ، فلم يستطع  
 أن ينهى من الفكر ، إلا بقدر ما يرى ساحة من الكفر ، ويبلغه إلى آخر الاجتهاد  
 والمُدرى وأسأل الله أن يطيل بقائه للإفضال المأخوذ منه ، والفضل المأخوذ عنه ،  
 والعلم الذى يزخر به بحره ؛ والفخر الذى يُسحب له ذيله ، والعز الذى ضرب عليه  
 رواقه ، والسياطان الذى ألقى إليه استحقاقه ، والأمر والنهى اللذين يحويهما تراثا  
 واكتسابا ، إذا حوَّاهما غيره فلولوا واعتصاما ، بمنه وطوله ، وقد كان كذا وكذا .

### الضرب الثانى

( أن يُفتح الجواب بلفظ «ورد أو وصل» ونحوهما )

كما كتب الصابى عن الوزير أبى عبد الله بن سعدان في جواب كتاب ورد عليه ،  
 وصل كتابك - أطال الله بقاءك - وفهمته ، وأدى فلان ما تجمله عنك ووعيته ،  
 وأزددت به بصيرة في سدادك ومعرفة ، وفضلك وحصانك ، واجتماع الأدوات  
 الجميلة فيك ، الداعية إلى إعلاء محلك ، وحميد حالك ، والثقة بك ، والإستقامة إليك ،

وأنهت ذلك إلى مولانا الملك فلان ، فأصغى إليه مستمعاً ، وأوجب لك به حقاً متضاعفاً ، وأمرني بكنا وكذا إلى آخر مراده .

وكا كتب أبو الفرج البيهقي في جواب كتاب :

ورد كتابك مشافهاً من البر ، ومؤدياً من الفضل ، ومتحملاً من المِنَّة ، مانحاً ورز الإِنصاف إلى الإِسراف ، وقرن الإِكْرَامَ بالإِنعام ، ولم أدر أيُّ المَنَح به أشكر ، ولا بأيِّ الوَارِف له أغفر : أجا تحمله من جميل نيته ، أم مألدى من جليل غاطبته ، أم مانحني به فوائد مَلْطَفَتِهِ ، أم ما أعتدني من حَلَاوَةِ مُفَاوَضَتِهِ ، إلى غير ذلك من الوصول إلى النعمة التي لأطاولها بَشْكركَ ، ولا أقولها بمِنَّة اعتداد : وهو ابتداءه ليأى من المكتبة بما أحرز به على عادته قَصَبَ السَّبْقِ ، وزاد على الرغبة مبرهنات وبصائد الودِّ تحمراً ، وإلى البسط دليلاً ، وعلى مستأنف الحِلْمَةِ بالمواصلة باعثاً ، ووجدته أبده الله قد فعل كنا وكنا .

### المهيع الثالث

( في خواتم الإخوانيات على هذا المصطلح )

وأعلم أنه لم يكن لهم ضابط للاختامات ، ولا ما يقتضى ملازمة اختتام معين لصديق معين ، بل ذلك موكل إلى رأى الكاتب لا يراعى فيه غير علو الرتبة وهبوطها ، حيث تفاوتت رتب الاختامات عندهم .

ثم الاختامات لتسم على أنواع شتى .

منها — الاختتامُ باستمارة الرأى ، وهو على مراتب : أغلاها « ولولانا علو الرأى » في ذلك « كا كتب الصابى في خاتمة كتاب : ولولانا علو الرأى في تفرغ حب خليله

بالقبول، والتّقدّم بإعلامه بالوصول، واستخدامه بما يتعلق بأرابه وأوطاره - ومن نظر ذلك وأشكاله - إن شاء الله تعالى .

ودون ذلك - الاختتام بلفظ « فإن رأى كذا وكذا فعل » كما كتب الصابي في خاتمة كتاب بشارة بفتح، فإن رأى سيدي أن يعرفني موقع هذه البشري منه، ومقابلتها بالشكر الواجب عليها، ويتقدّم بإشاعتها في نواحيه وأعماله، ليكتب الله به صدوره وصلواته، ويكاتفي بما أطلّعه من أحواله وأخباره، وأتعمّد إسماعله به من مآريه وأوطاره، فإنّي أعتدّه شريكاً لنا مساهماً، وخليطاً مفادياً، فقل إن شاء الله تعالى .

ودونه « فرأيتك في كذا وكذا » كما كتب أبو الفرج البهاء في خاتمة كتاب في الحث على مواصلة الكتب، فرأيتك في إيناسنا بكتبك متضمنةً مأثورته من آيساطك، ونعلمه من أخبارك، موثقاً إن شاء الله تعالى .

وقد تهتم في الكلام على أصول المكتبات لأني معنى كل فرأيتك دون فإن رأيت .

وذكر ابن حاجب الثمان أن أعلى المراتب « وللآراء العالية فضل السموم ومزيد القدرة . ودونه « ولأرى المجلس الفلاني فضله وتسموه » . ودونه « ولأرى الحضرة الفلانية فضله » . ودونه « ولأرى حضرة مولانا أنمي » . ودونه « ولأرى حضرة مولاي السالي » . ودونه « ورأيه موثقاً » . ودونه « ورأيه السديد » . ودونه « ورأيه الأرشد » . ودونه « والمؤثر كذا » . ودونه « فأحب أن يفعل كذا » . ودونه « ويجب أن يفعل كذا » . ودونه « فأفضل كذا من غير مخالفة » . ودونه « واحذر المخالفة » .



ومنها — الاختتام بالثناء، كما كتب الصابى خاتمة تأييد « وأسأل الله أن يعيّل بقائه ، ويعيّل إخوانه ، ويعفّظله بعيداً وقرباً ، ويرعاه فائتاً وحاضراً .

ومنها — الاختتام بطلب مواصلة الكتب؛ كما كتب الصابى فى خاتمة كتاب؛ وأنا أسأله أن يواصلني بكتبه، مُضمّنة أخباره الطيبة ، وأمره المثل ، وأوطاره ومُهماته ، معتمداً بذلك ، إن شاء الله تعالى .

ومنها — الاختتام بترك التكليف بالمكتبة فى غير الضرورى، كما كتب الصابى فى آخر مكتبة ، وما أطالبُ سيدى بالمكتبة إلا عند الحاجة العارضة؛ فإنه يُعيّذنى بها جبلاً أشكره ، ويستفيدُ منى سعيًا يعمده ، فأما ما عدنا ذلك مما يشغل أوقات راحته ، ويسدُّ فرج خلوته ، فإننى أستعفى منها استعفاء المتقرب إليه، المؤثر لما خفّ عليه ؛ وله فيما سألتُ فضلُ النظر فيه ، والإسفاف به ، إن شاء الله تعالى .

ومنها — الاختتام بالتحذير من المخالفة ، كما كتب الصابى فى خاتمة كتاب إلى جماعة بمحصيل قوم : وليكتب كل واحد منهم بحبر من صبي أن يظفر به من هؤلاء ، أو يقف على موضعه ، أو ينتهى إليه شيء من خبره ، وليحذر من التقصير فى ذلك . إلى غير ذلك من الاختتامات التى لا تحصى كثرة .

وقد ذهب كثير من الكتاب [إلى عدم تفضيل بعض الاختتامات على بعض] <sup>(١)</sup> على أن ابن حبيب الثمان قد قال فى « ذخيرة الكتاب » إن أصل ذلك بالنسبة إلى المكتوب إليه : وللاّراء الفلانية فضلُ السُّمُو ومزيدُ القُدرة . ودونه « ولراى المجلس الفلانى فضله وسموه » . ودونه « ولراى الحضرة الفلانية فضله » . ودونه « ولراى حضرة سيدنا أسمى » . ودونه « ولراى حضرة مولاي العالى » . ودونه « ولرايه

(١) اقتبسنا هذه الجملة من المقام وأضفناها لتسليم الكلام وبجارية ابن حبيب الثمان تقدمت فى الصفحة قبل فنه .

مَوْفَّقًا . ودونه «وَرَأْيُهُ السَّيِّدُ» . ودونه «وَرَأْيُهُ الْأَرَشْدُ» . ودونه «وَالْمُؤَثَّرُ كَذَا» . ودونه «فَأُحِبُّ كَذَا» . ودونه «وَيَحِبُّ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا» . ودونه «وَسَبِيلُهُ أَنْ يَتِمِّدَ كَذَا» . ودونه «فَأَفْعَلُ كَذَا» . ودونه «فَأَفْعَلُ كَذَا مِنْ غَيْرِ مُخَالَفَةٍ» . ودونه «وَأَحْذَرُ الْمَخَالَفَةَ» .

### المهم الرابع

(في عُتُونَاتِ الْكُتُبِ عَلَى هَذَا الْمَصْبُوحِ، وفيها أربعة أحوال)

الحالة الأولى — أَنَّ يَكُونُ الْعُنْوَانُ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمُتَمَوِّنِ ، قد ذكر في «مُتَعَامَةِ الْكُتُبِ» أَنَّ الْعُنْوَانَاتِ مِنَ الْوَزِيرِ وَالْقَاضِي وَغَيْرِهِمَا مِنَ الرُّؤَسَاءِ عَلَى تِسْعِ صَرَائِبَ :

(الأولى) أَنْ يَكْتُبَ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ «لَأَبِي فَلَانٍ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَأَحْرَزَهُ» ، وفي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ «مَنْ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ» بِاسْمِ الْوَزِيرِ وَأَسْمِ أَبِيهِ إِنْ لَمْ يَكُنْهُ الْإِمَامُ ؛ فَإِنْ كُنَّا ، كُتِبَ «مَنْ أَبِي فَلَانٍ» ، وَالْقَاضِي فِي مَعْنَى ذَلِكَ .

(الثانية) أَنْ يَكْتُبَ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ «لَأَبِي فَلَانٍ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ» فَقَطْ ، وَيُكْتُبُ الْأَيْسَرُ وَلَا يَكْتُبُ وَأَحْرَزَهُ .

(الثالثة) أَنْ يَكْتُبَ فِي النَّهْأِ الْكَتُوبِ إِلَيْهِ ، أَدَامَ اللَّهُ حِرْزَهُ .

(الرابعة) أَنْ يَكْتُبَ أَعَزَّهُ اللَّهُ .

(الخامسة) أَنْ يَكْتُبَ أَعْزَمَهُ اللَّهُ وَأَدَامَ كَرَامَتَهُ .

(١) أَيْ أَسْمَ الْوَزِيرِ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ وَقَوْلُهُ لَا يَكْتُبُ وَأَحْرَزَهُ أَيْ فِي الْجِهَةِ الْكَتُوبِ إِلَيْهِ الَّتِي هِيَ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ تَحْتَهُ .

(السادسة) أن يُكتبَ أكرمه الله، وفي ذلك يكتبُ اسمُ الوزير في الجانب الأيسر.

(السابعة) أن يُكتبَ أباه الله، ولا يذكر اسمُ الوزير في هذه المرتبة وما بعدها.

(الثامنة) أن يكتب حفظه الله ولا يكتبُ اسمُ الوزير.

(التاسعة) أن يكتب طافه الله.

وعلى نحو ذلك جرى أمرُ حاجب النعمان في "ذخيرة الكلاب" فقال : إنه يبدأ في الجانب الأيمن بذكر المکتوب إليه وتُؤوِّيه وكنيته واسمه واسم أبيه ونسبه المشهور من ناحيته أو قبيلته أو بَلَدِهِ ؛ ثم يذكر المکتوب عنه في الجانب الأيسر باسمه واسم أبيه ؛ فإن كان الكلابُ عن الوزير ، ذكر كُنيته في الجانب الأيسر ، إن كان الإمام أمره أن يكتب مَكْنِيًّا أو مُتَلَقًّا .

وقد سبق في الكلام على أصول المکتوبات في أول الباب الثاني من هذه المقالة أن من السلف من كره لأبي فلان وقال : الصواب أن يكتب إلى أبي فلان . قال في "صناعة الكلاب" ويكتب : لأبي الحسن ، فإن أَمَلَت الكنية في الناحية الأخرى رفعت فقلت أبو الحسن على بن فلان على المبتدأ والخبر أو على إضمار مبتدأ ، وإن شئت خفضت على البدل ، فإن لم تعد الكنية كان الخفض أحسن فقلت لأبي الحسن ؛ ثم قال : وإن كتبت إلى رجلين كنية كل منهما أبو الحسن ، كتبت لأبوي الحسن لماذا لم يكن لهما ولد يُقال له الحسن ، فإن كان لكل منهما ولد يُقال له الحسن ، جاز أن يكتب لأبوي الحسنيين . قال : والاختيار أن يكتب لأبوي الحسن أيضا ، لأن المعنى للذين يُقال لكل واحد منهما أبو الحسن . ويجوز أن يكتب إلى الرجلين اللذين يكتبان بأبي الحسن : لأبي الحسن ففتح الباء وكسر الاء على لغة

من قال جاءني أبوك ، والأصل فيه لأبيّين الحسن سقطت النون للإضافة ، ويكتب في الجميع لأبي الحسن بكسر الباء ، الأصل لأبين بكسرها أيضا ، سقطت النون للإضافة على لغة من قال : جاءني أبوك<sup>(١)</sup> يعني بضم الواو ، ويموز أن يكتب لرجل كنيته أبو الحسن لأبا الحسن على لغة القصر ، كما يقال لفتى الحسن .

قال في " ذخيرة الكلاب " وإن كان الكلاب إلى آئين وكأيتهما مختلفة : كأبي جعفر ، وأبي منصور ، وأبي بكر ، كتبت آباء جعفر ومنصور وبكر . وإن كانت كائيتهم متفقة مثل أن تكون كنية كل منهم أبو جعفر كتبت آباء جعفر .

الحالة الثانية — أن يكون العنوان من المرحوس إلى الرئيس . فقد ذكر « النحاس » عن الفضل بن سهل أنه إذا حُوطب الكُفء بجملي الله فإليك بالصدر الكامل ، فأحسن دُعائه للعنوان ، أعزّه الله وأطال بقاءه ؛ وذكر أنه إذا كُتِبَ بأعزّه الله فأجمل العنوان مدافقه في عُمره . قال في « صناعة الكلاب » ولا يتكنى الرجل في كُتبه ، إلا أن تكون كنيته أشهر من اسمه فيتكنى على نظيره ، ويسمى لمن فوقه ؛ ثم يلحق المعروف بأبا فلان ، أو المعروف بأبي فلان . قال : ويكتب : من أخيه ، إن كانت الحال بينهما تُوجب ذلك .

الحالة الثالثة — أن يكون العنوان من الرجل إلى أبنه ومن في معناه ، قد ذكر النحاس أنه يُستون إليه من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان ، ثم قال : وكذا كبير الإخوة والرجل إلى أهل بيته .

(١) كذا في الأصل ولم نعرف في كتب النحوي على هذه اللفظة ولعله تحريف من الناصح والأصل جاءني أبك يعني بضم الباء فتأمل .

(٢) لعله إلى آئين فأكثر وكأيتهم ... فتأمل .

الحالة الرابعة — أن يكون المكتوب إليه امرأة . قال في "صناعة الكتاب" :  
إن كان المكتوب إليه أم الخليفة ، كتب : للسيدة أم فلان أمير المؤمنين ، وإن  
كانت امرأة الخليفة وكان ابنها معهوداً إليه بالخلافة ، كتب للسيدة أم فلان ولئ  
عهد المسلمين ، وإن كانت امرأة رجل جليل ، كتب للفرقة أم فلان ، ولا يكتب  
أسمها ، ويدعو لها بالدعاء الذى يكون خطاباً به .

هذا ما كان الحال عليه في زمن النحاس في خلافة الراضى وما حوّلها .

وقد ذكر ابن حاجب التمان في "ذخيرة الكتاب" أن الحال تغير عن ذلك عند  
تغير المكتوبات إلى المجلس العالى ، والحضرة السامية ، وما يجرى بجرى ذلك ، ثم قال :  
فعلى هذا إذا كتب إلى المكتوب إليه بالمجلس العالى أو السامى ونحوه ، فيجب  
أن يكتب عن نفسه بالملك أو المملك أو السيد أو الخادم . وإذا كتب : الحضرة  
السامية أو العالمة ونحوها ، فيجب أن يكتب عن نفسه الخادم أو خادمها أو عبدها .  
وإذا كتب : حضرة سيدنا ونحوها ، فيجب أن يكتب عن نفسه خادمها أو خادمه  
وعبدها أو عبده . وإذا كتب : حضرة مولانا ونحوه ، فيجوز أن يكتب عن نفسه ماشاء  
من ذلك . قال : وفي الكتابة إلى النظير لا ضابط لمنوانه كما لا ضابط لمكتوبه ،  
بل له أن يكتب عن نفسه بما شاء مما تقدم ذكره .

ثم قال : وإن كانت المكتوبة من الرئيس إلى المروس ، فيجب أن يكتب : حضرة  
الفلانى بنير مولاى — ودونه : الفلانى بنير حضرة ، وكنيته ونحوه وأسمه وأسم أبيه ،  
ويكتب عن نفسه ما يختار أن يكتبه الرئيس إلى المروس مما هو معروف مشهور ، ويزيد  
في اسمه وأسم أبيه ألفاً ولأما ، إن كانا مما يجوز أن يردا [فيهما] ، وإذا كتب المروس  
إلى الرئيس وكتب عن نفسه بما كتبه ، فيجب أن يحذف من اسمه وأسم أبيه الألف

واللام . قال : والرئيس أن يكتبَ عن نفسه بما شاء من الكليات التي تليق بمنصبه وأسمه وأسم أبيه ونسبه المقرّر بأمير المؤمنين ، مثل ناصر أمير المؤمنين ، وحُسام أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك .

### المقصود الثاني

( في [رسوم] إخوانيات أهل المغرب )

وعادتهم فيها أن يكون الخطابُ فيها خطابُ المُواجهة ، مثل : أنت ، وأنا ، ولك ، وعندى ، وعندك . وربما خاطبوا الواحد بجمع تعظيماً للكتب إليه ، كما يعبر عن المتكلم الواحد بنون الجمع تعظيماً له . قال ابن شيث في "معالم الكتابة" ولا يُعرف ذلك لسيرهم ، وربما وقع الخطابُ عندهم على القينة أيضاً ، وفيه جملتان :

### [الجملة الأولى]

( في مفتتحات المكاتبات على اصطلاحهم ، وفيها مهيمان )

### المهيمع الأول

( في ابتداء المكاتبات ، وهي على طرق )<sup>(١)</sup>

منها — أن تُفتّح المكاتبة بالدعاء : إنا بطول البقاء كما كتب عبدُ الله بن طاهر : أطال الله بقاء سيدي الأعلى ، ومقرّعي في الجلى ، ممتةً عليه النعم ، ميمرةً لديه المحم ، أقول بدماء أيدك الله : لقد أعتنى الناظرين منك ، كما أعتنى الطالبين مسعاك ، ولئن فُت الجميع ، لقد أبدعت الصليح ، فلا غاية لتحيد إلا وأنت آتيها ، ولا ذروة لعز

(١) بيض لذلك في الأصل وزدناها من نظيرتها الآتية .

إِلَّا وَمِنْ ظَنَّاكَ بِأَنِّيْهَا لَكَ الْهُدَى وَالنَّاسُ ضَلَالٌ، وَفِي يَدَيْكَ الضُّوْءُ وَالْكُلُّ أَغْثَالٌ؛  
وإِنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا .

وَمَا كَتَبَ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنِ عَمِيْرَةَ : أَحَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْإِنْسِ الْسَرِيَّ الْكَرِيْمَ، الْحَرِيَّ  
بِالتَّقْدِيْمِ وَالتَّعْظِيْمِ؛ أَوْحَدَ قُرْصَانِ الْإِحْسَانِ، وَوَاحِدَ عَقْبَانِ الْبَيَانِ؛ وَلَا زَالَ قَلْبُهُ جَالِيَّ  
بِدَائِعِ السَّحَرِ، جَالِبَ بَضَائِعِ الشُّعْرِ، مَغْبُوطَ السَّبْقِ، عِنْدَ كَلَالِ جِيَادِ الْكَلَامِ، مُسَوِّطَ  
الرُّزْقِ، فِي حَالِ إِتْلَاقِ الْأَقْلَامِ، إِنْ ذُكِرَتْ - أَهْلَاكَ اللَّهُ - الْبِلَافَةُ فَمِنْ عَلَى مُوَرِّدِهَا  
يُسَاجِلُكَ، أَوْ قِيلَ فِي ثَوْبِ رِعْتِهَا يُبَيِّتُ عَلَى نَعْمٍ فَوَاعَى هِيَ أُنَامُكَ، صَفْوُهَا مَتَّعُجَرُ  
مِنْ مَعِيْنِكَ، وَشَاوُهَا لَا مَطْمَعَ فِيهِ لَغَيْرِ مَعِيْنِكَ، وَشَاوُهَا تَسْتَوْفِيهِ فِي هَيْئَةٍ مُمْتَهَلٍ،  
وَجَنَاحُهَا تَرْطَأُ بِعِزَّةٍ أَيْ مُمْتَهَلٍ، فَقَدْ صَرَتْ أَمَامَ أَمِّيْنِهَا، لَا بَلْ إِمَامَ أَمِّيْنِهَا، وَالرَّاضِعَ  
لِرِسْلِهَا، بَلِ الْوَاضِعَ لِأَمْلِهَا . فَهَنِيئًا لَهَا أَنْ كُنْتَ سَابِقَ ظَائِمِهَا، وَسَائِقَ رَايَتِهَا، وَبُشْرَى  
لِمُهَرِّقِ وَشْتِهِ بِرَاعَتِكَ، وَمَشْتِهِ بِرَاعَتِكَ، لَقَدْ أُوقِيَ مِنَ الْحُسْنِ مَا تَشْتَرِيهِ الْقُلُوبُ  
بِحَبَابَتِهَا، وَتَشْتَرِيهِ النُّفُوسُ أَكْثَرَ مِنْ حَيَاتِهَا؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا .  
وَأَمَّا بِالْبَقَاءِ الْمَجْرَدِ .

وَمَا كَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، إِلَى بَعْضِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ :  
أَيُّيَا اللَّهِ الشَّيْخَ فِي حِرْزَةِ ثَالِثَةِ طَائِفِهِ، وَسَعَادَةِ لَازِلِ طَارِقَةِ كُلِّ عَارِفِهِ؛ وَلَا زَالَ  
قَاصِدُهُ عَجِيًّا مِنْ رِفْدِهِ بَرَوِضِ نَاضِرٍ، وَنَحْوَمَا مِنْ جَنَّةٍ عَلَى مَسَرَّةٍ مَتَّعَ وَقَرَّةٍ نَاطِقَةٍ؛  
وَالْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا .

وَأَمَّا بِالْبَدَاءِ لِلْحَضْرَةِ .

وَمَا كَتَبَ أَبُو زَيْدٍ الْفَارَازَانِيُّ :

أَبْنَىٰ اللهُ حَضْرَةَ السَّيِّدِ نَاصِرَةَ أَنْوَاجِ السَّعْدِ، عَاطِرَةَ أَنْوَاجِ الْمَجْدِ، سَاكِةَ أَنْوَاجِ  
الْجَدِّ، صَابِئَةَ مِهَامِ الْجَدِّ، وَلَا زَالَتْ مَفْشِيَةُ الْجَنَابِ، بِوَقْدِ الْحَمْدِ، مَوْشِيَةُ الْإِهَابِ،  
بُسُودِ الْحَقْدِ. الظَّلُّ إِذَا رَحِبَ، أَزْدَحَمَ عَلَيْهِ الضَّاحُونَ، وَالْوَرْدُ إِذَا عَلَبَ،  
أَزْدَلَقَ إِلَيْهِ الْمُتَنَاحُونَ، وَظَلَّ الْحَضْرَةُ الْمَكْرَمَةُ كَثِيفُ الْأَقْيَامِ، وَوَرْدُهَا مُغْنٍ عَنْ وَسَائِلِ  
الْأَرِثِيَّةِ وَالْإِدْلَاءِ، فَلَا غَرْوَ أَنْ تُضْرَبَ إِلَيْهَا أَكْبَادُ الْإِبِلِ، وَتَقْصَّ بِالْوُفُودِ عَلَيْهَا أَفْوَاهُ  
السُّبُلِ، وَاللهُ تَعَالَى يُعَيِّنُ الْحَضْرَةَ الْمَكْرَمَةَ عَلَى الْإِيَادِي تَسْوِغَهَا، وَالْأَمَالَ تَبْلُغَهَا،  
بِمَنَّةٍ. وَإِنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا.

وَلِمَا بِاللَّحْظِ لِلْحَلِّ.

كَأَكْتَبَ أَبُو الْمَطْرُوفِ بْنِ عَمِيرَةَ فِي صَدْرِ شَفَاعَةٍ.

أَبْنَىٰ اللهُ الْحَلَّ الْأَعْلَى حَرَمًا يَتَقَامَاهُ الْأَنَامُ، وَصَلَبًا تَتَضَاعَلُ لَهُ الْأَعْلَامُ، وَلَا زَالَتْ  
أَرَاؤُهُ النَّابِجَةُ، تَسْتَمِيتُهَا الْعُقُولُ وَالْأَنفِهَامُ، وَمَسَاجِيهِهِ الصَّالِحَةُ، يَشْكُرُهَا اللهُ  
وَالْإِسْلَامُ. إِنَّ تَجْنِدَا سَائِي الْكَوَاكِبِ يَمْتَوَاهُ، وَسَارِي الْفَرِّ السَّوَاكِبِ فِي جَدْوَاهُ،  
لِنَاجٍ إِلَى أَسْتِلَامِ كَفِّهِ الْعَلِيهِ، وَالِاسْتِهَامِ عَلَى وَصْفِهِ الَّذِي لَهُ حَقِيقَةُ الْأَوَّلِيَّةِ، وَكَيْفَ  
لَا وَقَدْ أَجَارَ مِنَ الدَّهْرِ الْمُخِيفِ، وَصَارَ قِبْلَةً كُلِّ دَاخِلٍ تَحْتَ التَّكْلِيفِ، يُعِيدُ مَقَامَ  
أَخْطَايَا صَلَاةِ الْأَمَلِ، وَيَرَى الْأَجْتِهَادَ فِي طَلِبِهَا مِنْ رَاحَةِ الْعَمَلِ، وَإِنَّ الْأَمْرَ  
كَذَا وَكَذَا - لَمْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاجِ الدَّعَاءِ.

وَمِنْهَا - أَنْ تَخْتَصَّ الْمَكْتُوبَةُ بِلَفْظِ «كَأَبْنَىٰ» كَمَا أَكْتَبَ أَبُو الْمَطْرُوفِ بْنِ عَمِيرَةَ إِلَى  
بَعْضِ الْعُلَمَاءِ.

كَأَبْنَىٰ إِلَى سَيِّدِي سَحِيفَةَ اللهِ مُقِيمًا وَسَاتِرًا، وَأَبْقَاهُ لِقُرَرِ الْبَيَانِ سَاحِرًا، وَعَنِ وَجْهِهِ  
الْإِحْسَانِ سَافِرًا، وَلَا زَالَتْ آدَابُهُ تُشْرِقُ وَتُرَوِّقُ سَاحِرًا، وَمَحَاسِنُهُ كَالشَّمْسِ إِذَا لَمْ



يَلْقَى نُورَهَا سَائِرًا - مِنْ فَلَانَةٍ - وَالْوَدَّ رَوْضَةً مَطْلُولَةً ، وَرَحِمٌ مَوْصُولَةً ، خَلَصَ مِنْ  
الْقَلْبِ إِلَى حَبْتِهِ ، وَاخْتَصَّ مِنْهُ بِمَا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَحِبَّتِهِ ؛ وَأَنَارَ شَوْقًا عَلَى قَدْرِهِ ،  
وَهَوَى نَوَى فِي صَدْرِهِ ؛ وَأَسْفَا عَلَى عَهْدٍ أَصْبُو إِلَى ذِكْرِهِ ؛ فَاتَتْ ، وَرَدَّ الْفَائِتُ يَمُورُ ،  
وَقَصُرَ ، وَأَيَّامُ السُّرُورِ تَقْصُرُ ؛ كَأَنَّمَا كَانَ قِرَاءَةً سَطَرَ ، أَوْ إِخْفَاءَةً بَحْرَ ، أَوْ زِيَارَةً  
مُجْتَازَ ، أَوْ عِبَارَةً ذِي إِيْضَارَ . فَنَ لَنَا بِذَلِكَ الْأَرْجُ الذِّكْرُ ، وَالْأَزْيَمِيُّ يَرْتَاحُ لَمَا يَنْتَرِعُ  
أَوْ يَنْحَى ، وَمَتَى تَقُودُ بَيْنَ يَخْتِ مِنْ سَحَرٍ ، وَبُزْرَى بِأَبَى سَحَرٍ ، وَيُغْرِفُ مِنْ بَحْرِ ،  
وَيَغِيرُ مَعَ أَبِي بَحْرِ ؛ وَيَجْمَعُ إِسْنَادَهُ بَيْنَ الْجَامِعِ وَالْمُسْنَدِ ، وَيُنْشِدُ مِنْ بَدَائِعِ حَفِظِهِ  
مَا يُؤْثِرُ فِي الْمُسْنَدِ ، شَجَرَةً عِلْمٌ تُؤْتِي كُلَّ حِينٍ أَكْثَرَهَا ، وَمَرْثَةً فَضْلٌ تَجُودُ مَا تَنْشِئُ بِمُحَلِّهَا ،  
وَضَائِلَةً أَدِيبٌ يَقُولُ لَهَا أَنْ يُعْمَلَ الْقَارِئُ جُعِلَهَا ، فَاتَ عَنَّا ، فَاتَسَبَّ وَغَى ، فَهَلْ مَعِينُ  
عَلَى دَوْلَةِ إِنْ نَحْنُ لِسَعْنَا ، أَوْ سَيْلُ إِلَى مَا يَهْدِينَا مِنَ الْكَلَامِ فَتَحْنُ فِي حُرُوفِ نَيْمٍ ، غَيْرِ  
مَعْنَى ، وَإِنْ الْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا .

ومنها — أَنْ تَقْتَضِحَ الْمَكْتُبَةُ بِلَفْظٍ : كَتَبْتُ .

كما كتب أبو زيد الفازازي .

كُتِبَتْ — كَتَبَ اللَّهُ لِلْأَخِ الْأَبْرَارِ الْأَوْفَى ، وَالْفَاضِلِ الَّذِي أَنَارَ مَاتِرَهُ لِأَخْنَفِي ، مَجْدًا  
هَامِي الرَّبَابَةِ ، سَائِي الرَّابَةِ ، وَذَكَرًا مَتَّعَلًا بِالْإِمْلَاءَةِ وَالْإِطَابَةِ ، وَقَرَنَ أَعْمَالَهُ بِالْقَبُولِ  
وَدَعَاوِهِ بِالْأَسْتِجَابَةِ — مِنْ مَكَانٍ كَذَا ، وَلَا جَلِيدَ يُؤْمِنُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا صُنْعُهُ الْجَلِيلِ ،  
وَلُطْفُهُ الْعَرِيسُ الطَّوِيلِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَمْدًا يُؤْمِنُ آلَاءَهُ مِنَ التَّنْفِيرِ  
وَالْتَبْدِيلِ ، وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا وَكَذَا .

ومنها — أن تفتح المكتبة بكافية عن المكتوب إليه من لقب ونحوه .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة لبعض الرؤساء .

الجناب الرباعي أدام الله آخلاءه، وحسن مجده وسنانه .

صدرت هذه الخدمة إليه من فلاتة، ولا مزيد على ما يجب لجلاله من التعظيم،  
ولفضله من التقديم، ولا كراه من الشكر العميم؛ وإن الأمر كذا وكذا .

وكما كتب أبو بكر بن عيسى شافعا في أنصاري .

السيد العماد، والمجاهد الجواد، والملجأ المنيع المريع لمن يرتأع أو يرتاد، أدام الله  
صلاته، وضاعف عنده آلاءه، بذر الجسلة الشريفة، وفرع النوحة المنيفة، من  
آل قميس الجود، وقيل بني قبيلة الباذلين الموجود، أولئك الذين عز المهاجرون  
بإخائهم وحقائهم، فلا غرو أن تكلف الألسنة بمدحه، وتعد الأيدي إلى منحه،  
ويصدر باسمه تاريخ الأجداد فهو أحق مفتحه، والأمر كذا وكذا .

وكما كتب أبو المطرف بن عميرة، عن الأمير أبي جميل زيان، إلى الأمير  
أبي زكريا بن إصحاق .

الأمير الأجل الهام الأعلى حرس الله مقامه، وأسعد أيامه، وظاهر بالنصرة  
مقامه وأصترامه، راسخ شرف التجار، ثابت أصل الفقار، مستهل آلاء السحب  
الغزار، والعيون إليه سامية، والهمم إلى مالدية مترامية، والصدور بالأمل فيه تُشرج،  
والنفوس الحسرة إلى استرقاقه تطلع، ولا غرو والكرم من بعض شيمه، والغنى  
من فضل ديمه — أن ييسر إليه في البر والبحر كل ذي رغبة، وتتراعى نحوه ركائب  
الرحاء من كل تربه . ونحاطبنا هذه إلى مجلسه أيده الله عما نعلمه من كبير قدره،  
ونؤجبه لعل امره، ويُنج به من طيب خبره، وجميل ذكره؛ والأمر كذا وكذا .

وكما كتب أبو الحسن بن شلبون :

العِمَادُ المَذَنَرُ ، والمَلَادُ الذى بولائه أَفْخَرُ ، جعل الله قَدْرَهُ مالِيَا ، ودَهْرَهُ بِحَاسِنِهِ  
حَالِيَا ، ولا زالَ لِلنَّعَمِ قَابِلَا ، ولِلْأَسْوَءِ قَالِيَا ، كُنْتُ من مَكَانِ كَذَا ، وَالْوُدَّ حَلِيَّةً  
يَتَأَلَّقُ رَوْتَهَا ، وشَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا ، وإنْهَا مَفْرُوسَةٌ ، لَاهْبِلْ بِذَرِّ الْعَوَادِي ،  
ومَحْرُوسَةٌ ، لَا يَقَعُ عَلَيْهَا من يَقَعُ فى شَجَرِ الْوَادِي ، والأمرُ كَذَا وكَذَا .

وكما كتب أبو المطرف بن عمية إلى بعض الفقهاء شافعا موصيا :

الحلُّ الأعلَى - ضاعفَ اللهُ أنوارَ هِدَايَتِهِ ، وأبْقَى على الجَميعِ آثارَ عَنَانِيهِ - مستودِعُ  
الكَمَالِ ، ومُتَشَرِّعُ الآمالِ ، ومَقْعَدُ أَرْبابِ السُّؤَالِ ، ومَصْعَدُ الصَّالِحِ من الأَعْمَالِ ،  
وإنْ فُلَانًا من أَمْرِهِ كَذَا وكَذَا .

وكما كتب ابن أبي الحِصَالِ :

الشيخُ الأَجَلُّ أدامَ اللهُ عِزَّهُ ونُفَاهُ ، ووصلَ رِفْعَتَهُ ومُغْلَاهُ بِشَقْوَاهُ ، مُجِلُّ قَدْرِكُمْ ،  
ومَقَرِّمُ رِثْمِكُمْ وشُكْرِكُمْ ، العارفُ بِحَقِّكُمْ ، فُلَانٌ ، فكتبَ بِعَظَمَتِكُمْ كَتَبَ اللهُ لَكُمْ خِيَا  
مُسْتَمِرًّا ، وِرْضًا على مَا تَرْضَوْنَهُ ثَابِتًا مُسْتَقَرًّا ، من مَكَانِ كَذَا ، على الرِّمِّ المَقَرَّمِ من  
تَوْفِيرِ مَلَائِكَةِ ، والشُّكْرِ لآلَائِكِ ، والرَّبِّ تَعَالَى يُنْهَضُ بِحَقِّكُمْ اللَّاْزِمِ الأَكْزَمِ ، ويَصِلُ  
حِرَاسَةً بِجِدِّكُمْ الأَثَلِيدِ الأَقْدَمِ ، بِمَنَّةٍ وَفَضْلِهِ ، وإنَّ الأَمْرَ كَذَا وكَذَا .

وأعلمُ أَنَّهُ رَبِّمَا أَتَى بِدَ ذِكْرِ الثَّوَمَاتِ بِالسَّلَامِ ، ثمَّ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى والصَّلَاةِ على  
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آلِهِ ، ثمَّ الرِّضَا عنِ الخُلَفَاءِ المَاضِينَ والخَلِيفَةِ القَائِمِ .  
وعلى ذَلِكَ كَانَتْ طَرِيقَةُ كِتَابِ دَوْلَةِ المُوَحِّدِينَ أَتْبَاعِ «المَهْدِيِّ بْنِ تَوْحِيْدٍ» كما كَتَبَ  
أبو محمد بنُ عبدِ البرِّ :

الشيخ الأجل، أدام الله عزَّته، ووصل كرامته ورفَّته . يُحِلُّ قدره، وملتزم برِّه  
وشُكره، المسرور بما يُخَيِّره إحسانه من طيب ذكره .  
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد حمد الله العظيم ، والصلاة على سيدنا محمد رسولهِ الكريم ، وعلى آله -  
والرضا عن الإمام المصنوم مهديِّه ، وعن خلفائه الأئمة الراشدين - والدعاء لسيدنا  
الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، ابن الأئمة الخلفاء أحرار المؤمنين ، بالنصر الأعز ،  
والفتح الأتم الأوفى ، فكتب كتب الله لكم مجدا لا يبي شرُّه ، وسعدا لا يبي  
طرفه ، من فلانة - حرما الله - ولا ناشئ عن الله تعالى وعميم لطفه إلا الخير  
الأكل ، والصنع الأجل ، والحمد لله رب العالمين كثيرا ، وإن الأمر كذا وكذا .

قلت : وعلى هذه الطريقة كانت كتابة أبي عبد الله بن الخطيب : كاتب ابن  
الأحرر بالأندلس على القرب من زماننا .

ومنها - أن تفتتح المكتبة بالخطاب ، إما مع حذف ياء النسب أو مع إثباتها .  
أما مع حذفها ، فكما كتب أبو المطرف بن المنثي :

سَيِّدِي وَمَقْصَرِي ، وَمُضْمَقِي وَوَزَرِي ، وَرُكْنِي وَعِمَادِي ، وَذَخِيرِي  
وَعَتَادِي ، أَبْكَاءُ اللَّهِ نَائِلًا سُبُلَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي ، مُوقِّ حَوَادِثِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي .  
كُنْتُ أَعْرَكَ اللَّهَ عَنْ عَهْدِ حَسَنِ لَكَ قَدْ أَحْبَبْتُ مَعَايِدَهُ ، وَوَدَّ مَحْضُ فَيْكِ قَدْ صَفَتْ  
مَوَارِدَهُ ، وَفَيْسُ تَرَنُّجِ لَذِكْرِكَ ، وَلَسَانُ لَاهٍ بَيْنَ حِمَاسِكَ وَعِلَاقِكَ ، قَدْ أَفْسَحَ فِي تَشْرِ  
فَضَائِلِكَ مَبْدَأُهَا ، وَفَاقِي فِي وَصْفِ قَوَاضِيكَ بَيَانُهَا ، فَهِيَ تَنْظِمُ عَقُودَ مَجْدِكَ ، عَلَى أَجْيَادِ  
شُكْرِكَ ، وَتَحْوِكَ مِنْ بُرُودِ تَهْرِيفِكَ وَتَسَائِكَ ، خَلَمًا لِمَجْدِكَ وَسَائِكَ ، وَشَيْهًا لِلذِّكْرِ  
الْخَطِيرِ ، وَطَرَاظًا التَّرْفِيعِ وَالتَّوْقِيرِ ، تَكْمُرُ عَصَبَ عَدْنٍ ، وَتُعْنِي عَلَى وَثَى الْيَمَنِ ،

وَيُطْلَعُ مِنْ رِيَاضِ أَخْلَاقِكَ ، فِي مَنَابِتِ أَعْرَاقِكَ ، مَا يُزَيِّرِي بِسِيمِ الْمِسْكِ تَضَرُّعُ  
عَرَفِهِ وَأَنْتِشَارُهُ ، وَيُرِيِّي عَلَى حُسْنِ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ طَوَالِغُ أَزْهَارِهِ وَأَنْوَارِهِ ، وَأَخْلَقَ  
بَيْنَ جَمْعِ اللَّهِ الْعَالَمِ فِيهِ ، وَحَرَسَ مَعَاهِدَ الرَّبِّكَرِيمِ مَسَاحِيهِ ، أَنْ لَا تُغْزَى خَلَّةُ نَبِيلَةٍ إِلَّا  
إِلَيْهِ ، وَلَا تُقْصَرُ مَتَقَبَّةُ جَلِيلَةٍ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا تُؤْتَرَمَأَرَةُ نَيْفَةٍ إِلَّا عَنْهُ ، وَلَا تُقْتَنَسُ  
سِيرَةٌ جَمِيلَةٌ إِلَّا مِنْهُ ، وَاقِهِ تَهْدَسُ أَسْمُهُ بِحَيِّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْبَدِيعَةِ ، وَالْحَلَالِ  
الرَّفِيعَةِ ، مِنْ طَوَارِقِ النَّهْرِ وَنَوَازِلِ الْغَيْرِ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهَا يَدَهُ ، وَيَصْرِفُ ضِيَاءَ مَعْرَةِ  
كُلِّ خُطْبٍ وَشَدْنِهِ ، بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ بِوَكَوْنِ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا .

وَأَمَّا مَعَ إِثْبَاتِ بَاءِ التَّنْسِبِ ، فَكَمَا كَتَبَ أَبُو الْمُطَوِّفِ بْنُ الدَّبَّاحِ إِلَى بَعْضِ الْأُدَبَاءِ  
عِنْدَ وَرُودِهِ إِلَى بِلَادِهِ :

يَا مَوْلَايَ ، وَسَيِّدِي ، الْعَظِيمَ شَأْنُهُ وَأَمْرُهُ ، الْعَالِيَّ صَبِيئَتِهِ وَدِكْرُهُ ، وَمَنْ أَجَاءَهُ اللَّهُ  
فِي عِزٍّ لَا تَنْقُصُ حُرَّاهُ ، وَحِرْزٍ لَا يُسْتَبَاحُ حِمَاهُ ، لَمْ أَزَلْ أَبْقِ اللَّهَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ -  
تَسْمُو بِي إِلَى الْكَتَابَةِ هِمَّةً ، وَتَتَرَامَى بِي إِلَى الْبَلَاغَةِ عِزِّهِ ، حَتَّى تَنْلُكَ لِي صِبْغَاتُهَا  
فَامْتِطِيتُ ، وَتَسْهَلَتْ لِي حُرُونُهَا فَارْتَهَيْتُ . وَلَكِنْ رَفِضْتُ لِي عَنْ خَرَابِئِهَا الْأَسْتَارَ ،  
وَعَانَيْتُ مِنْ غَوَامِضِهَا الْأَسْرَارَ ، وَفُزْتُ بِالْمَعْلُومِ مِنْ مِهَامِهَا ، وَالْمَوْثُوقِ مِنْ أَقْسَامِهَا ،  
جَعَلْتُ بِأَيِّ أَهْمَتِهَا أُنْتِمُّ وَأَهْتَدِي ، وَإِلَى أَيْ رُؤُسَاتِهَا أَنْتَسِبُ وَأَعْتَرِي ، نَظَرًا فِي ذَلِكَ  
إِلَى شَائِعِ الْأَخْبَارِ ، وَمُنْدَاوِلِ الْأَثَارِ ، فَوَجَدْتُ الْأَلْسِنَةَ إِذَا تَتَاوَلَتْ صِفَةً سِوَاهُ ، تَحُلَّتْ  
بَعْضَ حِلَالِهِ ، أَوْ أَرَقَّتْهُ إِلَى رُبِّيَّةٍ مِنَ الْعُلِيَاءِ ، تَمَثَّلَتْ بِهِ فِي الرِّقْعَةِ وَالسَّاءِ ، ثُمَّ تُخَرِّدُهُ  
أَعْرُزُهُ اللَّهُ دُونَهَا بِالْفَهْمِ السَّيِّئِ ، وَالْعِلْمِ الْمُشْهُورِ ، وَالْحِلْمِ الْمُتَعَارِفِ ، وَالْفَضْلِ الْمُتَوَاصِفِ ،  
وَالرُّبِّيَّةِ السَّامِيَةِ ، وَالْجَلَالَةِ الْمُتَنَاهِيَةِ . فَكُلُّهَا رَأَيْتُ مُحَاسِنَ مَجْدِهِ مُجْلَى ، وَسُورَ فَضْلِهِ

تُنْزِلُ، هَمَّتْ أَنْ أُطِيلَ إِلَى حَضْرَتِهِ بِحَتَّاحِ الْإِرْتِيَّاحِ، وَأَرْكَبَ إِلَى أَفْقِهِ تَوَرَهُ اللَّهُ أَعْنَاقُ  
الرَّيَّاحِ، وَالْأَيَّامُ تَقْطَعُنِي بِمَصَائِيهَا، وَتَقِيدُنِي بِأَحْدَاثِهَا وَبَحَوَائِيهَا، حَتَّى قَضَى اللَّهُ أَنْ  
يَرِدَ هَذَا الْأَفْقُ فَافْرَخَ الْأَمَلُ بِغَيْرِ نَصَبٍ، وَأَنَا لَ الْبُغْيَةِ بِغَيْرِ طَلَبٍ :

وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا \* كُنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ

ومنها - أَنْ تُفْتَحَ الْمَكَاتِبُ بِالصَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة :

نَحْنُ الْكَرْبُ حَبَّةٌ وَمِقَّةٌ، وَالْعِبَادَ أَعْتَدَادًا بِجَانِبِهِ وَفَقَّةٌ، حَفِظَ اللَّهُ تَجَاهِتَهُ ؛ وَجَعَلَ  
لِدَاعِي السَّيَادَةِ بَلِيَّةً، وَإِجَابَتَهُ، نَحِيَّةُ الْإِجْلَالِ وَالْكَرَمِ، وَالْمَوَدَّةِ الْخَالِصَةِ الْمُتَحَكِّمَةِ ،  
وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ، مِنْ مَكَانٍ كَذَا، وَالْوُدَّ كَلَفٌ، وَالْمَهْدُ بِالْصُّونِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ  
مَكْتَنَفٌ، وَبَيْنَ الْذَاتِ السَّنِيَّةِ ذَخِيرَةٌ جَلِيلَةٌ، وَأَمَلٌ لَا يُحْطَى مِنْهُ نَحِيلُهُ، وَهَبَةٌ يَكْتَنِبُ  
مَعَهَا أَنْ يُقَالَ الْإَيَّامُ بِنَحِيلِهِ . وَكَأَنَّ نَفْسًا أَنْ يَنْبَأَ الْكَرَمَ صَمَّ صَدَاهُ، وَمَرِيعَ الْفَضْلِ  
حَاصِبُ بَرْدَاهُ، وَظَائِبُ عَنِ الرُّشْدِ أَدَاهُ، وَقَوْلُ : مَا كُلُّ مَنْ أَعْدَدْتَهُ الْعَيْلَةُ عُجَيْلُهُ،  
وَمَنْ يَفْطَنُ عَمِيرَ عَمْرٍ وَيَحِيلُهُ، فَكُفَّا بِكُفَاتِهَا، وَهَلْ سِوَى فَيْسٍ لِرَحَى الْعُجُوزِ حَدِمَتْ  
جِدَاتِهَا، حَتَّى تَمُتَ هَذَا الْمَجَاهِدُ مِنْ طَرْفِهِ، الْمُسْتَقْبَلِ آثَارَ سَلَفِيهِ، حَفِظَ اللَّهُ الْأَلْفَاظَ  
وَالْأَلْسِنَةَ، وَحَلَمَةَ الْأَهْلَامِ وَالْأَسِنَّةَ .

وكما كتب أبو زيد الغازي .

السَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ، عَلَى الشَّيْخِ الَّذِي أَثْبَتَ عَلَى وَدِّهِ فَلَا أَمْتَوَلُ ، وَأُطْنِبُ  
فِي حَمْدِهِ فَلَا أَسْتَعِيرُ وَلَا أَتَوَلُّو ، وَأَتَمَلَّلُ بِذِكْرِهِ عِنْدَ عَدَمِ مَرَاتِهِ وَلَا مَرْمًا أَمْتَلُّ ؛  
فَلَنْ - أَدَامَ اللَّهُ رَفْعَتَهُ وَحَرَسَ مِنَ الْأَسْوَاءِ مُهْجَتَهُ . كَتَبَ أَخُوكُمْ، الْبَرُّ بِكُمْ، الشَّيْخُ

(١) كَذَا فِي الْأَمَلِ وَلَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ فِي ضَمِّهِ يَدُ الْبَحْثِ .

إليكم، الشاكر لحسانكم، المسرور بما سمعته من صلاح أحوالكم، فلان، ولا يجدي  
بني الله تعالى إلا الخير والحمد لله كثيرا والأمر كذا وكذا .

ومنها — أن تفتتح المكتبة بالكتابة عن المكتوب عنه .

كما كتب ابن أبي الحصال إلى بعض الكُتاب يسأله حاجة :

معظم الشيخ الأجل أبي فلان، ورحمته المبركة فلان، أعل الله قدركم، وأوزع  
أوليائكم شكركم، أيديكم أدام الله كراتكم أو كف من النعم، ويصمكم أزم للأعناق  
من أطواق النعم، وإن وليكم ومعظمكم يحتاج إلى كذا وكذا .

ومنها — أن تفتتح المكتبة بلفظ من فلان .

كما كتب [بعضهم] من فلان، إلى الشيخ الحافظ الأكرم أبي فلان : أدام الله  
كرامته بتقواه، فالكاتب إليكم كتب الله لكم أحوالا سالحة، وخيرات عليكم غادية  
رائحة، من موضع كذا، والبركات متوافرة، والخيرات متظاهرة، والحمد لله تعالى،  
وإن الأمر كذا وكذا .

ومنها — أن تفتتح المكتبة بلفظ إلى فلان .

كما كتب بعضهم إلى والده .

إلى مولاي المعظم وأبي، المتكفل بتعليمي وحسن أدبي، أقباه الله نازلا إلى  
بعين رضاء، وأعانني على الجري في ربه على حكم الشرع القويم ومقتضاه، من أهلك  
المعظم لك، بل عبدك، المتطلع إلى ما يصل من الأنباء الكريمة من عندك، المواصل  
المسعى في شكرك وتحريكك، فلان : بأي كثرة كتب الله لكم لسانا من العيش  
وحفضا، وجمع بعد الاقتراق بعضا منا وبعضا، ويسرلى بطوله ومثته أن يصفح  
عني وأنب يرضى، من موضع كذا، ولا جليل إلا نيم من الله عز وجل تراوح

وَتُعَادِي، وَيَجْرِي انْلَوَاتُهَا مِنْهَا عَلَى حُكْمِ الْمَبَادِي، وَشَوْقُ إِلَيْكُمْ يَعْمُرُ أَحْنَاءَ ضُلُوعِي  
وَقُوَادِي، وَيَحْمِي عَنِّي قَلْبِي تَمَعِي الْمُنُونُ وَمُهَادِي، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ يَسِّرْ أَمْرَهُضَابِ  
عُرْبَةِ النَّوَى، وَيُرِيحِ النَّفْسَ مِنْ مُحْرِقِ اللَّوْمَةِ وَلَا عِجَاجِ الْجَوَى، وَالْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا.

## المهيع الثاني

(في الأجوبة)

(وهي على ما هتتم في أجوبة المشاركة من أنها على ضربين)

### الضرب الأول

(أن يفتح الجواب بما يفتح به الابتداء، ثم يقع التوضيح

إلى وصول الكتاب، وذكر الجواب عنه)

كما كتب أبو عمرو الباقي :

وَعُدُّكَ الْكَرِيمُ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ - دِينُ، وَقَضَائِهِ شَرَفَ وَزَيْنَ، وَمِثْلُكَ مِنْ تَحْلِي  
بِحَاسِنِ الشِّيمِ، وَزَاوَمَ فِي السِّيَادَةِ بِالْمُنْكَبِ الْعَمِّ، وَحَفِظَ الْمَهْدِيَّ أَضْيَعِ، وَأَشْتَرَى  
الْمَجْدَ بِمَا بَيْعَ، وَالتَّرَمَ لِلْوَفَاءِ شَرْطًا لَا يُفْسَخَ، وَدَاءَ شَرْطًا لَا يُنْسَخَ، وَوَصَلَ كِتَابُكَ الْعَزِيزُ  
فِي مَعْنَى كَذَا وَكَذَا.

### الضرب الثاني

(أن يفتح الجواب بمرور الكتاب ووصوله ابتداء)

كما كتب ابن أبي الخصال :

وَرَدَّ كِتَابُكَ فِي أَمْرِ فُلَانٍ يَقْرُضُ الْحَلَّ عَلَيْهِ فِي التَّوَدُّعِ لَوِجْهَتِهِ، وَالتَّقَدُّمُ إِلَى رُتْبَتِهِ،  
وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا حَوْثٌ وَانْجَادٌ، وَطَاعَةٌ وَأَتْقِيَادٌ، خَيْرَ أَنَّ فِي الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا.



## الجزء الثانية

( في خواتم المكاتبات على أصطلاحهم ، وهي على أساليب )

منها — أن يُحتم الكاتب بالسلام المجرد عن الدعاء .

كما كتب أبو عمرو أبا جى في خاتمة كتاب :

وأقرأ عليك سيدي ، وأسنى مُددي ، أجزل السلام وأخفله ، وأتمه وأكمله .

ومنها — أن يُحتم بالدعاء .

كما كتب أبو المطرف بن الدباغ في خاتمة كتاب :

والله لأبغى مولاي من صيد يسترقه ، ومنم يُنعم عليه [بـ] يستحقه ، وجميل يُوليه ، وصنع يُسديده ، بمنه وجميل صنعه .

ومنها — أن يحتم بذكر التودد والمحبة .

كما كتب أبو جعفر الكاتب في آخر كتاب :

وإن لم يكن لي من الخلق ما لا أنبسط به طيه ، فلي من الود ما أمت به إليه ، فحسى به سلماً إلى فضلك ، وذريعة إلى مجدك ، إن شاء الله تعالى والسلام .

ومنها — أن يُحتم باستماعة النظر في أمر المكتوب عنه .

كما كتب أبو المطرف بن المتى في خاتمة كتاب :

ولك الطول العام ، والفضل الزاهر ، في اعتبار أمرى ، وتحقيق خبرى ، والسلام ؛ إلى غير ذلك من الخواتم التي تستدعيها المكتبة وتستوجبها المقاصد ، وفيما ذكر من الصدور والخواتم ابتداءً وجواباً مقنع لمن تأمل ، والله المستعان في الأمر كله .

## المقصد الثالث

(في الإخوانيات المستعملة بالديار المصرية، وفيه ثلاثة مصطلحات)

## المصطلح الأول

(ما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية وماقاربه مما جرى عليه ابن عبد كان وغيره، وفيه ثلاثة مهاييح)

## المهيح الأول

(في الصدور، وهي على ضربين)

## الضرب الأول

(الابتدآت، ولم فيه أساليب)

## الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكتبة بالدعاء، وعليه غالب كتابتهم، وهي على أنماط)

منها — الدعاء بطول البقاء وما في معناه .

كما كتب ابن عبد كان في صدر مكتبة : أطال الله بقاءك ، ففي إطلالته حياة الأتام وأنس الأيام والليالي ، وأدام عزك ، ففي إدامته دوام الشرف ونحو المعالي ؛ وأتم نعمته عليك فإنها نعمة حلت محل الاستحقاق ، ونزلت منزلة الاستيجاب ، ووقفت على من لا تتركه الآلاء مكانه ، ولا تترك الفواضل محله .

وكما كتب : عمر الله بك الأزمنة والنهور ، وأنس ببقائك الأيام والشهور ، وأتم بدوام عزك السعداء بحظهم منك .

ومنها — الدعاء بدوام النعمة .

كما كتب : أسبح الله عليك نعمة الراحنة نعمة المستظفر، وصانها لديك بإيزاج الشكر عليها ، فلم آروقه الحمد نعمة قصدت مستقرها ، وتوخت وليها ، وتمنت كفوها ، إلا نعمتك أكسبت أوليائها عزاً ونصرة ، وملأت أعداءها ذلةً وغضاضة ، وتمكنت بحمل الصيانة والرعاية ، وخيمت بمستقر الشكر والحمد .

ومنها — أطراح الدعاء بدوام النعمة لتقيدها بموجباتها منها .

كما كتب : قد كفى الله عز وجل مشونة الدعاء، لنميتك بالقاء : لأنها توخت لديك علها ، غلت بفنائك سائر ، مطمئنة قازه ، تستوثر بها ذاك قبلك ، وتستثني مواردها عندك ؛ ولم تزل تاتمة إليك ، متطلعة نحوك بما أستجمع لها فيك : من لطيف السياسة وحسن الاحتمال لأعباء المآثر ، فهناكها الله متصلة البقاء بطول مدة بقاءك ، ومتحيلة بحسن فناءك ؛ فلا زلت لتوارف النعم مستتبها ، وللشكر بالزيادة فيها ممتريا ؛ وبدوام الحمد لردفها مستمريا .

ومنها — الدعاء بجعلك فداك .

كما كتب : جعلني الله فداك ، فإن في ذلك شرفاً في العاجل ، ودخراً للعقبى في الآجل ، وخير ثراه ليخلي من بعدى . دعاء أخلصته إليه ، وصدقته الطوية .

ومنها — استكراه الدعاء بالتفدية .

كما كتب : إن قلت في كفي إليك : جعلني الله فداك ، فأكون قد بحسبك حفظ إحسانك إلى ، وحق مفترضك عليّ : لأنها نفس لا توازن ساعة من يومك ، ولا توازي طرفة من دحرك ، وإعما يحدئ مثلك بالأفئس التي هي أنفس من الدنيا وأعرض من أقطار الأرض .

ومنها — تَقْدِيَةُ النِّعْمَةِ إعظاما لها :

كما كتب : جعلني الله فداءً نِعْمَتِكَ الَّتِي عَلَتْ ذِرْوَةَ مَسَانِمِهَا ، وَفَاضَتْ دِرَّةُ سَمَائِهَا ، فَصَمُرَتْ أَقْطَارَ الْأَمَلِينَ ، وَنَضَّرَتْ جَنَابَ نَاحِيَةِ الْمُعْتَمِدِينَ .

ومنها — الدِّعَاءُ بِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَغِيْطَةِ الْآخِرَةِ :

كما كتب : أَسْعَدَكَ اللهُ بِمَوَاقِبِ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ ، وَوَهَبَ لَكَ الصَّلَاحَ فِي دِينِكَ وَالسَّلَامَةَ فِي دُنْيَاكَ .

ومنها — الدِّعَاءُ بِكَيْفِ الْعُدُوِّ :

كما كتب : مَكَّنَ اللهُ بِكَ مِنْ نَاصِيَةِ عُلُوِّكَ بِالصُّوْلَةِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ زِيَامٍ وَلَيْكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَبَلَّغَكَ مِنْ كُلِّ الْخَالَتَيْنِ مَا يُمْنِي عَلَى تَأْمِينِكَ ، وَيُوفِي عَلَى تَمْنِيكَ .

ومنها — الدِّعَاءُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ :

كما كتب : أَدَامَ اللهُ أُنْمِي بِحَيَاتِكَ ، وَحَرَمَنِي مِنَ الْغَيْرِ فِي نِعْمَتِكَ ، وَأَكْرَمَنِي بِعِبَادَتِهِ أَيَّامَكَ وَلَيَالِيكَ ، وَأَعَزَّنِي بِذُلِّ عُلُوِّكَ وَقَعَمِ حَاسِدِيكَ .

ومنها — الدِّعَاءُ بِطَلِبِ الْحَيَاةِ :

كما كتب : حَشَّ أَطْيَبَ الْأَعْمَارِ ، مُوَفَّقٍ مِنْ سُوءِ الْأَفْقَادِ ، مَبْلَغًا نِهَاجَةَ الْأَمَالِ ، مُنْبُوْطًا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ، لَا يَنْقُضِي عَنْكَ حَقٌّ حَارِفِيَّةً حَتَّى يُجَحِّدَ لَكَ أُخْرَى أَجَلَ مِنْهَا ، وَلَا يُمْرِكُ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا كَانَ مُؤَمَّنًا عَلَى أَمْسِهِ مَقْصَرًا عَنْ فَضْلِهِ غَدِهِ .

ومنها — الدعاء باقتضاء العدل والإنصاف :

كما كتب : جَعَلَكَ اللَّهُ مَن يَنْظُرُ بَيْنَ الْعَدْلِ ، وَيَنْطِقُ بِلِسَانِ الْفِسْطِ ، وَيَزُنُّ بِقِسْطِ الْحَقِّ ، وَيَكِيلُ بِمِيزَانِ الْإِنْصَافِ .

ومنها — الدعاء بزيادة الشكر .

كما كتب : وَصَلَّ اللَّهُ لَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ يُنْعِمُهَا عَلَيْكَ مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَكُونُ لِحَقِّهَا قَاضِيًا ، وَلِإِزِيدَ إِلَيْهَا دَاعِيًا ، وَمِنَ الْغَيْرِ مُؤَمِّنًا ، وَلِلسَّلَامَةِ مُوجِبًا .

ومنها — الدعاء للحاج بالبلّاغ .

كما كتب : أَوْطَاكَ اللَّهُ فِي مَسِيرِكَ أَوْثَرَ الْمَطَايَا ، وَخَوَّلَكَ فِيمَا نَوَيْتَهُ أَسْبَغَ الْعَطَايَا ، وَأَوْرَدَكَ الْهِدَايَةَ إِلَى كَرِيمِ الْمُشَاهَدَةِ وَزَكَّى الْمَوَاقِفِ وَأَوَّلَاهَا بِالزُّلْفَةِ الْمُقْبُولَةِ ، وَالْقُرْبَةِ الْمَأْمُولَةِ .

ومنها — الدعاء للسافر .

كما كتب : جَعَلَكَ اللَّهُ فِي حِفْظِهِ وَكَتِفِهِ ، وَأَحَاطَكَ بِحِطَّتِهِ ، وَجَعَلَ سَفَرَكَ أَيْمَنَ سَفَرٍ طَلِكَ ، وَرَجَعَ لَكَ بِبَرَكَ الْحَاجَةِ ، وَبُلُوغِ الْأَمَلِ ، وَنَجَحِ الطَّلِبَةِ ، وَنَيْلِ السُّؤْلِ .

ومنها — الدعاء بالعافية من المرض .

كما كتب : مَسَحَ اللَّهُ مَا يَكُ ، وَطَادَ بِالرَّطِّ طَلِكَ ، وَعَجَّلَ الشِّفَاءَ لَكَ ، وَخَصَّ بِكَ الْوَاكِ .

ومنها — الدعاء للوَلَاةِ .

كما كتب : أَجْرَى اللَّهُ بِالْخَيْرِ بَدَكَ ، وَصَمَا ( ؟ ) بِالزَّرِّ طَرَفَكَ ، وَأَوْطَأَ كُلَّ مَكْرَمَةٍ قَدَمَكَ ، وَأَطَالَ إِلَى كُلِّ ظَايَةٍ هَمَمَكَ ، وَبَلَغَكَ أَقْصَى حِمَّتِكَ .

ومنها — الدعاء في الأُمُحِيَّة بِقَبُولِ النَّسْكِ .

كما كتب : جعلك الله بِقَبُولِ النَّسِيبَةِ والقُرْبَانِ ، فَائِزًا بِالْأَجْرِ وَالرِّضْوَانِ ، مُخْلِصًا  
لله بالإيمان ، في السرِّ والإعلان ، مُؤَدِّيًا لِمَا اقْتَرَضَ عَلَيْكَ ، شَاكِرًا لِإِحْسَانِهِ إِلَيْكَ .

ومنها — الدعاء بالهناء في الأعياد .

كما كتب : صَرَّفَكَ اللهُ فِي هَذَا الْعِيدِ الْمُبَارَكِ مِنَ السَّلَامَةِ وَعُمُومِهَا ، وَالْمَافِيَةِ  
وَيُحْمِلُهَا ، وَالْعَارِفَةِ وَمُسَبُّوْعَهَا ، وَالْحَيَاطَةِ وَكِلَاهَا ، وَالْحِمَايَةِ وَبِحِمَالِهَا ؛ أَفْضَلَ مَا عَرَفَكَ  
فِي مَاضِي أَحْيَاكَ ، وَسَالِبِ أَحْوَالِكَ .

ومنها — الدعاء بَدْفَعِ النَّوَائِبِ .

كما كتب : كَانَ اللهُ جَارَكَ مِنْ جَنَاحِ النَّهْرِ وَنُوبِهِ ، وَلِيًّا لِإِنْعَامِ النِّعْمَةِ فِيهَا آتَاكَ  
مِنْ فَضْلِهِ ، وَتَطَوَّلَ عَلَيْكَ مِنْ حُسْنِ الْحَيَاطَةِ لِمَا قَوْلَاكَ وَالذَّبُّ عَمَّا أَفَادَكَ .

## الأسلوب الثاني

( أن غُتِجَ المَكَاتِبَةُ بِهَظْ : كِتَابِي أَوْ كَتَبْتَ )

فَأَمَّا كِتَابِي ، فَكَأَنَّكَ كَتَبْتَ ابْنُ عَبْدِ كَانَ : كِتَابِي إِلَيْكَ ، وَأَنَا أَسْتَعِيبُ الْإِيَّامَ فِيكَ ،  
وَأَصَانِعُ الزَّمَانَ فِي تَقْرِيبِكَ ، وَرِجُّ الْحِوَارِ الَّذِي كَانَتْ تُسْكِنُ مَحْتِ ظِلَالِهِ ، وَتَنْتَفِيًا  
بِرُفْقِ جَمَالِهِ ، بِأَجَلِ مُخَفِّهِ ، وَأَيْسَرِ أَلْفِهِ ، وَأَصْدَبِ مُشَاهِدَةٍ ، وَأَصْدَقِ مُشَافَهَةٍ ، وَلَعَلَّ  
أَنْ يَرِثَاقَ فَيَشْعَبَ صَدْحًا ، وَيُؤَلِّفَ جَمًّا .

وَأَمَّا كَتَبْتَ ، فَكَأَنَّكَ كَتَبْتَ ابْنُ عَبْدِ كَانَ أَيْضًا ؛ كَتَبْتُ وَأَنَا مِنْ حَيِّينِ الصَّبَابَةِ  
إِلَيْكَ ، وَلِإِرْزَامِ الشَّوْقِ تَحْوِكَ ، وَأَلِيمِ التَّشَوُّقِ إِلَيْكَ ، وَلَاجِجِ الْقَوْلَةِ بِكَ ، عَلَى مَا أَسْأَلُ  
اللهُ أَنْ يَرْحَمَ ضَعْفِي وَيَتَصَدَّقَ عَلَى بَرُوْنِكَ ، وَيَهَبَ لِي النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ وَجَمَالِ  
عُرَّتِكَ ، الَّتِي هِيَ حَلِيفُ الْجَنَدِلِ ، وَزُورَةُ الْأَمَلِ .

### الأسلوب الثالث

( أن تُشتمَحَ المكتبةُ بِالخطابِ بآنا )

كما كتب : أَنَا مِنْ مُجْمَلَةِ صَنَائِعِكَ ، وَحَفَظَةِ وَدَائِمِكَ ، وَشُكْرَةِ إِحْسَانِكَ ،  
مَتَى تَصَرَّفْتُ فِي الْبِلَادِ ، فَأَنَا الْمَعْرُوفُ بِمَعْرِفِكَ ، وَالْعَائِشُ بِجَنَدِكَ ، وَأَنْتَ مَتَرَعُ  
هَمَّتِي وَقُوَّةُ عَيْنِي ، وَمَدَارُ أَمَلِي ، وَمَحَلُّ رَجَائِي .

### الضرب الثاني

( الأجوبة )

وَأَبْتَدَأْتُهَا لِأَمَّا كَافِي الصُّدُورِ الْإِبْتِدَاءَاتِ كَمَا تَقْدِمُ ثُمَّ يَقَعُ التَّعَرُّضُ لَوْصُولِ الْكُتُبِ ؛  
وَأَمَّا بَأَن تَصَدَّرَ بِوَصُولِهِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ .

كما كتب ابن عبيد كَانَ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَدَفَعَ تَبَارِيجَ الشُّوقِ ، وَلَقَعَ كَأَبَّةَ الْبَيْنِ ،  
وَأُطْفِئَ لَهَيْبَ الْحُرْفَةِ ، وَبَرَّدَ حَرَّ الصَّبَابَةِ .

وكما كتب : وَصَلَ كِتَابُكَ مُشْتَمِلًا مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ ، عَلَى مَا يَقْصُرُ فِي جَنْبِ أَيْسَرِهِ  
أَعْظَمُ الشُّكْرِ .

وكما كتب : وَصَلَ كِتَابُكَ الْمَصْدَرُ بِجَوَاهِرِ لَفِظِكَ ، وَبِدَائِعِ مَعَانِيكَ ، وَمَحَاسِنِ  
نَظْمِكَ ؛ مَسْعُودِيًّا مَا لَا يُقَدَّرُ عَلَى حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ إِلَّا بِالْإِعْتِرَافِ بِالْعِجْزِ عَنْهُ ؛ وَمَا  
أَشْبَهَ ذَلِكَ .

## المهيمع الثاني

( في خواتم الكتب ) .

وكان اختتامُ المكتبات عند أهل هذا المصطلح على ماهتم في مكتبات أهل  
المشرق من استراحة الرأي : إما بلفظ فإن رأيت :

كما كتب ابن عبد كان : فإن رأيت أن تأتي فيه مؤتلفاً ، ما لم تزل تأتيه سلفاً ، فعلت .  
وإما بلفظ فرائك .

كما كتب : فرائك فيه بما أنت أهله ، فإن الرأي [ الذي ] أنت أهله ، فوق  
ما يتمسه المغير في همته ، والمتسسط في أمنيته .

وكما كتب : فرائك في ذلك بما تحضى به الحق وتصل به الذمام ، وتحفظ به  
الحرمة وتصلق به الأمل ، وتقتعد به الصبيحة ، وتستوجب به الشكر .

## المهيمع الثالث

( في عنوانات الكتب )

ومصطلحهم فيه على نحو ماهتم في مكتبات أهل المشرق : من كتابة إلى فلان  
من فلان ، أو من فلان إلى فلان .

فأما ما يكتب إلى فلان من فلان . فكما كتب ابن عبد كان : للسيد الذي  
أستعبد الأحرار بفضله .

وكما كتب : لمن قرّبه بمن وسادة ، ونأيه نكد وعنة .

وأما ما يكتب من فلان . فكما كتب : من صريح الشوق إليه ، وأسير الرقة عليه .

وكما كتب : ممن لا ينحني الخبير إلا له ، إذ كان لا يناله إلا به .



## المصطلح الثاني

(من مصطلحات الديار المصرية ما كان عليه الحال في الدولة الأيوبية

مما جرى عليه القاضى الفاضل ومن بعده ، وهو على قسمين )

القسم الأول — الابتداء : وليس لمصطلحهم ضابط في الابتداء ولا في الترتيب في الرقعة والشفعة ، بل اقتراحاتهم في ذلك متباينة .

فمن ذلك الاقتراح بالدعاء ، وهو أكثر ما يقع في مكاتباتهم ، والغالب في ذلك الدعاء للمجلس ، كما كتب القاضى الفاضل إلى العِمَادِ الأصفهاني : أدام الله أيام المجلس التي لحسنات المِئِدِ مُدِيهِه ، ولَمَثَرَاتِ المِئِلِ مُقِيلِهِ ، وَلَمَاعَاطِفِ العِزِّ مُبِيْلِهِ ، وَلَمَعَاطِيفِ الفُوزِ مُنِيْلِهِ ، وَلِقِدَاحِ الجَنْدِيِّ مُجِيْلِهِ ، ولا زالت الآرابُ بِمَكَارِمِهِ رَاجِحَةً ، والآراءُ بِمَرَاسِمِهِ نَاجِحَةً ، وَتَسَاحِرُ المَقَاحِرِ بِوَالِائِهِ رَاجِحَةً ، وَأَيْدِي الأَمَلِ لِأَيْادِيهِ بِمُصَافَاتِهِ مُصَالِحَةً ، وَأَرْوَاحُ أَوْلِيَائِهِ بِرُوحِ آلِائِهِ فِي مُوَاطَاةِ أَعْطِيَاتِهِ حَاقِحَةً فَالْحَمْدُ ، وَأَدْمِجَةُ الدَاعِينَ لِأَيَّامِنِ أَيَّامِهِ ، الْمُتَحِينَينَ لَمُهوْدِ إِنْصَامِهِ ، طَيِّبَةُ صَالِحِهِ .

ومن ذلك اقتراح العِمَادِ الأصفهاني في أَحْضَانِ نَائِثِ المَكَاتِبَاتِ : إِنَّ نَائِثِ مَكَاتِبَاتِي ، فَإِنَّ المَدْرُ معلوم ، والأَجْرُ محْتَمٍ ، والقَلَمُ مُصْنُودٌ ، واللَقَمُ مُسْتَوْدٌ ، والبَلَدُ محْصُورٌ .

إلى غير ذلك من أساليبهم المشهورة التي لا يَسَعُ اسْتِيعَابُهَا ، ولا حَاجَةُ إِلَى الإِمْعَانِ <sup>(١)</sup> فِي ذِكْرِهَا .

(١) لم يذكر القسم الثاني وهو قسم الكلام على الخواتم ولم يترك له يابا خاتم ففهم ذلك مما قسمتم في الكلام على الخواتم العمومية فتنه .

### المصطلح الثالث

(من مصطلحات الديار المصرية في الإخوانيات، ما جرى عليه الاصطلاح في الدولة التركية، مما رتبته القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، والمقرئ الشهابي بن فضل الله، ومن جرى تجراهم: من فضلاء الكتاب إلى زماننا، مما هو دائريين أعيان المملكة وأكابر أهل الدولة: من تواب السلطنة وسائر الأمراء والوزراء، ومن في معانهم: من أعيان الكتاب ومن نهج نهجهم من أرباب الوظائف)

وفيه مهيئات:

### المهيئة الأولى

(في رتب المكتبات المصطلح عليها)

وقد اختلفت مقاصدهم في ترتيبها اختلافًا متقاربًا في الزيادة والنقص والتقديم والتأخير، مع مراعاة أصول المراتب. وها أنا أذكر ما استقر عليه الحال من ذلك، وأنبه على ما خالفه من ترتيبهم المتقدم الذكر: لتحصّل الإحاطة به، ويعلم ما جرى عليه أهل كل عصر منهم مما لعلّ مختارًا يمتارّه، أو ينسج على منواله، منبها على وهم من وهم في شيء من ذلك.

وأعلم أنهم قد بنوا هذا النوع من الإخوانيات على قاعدتين، تتعين معرفتهما قبل الخوض في رتب المكتبات:

القاعدة الأولى — فيما يتعلق بورق هذه المكتبات.

قد جرت العادة أن تكون جميع هذه المكتبات: من الأعلى إلى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى، ومن النظير إلى النظير، في ورق قطع العادة دون ما فوقه من مقادير

قَطَعَ الورق المتقدمة الذكر ، غير أنَّ أعيانَ أهلِ الديار المصرية يُكاتبونَ في الورق المِصرى ، وأعيانَ أهل الشام يُكاتبونَ في الورق الشامي : لكثرةِ جُوده عندهم ، والمعنى في ذلك أنَّ كُتِبَ السلطانُ الصادرة عنه إلى جميع أهل المملكة من الثواب وغيرهم في هذا القطع ، فلا جائز أن تملؤ مكاتبهُ أحدٌ منهم على مكاتبِ السلطان في ذلك .

ثم قد أصطلحوا على أن يكونَ في أعلى المكتبة عن كلِّ أحدٍ من أعيان الدولة قبلَ البسملة وصلُّ واحدٍ بياضا ، إذ كان أقلُّ ما يُحصل بياضا في كُتِبَ السلطان وصلين فاقصروا على وصلٍ واحد ، كي لا يساويه غيره في ذلك . وأصطلحوا أيضا على أن لا تنقص المكتباتُ المذكورة عن ثلاثة أوصال : الوصلُ الأبيض في أعلى المكتبة على ما تقدم ، ووصلانِ مكتوبانِ : إذ لو قصص عن ذلك ، لخرج الكتابُ في القصر عن الحد فيزدري ، أما لو دعتِ الضرورة إلى الزيادة على الثلاثة لزيادة الكلام فلا مانع منه . وأصطلحوا على أن يترك للكتاب حاشية بيضاء تكونُ بقدر رُجِّع الدُّرج على ما تقدم ذكره في غير هذا الموضع .

القاعدة الثانية — فيما يتعلق بخط هذه المكتبات ، وكيفية أوضاعها .

قد أصطلحوا على أن جميع هذه المكتبات تُكتب بقلم الرِّقاع على ما تقدم ذكره في الكلام على قَطَعَ الورق [من] أن لقطع السادة قلم الرِّقاع . وأصطلحوا أيضا على أن تكونَ كتابةُ البسملة في أول الوصل الثاني من المكتبة ، وأن يكون تحتَ الجلالة من البسملة لقبُ المكتوب عنه المضاف إلى ملكه أو أميره ؛ فإن كان المكتوب عنه من أتباع السلطان كثواب السلطنة وغيرهم من الأمراء والوزراء ومن في معانهم من رؤساء الكُتَّاب السلطانية ، كتب المَلِكُ الفلاني — بلقب ملكه السلطان ؛ مثل المَلِكِ الظاهري ونحو ذلك كما في هذه الصورة :

بسم الله الرحمن الرحيم  
الملكى الظاهرى

وإن كان المكتوب عنه من أتباع الأمراء كاستدّار أمير ونحوه، انتسب في كتابته إلى لقب أميره الخاص مما يُضاف في التلقيب إلى الدين؛ فإن كان أميره لقبه سيف الدين مثلاً، كتب بدل الملكى الفلانى: السيفى؛ وإن كان لقب أميره ناصر الدين كتب الناصرى؛ وإن كان لقبه علاء الدين كتب العلائى؛ ونحو ذلك. وإذا كتب تحت الجلالة من البسملة الملكى الفلانى ونحو ذلك، جعل ما قبله في السطر بياضاً وما بعده بياضاً، ويكون ذلك قطعة من سطر مفردة بذاتها. وأصطلحوا على أنه كلما دقّ القلم وتعاريت الأسطر، كان أعلى في رتبة المكتوب إليه، وكلما غلظ القلم وتباعدت الأسطر كان أنزل في رتبة المكتوب إليه. وأصطلحوا على أن في الرتبة العالية من المكاتب يكون السطر الأول من الكتابة يلو الملكى الفلانى وما في معناه ملاصقاً له، وفيما دون ذلك من المكاتب يُترك بياض يسير، ولا يكتب فيه شيء؛ وكأن المكتوب عنه يقول للكتوب إليه هذا محل العلامة، ولكنى قد تركت الكتابة فيه وكتبت بحاشية الكتاب تأديباً معك ورفعة لقدرتك؛ وفيما دون ذلك يُترك بياض أوسع من ذلك ويكتب فيه المكتوب عنه علامته على ما سيأتى بيانه في مواضعه إن شاء الله تعالى. وأصطلحوا على أنه بعد انتهاء الكلام في المكتبة يكتب "إن شاء الله تعالى" في خطه؛ ثم يكتب التاريخ في سطرين: اليوم والشهر في سطر، والسنة في سطر؛ ثم تكتب الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في سطر؛ ثم الحسبلة في سطر على ما هتمم بيانه في الكلام على القوائم وانحوهم في المقالة الثالثة.

وَيُعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَكْتَابَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ :

القسم الأول — الابتداءات ، وهو على أربع درجاتٍ سبق توجيهُ ترتيبها في الكلام على أصول المكاتبات ، في أول هذه المقالة

الدرجة الأولى — [المكتبة] بتقيل الأرض ، وهي أعلاها رتبةً بالنسبة إلى المكتوب إليه .

وأعلم أَنَّ كَثِيرًا من كُتَّاب الزمان يظنون أَنَّ المكتبة يَقبلُ الأرض من غُتْرَات كُتَّاب الدولة التركية ، بل بعضهم يظنُّ أنها من غُتْرَات المقرِّ الشهابيِّ بن فضل الله وليس كذلك ؛ بل المكتبةُ بذلك كانت موجودةً في أواخر الدولة العباسية بفخّاد ، ثم سَرَتْ إلى الديار المصرية في أوائل الدولة الأيوبية ، فاستُعْمِلَتْ بِمَضِ الْأَسْمَعَالِ ، والمكتبةُ بذلك موجودةٌ في كلام القاضي الفاضل في بعض المكتبات الملوكية ؛ ومن ذلك ما كَتَبَ به عن نفسه إلى السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب » في صدر كتاب تَهْنِئَةٍ ببولود :

المملوكُ يَقبلُ الأرض بالمَقَامِ العالی الناصريِّ ، فَضَرَّ الله الإسلامَ بِمَقَامِهِ ، وأهلك أعداءَ الحقِّ بِاتِّقَامِهِ ، ولا أَعْلَمُ الأمةَ المحمديةَ عَقْدَ التَّزَامِهِ ، بِكَفَالَتِهِا وَمَضَاءِ اعْتِزَامِهِ . ثم تَوَسَّعَ فِيهِ الكُتَّابُ بعد ذلك حتى كَاتَبَ به الآحادُ بِمَعْضُهَا ،

وقد رَتَّبُوا المكتبةَ بِتَقْيِيلِ الأرض في المصطلح المستعْرَظِ عليه الحالُّ على خمس مراتب :

المرتبة الأولى — الإتيان بالإتِّهَاءِ بعد يُقبلُ الأرض من غير تعرُّضٍ لذكرٍ دُعاءٍ ولا تَنَاءٍ ، مع مراعاة الاختصار وعلم السَّخَجِ وتَهَارُبِ الشُّطُورِ ، مثل أن يَكْتُبَ بعد البسملة وَلَقَبِ المكتوب عنه الذي تحت البسملة :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَسؤالُ الْمَلُوكِ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ بُرُوزَ الْأَوَامِرِ الْعَالِيَةِ بِكَيْتَ وَكَيْتَ ، أَوْ الْمَلُوكِ يَعْرِضُ عَلَى الْأَرَاءِ الْعَالِيَةِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ . وَيَحْتَمُّ الْكَتَّابُ بِقَوْلِهِ : أَنَّهُ ' ذَلِكَ ، أَوْ طَالَعَ بِذَلِكَ ، وَالْأَرَاءُ الْعَالِيَةِ مَرِيدُ الْمُلُوكِ ، وَيَعْبُرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ فِي خِلَالِ الْمَكْتَبَةِ بِالْمَلُوكِ . وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ فِي خِطَابِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ : فَإِنْ كَانَ مِنْ أَرَبَابِ السُّيُوفِ وَهُوَ نَائِبُ سُلْطَنِيَّةٍ خُوطِبَ بِمَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ عَزَّ نَصْرُهُ أَوْ عَزَّ اللَّهُ أَنْصَارُهُ ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا غَيْرَ نَائِبِ سُلْطَنِيَّةٍ ، خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الْمُخْدُومِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ ، وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا رَبِّ سَيْفٍ خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الْوَزِيرِ ، وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا رَبِّ قَلَمٍ ، خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الصَّاحِبِ ، وَرَبِّمَا قِيلَ بِمَوْلَانَا الْوَزِيرِ ، وَإِنْ كَانَ قَاضِيًا خُوطِبَ بِمَوْلَانَا قَاضِيِ الْقَضَاءِ ، وَإِنْ كَانَ طَالِمًا كَبِيرًا ، خُوطِبَ بِمَوْلَانَا شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ ، خُوطِبَ بِمَوْلَانَا شَيْخِ الشُّبُوحِ ، وَطُرِدَ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْمَرَاتِبِ وَالْوُطَافِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ رَأْيُ الْكَاتِبِ بِمَا يُنَاسِبُ الْحَالَ .

وَالْعِنَاؤُ فِي هَذِهِ الْمَكْتَبَةِ : الْفُلَانِيَّ مُطَالَعَةُ الْمَلُوكِ فُلَانٍ ، وَيَعْبُرُ عَنْ ذَلِكَ : بِالْفُلَانِيَّ بِمُطَالَعَةٍ . وَقَدْ يَعْبرُ عَنْ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِ الْمَكْتَبَةِ . وَصُورَتُهُ : أَنْ يَكْتُبَ فِي رَأْسِ ظَاهِرِ الْمَكْتَبَةِ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ « الْفُلَانِيَّ » بِاللَّغَبِ انْخَاصَ بِالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، كَالسَّيْنِيِّ ، وَالتَّائِيَرِيِّ ، وَالتَّشْمِينِيِّ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مَبْتَدَأًا إِلَى نَحْوِ رُجْعِ عَرْضِ الدَّرَجِ ، وَتَحْتَهُ فُلَانٌ بِمَا يَقْتَضِي تَعْرِفَهُ مِنْ وَظِيفَةٍ أَوْ شُهْرَةٍ . فَإِنْ كَانَ نَائِبَ سُلْطَنِيَّةٍ كَتَبَ تَحْتَ الْفُلَانِيَّ : مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيَّ . وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا كَتَبَ : مَوْلَانَا الْوَزِيرِ بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيَّ . وَإِنْ كَانَ قَاضِيًا قَضَاءً ، كَتَبَ : مَوْلَانَا قَاضِيِ الْقَضَاءِ

الســـــــــــــــــــــــــــــــــــــــبْقُ

مولايا ملك الأمراء بالشام المحروس عن نصره  
المملوك بلقا

وعلى ذلك يُقاس سائر العُنوانات من هذه المرتبة ؛ والأصل في ذلك أنَّ الحُجَّاج  
أَبْنِ يُوْسُفَ كتب كتاباً إلى عَبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ ؛ فكتب في عُنوانه بِقَلَمٍ جَلِيلٍ  
لعبدِ الله عبدِ الملكِ أميرِ المؤمنينَ ، وفي الجانبِ الأيسرِ بِقَلَمِ ضئيلٍ من الحُجَّاجِ بنِ يوسُفَ  
كما حكاها أبو جعفر النحاسُ في «صِنتاعةِ الكُتُبِ» فتبعه النَّاسُ على ذلك في تعظيمِ أَسْمِ  
المكتوبِ إليه ، وتلطيفِ أَسْمِ المكتوبِ عنه ؛ والعلامةُ في هذه المكتبة « الملوکُ فلاں »  
بأَسْمِ المكتوبِ عنه بِقَلَمِ ضئيلٍ بحاشيةِ الكُتُبِ سطرينَ : الملوکُ [سطر] والاسم  
سطر تحته على هذه الصورة :

قلان

وَيَكُونُ ذَلِكَ مُقَابِلَ « يَقْبَلُ » مُلَاصِقًا لَهُ بِحَيْثُ تَكُونُ جَرَّةُ الْكَافِ مِنَ الْمَمْلُوكِ تَحْتَ الْيَاءِ مِنْ يَقْبَلُ، فَكَانَتْهُمْ رَاعُوا فِي ذَلِكَ صَوْرَةَ مَا يَكْتُبُ فِي الْفِصْصِ الَّتِي تُرْفَعُ إِلَى الْأَكْبَرِ لِاسْتِمَاحَةِ الْحَوَائِجِ وَمِنْهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّمَا يَكْتُبُ فِيهَا « الْمَمْلُوكُ فَلَانِ يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ » لَهَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِظْهَارِ الْخُضُوعِ وَالتَّوَاضُّعِ .

المرتبة الثانية - أن يأتي بعد « يَقْبَلُ الْأَرْضَ » بذكر الدماء ثَوْنُ الثناء مع تقارب الأسطر أيضا وأجتناب السجع . وقد أصطلحوا في هذه المكتبة على أن يكتبوا تحت البسملة مع لَقَبِ المكتوب عنه الذي هو الْمَلِكِيُّ الْفُلَانِيُّ ونحوه لَقَبِ المكتوب إليه : كَالسَّيْفِيِّ ونحوه ، على تَمَتُّ الْمَلِكِيِّ الْفُلَانِيِّ من الجهة اليمنى مع بياض بينهما ، بحيث يَقَعُ بعضُ اللقب في حاشية الكتاب ، وبعضه تحت أول البسملة على هذه الصورة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملكى الظاهرى

السيفى

ثم يأتي بصورة المكتبة بعد ذلك . ويختلف الحال في هذه المكتبة باختلاف حال المكتوب إليه ، فإن كان نائبَ سلطنة ، كتب « يَقْبَلُ الْأَرْضَ » ويُنبئ بعد رفع الأذنية الصالحة ، أو بعد آتياه إلى الله تعالى بالأذنية الصالحة ، هَبْلَهَا الله تعالى من المملوك ومن كل داج غليص ، ببقاء مولانا ملك الأمراء ، أو بدوام أيام مولانا ملك الأمراء ، وغلود سعادته ، ومزيد تأييده ، وعلو درجاته في الدنيا والآخرة ، بحمد وآله : أن الأمر كيت وكيت ، والمملوك يسأل الصّدقات العيمة ، أو الصّدقات الكريمة ، أمر الله تعالى أنصارها بربوز الأوامر المطاعة بكت وكيت . ثم يقول : والمملوك مملوك مولانا ملك الأمراء وعبدُ بابه ونشء إحسانه ، ويسأل تشرّفه بمراسمه وخدمه ، أو والمملوك يستعرض المراسم الكريمة ، وإنخدم العالية ، ليأدر إلى امتثالها ، والقوز بقضائها ، أو والمملوك مملوك الأبواب العالية ونشؤها وغلّاها ، ويسأل دوام النظر الكريم عليه في أحواله كلّها ، ونحو ذلك مما يقتضيه الحال ، وقد جهز المملوك



بهذه المكتبة فلاناً أو مملوكه فلاناً . فإن كان قد حمله كلام مشافهة ، قال : وحمله من المشافهة ما يسأل الصدقة عليه بسامه والإصغاء إليه ونحو ذلك . ثم يقول : طالع بلك والرأى العالى أعلامه الله تعالى أعلى . وإن كان المكتوب إليه أميراً غير نائب سلطنة ، كتب « بدوام أيام مولانا المخنوم » بدل مولانا ملك الأمراء . وإن كان قاضياً ، كتب « ببقاء مولانا قاضى القضاة » أو بدوام أيام مولانا قاضى القضاة . وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب « ببقاء مولانا شيخ الشيوخ » ونحو ذلك ، وباقي المكتبة على ما تقدم بحسب ما يقتضيه الحال . والعنوان في هذه المكتبة « الأبواب الفلانية » مطالعة المملوك فلان » ويصبر عن ذلك بالأبواب بمطالعة ، ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال المكتوب إليه : فإن كان المكتوب إليه نائب سلطنة ، كتب : الأبواب الكريمة ، العالية ، المولوية ، الأميرية ، الكبيرة ، المالكية ، المخنومية ، الكافلية ، بلبقه الخاص كالسيفية ونحوها ، أطلاها الله تعالى فلان الفلانى ، باسمه وشهرته . وإن كان المكتوب إليه أميراً غير نائب سلطنة أسقط منه الكافلية . وإن كان وزيراً رب سيف ، كتب بعد الأميرية : الوزارية . وإن كان وزيراً رب قلم ، أسقط الأميرية ، وكتب قبل الفلانية الصاحبية . وإن كان من رؤساء الثقات ممن في معنى الوزراء : ككتاب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ونحوهم ، أبدل لفظ الأميرية والوزيرية بالقاضوية . وإن كان قاضياً حكماً ، أتى مع القاضوية قبل الفلانية بالحالكية . وإن كان من مشايخ الصوفية أبدل القاضوية بالشيخية ونحو ذلك .

وصورته أن يكتب الألقاب من أول عرض الدرج سطرا إلى آخر المالكية ، ويحذف بياضاً في آخر السطر بقدر رُب الدرج ، ثم يكتب المخنومية الفلانية في أول

السطر الثاني مُلاصقاً للرّول ، ثم يُحلى بياضاً يسيراً ، ثم يكتب : أعلّاه الله تعالى ، ثم يُحلى بياضاً يسيراً ، ثم يكتب « فلان الفلاني » تحت آخر السطر الأوّل ، ثم يكتب في آخر الدّرج من الجهة اليسرى بعد خلّو بياض « مطالعة الملوك فلان » ثلاثة أسطر على ما تقدّم في العنونة بالفلاني بمطالعة كما في هذه الصورة :

الأبواب الكريمة ، العالمة ، الملوّية ، الأميرية ، الكبيرة ، المالكية ، مطالعة  
المخدومية ، السيفية أعلّاه الله تعالى . أمر دوا دار الظاهري الملوك  
فلان

والعلامة « الملوك فلان » بقلم ضئيل مُسامت يقبل كما في المكتبة قبلها .

قال في « التنقيف » : وبهذه المكتبة يُكتب عن أكبر أمراء الديار المصرية إلى نائب الشام وطلب فيها أنظر .

قال : وكذلك كان يكتب المقرّ العلاء بن فضل الله كاتب السرّ الشريف إلى المشار إليه ، يعني نائب حلب ، إلا أنه كان يكتب له العلامة أسفل الكتاب دون أعلاه .

قلت : وعلى هذا يكون للعلامة في هذه المكتبة رُتبتان ، إن عظّمه ، كتب له العلامة على تمت يقبل ، وإلا ففى أسفل الكتاب ، ومن ثم ذكرت قول صاحب « التنقيف » : « هنا وإن كان محله رُتب المتكاتبين على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى » .

المرتبة الثالثة — أن لا يُكتب في أوّل المكتبة عن يمين أسفل البسملة الفلاني ويأتي بذكر النّساء والثناء مسجّوعاً ، مثل أن يكتب بعد البسملة ولقب المكتوب عنه الذي هو المملّك الفلاني : يقبل الأرض ، ويُنهى بعد رفع دعائه ، وإخلاصه في محبته وولائه ، وأقراره بإحسان مولانا وجزيل آله ، أن الأمر كيت وكيت ؛

والمملوك يسأل إحسان مولانا، أو صدقات مولانا، أو إحسان المخلوم، أو صدقاته في كَيْتَ وكَيْتَ ؛ ثم يقول : والمملوك فهو مملوك مولانا ونَحْيَه ، والداعي لإحسانه ، ويسأل تشريفه بمراسمه وخدمته ؛ وقد جهز المملوك بهذه العبودية فلانا ، أو مملوكه فلانا ، وحمله من الدماء والولاء ما ينهيه من لسانه ، ويعرب عنه بليانه ؛ أو وقد حمله المملوك ما يقوم عنه به في إنهائه ، من رصف الأديعة ، ووصف الأئنيه ؛ والمملوك يسأل الإصغاء إليه ، والتشريف بالمراسم العالية والخدم الكريمة : ليقوز بأقبالها ، ويأدر إلى امتثالها . طالع بذلك ، أو أنهى ذلك ؛ أو والمملوك يستعرض المراسم العالية ، والخدم الكريمة المتواليه : ليتشرف بقضائهما ، ويتشوف إلى إرضائهما .

صدر آخر : ويُنهى بعد رفع الأديع ، وبث المحامد والأئنيه ، والمؤالاة التي يجمل منها حال الأئويه ، أن الأمر كَيْتَ .

آخر : ويُنهى بعد رفع دعائه الذي لا يفتد لسانه عن رثمه ، ولا يغنى إن شاء الله إبان فقهه ، وآتئاله الذي يرفع السحب ، وشوقه الذي يهدى النجب ؛ أن الأمر كَيْتَ وكَيْتَ .

آخر : ويُنهى بعد دُعائه المقبول ، وشوقه الذي لا يحول عنه ولا يزول ؛ وسلامه الذي يعجز عن شرحه القلم ويضعف عن حمله الرسول .

آخر : ويُنهى بعد دُعائه برفقه بالفتور والآصال ، وولاه لا يتغير ما دامت الأيام والليال ، وشيء أطيب من عرف الروض إذا مر عليه نسيم الشمال ، أن الأمر كَيْتَ وكَيْتَ .

آخر : ويُنهى بعد رفع الدعاء ، وتصب لواء الولاء ، وجر ذبول الفقر بالانتساب إلى عبودية مولانا والإعتناء ، أن الأمر كَيْتَ وكَيْتَ .

آخر : وينتهي بمدّ دماثة المرقوع ، وثانيه الذى هو كالمسك يَضُوع ، وشكره الذى يُسَمَّع منه ويُسَمَّع أُطِيبُ مَسْمُوع ، أنَّ الأمر كَيْتَ وَكِتَ .

والعنوان لهذه المكتبة «الأبواب الفلانية» بغير مطالعة ، ويختلف الحلال فيه : فإن كان المكتوبُ إليه من أرباب السيوف وهو نائبُ سلطنة ، كتب «الأبوابُ الكريمةُ ، العاليةُ ، المولويةُ ، الأميريةُ ، الكبيرةُ ، السيديّةُ ، المالكيةُ ، المخدميةُ ، الكافليةُ ، الفلانيةُ ، أعلامها الله تعالى» ثم يقال : نائبُ السلطنة الشريفة المحروسة ؛ أو كافل المملكة الفلانية المحروسة ؛ وباقي عُتوانات أرباب الوظائف : من أرباب السيوف والأقلام على ما تقدّم في العُتونة بالأبواب بمطالعة .

وصورة وضعه أن يكتب «الأبواب الكريمة إلى آخر الكافلية» مثلاً مسطراً واحداً من أول عَرْض الدَّرَج إلى آخره ؛ ثم يكتب «الفلانية أعلامها الله تعالى» في أول السطر الثانى ملاصقاً له ؛ ثم يترك بياضاً قدر رأس إبهام ؛ ثم يكتب في آخر السطر الثانى «كافل الممالك الشريفة الفلانية المحروسة» كما في هذه الصورة :  
الأبواب الكريمة ، العالية ، المولوية ، الأميرية ، الكبيرة ، السيديّة ، المالكية ، المخدمية ، الكافلية ،  
السيديّة ؛ أعلامها الله تعالى      كافل الممالك الشريفة بالشام المحروس

والعلامة في ذيل الكتاب مقابل تحت البسملة بقلم الرقاع «المملوك فلان» وكأنهم لما انحطّت رُتبة المكتوب إليه من أن تُكتب العلامةُ إليه على سَمْت «يَقْبَلُ» ليكون في معنى القِصّة كما تقدّم ، أخذ المكتوب عنه في التنازل إلى آخر المكتبة تواضعاً للمكتوب إليه وتادباً معه .

قال في «التحيف» وبذلك كان يُكتَب عن الأمير يُلغَا العَمَرى: يعنى الخاصية وهو أُمّاك العساكر المنصورة بالديار المصرية إلى نائبي الشام وحلب .

قال : وكذلك كتبَ بعده إلى المذكورين : الأمير منكل بنّا ، والأمير الجاى ،  
وتوّاب السلطنة بالديار المصرية .

المرتبة الرابعة — أنب يأتى بصدر المكتبة على ما تهمّت فى المكتبة قبلها من  
الإبتداء يُقبَل الأرض ويُنتهى بعد رفع دعامته وفاق معناه على ما تقدّم من غير فرق :  
ولا يختلف الحال فى الصدر ولا فى متن الكتاب ، والعنوان «الباب الكريم» ولا يكون  
إلا بغير مطالعة . فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب «الباب  
الكريم ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ،  
المالكي ، المخلووى ، الفلانى ؛ أملاه الله تعالى ، فلان الفلانى — باسم المكتوب إليه .  
وإن كان من أرباب الألقام أو غيرهم فعلى ما تهمّت فى «الأبواب بمطالعة» من إبدال  
الأميرى بالفصّانى ، أو الشيخى ، وزيادة قاضى الحكم الحاكمى قبل الفلانى .

وصورة وضعه : الباب الكريم — بالألقاب المتقدمة إلى آخر المالكي مطرا  
واحدا من أقل حَرَض الدَرَج إلى آخره ، ثم يكتب المخلووى الفلانى : أملاه الله تعالى  
فى أول السطر الثانى ، ويترك بياضا ، ثم يكتب فلان الفلانى باسم المكتوب إليه  
أو شهرته كما فى هذه الصورة :

الباب الكريم العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ، المالكي .  
المخلووى ، السنى ، أملاه الله تعالى  
يُتأدّر أمير اخور الأقرفى .

تنبيه — كل ما كان العنوان فيه الباب الكريم ، كان العنوان فيه للساغر «المخيم»  
بدل الباب ، وباقي الألقاب على حالها كما تنبّه عليه فى «التصنيف» وغيره ؛ والعلامة  
فى آخر المكتبة مقابل حسبي الله ؛ إذ لمّا كانت العلامة فى أسفل الكتاب مقابل

تَحْتَ الْحَسْبَلَةِ كَانَتْ السَّلَامَةُ فِيمَا فَوْقَ ذَلِكَ أَنْزَلَ فِي رُتْبَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَأَعْلَى  
فِي رُتْبَةِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ .

المرتبة الخامسة — يُقْبَلُ الْأَرْضَ بِالْمَقَرِّ الشَّرِيفِ . وَالرَّسْمُ فِيهِ أَنْ يَتْرَكَ بَعْدَ  
الْبَسْمَلَةِ وَمَا تَحْتَهَا مِنَ الْمَلَكِيِّ الْفُلَانِي قَدْرَ سَطْرٍ أَوْ سَطْرَيْنِ بَيَاضًا ، ثُمَّ يَكْتُبُ يَقْبَلُ  
الْأَرْضَ بِالْمَقَرِّ الشَّرِيفِ ؛ وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ فِيهِ : فَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَوْبَابِ  
السُّيُوفِ ، كَتَبَ « يَقْبَلُ الْأَرْضَ بِالْمَقَرِّ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمُؤَيَّدِي ، الْأَمِيرِي ، الْأُمَيْرِي ،  
الْكَبِيرِي ، الْعَالِي ، الْعَادِلِي ، الْمُؤَيَّدِي ، الْأَنْزَرِي ، الظَّاهِرِي ، الْمُسْتَنْدِي ، الرَّضِيعِي ،  
الْمَالِكِي ، الْمُخْدُوعِي ، الْفُلَانِي ، أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ ، وَأَعْلَى مَنَارِهِ ، وَضَافِعَ مَبَارِهِ ،  
وَيُنْهِى بَعْدَ وَصْفِ مَجْدِهِ ، وَبَتْ أَثْنَيْتَهُ ، كَيْتَ وَبَيْتَ ، وَالْمُسْتَوْثَى مِنْ إِحْسَانِهِ  
كَيْتَ وَكَيْتَ » وَرَبَّمَا كَتَبَ : « وَالْمَلُوكُ يُسَالُّ كَيْتَ وَكَيْتَ » كَمَا فِي الْمَكَاتِبَاتِ  
السَّابِقَةِ ؛ أَوْ « وَالْمَلُوكُ يُسَالُّ تَشْرِيفَهُ بِرَأْسِهِ وَخِدْمَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ عَلَيْهِ  
سَوَائِحَ نِعَمِهِ » .

دَعَاءُ آخِرِ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ : أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ ، وَأَدَامَ أَتْنِصَارَهُ ، وَجَعَلَ  
عَلَى ذَايَاتِ النُّجُومِ أَتْنِصَارَهُ ، وَيُنْهِى .

آخِرُ : لَا زَالَتِ الرَّقَابُ لِمَهَابَتِهِ خَاضِعُهُ ، وَالرُّكَّابُ بِهِ فَوْقَ النُّجُومِ وَاضِعُهُ ،  
وَأَجِنَّةُ السُّيُوفِ بِمَضَارِيهِ مِنْ مَاءِ الْأَعْدَاءِ وَاضِعُهُ ، وَيُنْهِى .

آخِرُ : لَا زَالَتْ أَعْلَامُهُ مُشْرِفُهُ ، وَأَقْلَامُهُ مُصَرِّفُهُ ، وَأَيَّامُهُ بِطَيْبِ ثَنَائِهِ بَيْنَ  
الْخَافِقِينَ مُعْرِفُهُ .

آخِرُ : لَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِيَقَاتِهِ مُجْمَلُهُ ، وَالْأَلْيَاءُ لِأَرْقَاتِهِ مُؤَمَّلُهُ ، وَالنِّعَمُ  
عَلَى اخْتِلَافِهَا جَوَاهِرُ مَكْمَلِهِ ، وَيُنْهِى .

قلت وربما أتى بصورة الإنهاء مسجوعة أيضا؛ مثل أن يكتب : ويُنهى بعد  
تعبده بولائه ، وقيامه بحقوق آلائه . أو يُنهى بعد دعاء يقوم بوظائفه ، وولاءه يتردى  
بمطارفه . أو يُنهى بعد رفع أديعته ، وقطع العمر في موالاته وعبوديته ، ونحو ذلك .  
وعلى ذلك جرى في "عرف التعريف" إلا أنَّ الغالب في كتابة أهل الزمان  
إهماله . والعنوان إن قصد تعظيمه : الباب العالى - بألقاب الباب الكريم  
في المكتبة قبلها ، إلا أنه يختلف منها الكريم ، وإن لم يقصد تعظيمه فالمراد الشريف  
بالألقاب التي في صدر الكتاب . وصورة وضعه في الباب العالى على ما تقدم  
في الباب الكريم : أن يأتى به في سطرين كاملين من أول عرض الدرج إلى آخره ،  
كما في هذه الصورة :

المقر الشريف ، العالى ، المولى ، الأمير ، الكبير ، العالى ، العادى ، المؤدى ، القدرى ، الظهيرى ،  
السندى ، الرئيسى ، الملكى ، المظوى ، السبق ، أمر الله تعالى أنصاره أمير حاجب الشام المحروس  
والعلامة في هذه المكتبة «المملوك فلان» بقلم الرقاع ، بأسفل الكتاب ، مقابل  
إن شاء الله تعالى .

وأعلم أنَّ هذه المراتب الخمس هي الدائرة في المكتبات بين كُتاب زماننا بملكمة  
الديار المصرية وما جرى على نهجها ، والمعنى في ترتيبها على هذا الترتيب أنه في المرتبة  
الأولى منها حنيف الدعاء والثناء المتقضيان للدالة من المكتوب عنه على المكتوب  
إليه ، وأقتصر على اليسير من الكلام دون الكثير الذى فيه سامة المكتوب إليه  
وإعجازه ، عند قراءة الكتاب ؛ وعُتوت بالفلاى كالسنى ونحوه ، من حيث  
إنه لقب مؤد إلى رُعة ؛ وأتى فيه بمطالعة المملوك فلان ، إشارة إلى التصريح بالرق  
والعبودية من المكتوب عنه للكتوب إليه مع إقامته في مقام الرُعة بذكر لقبه  
المؤدى إلى رُعة قدره - وفي المرتبة الثانية أتى فيها بالفلاى داخل المكتبة دون

العُنوان فكانت أنزل مما قبلها : من حيث إنَّ العُنوانَ ظاهرٌ ، وباطنٌ المكتبةِ خفيٌّ ، والظاهر المؤدَّى إلى الرُفعةِ أعلى من الخفيِّ من ذلك ، وأتى بالدعاء فكانت أنزل رتبةً من التي قبلها لما تقدم من أنَّ الدعاء فيه معنى الدلالة ، وأجنب فيه السجع من حيث إنَّ في الإتيان به غامضاً على المكتوب إليه ، وعُنوانَ الأبواب إشارة إلى شرف محلِّ المكتوبِ إليه من حيث الإشعارُ بأنَّ له أبواباً يُوقَف عليها ؛ وجعلت دونَ المرتبةِ الثانية من حيث إنَّ العُنوانَ في المرتبةِ الأولى باللقب المؤدَّى إلى الرُفعةِ مع دلالته على الذات . وفي الثانية عُنوانَ الأبواب الموصلة إلى محلِّ الشخص ؛ ولا يخفى أنَّ ما دلَّ على نفس الشخصِ أعلى مما هو موصول إلى محله ؛ وأتى فيها بمطالعة المملوك فلان إشارة إلى التصريح للمكتوبِ إليه بالرقِّ والعبودية كما تقدم في المرتبة الأولى - وفي المرتبة الثالثة حُلف منها الفلاني المؤدَّى إلى الرُفعةِ من داخل المكتبة فكانت أنزل من التي قبلها فأتى فيها بذلك ؛ وأتى بالدعاء مسجوماً فكانت أنزل مما قبله لما في السجع من التفاضل على المكتوب إليه ، وأسقط من عنوانه مطالعة المملوك فلان فكانت أنزل من حيث إنَّ لم يقع فيه تصريحٌ برقِّ وعبودية كما في المرتبة الأولى والثانية - وفي المرتبة الرابعة بقى الصنترُ على خاله وعُنوانَ فيها بالباب بلفظ الأفراد ، فكانت أنزل مما قبلها ، من حيث إنَّ الأفراد دونَ الجمع بدليل أنه بعضٌ من أبعاضه - وفي المرتبة الخامسة قيل يُقبَّل الأرض بالقر؛ يعنى مقَر المكتوب إليه ، فكانت أنزل مما قبلها من حيث إشعارُ ذلك بالقُرب من محله بخلاف يُقبَّل مطلقاً<sup>(١)</sup> الأرض فإنه لا يَحْصُر في ذلك ، ثم إنَّ عُنوانَ الباب العالي مجرداً عن الكريم ، كانت أنزل مما عُنوانَ فيه بالكريم لما جرى عليه الاصطلاح من رُفعةِ رتبةِ الكريم العالي

(١) لعله دون المرتبة الأولى، ومراده أن العنونة بالأبواب أقل من العنونة بالألقاب لعلها التي ذكرها .

(٢) مراده : يقبل الأرض بغير أن يحيد بالقر .



على السالى المجرد عن الكريم ، على ما تهتم في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة ، وإن حُوت بالمقر الشريف فهي على انحطاط الرتبة عما قبلها من حيث إشعاره بقرب المحل من المکتوب إليه . على أن في عنوان هذه المکتبة بالمقر الشريف نظرا ، فإن أعلى مراتب الابتداء في المکتبة بالدعاء هي الدعاء للمقر الشريف ، وهو بعد تعجيل الباسط والباسطة واليد على ما سيأتى ذكره في الدرجة الثالثة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فربما التبس عنوان هذه بعنوان تلك قبل قضاها ، والوقوف على صدرها هل هو مفتتح يقبل الأرض بالمقر أو بالدعاء للمقر ، إلا أن كتاب الزمان قد دفعوا المکتبة بالدعاء للمقر الشريف واقتصروا على الدعاء للمقر الكريم ، إذ كان هو أعلى ما يكتب به عن السلطان لا كابر أمراء المملكة على ما تهتم ذكره في الكلام على مکتبات السلطان إلى أهل المملكة في المقالة الرابعة .

قلت : وفي النسايب المؤلفة في الإخوانيات في الدولة التركية في الزمن السابق ما يخالف بعض هذا الترتيب ، فجعل في "حرف التعريف" أعلى المراتب يقبل الأرض ويُنهى كيت وكيت ، والعنوان "الفلاني بمطالعة" على ما تهتم ذكره في الترتيب السابق . ودونه : الصدر بيته ، والعنوان "الأبواب بمطالعة" . ودونه : كذلك والعنوان "الأبواب" بغير مطالعة . ودونه : "يقبل الأرض بالمقر الشريف ، والعنوان إما الباب العالي أو المقر الشريف" .

وفي دستور يعزى لبعض بني الأثير أن أعلى المراتب يقبل الأرض ويُنهى كيت وكيت على ما تهتم . ودونه : "يقبل الأرض ويدعو مثل يقبل الأرض ويُنهى بعد رفع دعائه الذي لا يفتر لسأته عن رقه ، ولا يخفى إن شاء الله إبان

قَعْمه . ودونه : « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَدْعُوهَا ، مثل : يَقْبَلُ الْأَرْضَ حَمَاهَا اللَّهُ تعالى من غير الزَّمان ، واكتشفها بالأَمَان ، من صُرُوفِ الْحَدَثَانِ ، ولا زالت عَطْفُ وَفُودِ الْجَدَا ، وكعبة قُصَادِ النَّدَا ، وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ » . ودونه « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَصِفُهَا ، مثل أن يكتب : يَقْبَلُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ مُلْجَأُ الْعَفَاةِ ، وَمَلْجَأُ الشَّفَاةِ ، وَحِلُّ الْكَرَمِ الَّذِي لَا يَنْجِبُ مَنِ اقْتَفَاهُ ، وَمَقْصِدُ الرَّاحِ الَّذِي إِذَا عَوَّلَ عَلَيْهِ كَفَّاهُ ، وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ » . ودونه « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَدْعُوهَا <sup>(١)</sup> ، مثل أن يكتب : يَقْبَلُ الْأَرْضَ لِأَزَالَتِ مَحْرُوسَةِ الرَّحَابِ ، هَامِيَةِ السَّحَابِ ، فَيَسْبِغَةُ الْجَنَابِ ، لَمَنْ أَنَابَ ، وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ » .

وَجَرَى فِي "التَّصْنِيفِ" عَلَى التَّرْتِيبِ الْمُتَقَدِّمِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَرَاتِبِ الْخَمْسِ السَّابِقَةِ ، وَجَعَلَ الْمَرْتَبَةَ الْخَامِسَةَ يَقْبَلُ الْأَرْضَ مَعَ وَصْفِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الدُّسْتُورِ الْمُنْسُوبِ لِبَعْضِ بَنِي الْأَثِيرِ مَعَ الْعُنُونَةِ بِالْبَابِ الْعَالِي ، وَجَعَلَ يَقْبَلُ الْأَرْضَ بِالْمَقَرِّ الشَّرِيفِ مَرْتَبَةً سَادِسَةً مَعَ الْعُنُونَةِ بِالْبَابِ الْعَالِي أَوْ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ .

وفي غير هذه الدُّسَايِرِ مَا يَخَالَفُ بَعْضَ ذَلِكَ فِي التَّرْتِيبِ وَالتَّصْنِيفِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَفِي بَعْضِ الدُّسَايِرِ بَعْدَ تَهْيِيلِ الْأَرْضِ تَقْبِيلُ الْعَتَبَاتِ ، مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ : يَقْبَلُ الْعَتَبَاتِ الْكَرْمَةَ ، لَا بَرَحَتْ مَطْلَعُ السُّعُودِ ، وَمَنْبَعُ الْجُودِ ، وَهَيِّمًا لِقَامِ الْمُحْمُودِ . أَوْ : يَقْبَلُ الْعَتَبَاتِ الْكَرْمَةَ ، لِأَزَالَتِ الْأَفْلَاكِ تَمَّتْ أَنْهَا بِهَا تَحْفٌ ، وَأَنْهَا لِنُجُومِهَا لَيْلِيَا بِحُوضِ الْوَالِدِينَ (٩) تَرَفٌ . أَوْ : يَقْبَلُ الْعَتَبَاتِ الْكَرْمَةَ ، لِأَزَالَتِ الْأَمَالِ بِهَا مُطِيفُهُ ، وَالسُّعُودُ لَهَا حَلِيفُهُ ، وَسَعَادَتُهَا لِاسْتِخْدَامِ كُلِّ ذِي لِمَامٍ مُضِيفُهُ .

(١) هذه المرتبة تقدمت قبل بأسطر إلا أن يكون انحطاطها من حيث صيغة المصداق تأمل .

ولا ينبغي أن بعض هذه الاختيارات غير مُحْكَم الأساس، ولا موضوع على أصل يقتضى صحة الترتيب فيه، بل الكثير من ذلك راجع إلى التشهي، كلما تقدم متقدم في دولة من الدول أحب أن يؤثر مخالفة خبره، ويحصل له شيئا يُعْجِزُه لِيُنْسَبَ إليه ولا يُبَالَى وافق في ذلك غرضًا صحيحًا أم لا؛ وَقَلَّ مَنْ يصبى الغرض في ذلك . على أن تقديم بعض هذه المراتب على بعض في الملوك والمهبط إنما هو من جهة استحسانه، لو تكلف المتكلف تأخير ما تقدم فيها أو تهديم ما أثر، لأمكنه ذلك .

### الدرجة الثانية

(المكاتب بتقيل اليد، وقد رتبوا ذلك على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — يُقْبَلُ الباسط الشريف ، وهى الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه . والرسم فيها أن يترك الكاتب تحت المَلِكِ الفلانى بدلًا بسطة قدر سطرين بياضًا كما فى المسألة قبلها ، ويختلف الحال فى ذلك : فإن كان المكتوبُ إليه من أرباب السيوف، كتب: يقبل الباسط الشريف، العالى، المولوى، الأميرى، الكبيرى، العالى، العادلى، المؤيدى، السيدى، المالكى، المخدومى، المحسنى، الفلانى؛ لازلّت ساحته مقبله، وتمامته مؤمله، ونهى بعد وصف خدمه، وثبوت قيامه فيها على قدمه، أن الأمر كيت وكيت، والمستول من إحصائه كيت وكيت؛ والله تعالى يحرسه بمنه وكرمه .

دعاء آخر : يلىق بهذه المكاتب؛ يقال بعد تكملة الألقاب : لازلّت نعمه باسطه، وأيامه لعقود الأيام واسطه، ونهى كيت وكيت .

آخر: لازال جناحُ كَرَمِه مهسوطاً، وجَنَابُ حَرَمِه من الخَافِوفِ مَحْطُوطاً،  
ويُنْهَى كَيْتٌ وَكَيْتٌ .

آخر: لازال يُصَرِّفُ الأَعْنَةَ والأَيْسَنَةَ ، وَيَقْلُدُ أَعْنَاقَ أَعْدَائِهِ كُلَّ أَجَلٍ  
وَأَعْنَاقَ أَوْقَاتِهِ كُلِّ مَنَةٍ، وَيُنْهَى .

آخر: لازالت حائلُ السُّيُوفِ تَتَسَابَقُ إِلَى بَنَانِهِ ، وَأَعْقَابُ الرِّمَاحِ تَأْوِي  
إِلَى أُنَامِلِهِ : يُمَكِّنُهَا مِنْ قُلُوبِ أَعْدَاءِ اللَّهِ يَوْمَ طِعَانِهِ، وَتُتَوَّنُ الْخِيلُ مَتَحَصِّنَةً بِعِزَائِهِ  
فَيَقْوَى جَنَانُهَا بِجَنَانِهِ .

آخر: لازالت رَحَى ثُرُوبِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ تُنَارُ، وَأَيْسَنَةُ رِمَاحِهِ تُبَادِي الأَعْدَاءَ  
الْبِدَارَ الْبِدَارَ ، وَجُنُودُهُ تَقَاتِلُ سَفَرَةَ الْوُجُوهِ إِذَا قَاتَلَ الأَعْدَاءُ فِي قُرَى مَحْصَنَةٍ أَوْ  
مِنْ وَدَاءِ جِدَارٍ .

آخر: لازالت أعلامُ النصرِ مَعْقُودَةٌ بِأَعْلَامِهِ، وَجَوَارِي النِّمِّ السَّعِيدِ مَتَدُودَةٌ  
مِنْ خُدَامِهِ ، وَسُطُورُ الْبَاسِ وَالْكَرَمِ مُتَبَتَّةٌ إِمَّا بِأَقْلَامِ الْخَطِّ مِنْ رِمَاحِهِ وَإِمَّا بِرِمَاحِ  
الْخَطِّ مِنْ أَقْلَامِهِ .

آخر: لازالت الأَعْنَةُ والأَيْسَنَةُ طَوَّعَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، وَالْأَمَالُ والأَحْوَالُ  
تَحْتَ ظِلَالِ كَرَمِهِ وَكَرَمِ ظِلَالِهِ ، وَالسُّيُوفُ والأَقْلَامُ : هَذِهِ جَارِيَةٌ بِعَوَائِدِ بَاسِهِ ،  
وهذه جَارِيَةٌ بِعَوَائِدِ تَوَالِهِ .

آخر: ولازالت وجوهُ النصرِ تُرَاءَى فِي مِرْمَاةِ صِفَاحِهِ، وَشِمَارُ النُّصْرِ تُجَنِّفُ  
مَنْ أَغْصَانِ رِمَاحِهِ، وَلَا يَرْحُ السُّيُوفُ وَالْقَلَمُ يَبْقَارِيَانِ فِي ضَرِّ الأَعْدَاءِ بِيَأْسِهِ وَنَفْعِ  
الأَوْلِيَاءِ بِسِمَاحِهِ — وَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ وَزِيْرًا رَبِّ سَيْفٍ، كَتَبَ بَعْدَ الْأَمْرِ  
«الْوِزْرِي» — وَإِنْ كَانَ وَزِيْرًا رَبِّ قَلَمٍ، كَتَبَ قَبْلَ الْفَلَاحِ أَيْضًا الصَّاحِي —

وإن كان من أعيان الكُتّاب: ككاتب السرّ وناظر الخاص وناظر الجيش وناظر الدولة وكتّاب الدّست ونحوهم ، كتب بدل الأميرى القضاى ؛ ثم يكتب الجميع بعد الوزيرى أو القضاى ؛ العالمى ، العادلى ، المهلى ، المشيدى ، المالكى ، المخدومى ، المحسنى ، الفلانى ؛ أسبغ الله تعالى ظلاله ومدّها ، وشيّد به مباني الملك وشدّها ، ووهب الأيام منه هبة لا تستطيع الليالي ردّها ؛ وينهى كيت وكيت .

دعاه آخر يليق بهذه المكتبة ، يقال بعد تكملة الألقاب ، ولا زالت أقلامه تُروّع الأسد في آجامها ، وتريد على الغيوث في أنسجامها ، وتعلم الزّماح الإعدام إذا تكهّمت لإنجامها ، وينهى .

آخر : ولا زالت اللؤلؤ مشيدة بتصرفه ، مجددة لتصرفه ، مؤيدة بين صرير القلم وصريره .

آخر : ولا زالت أقلامه تهرّأ بالغيوث الهامية ، وأنعامه تنوّق على البحار الطامية ، وموارد إحسانه تأوى إليها الوفود الظامية .

آخر : وأدام القصد ليابه ، وزوّل الآمال برحابه ، وصمودها إلى تمّابه .

آخر : لازال قسيحا للقاصد جنّابه ، مجربا للتأجج بأبه ، صريحا في ابتغاء خير الدنيا والآخرة طلائه — وإن كان من القضاة الحكماء ، كتب : يُقبّل الباسط الشريف ، العالى ، المولوى ، القضاى ، العالمى ، الإمامى ، العلّامى ، السيدى ، المالكى ، المخدومى ، المحسنى ، الحاكمى ، الفلانى ؛ أعزّ الله تعالى أحكامه ، وجمل به الدهر وحكامه ، وثبت به الأمر وزاد إحكامه ، وينهى كيت وكيت .

دعاه آخر يناسبه : يقال بعد تكملة الألقاب : أعزّ الله تعالى أحكامه وأفادها ، وتدارك به الأمة وأفادها ، وأسعف به الملّة الإسلامية وأسعدّها ، وينهى .

آخر: نَضَرَهُ الدِّينَ بَنُوهُ ، وَسَقَى النِّعَامَ بَاقِيَ سُورِهِ ، وَحَمَى حِمَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِمَا ضَرَبَ عَلَيْهِ مِنْ سُورِهِ .

آخر: وَجَمَلَ الدَّهْرَ بِمَنَاقِبِهِ ، وَزَيَّنَ سَمَاءَ الْعِلْمِ بِكَوَاكِبِهِ ، وَلَا زَالَ الزَّمَانُ يَقُولُ لِمَنْصِبِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِشَخْصِهِ وَرَأْيِهِ : \* عِزُّ يَدُومٌ وَإِقْبَالٌ لِمَصَاحِبِهِ \* .

آخر: وَأَمْضَى بِيَدِهِ سُيُوفَ الشَّرْعِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامُهُ ، وَأَعْلَى طُرُوسِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فَإِنَّهَا أَعْلَامُهُ ، وَلَا زَالَتْ يَدُ الْقَصْدِ مُشِيرَةً إِلَيْهِ ، وَلَا يَنْقُدُ إِلَّا عَلَى شَأْنِهِ خِصْرٌ وَلَا يَنْجَلِي إِلَّا بِهَدَاهِ لِمَهَامٍ .

آخر: وَسَدَّدَ سِهَامَ الْحَقِّ بِأَفْضِيَّتِهِ ، وَشَدَّ أَرْكَانَ الشَّرْعِ بِأَنْبِيَّتِهِ ، وَأَيَّدَ الْإِسْلَامَ بِأَقْلَامِ مَحَلِّاتِهِ الْقَائِمَةِ لِلنَّصْرِ مَقَامَ أَلْوِيَّتِهِ — وَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ ، كَتَبَ : يُقْبَلُ الْبَاسِطُ الشَّرِيفُ ، الْعَالِيُ ، الْمُؤَلَّوِيُّ ، الشَّيْخِيُّ ، الْإِمَامِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْخَلَّاشِيُّ ، النَّاسِكِيُّ ، السَّيِّدِيُّ ، الْمَالِكِيُّ ، الْمُخْدُومِيُّ ، الْمُحْسِنِيُّ ، الْفَلَاحِيُّ ؛ لَا زَالَ يِقَاتِلُ بِسِلَاحِهِ ، وَيُقَابِلُ فُسَادَ الدَّهْرِ بِصَلَاحِهِ ، وَيَحْلُو دُبْحُ الْظُلُمَاءِ بِصَبَاحِهِ ، وَيُنْهَى .

آخر: وَنَفَعَ يَرْكَاتِهِ فِي الرُّوحَاتِ وَالْفَنَوَاتِ ، وَجَمَلَ بَيَقَاتِهِ الْحَافِلَ وَالْمَلَوَاتِ ، وَبَسَطَ فِي صَالِحِ الدُّوَلِ [يَدَهُ] : إِمَامًا فِي مِبَاشَرَتِهِ بِصَالِحِ التَّذْيِيرِ وَإِمَامًا فِي اتِّعَاطِهِ بِصَالِحِ الدَّعَوَاتِ .

والعنوان في هذه المكتبة «الباسط الشريف» بالألقاب التي في صدر المكتبة على السواء، والدعاء له بأول جملة من دعاء الصدر أو نحوها، بحسب حال المكتوب إليه ، مثل أن يكتب لمن هو من أرباب السيوف ، أعزَّ الله تعالى نصره ؛ أو عزَّ

نَصْرُهُ . ولبن هو من رؤساء الكُتَّاب : أسبغ الله ظلاله . ولبن هو قاض حُكْم :  
أعزَّ الله أحكامه . ولبن هو من مشايخ الصوفية : أعاد الله من بركاته .

وصورة وضعه في الورق أن تكتب الألقاب والدعاء والتعريف في سطرين  
كاملين من أول عرض الورق إلى آخره ، إلا أنه يُفصل بين الألقاب والدعاء  
ببياض لطيف ، وبين الدعاء والتعريف ببياض لطيف كما في هذه الصورة .

الباسط الشريف ، العالي ، المولوي ، الأميري ، الكبير ، العالي ، الجليل ، المولوي ، السيد ،  
المالكي ، المندبي ، الحسيني ، الفلاني أعزَّ الله أنصاره أمير حاجب يحبَّ المحروسة

وقد ذكر في «عرف التعريف» : أنه إن قصد تعظيمه ، عنونه بالمقر الشريف  
بالألقاب المتقدمة على السواء ، ولا تخفى صورة وضعه بعد ما تهتم ، والعلامة  
«المملوك فلان» بقلم الرقاع مقابل إن شاء الله كالمكتبة بالمقر الشريف المتقدمة .

المرتبة الثانية — [ يقبل الباسطة الشريفة <sup>(١)</sup> ] والرم فيها أن يترك تحت المَلِكِيَّ  
الفلاني قدر سطرين بياضاً كما في المكتبة قبلها ، ثم يكتب يقبل الباسطة الشريفة  
بالتأنيث ، ويمر الحال في ذلك كما في الباسط — فإن كان المكتوب إليه من أرباب  
السيوف ، كتب : يقبل الباسطة الشريفة ، العالية ، المولوية ، الأميرية ، الكبيرة ،  
العالية ، العادلة ، المولوية النورية ، المالكية ، الحسينية ، الفلانية ، لازالت سمايتها  
مستقلة ، ومواهبها للبحار مستقلة ، ويثنى كيت وكيت ، والمستمد من محبة كيت  
وكيت . وربما قيل والمسئول ، والله تعالى يؤيده بمنة وكرمه .

دعاء آخر يليق بذلك : لازالت سيوفها تملأ الرقاب ، وسيوفها تُسرع  
السَّال إلى الرقاب .

(١) زدت هذه العبارة اخذاً مما سيأتى على الأثر ولعلها سقطت من قلم النسخ تأمل .

آخر: لا زالت خناصرُ الحمْدِ على فضلِ بنانيها معقودة ، وماثرُ البأسِ والكرمِ لها ومنها شاهدةٌ ومُشهوده ، وبوآثرُ السيوفِ مُسيرةُ القصدِ إلى مُناصرةِ أعلامِها المنضُوده .

آخر: ضاعف الله تعالى مَوادَّ نعيمِها ، وجَوادَّ كرمِها ، وأتصّل الآمالُ بمساقِطِ ديمِها .

آخر: لا زالت الآمالُ لائمةً بكرمِها ، عائنةً بحرمِها ، مستنجدةً على جَنبِ الأيامِ بسقى ديمِها .

آخر: لا زالت لرُسومِ الكرمِ مُقيمه ، ولصنائعِ المعروفِ مُديمه ، ولأَيادي الإحسانِ متاعمةً إذا قصّرت عن البروقِ ديمه — وإن كان المكتوبُ إليه من رموسِ الكُتّابِ كتب بدل الأميرِى القضاى ، والباقي على ما تقدّم ، ثم يدعى له بما يناسبه .  
دعاء يناسب ذلك : لا زالت السيوفُ خاضعةً لأعلامِها ، والنجومُ خاشعةً لكلامِها ، والجبالُ متواضعةً لإعلاءِ أعلامِها .

آخر: لا زالت موالِئُها فريضه ، وأجنحةُ أعلامِها مَبيضه ، ومُقلُ الأُسنةِ إذا خاصمتها ألسنةُ أعلامِها غَضِيبه .

آخر: أسبغ الله ظِلَّها ، وهنَّابها أمةً قُربَ مبعثِ زمانها وأطلَّها ، وهَدَى الآمالَ وقد سَيرها الحرمانُ وأضَلَّها .

آخر: لا زال قلبُها مِفْتَاحَ الرِّزْقِ لطلابه ، والجاهُ لكسبيهِ ، والنصرُ لمُسْتَنبِيبِ كُتُبها عن كُتُبهِ .

آخر: لا زال رِفْدُها المَطْلُوبُ ، وسَعْدُها المكتوبُ ، وقلبُها المُخاطَبُ في مصالِحِ الدولِ والمُخْطُوبُ .



آخر: بَسَطَ اللهُ ظِلَّهَا وَلَا قَلَصَهَا، وزادها من فَضْلِهِ وَلَا نَقَصَهَا ، وَلَا جَرَعَ كَيْدَ حَاسِدِهَا الظَّالِمَةِ إِلَّا غُصَصَهَا .

آخر: ولا زال عبياً إِنْعامُها، قديمًا وحديثًا دِيْمُها وإكرامُها، قاضيةً بَسْعَها النُّجُومُ التي هي خُدَامُها .

آخر: لا زالت بَسِيطًا ظِلُّها ، مبديةً فَضْلُها، سرَّما إلى داعي الندى والرديء قَلْبُها في المِهْمَاتِ وَنَظْلُها - وإن كان من قُضَاةِ الْحُكْمِ زاد مع القاضى قبل الغلاني الحاكيم - ودعا بما يناسب .

دعاء: أعزَّ اللهُ شأنها، وأذلَّ مَنْ شأنها، وأغصَّ بأدْمَعِ أعدائها الضَّرِيجَةَ شَانِها .  
دعاء آخر يليق بذلك : ولا زالت الآمالُ إليها وإِفْدَه، والصلواتُ عائِدَه، ومعاني الفضل عن أخبار مَعْنِها زائِدَه .

آخر: لا زالت خِناصِرُ الحمد معقودةً على فَضْلِ بَنَانِها، وفَصْلُ بَيَّانِها، وعوائدُ الفضل والكرَمِ شاهدةً بالحسنيين من فَضْلِها وَأَمْتِنَانِها - وإن كان من مشايخ الصُّوفِيَّةِ أبدلَ الْقَضَائِيَّةِ بالشَيْخِيَّةِ وأسقطَ العادِلِيَّةَ والحاكِمِيَّةَ ودعا له نحو قوله :  
ومَتَّعَ الإسلامَ بَبَقِيَّتِهِ الصَّالِحَه ، وبيَّضَ صحائفَ أَعْمَالِهِ التي لا يَدُى الملائكةِ الْكَرَامِ مُصَالِحَه .

آخر: لا أُخْلِ اللهُ من بركات خَلَوَاتِهِ ، وأُطَادَ من نَوَامي دَعَوَاتِهِ، وَسَوَامِي دَرَجَاتِهِ وتَوْجُّهَاتِهِ، ونحو ذلك .

والعنوان الألقابُ التي في صَدْرِ المَكْتَابَةِ، والدعاء بالسَّجْدَةِ الأولى من الدُّعاء باطْنَه أَوْ نَحْوُها .

وصورة وَضَعَهُ أَنْ تَكْتُبَ الْأَقْلَابُ والدعاء والتعريف في سطرين كما تقدم في الباسط كما في هذه الصورة .

الباسطة ، الشرفة ، العالية ، الملوئية ، الأميرية ، الكبيرة ، العالية ، العادلة ، الذنرية ، السندية ، الكاملية ، المحسنية أعز الله تعالى أنصارها أمير حاجب بحافة المحروسة .  
والعلامة « المملوك فلان » بقلم الرقاع في أول الوصل الثالث على القرب من اللصاق .

المرتبة الثالثة — يقبل اليد الشريفة بالقاب الباسطة المتقدمة ، ثم اليد الكريمة ، ثم اليد العالية مع حذف الكريمة رتبة بعد رتبة ، والألقاب بجالها ويدعى له ، ثم يقال والمستمد من محبته كيت وكيت ، والله تعالى يؤيده . والحال في اختلاف بعض ألقابها بالنسبة إلى أرباب السيوف وغيرهم على ما تقدم في الباسطة .

### وهذه أدعية لأرباب السيوف في هذه المكاتبه

دعاء من ذلك : يقال بعد استكمال الألقاب : لازالت مقبلة البنات ، ومؤلة الإحسان ، مفضلة على أنواء الشحب بكل لسان ، وينهى .

آخر : لازالت تزد بالسيف صدور الكتائب ، وترد القمامة منها بوارد الصحائب ، وتحدث عن البحر وكم في البحر من العجائب .

آخر : لازالت بربها مأمونه ، وبليها ممنونه ، وأيامها تصبح الأعداء بأسنها الزرق المستونه .

آخر : لا أخل الله من ودعا ، ولا قطع وظائف حمدها ، ولا قضى مغيبها إلا جعل لها ذكراً بئدها .

آخر : لازالت مصالحها تنظفر بالئى ، وتحصل على الفنى ، وتطلق لسانه  
بعاطر الثنا .

آخر : لازالت لتقليد المنز سابقة في الجود العذل ، مقسمة في مكارم  
التكريم : باطنها للندى وظاهرها للقبل .

وهذه أدعية تناسب أرباب الأعلام .

يقال بعد استيفاء الألقاب : لازالت مستيلة بالندا ، مستيلة بكتب العدا ،  
مطلة على النجوم على بعد ما بينهما من المدى .

آخر : لأبرحت مفاتيحها مقفله ، وعيبتها في الخواطر ممثلة ، والكواكب  
تود لو فارقت فلكتها وأصبحت لئها مسيلة .

آخر : لازالت لصعائف الإحسان مسطره ، وقلوب الأعداء مغطره ،  
ولصنائع المعروف إذا أمسكت الأنواء مغطره .

آخر : أعل الله تعالى شأنها ، وضاعف إحسانها .

والعنوان . اليد الشريفة ، أو اليد الكريمة ، أو اليد العالمة ، بالألقاب التي في صدر  
الكتاب من غير زيادة ولا قص ؛ والدعاء بأقل تبجئة من المدحوبة في صدر الكتاب  
أو نحوها ؛ والترصيف بعد ذلك .

وصورة وضعه في الكتابة أن يكتب سطران على ما تقدم في الباسط والباسطة كما  
في هذه الصورة :

اليد الشريفة ، العالمة ، المولوية ، الأميرية ، الكبيرة ، العالمة ، العادلة ، الثرية ،  
المالكية ، المحسنة ، الفلانية . أعل الله تعالى شأنها نائب مطيعة المحروسة

والعلامة «الملوك فلان» بقلم التوقيعات، في آخر الوصل الثاني من الكتاب، على القُرْب من موضع لصاقه<sup>(١)</sup>.

وأعلم أنه ربما وُصِفَ التَّحْقِيلُ في هذه المراتب بعد الدِّعَاءِ بالأوصاف الدَّالَّةُ على زيادة التأثُّبِ ورفعة قدر المكتوب إليه، وعلى ذلك جرى في «عُرف التعريف». وقد يستعمله بعضُ كُتَّابِ الزَّمانِ، وذلك مثل أن يقول في تهليل الباسط بعد استعمال الدِّعَاءِ : تَهْقِيلًا يُحْمِى عَلَى مَنَاحِلِهِ، وَيَحَاقُّ نَمْرُ السَّمَاءِ عَلَى مَنَازِلِهِ، أَوْ يَقُولُ : تَهْقِيلٌ حُبٌّ أَخْلَصَ وِلَاةً، وَحُصْنٌ صَدَقَ وِفَاءً - أَوْ تَهْقِيلًا يُؤَالِيهِ، وَيُنْظِمُ لَأَلِيهِ - أَوْ تَهْقِيلًا يُؤَاصِلُ بِهِ الْخَلِمَ، وَيُودِّ لَوْ سَمِعَ لِأَدْبَانِهِ عَلَى الرَّأْسِ إِنْ لَمْ تُسَعِفِ الْقَدَمَ - أَوْ تَهْقِيلًا لَا يُرَوِّى الْكَرَمَ إِلَّا عَنْهُ، وَلَا تُسْتَفَادُ الْمَكَارِمُ إِلَّا مِنْهُ - أَوْ تَهْقِيلٌ وَارِدٌ عَلَى ذَلِكَ الزَّلَالِ، رَائِدٌ فِي ذَلِكَ الرُّوضِ الْمُتَدِّ الظَّلَالِ - أَوْ تَهْقِيلٌ مُسَارِعٌ إِلَيْهَا، مُزَاحِمٌ طَبِهَا.

وربما آتَى في الإنهاء بما يلائم المَقَامَ، مثل أن يقول : وَيُنْهِى بِعَدِ وَصْفِ خِدْمَةِ، وَتَمْنِيَةِ لَوْ وَقَفَ فِي صَفِّ خِدْمَتِهِ ؛ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

قلت : وفي بعض الدَّسَاتِيرِ بعد تَهْقِيلِ الْبِدِ الْعَالِيَةِ ، يُقْبَلُ يَدَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، الْعَالِي ، الْأَمِيرِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِي ، الْمُؤَيَّدِي ، النَّصِيرِي ، الرَّعِيمِي ، الْفَلَاحِي ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ : يُضَمُّ الْجَنَابَ الْكَرِيمَ بِضَوْهَةِ الْأَقْبَابِ ؛ وَفِي «التَّحْقِيفِ» يُقْبَلُ يَدَ [الْجَنَابِ الْعَالِي ، وَيُضَمُّ الْجَنَابَ الْعَالِي ، بِثُؤُنِ الْكَرِيمِ ؛ ثُمَّ يُقَالُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُنْدَى لَعَلَّهُ كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ وَالْقَصْدُ مِنْ عَجْبَتِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فَيُحِيطُ عَلَمًا بِذَلِكَ . وَبَعْضُ الْكُتَّابِ يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ إِلَى الْآنَ ؛ وَهُوَ ذُحُولٌ ، إِذْ سَبَّأَتْ فِي أَوَّلِ الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ أَنَّ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ الْمَفْتِيحَةِ بِالْهَاءِ الدِّعَاءُ لِلْقَرِّ الشَّرِيفِ عَلَى الْمَصْطَلَحِ الْأَوَّلِ ، وَلِلْقَرِّ الْكَرِيمِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ الْآنَ ؛ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَتَأْتَى أَنْ تَكُونَ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ أَوْ الْجَنَابِ الْعَالِي قَبْلَ الْمُقَرِّ الشَّرِيفِ أَوْ الْمُقَرِّ الْكَرِيمِ .

(١) الْأَطْهَرُ مِنْ مَوْضِعِ لَصَاقِهِ .

### الدرجة الثالثة

(المكاتبة بالدعاء)

وقد رتّبوا المكاتبة بالدعاء على [ثلاث]<sup>(١)</sup> مراتب :

المرتبة الأولى — الدعاء للفرّ، والرسم فيه أن يُترك بعد «الملكى القلانى» بقدر عرض ثلاثة أصابع بياضاً، ثم يؤتى بصدر المكاتبة على سمت السملة .

ويختلف الحال في ذلك : فإن كان المکتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب أعزّ الله تعالى أنصار المقتّر الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكيبرى ، الصالى ، العادلى ، السوى ، النصبرى ، القلانى ؛ ثم يدعى له بما يُناسب ، نحو : ولا زالت جيوشه جائلة ، وجنوده بين الأعداء وبين مطالبها حائلة ، وأولاده على صهوات تحيلها لديه قائلة ؛ أصدرناها إلى المقتّر الكريم ، تُهدى إليه من السلام أطيبه ، ومن الثناء أطنبه ؛ وتُبدى لعله الكريم أن الأمر كيت وكيت ؛ والقصد من اهتمامه كيت وكيت ؛ فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمَنه وكرمه .

وهذه أدعية تُناسب ذلك :

دعاء يليق بذلك : يقال بعد تكلة الألقاب : وأيد عزائمته ونصرها ، وأعلّ أعلامه ونشرها ، ودقق في مقاتل الأعداء حيث تُرورُ الأيسنة نظرًا ، ويُنسى .  
آخر : ولا يرحح الآمال بكرمه تعترّف ، وبوارق صوارمه لأبصار الأعداء تتخطف .

آخر : وأعلى قدره ، وأفدّ أمره ، أصدرناها .

وإن كان من رؤساء الكُتّاب ، كتب : بسط الله ظلّ المقرّ . أو أسبغ الله خلال المقرّ الكريم ، العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالى ، العالى ، المؤيدى ، السيدى ، السندى ، المالىكى ، الخدوى ، المحسنى ، الفلانى ؛ وباقي المكتبة كما فى أرباب السيوف .

وهذه أدعية تناسب ذلك :

دعاء يليق به : ولا زالت الأمور إليه مقوضة ، ومضارب العزّ إلا عنه مقوضة ، وصحائف الحسنات بتسويده على أثناء الدهر مبيضة ، أصدرناها .

آخر : وصرف لسان قلعه ، وشرف مكان قلعه ، وعرف من كان يناويه أنه أصبح لأئمة من خَلَمه ؛

قلت : وقد ذكر فى "عرف التعريف" أن القضاة والحكام لا تدخل لهم فى المكتبة بالمقرّ ، وعلى ذلك جرى فى مشايخ الصوفية . على أنه قد كُتِبَ بذلك . وقد رأيت المكتبة بذلك فى بعض الدساير ؛ ويحتد فيكتب : أعزّ الله تعالى أحكام المقرّ العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالى ، العالى ، الإمامى ، المالىكى ، المحسنى ، الحاكمى ، الفلانى ؛ ويدعى له بما يناسب . مثل : ويجتد له إقبالا ، وبلغه من الدارين آمالا ، وأحسن إليه مبدأ ومآلا ، ونحو ذلك . والباقي على نحو ما تقدّم ،

وهذه أدعية تناسب ذلك :

لابرح الشريعة محوطة بأقلامه ، مضبوطة بأحكامه ، متوطة بما يُشيد مبانيها ومثانيها من أحكامه ، مؤرّخة أيام سُودها بإيامه .

آخر : حرس الله بأحكامه سرح المدي ، ولا برحت فتاويه بها يقتدى ،  
ويظهر على المتأوين والمبتدئين من تميزها مهنتا مهنتا .

آخر : لا برحت أنوار فتاويه لأمعة ، وسيوف أعلامها بها قاطعه ، وحلودها  
إلى [ موارد ] أحكام الشريعة المحمدية شارحه .

والعنوان لهذه المكتبة المقر الكريم بنظير مافي الصدر ، والدعاء بأول نصية  
في الصدر من الدعاء .

وصورة وضعه في الورق أن يكتب في سطرين الألقاب والدعاء والتعريف  
كما في هذه الصورة :

المقر الكريم ، العالي ، الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، العوفى ،  
النصيرى ، الفلافى ، أعز الله تعالى أنصاره . فلان الفلافى  
والعلامة « الملوك فلان » بقلم الثلث مقابل السطر الثانى من المكتبة .

المرتبة الثانية : الدعاء للجناب ، وهو على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى — أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم . والرسم فيه أن يترك  
تحت « الملكى الناصرى » عرض ثلاثة أصابع بيضا كما في المسئلة قبلها .

ثم إن كان المكتوب إليه من أرباب السيف ، كتب : أعز الله تعالى نصرة  
الجناب الكريم ، العالي ، الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، العوفى ،  
الذئبرى ، العصدى ، الفلافى ، ويدعى له ، نحو : وأعلى قدره ، وأخذ أمره ،  
صدرت هذه المكتبة إلى الجناب الكريم ، تهدى إليه سلاماً رافها ، وثناء عافها ،  
وتوضيح لعلمه الكريم كيت وكيت ، والقصد من اهتمامه كيت وكيت ، فيحيط علمه  
بذلك ، والله تعالى يجرسه بمنه وكرمه .

وهذه أدعية تتناسب ذلك .

دعاء منه : ولا زالت عزائمهُ تُعير السُّيُوفَ المَضَاءَ ، وتُعَلِّمُ السَّهَامَ الثُّقُودَ  
في القَضَاءِ .

آخر : ولا زال جنابه مرَّما ، ومهابه مرَّما ، ورُعبه لا يدع من قلوب  
الأعداء موضعا .

آخر : ولا زالت عزائمهُ تُباري السُّيُوفَ ، وتُشَقُّ الصُّفُوفَ ، وتُجَارِي  
إلى مقابِل الأعداء الخُوفَ ، صدرت .

وإن كان من الكُتُبِ ، كتب : أدام الله تعالى جلال الجَنابِ الكريمِ ، العالى ،  
القضائى ، الكبرى ، الصُّدُرى ، الرِّئِسى ، التَّوى ، الفِائى ، المَلَذى ، الفَلانى ،  
ويُدعى له بما يناسبه ، والباقي من نسبة أرباب السُّيُوفِ .

دعاء يناسبه : وحرس سماءه التى تفتى عن المصائبِ ، ونعمائه التى هى للنعم  
مفاتيح .

آخر : وبلغه أشرف الرُّبِّ ، وملأ به قلوب الأعداء غاية الرُّعبِ ، وشكر  
ندى قلبه الذى لم يدع للغمَامِ إلا فضل ما وهب ، صدرت .

وإن كان قاضيا ، كتب : أعز الله تعالى أحكام الجَنابِ الكريمِ العالى ،  
القضائى ، الإماميَّ ، العالمى ، العلَّامى ، الأوحديَّ ، الفَلانى . ويدعوه ، نحو :  
ونور علمه البصائر ، ومرَّ بمُحكِّم السُّرائر ، وجعل فيض يمه مما لا تُودع دُرُّه إلا  
في الضمائر . والباقي من نسبة ما تهتم .

وإن كان من مشايخ الصُّوفيَّة ، كتب : أدام الله تعالى من بركات الجَنابِ  
الكريمِ ، العالى ، الشَّيخى ، الإماميَّ ، العالمى ، العالمى ، الوديعى ، الزَّاهدى ، الفَلانى .



وَيُدْعَى لَهُ ، نَحْو : وَلَا زَالٌ يُقَاتِلُ بِسِلَاحِهِ ، وَيُقَابِلُ قَسَادُ الدَّهْرِ بِصَلَاحِهِ ، وَيُثْبِلُ  
دُجَى الْقَلَمَاءِ بِصَبَاحِهِ ؛ صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتُبَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ تُهْدَى إِلَيْهِ  
سَلَامًا يَزْدَانُ بَعْرِضَ بَخْدَمَتِهِ ، وَيَزْدَادُ نَضْرَةَ بَنْظَرِهِ .

وَالْمَتَوَانُ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِالْقَابِ الصَّدْرِ ، وَالِدَعَاءُ بِأَوَّلِ تَجْعَةٍ مِنْ دَعَائِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .  
وَصُورَةٌ وَضَعَهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي سَطْرَيْنِ أَلْقَابَهُ وَدَعَاءَهُ وَقَرِيفَهُ كَمَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ :  
الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، الْعَالِي ، الْأَمِيرِ ، الْكَبِيرِ ، الْعَالِي ، الْعَالِي ،  
النَّصِيرِ ، الْفَلَائِي ، أَعَزُّهُ تَعَالَى نَصْرُهُ فُلَانُ الْفَلَائِي  
وَالْعَلَامَةُ « الْمَمْلُوكُ فُلَانُ » بِقَلَمِ الثَّلَاثِ مُقَابِلَ السَّطْرِ الثَّانِي كَمَا فِي الْمَكْتُبَةِ  
الَّتِي قَبْلَهَا .

الطَبَقَةُ الثَّانِيَّةُ — مِنَ الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي .  
وَالرَّمْ فِيهِ أَنْ يَتْرَكَ تَحْتَ الْمَلَكِي الْفَلَائِي قَدْرَ أَرْبَعَةِ أَصَابِعٍ بَيَاضًا ، ثُمَّ يَخْتَلِفُ الْحَالُ  
فِي ذَلِكَ .

فَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، كُتِبَ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى  
نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي ، الْأَمِيرِ ، الْكَبِيرِ ، الْعَالِي ، الْعَالِي ، الْمُؤَيَّدِ ، الْمُؤَيَّدِ ، الْمُؤَيَّدِ ،  
النَّصِيرِ ، الْفَلَائِي ، الْفَلَائِي ؛ ثُمَّ يَدْعَى لَهُ ، نَحْو : وَنَصْرَهُ فِي جِلَادِهِ ، وَأَيْدَهُ  
فِي مَوَاقِفِ جِهَادِهِ ؛ صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتُبَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا  
بُسُوقًا ، وَثَنَاءً يَرُوقُ ، وَتَوْحُّعًا لِعَلَمِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فَالْجَنَابِ الْعَالِي ، يَتَقَدَّمُ بِكَيْتَ  
وَكَيْتَ ، فَيُحِيطُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

دَعَاءُ آخَرَ يَنْاسِبُ هَذِهِ الْمَكْتُابَةَ : يَقَالُ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْأَلْقَابِ ، وَلَا زَالٌ  
عَزَمَهُ مُؤَيَّدًا ، وَعِزَّهُ مُؤَيَّدًا ، وَأَجْهَدُهُ وَجْهًا : هَذَا يُسَرُّ الْأَوْلِيَاءَ وَهَذَا يُسَوِّءُ الْعِدَاءَ ؛

صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالی مُخصَّصةً بالسَّلام، والثناء الوافرِ الأقسام، وتَوْجَّعَ لعلِّه كَيْتَ وكَيْتَ .

آخر : ولا زالت آراؤه كواكبٌ يُتَدَيُّ بلوابعها ، وتُقرأ سورة النصر في جوامعها ، وتسير كالشُّعب قترى الأعداء بصواعقها وتأتي الأولياء بهوامعها .

وإن كان من الكُتاب، كتب : ضاعفَ الله تعالى نعمةَ الجنب العالی، القضاة، الكبراء، الصُدري، الرُّئيسي، القَوامي، النِّظامي، الفلاني ؛ ثم يُدعى له نحو : ولا زال يرمي لكلِّ جليل ، ويُؤمل لكلِّ جميل ، ويُؤمل لكلِّ منتهى تقصُّرُ دونه أصابع النِّيل ؛ صدرت هذه المكتبة، والباقي على ما تقدَّم في أرباب السيوف .

وإن كان من القضاة، كتب : ضاعفَ الله تعالى نعمةَ الجنب العالی، القضاة، العالی، الفاضل، الأوحدي، الصُّدري، الرُّئيسي، الفلاني ؛ ويُدعى له نحو : ودفعَ عنه الأباطيل، وأرشدَ بهُداء من الأضاليل .

وإن كان من مشايخ الصُّوفيَّة، كتب : أعادَ الله تعالى من بركة الجنب العالی، الشَّيخي، الإمامي، العالی، الكامل، الورعي، الزاهدي ؛ ويُدعى له، نحو : ولا زال تُكشَفُ به اللآواء، وتُطَلَّبُ به الأدواء . صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالی تُهدى إليه سلامًا، وتُخصَّصُ عن مثل المسك ختامًا، وتَوْجَّعَ لعلِّه .

دعاء آخر : فَعَّ الله بدعواته التي لا حاجبَ لها عن الإجابة، ولا عارضَ يمتنها عن الإصابه، وأمنَ ببركاته التي هي أمنٌ للناس ومناجاة . صدرت .

والعنوانُ الألقاب التي في صدر المكتبة . والبداءُ : ضاعفَ الله تعالى نِعَمته ؛ ثم التعريف .

وصورة وضعه في الورق أن يُكتَبَ في سطرين ألقابه ودعاؤه وتعرفه كما في هذه الصورة :

الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، العالى، العالى، المؤيدى، العونى،  
النصيرى، الذئبرى، الفلانى . ضاعف الله تعالى نعمته فلان الفلانى  
والعلامة «الملوك فلان» بقلم الثالث الثقيل مقابل السطر الأول من المكتبة .  
الطبقة الثالثة — أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى وما فى معنى ذلك . والرسم  
فيه أن يُترك تحت الملكى الفلانى بحيث يبقى من الوصل الذى فيه البسمله  
ما يسع سطرين فقط . ثم يختلف الحال فيه .

فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف، كتب : أدام الله تعالى نعمة  
الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، العالى، المجاهدى، المؤيدى، العونى،  
النصيرى، الذئبرى، الفلانى . ويُدعى له، نحو : وأيد عزمه وأظهره، وكتب  
صدوه وقهره؛ صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تُهدى إليه سلاماً طيباً، وثناءً  
مُطعناً، وتوسّع لعله كتب وكتب؛ فالجناب العالى يتسلم بكتب وكتب؛ فيحيط  
علمه بذلك، والله تعالى يؤيده بمِنَّه وكرمه .

دعاء آخر يناسبه : وموّه بجهاده كُلَّ سَنان، وثبّه بجلاده جَفَنَ كُلَّ سيف  
وسنان . صدرت هذه المكتبة تحية بسلام طيب، وثناء يهترقُ غصنه الرطيب،  
وتوسّع لعله .

وإن كان من الكُتّاب، كُتِب : أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى، القضاى .  
والألقاب من نسبة ما تقيم فى ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى . والثناء،  
نحو : ولا زال قلبه لأبواب الأرزاق فليحيا، ويجم رُفده [لأنواء الفضل مالحة<sup>(١)</sup>]  
صدرت .

(١) يرض فى الأصل لبقية هذه السجدة فاقبناها ليتم الكلام .

وإن كان من القضاة ، كتب : أدام الله تعالى نعمة الجنب العالى ، والألقاب من نسبة ما تقدم في ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى . والدعاء ، نحو : ولا أخطئ الله أفق الفضل من كوكبه ، ولا مجال الجدل من مرثيته . صدرت .

وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : أدام الله تعالى نعمة الجنب العالى الشيخ . وبقية الألقاب من نسبة ما تقدم مع ضاعف الله تعالى نعمة الجنب . والدعاء ، نحو : نفع الله ببركات خلواته التى كم أجملت عن الرشاد ، وبان من مرءاتها نور الهدى للعباد ، وأثارت إنارة الشمس لآثار الزناد .

والعنوان بنظير الألقاب التى فى صدر المكتبة ، والدعاء أدام الله تعالى نعمته . وصورة وضعه فى الورق أن يكتب فى سطرين الألقاب والدعاء والتعريف كما فى هذه الصورة :

الجنب العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ،  
النصيرى ، الذئرى ، الفلانى ؛ أدام الله نعمته فلان الفلانى  
والعلامة «المملوك فلان» تحت البسملة بقلم مختصر الطومار .

المرتبة الثالثة — الدعاء للمجلس ، ويختص بالمجلس العالى ، والبايض فيه تحت الملكى الفلانى بحيث يبقى من الوصل قدر سطرين كما تقدم فى الجنب العالى . ويختلف الحال فيه .

وإن كان من أرباب السيف ، كتب : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الذئرى ، العونى ، الفلانى ؛ ويدعى له ، نحو : وأيد عزمه ، ووفر من انخيرات قسمه ؛ صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى تهدي إليه سلاماً ، وتوفراً له من الخير أقساماً ، وتوضع لعلمه المبارك

كِتَ وَكِتَ ، فالجلسُ يتقدَّم بكِتَ وَكِتَ ، فيحيط بذلك صلُّا . والله تعالى  
يؤيِّده بمنه وكرمه .

وهذه أدعية تلحق بهذه المكتبة .

دعاء من ذلك : ولا زالَ مشكورَ الأهتمام ، موصوفَ المحامِن وصَفَ البدر  
النَّام ، معروفاً بجِمل الأثر مثل ما تُعرف مواقعُ الغمام . صدرتْ هذه المكتبةُ  
إلى المجلسِ العالى تُهدى إليه سلاما ، وتُسند لرايه الصَّائب سَهاما ، وتوضَّع  
لِعلمه الكريم .

آخر : ولا زالَ سَيِّفاً يُدفعُ بِجَدِّه ، ويَجري ماءُ النصر من فِرْنَدِه ، ويتوقَّعُ به  
الظَّفَر فيقتلُ بِجَريده ويخافُ وهو في غَمَدِه .

وإن كان من الشَّكِّب ، كتب : أدام الله تعالى نعمةَ المجلسِ العالى ، القَضائى ،  
الأَجَلِّ ، الكِبَرى ، الرِّبى ، المِلحِدَى ، الأَوَحِدَى ، الأَثَرى ، الفِلانى ؛  
ويُدعى له ، نحو : وسَدَّ رأيه ووقَّفه ، وصَدَّقَ فيه الظَّنَّ وحَقَّقَه ، وجمع له شَمَل  
السَّعادَةِ ثم لا تُرقِه . صدرتْ هذه المكتبةُ إلى المجلسِ العالى تُشكِّرُ مَساعِيه ، وأَهَمَّاهُ  
الذى باتَ طَرَفُ النِّجم وهو راجِعِه ، وتوضَّع لعلمه الكريم .

آخر : ولا تَرَجُ عنه ثوبَ سَعادِه ، ولا فَرَمَنه جِملَ طادِه ، ولا حُرِفَ سِوى  
بابِه الذى لو كان له الحقُّ فى جَبَّةِ الأُمِّدِ لاسْتعادَه . صدرتْ هذه المكتبةُ إلى  
المجلسِ العالى تُهدى إليه السلام ، والثَّناء الذى تَتطَلَّعُ به ألسِنَةُ الأَقلام ، وتوضَّع  
لعلمه .

وإن كان من القَضاءِ ، كتب : أدام الله تعالى نعمةَ المجلسِ العالى ، القَضائى ؛  
الكِبَرى ، العالى ، الفاضلى ، الأَوَحِدَى ، الفِلانى ؛ ويُدعى له ،

نحو : ولا بَرَحَتْ طَلْبَتُهُ مَفِيدَةَ الْمَطَالِبِ ، مُؤَيَّةَ الْمُهْدَى فِي الْفَيَاحِبِ ، قَائِمَةً أَفْلَاحُ  
هَدَايَتِهَا فِي لِيَالِي الْحَيَّةِ مَقَامَ الْكَوَاكِبِ .

آخر : ولا بَرَحَتِ الدُّنْيَا مَمْطُورَةً بِقَمَامِهِ ، مَحْبُورَةً بِدُخُولِهَا تَحْتَ ذِمَامِهِ :  
وإن كَانَ مِنْ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ ، كَتَبَ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَكَاتِ الْجُلُوسِ الْعَالِي ،  
الْشَيْخِي ، الْإِمَامِي ، الْعَالِمِي ، الْعَامِلِي ، الْعَالِي ، الْوَرَعِي ، الزَّاهِدِي ، الْأَوْحِدِي ،  
الْفَلَاحِي ، وَيَدْعِي لَهُ نَحْوُ : وَلَا زَالَ نُورُهُ يَسْمَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَدْعِي بِاسْمِهِ إِلَيْهِ .

آخر : أَدَامَ اللَّهُ مِنْ بَرَكَاتِهِ عَلَى الرَّاعِي وَالرَّجِيءِ ، وَجَعَلَ خَلَوَاتِهِ خُلُواتِ كُلِّ  
فَهِيسٍ رَاضِيَةٍ مَرْضِيَّةٍ ، وَالْباقِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

وَالْعُنْوَانُ الْأَقَابُ الَّتِي فِي الصُّدْرِ ، وَالِدَاءُ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ . ثُمَّ التَّعْرِيفُ .  
وَصُورَةُ وَضَعُهُ فِي الْوَرَقِ أَنْ تُكْتَبَ أَقَابُهُ وَالِدَاءُ وَالتَّعْرِيفُ كَمَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ :  
الْجُلُوسِ الْعَالِي ، الْأَمِيرِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْمَجَاهِدِي ، الْمُؤَيَّدِي ،  
الْأُنْخَرِي ، الْعَوْنِي ، الْفَلَاحِي ؛ أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ فَلَانُ الْفَلَاحِي  
وَالْعَلَامَةُ « الْمَمْلُوكُ فَلَان » بِقَلَمِ مَخْصَرِ الطُّومَارِ تَحْتَ الْمَلِكِي الْفَلَاحِي ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ  
فِي الْمَكْتَبَةِ قَبْلُهَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَرْتِيبَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ : مِنَ الدُّعَاءِ بِأَعَزِّ اللَّهِ تَعَالَى أَنْصَارِ  
الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ ، ثُمَّ أَعَزِّ اللَّهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، ثُمَّ ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ  
الْجَنَابِ الْعَالِي ، ثُمَّ أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي ، ثُمَّ أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ  
الْجُلُوسِ الْعَالِي - هُوَ الْمُسْتَقَرُّ عَلَيْهِ الْحَالُ بَيْنَ تَحَابُّ الزَّمَانِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِفَةِ . وَجَعَلَ  
فِي « حَرْفِ التَّعْرِيفِ » . « أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي الدُّعَاءِ : أَعَزِّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارِ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ ،

ثم أمر الله تعالى نُصْرَةَ الْمُقَرَّ الكَرِيمِ؛ ثم أمر الله تعالى نُصْرَةَ الْمُقَرَّ الكَرِيمِ؛ ثم أدام الله تعالى نُصْرَةَ الْجَنَابِ الشَّرِيفِ؛ ثم ضاعف الله تعالى نعمة الْجَنَابِ العَالِي ، وحرّس الله تعالى نعمة الْجَنَابِ العَالِي ، مع اختصار الألقاب وحلّف بعضها؛ ثم أدام الله تعالى نعمة المجلس العَالِي . وعلى كثير من ذلك كان الحال جاريا إلى آخر الدولة الأشرفيّة «شعبان بن حسين» ثم أخذ الناس في التفسير إلى أن صار الأمر على ما هو عليه الآن .

قلت : وكانوا في الزّمن السالف في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وما والاها لا يأتون مع الْمُقَرَّ الشَّرِيفِ ، وَالْمُقَرَّ الكَرِيمِ ، وَالْمُقَرَّ العَالِي ، وَالْجَنَابِ الشَّرِيفِ ، بأصدراها ولا بصدرت هذه المكتبة كما هو الآن ؛ بل بعد الدّعاء يقولون مع «أمر الله تعالى أنصار الْمُقَرَّ الشَّرِيفِ» : المملوك يُقْبَلُ الباسطة . ثم يأتي بالإنياء بعد ذلك مثل أن يقول : المملوك يُقْبَلُ الباسطة الكريمة التي هي معنيد المّاح ، وموطن مأيوهن العدا من صدور الصّفاق ، وينهى . أو يقول : يُقْبَلُ الباسطة الكريمة ، ويرتفع منها في كلّ ديمه ، وينهى . أو المملوك يقبل اليد الشريفة ، ويلجأ إلى ظلّها الوريفة ، وينهى . ومع «الجناب الشريفة» لفظ «المملوك يختم» . ثم يقول : ويئدى مثل أن يكتب : المملوك يختم بأننيته ، ويخضّ عقود الشكر على أنديته ، ويئدى لعابه الكريمة . أو المملوك يختم بأننيته التي تريد الطيب طيبا ، وتسرّى سرى السحب فلا تدع في الأرض جرياء ، ويئدى لعابه الكريمة . وربما أفاض ذلك بقوله : صدرت هذه الخليفة ، مثل أن يقول : صدرت هذه الخليفة وسلامها يتضوق ، وتثاؤها السافر لا يتبرقع .

### الدرجة الرابعة

(الابتداء بصيغ محترمة من صدور مكاتبات الأدعية)

اعلم أن صدور المكاتبات المفتحة بالأدعية يقال فيها بعد الدعاء المعطوف : أصدرناها أو صدرت هذه المكتبة ؛ ثم يقال : وتبدي لعلهم أو وتوهم لعلهم . ومن أجل ذلك جعلت هذه الدرجة دون درجة الافتتاح بالدعاء ؛ لأن هذه فرع من فروع تلك ، وحيل فيكون الصدر مشتملاً بعد الدعاء على ثلاثة أشياء .

أحدها - [ افتتاح ] صدور المكتبة بقوله : أصدرناها أو صدرت .

والثاني - الإشارة إلى المكتبة بقوله : هذه المكتبة .

والثالث - الإعلام بما صدرت بسببه المكتبة . فانتظم من ذلك ثلاث مراتب .

المرتبة الأولى - الافتتاح بصدور المكتبة ، وفيها طريقتان .

الطريقة الأولى - صدرت والعالى ؛ وهى أن تفتح المكتبة ، بأن يقال : صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى . ويختلف الحال فيها .

فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب : صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الذئرى ، الأوحدي ، الفلانى ، ويدعى له نحو : أدام الله تعالى نعمته ، ووفر من الخير قسمته ، نتضمن إعلامه كيت وكيت . فالجلس العالى يتقدم بكيت وكيت ؛ فيعلم ذلك ويمتدحه والله الموفق .

وإن كان من الكُتب ، كتب : صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى ، القضاى ، الكبيرى ، الرئيسى ، الكاملى ، الماجدى ، الأميرى ، الأوحدي ، الفلانى ، ويدعى له ، نحو : سرّس الله مجده ، وأنجح قصده ، والباقي على ما همم .



وإن كان من القضاة ، كُتِبَ : صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى ،  
القضاة ، الأجلّ ، الإمامي ، الصدرى ، الفقيهى ، الكاملى ، الفاضلى ، الفلانى ؛  
ويدعى له ، نحو : أيد الله أحكامه ، ووفر من الخير أقسامه ، والباقي على ما تقدم .  
وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى ،  
الشيخى ، الإمامي ، العالى ، العايل ، الزاهدى ، العابدى ، الورع ، الأوحدي ؛  
ويدعى له نحو : أعاد الله من بركاته ، وقمع المسلمين بصلاح أديعته ، والباقي  
على ما تقدم .

والعنوان باللقاب التى فى الصدر وأول صفحة من الدماء فيه . وتكون الألقاب  
والدماء والتعريف فى سطرين كما فى هذه الصورة :

المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الذخرى ،

الأوحدي ، الفلانى . أدام الله رفعة فلان فلانى

والعلامة « المملوك فلان » تحت « الملكى الفلانى » بقلم مختصر الطومار الثقيل ،  
وربما جعل بعضهم العلامة « أخوه » .

الطبعة الثانية — صدرت والسامى ، وهى أن تفتتح المكتبة بأن يقال :  
صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، واليباض فيها تحت الملكى الفلانى كما  
فى المكتبة التى قبلها : بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما يسع سطرين فقط  
على ما تقدم .

ثم إن كان المکتوبُ إليه من أرباب السيوف ، كتب : صدرت هذه المكتبة  
إلى المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، العبدى ، الذخرى ،  
الأوحدي ، الفلانى ؛ ويدعى له نحو : أدام الله سعده ، وأنجح قصده . ثم يقال :

تَضَمَّنَ إِعْلَامَهُ كَيْتَ وَكِتَ . فَاَلْجَسَ السَّامِي يَتَقَتَّمُ بِكِتَ وَكِتَ ؛ فَيَعْلَمُ ذَلِكَ وَيَتَمَتُّهُ وَيَبَادِرُ إِلَيْهِ ، وَاللهُ الْمَوْفَّقُ .

وَإِنْ كَانَ مِنْ الْكُتَّابِ ، كُتِبَ : صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتُبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ السَّامِي الْقَضَائِيَّ ، الْأَجَلِّيَّ ، الْكِبِيرِيَّ ، الرَّزْزِيَّ ، الْمَاجِدِيَّ ، الْأَثِيرِيَّ ، الْأَوْحَدِيَّ ، الْفَلَائِيَّ ؛ وَيَدْعَى لَهُ ، نَحْوُ : ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى إِقْبَالَهُ ، أَوْ أَدَامَ اللهُ سَعَادَتَهُ ، وَبَلَّغَهُ إِرَادَتَهُ ؛ وَالْبَاقِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

وَإِنْ كَانَ مِنَ الْقَضَاةِ ، كُتِبَ : صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتُبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ السَّامِي ، الْقَضَائِيَّ ، الصُّبْرِيَّ ، الْفَقِيهِيَّ ، الْإِمَامِيَّ ، الْعَالِمِيَّ ، الْفَاضِلِيَّ ، الْكَامِلِيَّ ، الْأَوْحَدِيَّ ، فَلَانِ الدِّينِ . وَالْبَاقِي مِنْ نَسْبَةِ مَا تَقَدَّمَ .

وَإِنْ كَانَ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ ، كُتِبَ : صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتُبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ السَّامِي ، الشَّيْخِيَّ ، الْعَالِمِيَّ ، الْعَامِلِيَّ ، الْوَرَعِيَّ ، الزَّاهِدِيَّ ، الْأَوْحَدِيَّ ، الْفَلَائِيَّ ؛ وَيَدْعَى لَهُ ، نَحْوُ : لَا أَخْلَاهُ اللهُ مِنْ أُنْسِهِ ، وَلَا أَبْعَدَهُ مِنْ حَضْرَةِ قُدْسِهِ . وَالْبَاقِي عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ .

وَالْعُتُونُ الْإِتْقَابُ الَّتِي فِي صَدْرِ الْمَكْتُبَةِ بِالسَّجْعَةِ الْأُولَى مِمَّا فِيهِ مِنَ الدِّعَاءِ وَالتَّعْرِيفِ . .

وَصُورَةُ وَضْعِهِ فِي الْوَرَقِ أَنْ يَكْتَبَ فِي سَطْرَيْنِ كَمَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ :  
 الْمَجْلِسُ السَّامِي ، الْأَمِيرِيَّ ، الْكِبِيرِيَّ ، الْمَاجِدِيَّ ، الْمُضِيدِيَّ ، الذَّنْثَرِيَّ ،  
 الْأَوْحَدِيَّ ، الْفَلَائِيَّ . أَدَامَ اللهُ سَعَادَتَهُ فَلَانِ الْفَلَائِيَّ  
 وَالْعَلَامَةُ «أَخُوهُ فَلَانِ» تَحْتَ الْمَلِكِيَّ الْفَلَائِيَّ ، بِقَلَمٍ مَخْصَرِ الطُّومَارِ التَّقِيلِ .

المرتبة الثانية — الاختاخ بالإشارة إلى المكتبة ، وهى أن يُكتب : هذه المكتبة إلى المجلس السامى بغير ياء فى ألقابه ، ويسبّر عنه بالسامى بغير ياء ؛ والياض فيها تحت الملكى الفلانى متبّع أيضا : بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما يسع منظرين فقط . ثم إن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كُتِبَ : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحِد ، الذّخر ، فلان الدين ؛ ويدعى له نحو : أدام الله إقباله ، وبلغه آماله ، أو أصبح الله قصته ، وأطدب ورقه ، تعلّمه كيت وكيت : فالمجلس يتقدّم بكيت وكيت : فيعلم ذلك ويستمدّه ويأدر إليه ، والله الموفق .

وإن كان من الكُتّاب ، كُتِبَ : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، الفاضل ، الأجل ، الكبير ، الصّدر ، الرئيس ، الأوحِد ؛ ويدعى له ، نحو : أدام الله سعادته ، وبلغه من الخير إرادته ، تعلّمه كيت وكيت . والباقي حلّ ما تهتمّ .

وإن كان من القضاة ، كُتِبَ : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، الفاضل ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحِد ، فلان الدين . والباقي من نسبة ما تهتمّ .

وإن كان من مشايخ الصّوفية ، كتب : هذه المكتبة إلى المجلس السامى الشيخ ، الصالح ، الورع ، الزاهد ، فلان الدين ، فنع الله تعالى ببركته ، ولا أدخل مجالس الذّكر من محاسن شيمته وسمته . والباقي من نسبة ما تهتمّ .

والعنوان الألقاب التى فى صدر الكتاب ، وأوّل جمعة من الدعاء الذى فيه وتبريقه ، ويكون فى سطرين كما فى هذه الصورة :

المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحِد ،  
الذّخر ، فلان الدين . أدام الله إقباله فلان الفلانى

المرتبة الثالثة — الاكتساح بالإعلام بالقصد ، وهو أن يكتب : يعلم فلان ، وقد تقدم في الكلام على مقدمة المكاتبات من هذه المقالة أن الصواب فيها يعلم بإثبات لام الأمر في أوله ، لحذف كُتِبَ الزمان منها اللام اللازم لإثباتها وأجروها مجرى الخبر. والرسم فيه أن يُترك تحت المَلِكِ العَلَفِيّ بياضٌ بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما يسع سطرين كما في المكاتبه قبلها وما قبل ذلك .

ثم إن كان المكتوب له من أرباب السيوف ، كُتِبَ : يعلم الأمير ، الأجل ، الكبير ، المؤيد ، الذئب ، المرتضى ، المختار ، فلان الدين ، ويدعى له ، نحو : أدام الله عزه ، ووثر من الخير كثره ، كَيْتَ وكَيْتَ ، فجلس الأمير يتقدم بكَيْتَ وكَيْتَ ، فيعلم ذلك ويعتمده ويأيد إليه ، والله الموفق بمنه وكرمه .

وإن كان من الكُتُوب ، كُتِبَ : يعلم مجلس القاضى ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحد ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من القضاة ، كتب : يعلم مجلس القاضى ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحد ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : يعلم مجلس الشيخ ، الصالح ، الورع ، الزاهد ، الأوحد ، الكامل ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

والعنوان لهذه المكاتبه الألقاب التي في الصدر والدعاء بأول نتيجة مما فيه من الدعاء والتعريف .

وصورة وضعه في الورق أن يكتب ذلك في سطرين كما في هذه الصورة :

المجلس الأثير ، الأجل ، الكبير ، المؤيد ، الذخر ، المرتضى ، المختار ،  
فلان الدين . أدام الله عزّه فلان الفلاني  
والعلامة تحت البسمة الأتم بقلم مختصر الطومار الثقيل .

قلت : وما يجب التنبيه عليه أن الألقاب المذكورة في صدور المكاتب  
وعنواناتها ليست موقوفة عندها ، بل لكل واحد فيها اختيار من تقديم وتأخير ،  
وتبديل لقب بلقب ، وزيادة ونقص ؛ إلا أن الزيادة والنقص يكونان على المقاربة ،  
مثل زيادة لقب ولقبين وثلاثة ، ونقصها . على أنهم في الزين السابق كانوا يتعاطون  
في الإخوانيات الألقاب المركبة في الصدور والعنوانات فيما يبدأ فيه بالدعاء وما بعد  
ذلك إلى آخر المراتب كما هو في السلطانيات .

فإن كان من أرباب السيوف قيل مع الدعاء للقر الشريف لأرباب السيوف  
بعد استيفاء الألقاب المفردة : عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ،  
زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملة ، مهد الدول ، مشيد  
الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين . ومع الدعاء للقر الكريم :  
عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، نصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم  
جيوش الموحدين ، عماد الدولة ، عون الأمة ، دخر الملة ، ظهير الملوك والسلاطين ،  
سيد أمير المؤمنين ؛ وعلى ذلك إلى آخر كل مرتبة بحسبها .

وإن كان من رؤساء الحجاب ، قيل : جلال الإسلام والمسلمين ، سيد الكبراء  
في العالمين ، رئيس الأصحاب ، قوام الأمة ، نظام الملة ، مدبر الدولة ، دخر الممالك ،  
ظهير الملوك والسلاطين ؛ وكذلك إلى آخر المراتب كل مرتبة بحسبها . وكذلك القول

في القضاة ومشايخ الصوفية كل واحد منهم بما يناسبه من الألقاب لوظيفته ودرجته .  
ثم اقتصرنا بعد ذلك على استعمال الألقاب المضاف إلى الملوك والولاة ، مثل ظهير  
الملوك والولاة ونحو ذلك ؛ فحذفنا تلك الألقاب المركبة جملة  
اختصاراً ، وهو مستحسن : لما في ذلك من ميل النفوس إلى الاختصار ، وتختلف  
المكتابات الصادرة عن السلطان ، فتكون مختصة بالألقاب المركبة دون غيرها .

### القسم الثاني

( من المكتبات الإخوانيات الدائرة بين أعيان المملكة وأكابر

أهل الدولة ، الأجوبة ؛ وهي على ضربين )

#### الضرب الأول

( ما يُفتح من ذلك بما تفتح به الابتداءات المتقدمة الذكر )

والرسم فيها أن يكتب صدر الكتاب كما يكتب أن لو كان ابتداءً ؛ ثم يذكر ورود  
الكتاب المجاب عنه ، ويُؤتى بالحواب عما تضمنته ؛ وهو على أربع مراتب :

المرتبة الأولى — وهي أعلاها في تعظيم الكتاب الوارد ، أن يعبر عنه بالمثل .  
وذلك مع الابتداء بلفظ قبّل الأرض ويُنتهى كَيْتَ وَكَيْتَ . وصورته أن يقول بعد  
كلام الصدر : ورود المثال الكريم العلى أعلاه الله تعالى على الملوك على يد فلان ،  
ويذكر ما يليق به من المجلس العلى أو المجلس السامى أو غيرهما ؛ ثم يقول : فقَبّل  
الملك لوروده الأرض ، وأدنى من واجبه الفرض ؛ وتضاعف دعاء الملك لتأهيله  
لعلمانية الأبواب الكريمة ، وأنتهج بوروده ، وحمد الله وشكره على ما دل عليه : من  
عافية مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره — إن كان المثال قد ورد من نائب سلطنة  
أو من عافية مولانا قاضى القضاة — إن كان قاضياً — أو من عافية الخدم وصحة مزاجه

(١) أى الذى منه وينبى ورود المثال الخ وهكذا فى الآتى .

المحروس . وقابل المملوك المراسيم الكريمة بالامتثال ؛ ففهم مرسوم له به من كيت وكيت ؛ والمملوك لم يكن عنده غفلة ولا إهمال فإمرسم له به . وإن كان ثم فصول كثيرة ، قال : فأما مرسوم له به من كيت وكيت فقد آمنتله المملوك ؛ ويحارب عنه . ثم يقول : وأما مرسوم له به من كيت وكيت ، فالأمر فيه كيت وكيت ، حتى يأتي على آخر الفصول ؛ فإذا انتهى إلى آخرها ، قال : وسؤاله من الصدقات العيمة ؛ إمداده بمراسيمه الكريمة وخلفه ، ليفوز بقضاها ، ويأدى إلى امتثالها ؛ والمملوك مملوكه وعبد باه الشريف .

المرتبة الثانية — أن يعبر عن الكتاب الوارد بالمثل العالي بكون الكريم ، وذلك مع الابتداء بلفظ يقبل الأرض وينهى بعد آتباله إلى الله تعالى ، والابتداء يقبل الأرض بعد رفع دعائه ، ويقبل الأرض بالقر الشريف ؛ ويقبل الباسط الشريف . فأما مع يقبل الأرض بعد آتباله ، فالأمر على ما تقدم في جواب المكتبة قبلها ، إلا أنه يقتصر على المثال العالي دون الكريم كما تقدمت الإشارة إليه ؛ وأما مع يقبل الأرض بعد رفع دعائه ، فإنه يقول بعد تكملة الصندر : ورود المثال العالي أعلاه الله تعالى على يد فلان ، فقبله حين قابله ، ووقف على ما تضمنته من كيت وكيت ، وفرح بما دل عليه من عافية الخنوم ، وحمد الله تعالى وشكره على ذلك ، وفهم ما أشار إليه من كيت وكيت ؛ ويحارب عنه ، ثم يقول : والمملوك يسأل إحسان الخنوم بشريف المملوك بمهماته وراسميه ليفوز بقضاها ، فإن المملوك وقف المالك ؛ طالع بذلك ، والله تعالى يؤيده بمته وكرمه ، أو نحو ذلك . وأما مع يقبل الأرض بالقر الشريف ، ويقبل الباسط الشريف ؛ فإنه يقال ورود المثال العالي أيضا ، وربما قيل ورود مثاليه العالي . وقد يقال المشرف الكريم العالي على ما تضمنه رتبة المكتوب إليه ، ويرتضيه المكتوب عنه ؛ والباقي على نحو ما تقدم .

المرتبة الثالثة — أن يبر عن الكلب الوارد بالمشرفة، على التأنيث؛ وذلك مع يقبل الباسطة ويقبل اليد. ويختلف الحال في ذلك بحسب المراتب. فيقال: يقبل الباسطة ويُنهى ورود المشرفة الكريمة، ومع اليد الشريفة، والكريمة، والعالية؛ وفي معنى ذلك يخدم إذا كتب بها؛ وكذلك أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم، وإن كان المكتوب عنه يكتفى عن نفسه بنون الجمع المقتضية للتعظيم. ثم يقول: في كل منها قبلها المملوك حين قائلها، ووقف على ما تضمنته من محبته ومودته، وفهم ما شرحه من أمر كيت وكيت، ويحارب عنه؛ ثم يقول: والمستمد من محبته تشريف المملوك بمراسمه ومشرقاته وخدمته: ليقوز بقضائها، ويؤادر إلى امتثالها؛ فإن المملوك ما عنده غفلة فيا يقتضيه رأيه العالى، والله تعالى يؤيده بمته وكرمه.

المرتبة الرابعة — أن يبر عن الكلب الوارد بالمكاتبه. وذلك مع الابتداء بالدعاء بلفظ: ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى؛ وأدام الله تعالى نعمة المجلس العالى؛ وصدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالى، أو المجلس السامى؛ أو هذه المكاتبه إلى المجلس السامى؛ أو يعلم مجلس. فيقال: وتوهم لعلمه، أو موهمة لعلمه، أو تضمن إعلامه، أو تعلمه، أو يعلم على حسب المراتب المتقدمة، وورود مكاتبته، فوقفتا عليها، وأحطنا علما بما تضمنته من كيت وكيت، ويحارب عنه؛ ثم يقول: فيتقدم الجنب أو المجلس أو مجلس الأمير ونحو ذلك مما يقتضيه الحال، بإعلامنا بأخباره وضروراته وحوائجه.

وأعلم أن لكاتب المراجوبه لتواب السلطنة وغيرهم من ترد عليه مكاتبتهم بطلب الملاحظة عند عرض مكاتبتهم على الحضرة السلطانية؛ وتحسين السفارة في ذلك؛ ويقع الخطاب في جواب كل منهم على حسب رتبته.



ففي جواب نائب السلطان بالشام المحروس يكتب ما صورته : ويُنهي بعد رفع  
أدعيته الصالحة تَهْلِيهَا اللهُ تَعَالَى من المملوك ومن كلِّ دَاجٍ مُخْلِص ، بِلَوَامِ أَيَّامِ مَوْلَانَا  
مَلِكِ الْأُمَرَاءِ ، أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ ، وَخُلُودَ سَعَادَتِهِ عَلَيْهِ ، أَنَّ الْمَثَالَ الْكَرِيمَ وَرَدَ  
عَلَى الْمَمْلُوكِ عَلَى يَدِ فُلَانٍ ؛ فَتَهْضُ لَهُ الْمَمْلُوكُ ، وَأَجْمَلُ فِي تَلْقِيهِ السُّلُوكِ ؛ وَقَضَى عَنْ  
صِدَقَاتِ عِيَمِهِ ، وَتَفَضُّلَاتِ جَسِيمِهِ ؛ وَفَرِحَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ سَلَامَةِ مَوْلَانَا مَلِكِ  
الْأُمَرَاءِ — أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَ مَوْصَافَتِهِ ، وَصَحَّةَ مِرْآجِهِ الْمَحْرُوسِ ؛ وَتَضَاعَفَ سُرُورُ الْمَمْلُوكِ  
بِذَلِكَ ، وَتَزَايَدَ أَتْبَاجُهُ بِهِ ، وَسَالَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ حَيَاةَ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ ،  
أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ ، وَيُثَبِّتَهُ ؛ وَأَتَتْهُ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الْإِشَارَةُ الْكَرِيمَةُ فِي مَعْنَى تَجْهِيْزِ  
الْمُشَارِ إِلَيْهِ إِلَى خِدْمَةِ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِمَا عَلَى يَدِهِ مِنَ الْمَكْتَابَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَمَا رَسَمَ بِهِ  
مِنَ الْقِيَامِ فِي خِدْمَتِهَا وَعَرْضِهَا بَيْنَ يَدَيِ الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهَا ؛  
وَقَابَلَ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ الْكَرِيمَةَ بِالْإِسْتِثْنَاءِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَبَادَرَ إِلَى مَا رَسَمَ بِهِ ؛  
وَقَدْ عَرَّضَ الْمَمْلُوكُ الْمَكْتَابَةَ الْكَرِيمَةَ عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ ، وَكُتِبَ الْجَوَابُ الشَّرِيفُ  
عَنْ ذَلِكَ بِمَا سَتَحِيطُ بِهِ الْعُلُومُ الْكَرِيمَةُ ؛ وَطَادَ بِذَلِكَ إِلَى خِدْمَةِ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ  
أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ . وَالْمَمْلُوكُ مَمْلُوكُ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ عَزَّ نَصْرُهُ ، وَجَبَّ الْقَدِيمُ ،  
وَالْمَعْرُوفُ بِإِحْسَانِهِ وَصِدَقَاتِهِ ؛ وَيَسْأَلُ تَشْرِيفَهُ بِالْمَهْمَاتِ وَالنَّحْلَمِ ، أَنْهَى ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ  
اللهُ تَعَالَى .

وفي جواب بقية الثواب بالممالك الشامية : كُتِبَ السُّلْطَانَةُ بِحَمْدِ طَرَابُلسٍ وَصَفَدٍ  
وَالْكَرْكِ ، وَمَقْدَمِ الْعَسْكَرِ بَغْزَةَ ، يَكْتُبُ : وَيُنْهِيْ بِدَرْجِ دُطَاتِهِ ، وَإِخْلَاصِهِ فِي حُبِّهِ  
وَوَلَايَتِهِ ، وَأَعْتَرَفَهُ بِإِحْسَانِ مَوْلَانَا وَالْآلِيَةِ ، أَنَّ الْمَثَالَ الْعَالِي — أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى —  
وَرَدَ عَلَى الْمَمْلُوكِ عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، قَبْلَهُ الْمَمْلُوكُ ، وَأَحْسَنُ فِي تَلْقِيهِ السُّلُوكِ ؛ وَفَرِحَ بِمَا دَلَّ  
عَلَيْهِ مِنْ طَافِيَةِ مَوْلَانَا وَسَلَامَتِهِ ، وَصَحَّةَ مِرْآجِهِ الْمَحْرُوسِ ، وَحَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ ،

وَأَتَتْهُ إِلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ : مِنْ تَجْهِيزِ الْمَطَالَعَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهَا ، وَفَهَّمَهُ الْمَمْلُوكُ ذَلِكَ ، وَأَمَثَلَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛ وَوَقَّفَ فِي خِدْمَتِهَا عِنْدَ الْعَرَضِ عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَحَاطَتْ الْعُلُومُ الشَّرِيفَةُ بِمَضْمُونِهَا ؛ وَكَتَبَ الْجَوَابَ الشَّرِيفَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا سَيُحِيطُ بِهِ عِلْمُ مَوْلَانَا ؛ وَقَدْ حَادَ فُلَانٌ بِالْجَوَابِ الشَّرِيفِ وَبِهَذِهِ الْخَلِصَةِ ، وَحَمَلَهُ الْمَمْلُوكُ مِنَ السَّلَامِ وَالشُّوقِ وَالْدَّمَاءِ وَالْوَلَاءِ وَتَقْيِيلِ الْأَرْضِ مَا يُثْبِتُهُ لِمَسَامِعِ مَوْلَانَا . وَالْمَمْلُوكُ يُسَالُ إِحْسَانَهُ الْإِحْمَاءَ إِلَى ذَلِكَ ، وَالتَّشْرِيفَ بِمِرَاسِمِهِ وَخِدْمَتِهِ : لِيُيَادِرَ إِلَى قَبُولِهَا . وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَيُحَرِّسُهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

وَعَلَى قِيَاسِ ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذِهِ مِنَ الْمَكَاتِبِ بِحَسَبِ مَا تَحْتَظِيهِ رُبَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِهَا .

### الضرب الثاني

(مِنْ الْأَجُوبَةِ مَا يَفْتَحُ بُوْرُودَ الْمَكَاتِبَةِ مَصْدَرًا بِفَقْظٍ : وَرَدَتْ أَوْ وَصَلَتْ أَوْ وَقَفَتْ عَلَى الْمَكَاتِبَةِ ، وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ)

مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ : وَرَدَ الْمَثَالُ الْكَرِيمُ الْفَلَائِقَ ، وَذِكْرُ سَلَامَتِهِ أَحْلَى مِنْ ذِكْرِ الْأَوَائِلِ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ مِنْهُ طِرَازُ أَشْرَفِ مِنْ طِرَازِ الْغَلَائِلِ ؛ وَمَا سَكَنَ الْقَلْبُ إِلَى شَيْءٍ كَسُكُونِهِ إِلَيْهِ ، وَلَا رَأْيَ وَارِدًا أَكْرَمَ مِنْهُ عَلَيْهِ ؛ فَتَقَابَلَ نِعْمَةً قُلُوبُهُ بِدَوَامِ شُكْرِهَا ، وَطَوَى صَحَائِفَ الْأَمَالِ إِلَّا مَنْ تَشَرَّهَا ؛ وَإِذَا كَانَ وَجْهَ الْأَيَّامِ مُقَطَّبًا اسْتَفْنَى بِبُشْرِ وَجْهِهِ الْمَيِّمُونَ عَنْ بُشْرِهَا ؛ فَإِنْ حُسِّنَ فِي رَأْيِهِ الْإِجْرَاءُ عَلَى عَوَائِدِ إِحْسَانِهِ [مِنْ التَّشْرِيفِ بِمِرَاسِمِهِ وَخِدْمَتِهِ] وَالْمُواصَلَةِ بِهَا ، [ثَالِثٌ] <sup>(١)</sup> النَّفْسُ مِنْ وُرُودِهَا نَهَايَةَ أَرْبَابِهَا .

(١) بَيَاضٌ فِي الْأَسَلِ قَلِيلٌ ، وَمَا أُتْبِتَهُ مَا خُوِذَ مِنَ الْقَامِ .

قلت : أما الأجوبة المطلقة : وهى الدائرة بين الأصديق والأصحاب من أفاضل الكتاب ، وحيون أهل الأدب ، ممن له ملكة فى الإنشاء ، وقوة فى النظم والشعر ، فإنها لا تتوقف على ابتداء مخصوص ، ابتداء ولا جوابا ؛ بل قد تكون مبتدأة بما تقدم من الابتداءات ، وقد تكون بغير ذلك من الاكتناحات التى يختارها صاحب الرسالة ، بل أكثرها مفتتح بالشعر المناسب للحال المكتوب فيها ، بل ربما اقتصر فيها على الشعر خاصة دون الشعر .

### المهيم الثانى

( فى بيان رتب المكتوب عنهم والمكتوب إليهم : من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية ، وما يستحقه كل منهم من رتب المكاتبات السابقة على ما أحال مستقر عليه فى زماننا )

إعلم أن المكتوب عنهم من أعيان الدولة على طبقات ، لكل منهم مكاتبات بصدر يختص به ، إلى من فوق رتبته أو مساو له فى الرتبة أو دونه فيها ، مرتبة على ترتيب المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى أهل الدولة :

الطبقة الأولى — من المكتوب عنهم من يكتب إليه عن السلطان « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » ككافل السلطنة : وهو نائب السلطان بالحضرة ، وأتابك العساكر ، ونائب السلطنة بالشام . والمكتوب إليهم عن هذه الطبقة على مراتب : المرتبة الأولى — من يكتب له عن هذه الطبقة « الفلانى بمطالمة » ، ومن يكتب إليه بذلك عن نائب الشام فيما رأيته — أتابك العساكر بالأبواب الشريفة ، وكان ماكتب له « المخلدوى الأتابكى فلان الفلانى » باللقب المضاف إلى لقب السلطان ، « أتابك العساكر المنصورة » .

المرتبة الثانية — من يكتب إليه « الأبواب بمطالعة » ومن يكتب إليه بذلك عن النائب الكافل بالحضرة، والأتابك نائب السلطنة بالشام، فقد قال في «التتيف»: إن بهذه المكتبة يكتب عن أكابر أمراء الديار المصرية إلى نائب الشام وحلب فيما أعلن، ومن يكتب إليه بذلك عن نائب الشام — الدوادار، وأمير أخور، ومقدمو الألواف بالديار المصرية، وأكابر الأمراء مقدمي الألواف بالشام، وكافل المملكة الشريفة الحلبية .

المرتبة الثالثة — من يكتب له عن هذه الطبقة « الأبواب بغير مطالعة » وبذلك يكتب عن كافل السلطنة بالحضرة إلى نائب السلطنة بحلب . وقد ذكر في «التتيف» أنه كان يكتب بذلك عن الأمير بلبغا العمري (بني الحاصبي) وهو أتابك الديار المصرية، إلى نائب الشام أيضا . ثم قال: وكذلك كتب بعده إلى نائب الشام وحلب، الأمير منكل بغا، والأمير الجاى، وتواب السلطنة بالديار المصرية، وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى كل من قضاة القضاة الأربعة بالديار المصرية، وكذلك الوزير وكتب السربها .

المرتبة الرابعة — من يكتب له عن هذه الطبقة « الباب الكريم والباب العالى » أما الباب الكريم، فإنه يكتب بذلك عن النائب الكافل والأتابك<sup>(١)</sup>

وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى الأمراء الطليخاناه بالديار المصرية، وإستادار الأملاك الشريفة، وناظر الجيوش المنصورة بالأبواب السلطانية، وناظر الخواص، وناظر الدولة، وحاجب الجباب بالشام، وقاضى القضاة الشافى بالشام، وكتب

(١) يباح في الأصل قدر سطر والسقط هو المكتوب إليهم . ولعله إلى نائب الشام ونائب طرابلس إلى آخر ما يأتي بعد . وحرر .

السَّرب، ونائب السلطنة بطرأئلس، ونائب السلطنة بحمّة، ونائب السلطنة بصفد،  
ونائب السلطنة بالكرك .

أما من يكتب له عن نائب الشام الباب العالي بدون الكرم، فقدّم العسكر  
النصوري بقرّة، والقضاة الثلاثة بالشام، ما خلا الشافعيّ المقدم ذكره، والوزير  
بالشام .

المرتبة الخامسة — من يكتبُ إليه عن هذه الطبقة «يقبل الأرض بالمقرّ  
الشريف» وبذلك يكتبُ عن النائب الكافل والأتابك، إلى نائب طرأئلس،  
ونائب حمّة، ونائب صفد، ونائب الإسكندرية، وأمرأء الألوّف بالديار المصرية؛  
وبه يكتبُ عن نائب الشام .

المرتبة السادسة — من يكتبُ إليه عن هذه الطبقة «الباسط الشريف» وبذلك  
يكتبُ عن النائب الكافل والأتابك، إلى مقدم العسكر بقرّة، ومقدم العسكر بسيس،  
ونائب السلطنة بالكرك، وحاجب الجُباب بالشام، وحاجب الجُباب بحلب .

المرتبة السابعة — من يكتبُ له عن هذه الطبقة «الباسطة الشريفة» ومن  
يكتبُ له بذلك عن نائب الشام قاضي القضاة الشافعيّ بحلب .

المرتبة الثامنة — من يكتبُ له عن هذه الطبقة «اليّد الشريفة» أو «اليّد الكريمة»  
أو «اليّد العالية» . وبذلك يكتبُ عن النائب الكافل والأتابك، إلى ناجي الوجه القليل  
والوجه البحرى بالديار المصرية؛ ونائب القدس، ونائب حمص، ونائب الرّجبة،  
ونائب البيرة، ونائب قلعة المسلمين، ونائب ملطية، ونائب دبركي، ونائب الأبلستين،  
ونائب طرسوس، ونائب أذنّة، ونائب بهسني، وأمرأء الألوّف بالشام وحلب .  
وبذلك يكتبُ [أيضاً] عن نائب الشام إلى أمرأء العشرات بالديار المصرية، وقضاة

العسكريها ، وحاجب الحُجَّاب بِحَلَب ، والقُضَاة الثلاثة : الحنفى ، والمالكي ، والحنبلية بها .

المرتبة التاسعة — مَنْ يَكْتُبُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ » . وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى كاشف الصِّفْقَةِ الْقَبِيلَةِ ، وإلى الأُمراء مُقَدِّمِي الْأَلُوفِ بِالشَّامِ ، وناظر الجيش به ، وأمير آلِ فَضْلٍ ، ونائبِ حِمص ، وكاتب السِّرِّ بِحَلَب ، ونائب المملكة بها ، ونائب دُورَكِي ، ونائب دَرَنْدَةِ .

المرتبة العاشرة — مَنْ يَكْتُبُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ » . وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى نائب قَلْعَةِ دِمَشْقٍ ، والحاجبِ الثَّانِي بِهَا ، ووكيلِ بَيْتِ الْمَالِ بِهَا ، ومُقَدِّمِي الْأَلُوفِ بِحَلَب ، ونائب الجيش بها ، ونائب الرَّحْبَةِ ، ونائب الْأَبْلُسْتَيْنِ ، ونائب مَلْعِيَةِ ، ونائب قَلْعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، ونائب بَهْسَنَى ، ونائب الْبَيْرَةِ ، ونائب جَعْبَرٍ ، ونائب الرُّهَا ، ونائب حُسْبَانٍ .

المرتبة الحادية عشرة — مَنْ يَكْتُبُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ » . وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى أمراء الطَّبَلْخَانَةِ بِالشَّامِ ، ونائب الْقُدْسِ ، ونائب بَلْبَكٍ ، ومتولِّي صَبِيدَا ، وأمراء الطَّبَلْخَانَةِ بِحَلَب ، ووكيلِ بَيْتِ الْمَالِ بِهَا ، والمُحْتَسِبِ بِهَا ، وناظرِ خَاصِّ الْبَرِيدِ بِهَا ، وأمير حاجبِ بَصْفَدٍ .

المرتبة الثانية عشرة — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : « ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي » . وبذلك يكتب عن نائب الشام ، إلى والي قَطَايَا ، وورثها زيد فِيهِ الْكَرِيمِ .

المرتبة الثالثة عشرة — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : « أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي » . وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى أمراء العسَرات بِمِصْرَ ، وأمراء

العشرينات بالشام، والمختسب بها، والحاجب الكبير بقرّة، ومقدم عرب بنى عتبة، وأكابر عرب آل فضل، وأمير عرب آل عليّ، وأمير آل مؤبى، ونائب مصياف، ومتولى يروث .

المرتبة الرابعة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «المجلس العالي مع اللهاء». وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى العشرات يستشق، ووالى المدينة، ووالى البرية، والحاجب الثانى بقرّة، وأمير آل مرّا، ومقدم عرب بجرم، ومقدم بنى مهديّ، وأمرء العشرينات بحلب .

المرتبة الخامسة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «صدرت والى». وبذلك يكتب عن النائب الكافل والأنايك، إلى كاشف الوجه البحرى من الديار المصرية، وكاشف الفيوم والبهساوية، ووالى أسوان، وكشاف الجسور من أمرء الطليخانة بالوجهين : القبل والبحرى بالديار المصرية، ونائب قلعة حلب، ونائب آيأس، ونائب جعبر، ونائب درنة، وحاجب الحجاب بطرابلس، وحاجب الحجاب بحماة، وحاجب الحجاب بصفد، وبذلك يكتب [أيضا] عن نائب الشام إلى أجناد الحلقة بمصر، والحاجب الكبير بمصر، وأمرء العشرات بحلب .

المرتبة السادسة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «صدرت والى». وبذلك يكتب عن النائب الكافل والأنايك، إلى والى قوص، ووالى مقلوط، ووالى الأشمونيين، ووالى الهنسى، ووالى متوف، ووالى الغربية، ووالى الشرقية، ووالى قفطيا، ونائب مصياف، ونائب بعلبك، ونائب قلعة صفد، ونائب صيتاب، والحاجب الكبير بقرّة. وبذلك يكتب [أيضا] عن نائب الشام إلى مقدم الحلقة بالشام، وأعيان الجند بها، ومقدم بنى مهديّ، ومتولى الصلّت وتجلون، ومتولى صرخد،

والحاجب الصغير بمحمص، ووالى تدمر، ومقتم إقليم الخروب بصيدا، ومقتم إقليم النعاج، ووالى البقاعين، ووالى بطناس.

المرتبة السابعة عشرة — مَنْ يَكْتَبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ » وبذلك يَكْتَبُ عَنْ النَّائِبِ الْكَافِلِ وَالْأَتَايِكَ ، إِلَى وَالِي الْحِيزَةِ ، وَوَالِي إطْفِيج ، وَوَالِي قَلْبُوب ، وَوَالِي أَشْمُوم الرُّمَّانِ بِالْذِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ . وَبِذَلِكَ يَكْتَبُ أَيْضًا إِلَى نَائِبِ الْكَحْخَنَّا ، وَنَائِبِ كَرْكَر ، وَنَائِبِ سَجَرِ شُغْلَان ، وَنَائِبِ سِرْفَنْدَكَار ، وَنَائِبِ الْقَصِير ، وَنَائِبِ بَقْرَاس ، وَنَائِبِ الرَّأْوَنْدَان ، وَنَائِبِ الشُّغْر وَبَكَاس ، وَنَائِبِ الرَّهَّا ، وَنَائِبِ الدَّرَبَسَاك ، وَنَائِبِ شَيْزَر بِالْمُلْكَةِ الْحَلِيَّةِ ؛ وَإِلَى نَائِبِ اللَّادِيقَةِ ، وَنَائِبِ صَهْيُون ، وَنَائِبِ حِصْنِ الْأَكْرَاد ، وَنَائِبِ مَحْمَص ، وَنَائِبِ الْمَرْقَب ، وَنَائِبِ بَلَّاطُنْس ، وَنَائِبِ الْكُحْف ، وَنَائِبِ الْقَدْسُمُوس ، وَنَائِبِ انْخَوَاي ، وَنَائِبِ الْعَلِيقَةِ ؛ وَنَائِبِ الْمَيْبَةِ : مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُس ، وَنَائِبِ شَقِيفِ يَثْرُونَ مِنْ مَعَامِلَةِ صَفَد . وَبِذَلِكَ يَكْتَبُ [ أَيْضًا ] عَنْ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى صِغَارِ الْأَجْنَادِ بِمِصْر ، وَإِلَى كَاشِفِ الرَّمْلَةِ ، وَمَتَوَلَّى حُسْبَانَت ، وَحَامِي الْخَرِيبَةِ .

المرتبة الثامنة عشرة — مَنْ يَكْتَبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « يَعْلَم » . وَبِذَلِكَ يَكْتَبُ عَنْ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى صِغَارِ الْأَجْنَادِ بِالشَّامِ .

وَأَحْمَدُ أَنَّ وَرَاءَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ عَنْ نَائِبِ الشَّامِ مَكَاتِبَاتٍ أُخْرَى إِلَى مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنِ الْمُلْكَةِ ؛ وَهِيَ عَلَى مَرَاتِبٍ .

المرتبة الأولى — مَنْ يَكْتَبُ لَهُ عَنْهُ : « يَقْبَلُ الْأَرْضَ » — صَاحِبُ بَنْدَادٍ : كَمَا كَانَ يُكْتَبُ لِلْقَانِ أَحْمَدَ بْنِ أُوَيْسٍ ، كَانَ يُكْتَبُ إِلَيْهِ فِي وَرَقٍ قُطْعُ نِصْفِ الْجَوِيِّ بِقَلَمِ الثَّلَاثِ الصَّغِيرِ : يَقْبَلُ الْأَرْضَ لَدَى الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ ، الْعَالِيَةِ ، الْمُتَوَلِّيَةِ ،



السلطانية، العالمية، العادلة، المؤيدية، المالكية، القانية؛ ولا زالت عزَمانها مؤيده، وآراؤها مستددة؛ ويُنهى إلى العلم الكريم — صاحبُ العُراى : ودشت القَبجاق مثله بأبسط ألقاب .

المرتبة الثانية — مَنْ يكتب إليه : « أعزُّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الشريف » أبْنُ السلطان أحمد بن أُويس المذكور . وورقه نظيرُ ورق والده ، وقلبه نظير قلبه — صاحبُ هَرَاة : مثله .

المرتبة الثالثة — مَنْ يكتب إليه : « أعزُّ الله أنصارَ المقرِّ الكريم » — صاحبُ ماردين : أعزُّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الكريم العالى، المولوى، الكيبرى، العادلى، السلطانى، المَلِكى، الإقلانى؛ ورفع مقداره، وأجزل مَبَاهِرُه . المملوك يحمِّدُ الخِدمة العالیه، ويصفُ أشواقَه المتواليه؛ ويُنهى لعلمه الكريم — صاحبُ بُرْصا : من بلاد الروم، وهو ابن عُثْمَان . والرسم فيه على ما كان يكتب لأبى يَزِيد بن مراد بك بن عثمان : أعزُّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الكريم ، العالى، المولوى، الكيبرى، العالمى، العادلى، العونى، الفياثى، المهدى، المشيدى، الزيجى، النازى، المجاهدى، المناخيرى، المرابطى، العاينى، التامىكى، الزاهدى، المقدمى، الأتابكى، المحسنى، الظهيرى، المَلِكى، القلانى؛ مُعزُّ الإسلام والمسلمين، مسيدُ الأمراءِ في العالمين، ناصرُ الفُرَاة والمجاهدين، زعيمُ جيوشِ الموحدين، مُسيدُ المشركين، قايِمُ أعداء الدين، مقتليحُ الخُصُوص من الكافرين؛ حوْنِ الأئمة، عِمَادِ الملة، دُخْرُ الدولة، ظهيرُ الملوك والسلاطين، حاكمُ البلادِ الرُومِيَّة، صاحبُ بُرْصا وقنصيرية؛ سيفُ أمير المؤمنين؛ قَهْرُ [الله] أعداء الدين الحنفي، بزازمه وسطواته، وجعله مؤيداً في حركاته وسكناته، وأيده في جهاده وأجتهاده بالنصر الذى لا يفارق الأوية أعلامه وراياته،

ولا زالت رعاياه محبوره ، وصاحبه منصوره ؛ هؤلاء مجوده [وهبانه] ، وهؤلاء بوجوده  
وحياته . المملوك يقبل اليد التي لازال القصد بها يزيد ، ويحمر الرمن أناملها مديد ،  
ونوالها يناله الوافلون حيث أموه من قريب وبعيد ؛ ويصف صفاء محبة يتضاعف  
تماؤها كل يوم جديد ، وترادف نحيات أشواقها بالمؤالة والتحميد ، ويتوآمر  
بهادي رسالتها بصديق المؤدة الدائمة على التأيد ؛ ويؤدي إلى العلم الكريم .

قلت : كذا رأيته في دستور بخط القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب : كاتب  
سر الشام كان . وفيه اضطراب وتخليط من نعت في ألقابه [بقوله] الملكي الفلاني ؛  
وقوله سيد الأمراء في العالمين ، حيث وصفه أولا بأوصاف المملوك ، ثم وصفه  
بأوصاف الأمراء ؛ إلى غير ذلك من التلبيط الذي لا ينبغي على متأمل .

المرتبة الرابعة — « أحر الله أنصار المقر العالي » — وزير صاحب بغداد ؛  
وورقته في قطع الحموى بقلم الثلث الخفيف — قاضي بغداد : مثله سواء — صاحب  
لارندا : من بلاد الروم بمملكة بنى قومان . ويقال في ألقابه : الأصلي نون  
التوأمين ، مجهز المقانب ، دثر القانات — صاحب سيواس : من البلاد الرومية .  
أيضا — صاحب آياس لوق : من البلاد الرومية — صاحب جولمرك : من بلاد  
الأكراد .

المرتبة الخامسة — « الجناب الكريم » — صاحب حصن كيفا : من بلاد  
الجزيرة ، ويقال فيه : الملك الفلاني — مقدم التركان البيضاء .

المرتبة السادسة — « الجناب العالي » — صاحب أرزنجان — صاحب جزيرة  
أبن عمر من بلاد الجزيرة — صاحب أنطاليا من بلاد الروم — ابن الشيخ  
عبد القادر الكيلاني شيخ الجبال .

المرتبة السابعة — « المجلس العالى » — صاحب مياقارين : من بلاد  
الجزيرة — صاحب آكل : من الجزيرة أيضا — صاحب أرقين — صاحب  
قلعة الجوز — صاحب جرموك — صاحب أماسيا : من بلاد الروم — نائب  
ماردين — خادم صاحب ماردين — صاحب بطنان — صاحب سنجار : من  
بلاد الجزيرة — صاحب حاسك (؟) — صاحب أربك — صاحب الموصل —  
صاحب سنوب — صاحب بوشاظ — صاحب الدربند — صاحب عين دارا —  
صاحب الحمة — صاحب خلط — صاحب طلان — صاحب ناخ — صاحب  
جشراك — نائب كرزك — صاحب القنطرة — نائب نرث رث — صاحب  
البارمية — صاحب حران — صاحب العايدة — صاحب حاني — نائب مازكرد —  
نائب صاحبة ماردين — أمير التركان الشهيرة — صاحب أشنو .

الطبقة الثانية — ممن يكتب عنهم من أعيان الدولة بالديار المصرية ، من  
يكتب إليه عن السلطان : « أعز الله تعالى نصره الجناح الكريم » وهو نائب  
السلطنة بحلب .

والكتابة عنه على مراتب :

المرتبة الأولى — « الفلاني بمطالمة » وهو النائب الكافل بالحضرة السلطانية ،  
وأما لك العساكر المنصورة .

المرتبة الثانية — « الأبواب بمطالمة » وهو نائب السلطنة بالشام ، والامير النوادر  
بالأبواب السلطانية ، واستاد الدار بها ، وأكابر الأمراء المقدمين الخاصكية .  
المرتبة الثالثة — « الأبواب بنير مطالمة » . وبذلك يكتب إلى نائب الشام .

المرتبة الرابعة — «الباب الكريم». وبذلك يكتب إلى نائب السلطنة بطرأئلس، ونائب السلطنة بمحاة، ونائب السلطنة بصقدي، وكذلك يكتب به إلى الطبقة الثانية من الأمراء المقدمين بالحضرة من دون الخلاصكية؛ وفي معنى ذلك الوزير، وكتب السر، وناظر الخاص، وناظر الجيش، ومن في معانهم.

المرتبة الخامسة — «يقبل الأرض بالمقر الشريف». وبذلك يكتب إلى حاجب الحجاب بالشام.

المرتبة السادسة — «يقبل الباسطة». وبذلك يكتب إلى الحاجب الثاني بالشام، وحاجب الحجاب بحلب، وحاجب الحجاب بمحاة، وحاجب الحجاب بطرأئلس، وقاضي القضاة الشافعي بحلب، وكتاب السرها.

المرتبة السابعة — «يقبل اليد الشريفة». وبذلك يكتب إلى نائب البيعة، ونائب ملطية، ونائب قلعة المسلمين، ونائب جعفر، ونائب الرها، ونائب الأبلستين، ونائب حمص، وأمراء الطليخاناه بدمشق.

المرتبة الثامنة — «أمر الله تعالى أنصار المقر الكريم». وبذلك يكتب إلى نائب طرسوس، ونائب الرحبة، والحاجب الثاني بطرأئلس، ومقدمي الألوفا بها، والقضاة الثلاثة: المالكي، والحنفي، والحنبلي بحلب. إلا أنه يقال: «أمر الله تعالى أحكام المقر».

المرتبة التاسعة — «أمر الله تعالى أنصار المقر الكريم العالي». وبذلك يكتب إلى نائب بهسن، ونائب الرحبة، وأكابر الطليخاناه بالشام، ومن تولي الإمرة من عرب آل فضيل ثم عيزل؛ وقضاة العساكر المنصورة بحلب، وناظر المملكة بها، وأمير آل علي.

المرتبة العاشرة — «أعز الله تعالى نُصْرَةَ الجَنَابِ الكريم». وبذلك يُكتب إلى أعيان أمراء الطبلخاناه بِحَلَبَ ، والحاجب الثالث والرابع بها ، وأكابر أولاد أمراء عرب آل فَضْل .

المرتبة الحادية عشرة — «ضَاعَفَ الله تعالى نِعْمَةَ الجَنَابِ العالى» وما فى معناه مما يُكتب به إلى أرباب الأقاليم وغيرهم . وبذلك يكتب إلى نائب شَيْزَر، وأمراء الطبلخاناه بِحَلَبَ ، غير الأعيان ، وناظر الأملاك الشرفية بِحَلَبَ ، وناظر خاص البريد وموقعى الدسْتِ بها .

المرتبة الثانية عشرة — «صَدَرَتْ والعالى». وبذلك يُكتب إلى نائب عَيْنَتَابَ ، ونائب الرَاوَنْدَانِ ، ونائب الكُخْتَا ، ونائب كَرْكِي، ونائب بَقْرَاسَ ، ونائب الدَرْبَسَاكِ ، ونائب الشُّغْرِ وَبَكَاسَ ، ونائب القَصْبَرِ ، وأمراء العَشِيرَاتِ بِحَلَبَ ، وأعيان العَشَرَاتِ بها .

المرتبة الثالثة عشرة — «صَدَرَتْ والسامى». وبذلك يُكتب إلى مُقَدِّمى الحلقة بِحَلَبَ ، ومُقَدِّمى البريديَّةِ بها ، وأعيانهم .

المرتبة الرابعة عشرة — «السامى» بغير ياء . وبذلك يُكتب إلى والى سَمِينِ ، ووالى البَابِ ، ووالى عَزَازَ ، ووالى أَنْطَاكِةَ ، ووالى حَارِمَ ، ووالى كَفَرْ طَلَبَ ، ووالى الجُيُولِ ، ووالى مَنبِجَ ، ووالى تَلْ بَاشِرَ ، وأجناد الحلقة بِحَلَبَ ، وصغار البريديَّةِ بها ، وعداد التركان وعداد الأكراد .

وأعلم أنَّ وراء ما تقدّم من المكاتبات الصادرة عن نائب حَلَبَ [مكاتبات أخرى] إلى من هو خارج عن المملكة ، كما هُتِمَ فى المكاتبات الصادرة عن نائب الشام ؛ وهى على مراتب :

المرتبة الأولى — المكتبة بهيكل الأرض — القان صاحب بندق : كما كان يكتب إلى القان أوريس ، وأبنيه أحمد : يُقْبَلُ الأرض بالمقام الشريف العالي ، المولوى ، السلطانى ، الأعظمى الأوحدي ، الملاذى ، العطوفى ، المحسنى ، القانى ، الملكى الفلانى ، الجلالى ؛ أعلى الله تعالى شأنه ، وأعز سلطانه ، وأمكن من رقاب الأعداء مكانه ؛ ولا زال لواءه يتأزد بالنصرويرتدى ، وفناؤه يروح إليه العز ويتدى ، وعزمه يتقف صرف الزمان فلا يعتاد أن يعتدى ؛ ولا يرح محبداً في موقف النصير موقفه ، ماضياً في هامات أعدائه مرفقه . ويُنهى بعد أذعية رفعها إلى مواطن الإجابة ( فَتَقْبَلُهَا رَبُّهَا يَقْبُوبُ حَسَنٍ ) وموالاة شفيعها بالإخلاص ، فعجز عن وصفها ذوو البلاغة واللسن ، وأئليّة جمعها قلّدت بها الإسماع لذادة الأعيُن الساهرة بالوسن ؛ أن الأمر كَيْتَ وكَيْتَ .

المرتبة الثانية — من يكتب له « أعز الله تعالى أنصار المقر الشريف » — صاحب مآردين . والرسم أن يكتب إليه : أعز الله تعالى أنصار المقر الشريف ، العالى ، المولوى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى ؛ ويدعى له ، نحو : لازالت أيامه مسعوده ، وأبوابه مقصوده ، وألوية النصربنواصى خيله معقوده ؛ الملوك يقبل اليد الشريفة ، ويقوم من الخدمة بأكل وظيفه ؛ ويُنهى لعلمه الكريم بعد السلام الزكى ، والثناء المسكى ؛ كيت وكيت ، فيحيط بذلك عليه الكريم ، ويُعَفُّ بالمشرقات على عادة فضله المميم .

المرتبة الثالثة — « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » . وبذلك يكتب إلى آبن قمران نائب السلطنة بالبلاد القرمانيّة — حاكم جولرك — صاحب برصا وهو آبن عثمان — صاحب آياس لوق .

المرتبة الرابعة — « المقرّ العالى » وبذلك يكتب إلى صاحب حصن كَيْفَا،  
والوزير بالممالك القانية وقاضيا .

المرتبة الخامسة — « أمر الله تعالى نُصْرَةَ الجَناب الكريم » . وبذلك يكتب  
إلى صاحب أنطاليا من بلاد الروم .

المرتبة السادسة — « ضاعف الله تعالى نعمة الجَناب العالى » . وبذلك يكتب  
إلى نائب كَرْزَاك ، وحاكم جَمْشَكَاك ، وحاكم سِيوَأَس ، وحاكم أَمَاسِيَا ، وحاكم  
سَنُوب ، والحاكم بِخُوت رُتْ .

المرتبة السابعة — « أدام الله تعالى نعمة الجَناب العالى » . وبذلك يكتب إلى نائب  
صاحب مَآرِدِينَ ، ونائب الصَّالِحِيَّة ، وبعض خدام صاحب مَآرِدِينَ .

المرتبة الثامنة — « صَدَرَتْ والعالى » . وبذلك يكتب إلى حاكم حَرَّان ، ونائب  
ماز كُرد ، وحاكم قلعة الجُوز .

الطبقة الثالثة — ممن يكتب عنه من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية —  
من يكتب إليه من السلطان : « ضاعف الله تعالى نعمة الجَناب العالى » كوزير المملكة  
بالديار المصرية ، وناظر الخَاص ، على ما استقر عليه الحال آنفاً ، وأرباب الوظائف  
من الأمراء المقتضين بها : كأمير سلاح ، وأمير مجلس ، وأمير أخور ، والدُّوَادَار ،  
وإِسْتَادَار ، وحاجب الجَنَاب ، ونائب الإسكندرية ، وكذلك تَوَّاب السلطنة  
بطرَابُلس ، وحمّاء ، وصَفَد ، من الممالك الشامية .

والمكتوب إليهم عن هذه الطبقة على [تسع] مراتب :

المرتبة الأولى — « الغلاني بمطالبة » وهم : النَّائب الكافِل ، وأتابِك السناكر ،  
ونائب الشام .

المرتبة الثانية — « الأبواب بمطالعة » . وبذلك يكتب إلى نائب حلب .

المرتبة الثالثة — « الأبواب بغير مطالعة » وبذلك يكتب إلى نائب طرابلس ،  
ونائب حماة ، ونائب صفد ، ونائب الكرك ، وأمير سلاح وغيره من سائر من في هذه  
الطبقة .

المرتبة الرابعة — « الباب الكريم » . وبذلك يكتب إلى نائبي الوجهين القبلي  
والبحري بالديار المصرية ، ومقدمي العسكر بقزة وسيس ، والأمراء المقدمين  
المتوجهين من الأبواب السلطانية لكشف الجسور والمساحة وقبض الغلال .

المرتبة الخامسة — « يقبل الأرض بالمقر الشريف » إن قصد تعظيمه ، أو البأسط  
الشريف إن لم يقصد ، وبذلك يكتب إلى <sup>(١)</sup>

المرتبة السادسة — « يقبل اليد العالمة » . وبذلك يكتب إلى أمراء الطليخاناه  
المتوجهين من الأبواب السلطانية لكشف الجسور والمساحة والقبض . وربما  
أخطت رتبة أحد هؤلاء فكُتِب إليه : أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم ، أو نصرة  
الجناب الكريم ، أو ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى .

المرتبة السابعة — « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » . وبذلك يكتب إلى  
كاشف الوجه البحرى وكاشف القيوم والتهساوية .

المرتبة الثامنة — « أدام الله تعالى نعمة المحلّيس العالى » . وبذلك يكتب إلى الولاة  
الطليخاناه بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية : كفوص والمحلة ، وغيرهما .  
وربما كُتِب « صدرت والعالى » لأحدهم .



المرتبة التاسعة — « صَدْرَتِ والسامى » . وبذلك يكتب إلى ولاة العشرات بالوجهين القبلى والبحرى بالديار المصرية .

الطبقة الرابعة — ممن يكتب عنه من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية ، من يكتب إليه عن السلطان « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى » . ككتاب السرى وناظر الجيش ، وكذلك الخُجَّاب الطلغناه بالديار المصرية . وعلى ذلك كان ناظر الخاص فى الزمن المتقدم . فلما جُمِعَ للصاحب شمس الدين المقفى بين الوزارة ونظر الخاص ، كان يكتب عنه بما يكتب به عن الوزراء كما تهدم . فلما انفصل الخاص عن الوزارة رُوعِيَ فى الخاص ذلك القدر ، فكتب عن ناظر الخاص كما كتب عن الوزير ، والأمر على ذلك إلى الآن .

والمكتوبات الصادرة عن هذه الطبقة على مراتب :

المرتبة الأولى — « الفلاى بمطالمة » . وبذلك يكتب إلى النائب الكافل ، والأنايك ، ونائب الشام ، وألحقوا بهذه الرتبة نائب حلب ، فكتبوا إليه الفلاى .  
المرتبة الثانية — « الأبواب بمطالمة » . وبذلك يكتب عن هذه الطبقة إلى نواب السلطنة بطرابلس ، وحمّة ، وصقّ ، وقصر الإسكندرية .

المرتبة الثالثة — « الأبواب بغير مطالمة » وبذلك يكتب إلى نائبي الوجهين القبلى والبحرى بالديار المصرية ، ومقدمى العسكر بنزة وسيس ، وربما كتب إلى أحدهم « الباب الكريم » .

المرتبة الرابعة — « الباسط الشرف » . وبذلك يكتب إلى نائب الكرك .

المرتبة الخامسة — « يُقَبَّلُ الباسطة » . وبذلك يكتب إلى نائب القدس الشريف ، ونائب الرحبة ، وكاشف الوجه البحرى ، وكاشف القيوم بالديار المصرية .

المرتبة السادسة — «يقبل اليد العالية». وبذلك يكتب إلى الولاة الطبعاناه ،  
بالوجهين القليل والبَحْرَى ، بالديار المصرية .

المرتبة السابعة — «يخدم الجتاب العالي». وبذلك يكتب إلى الولاة العشرات  
بالوجهين القليل والبَحْرَى أيضا .

قلت : وصلنا هذه الطبقات الأربع يقاس مَنْ دونهم من يكتب إليه من  
السلطان ، صدرت والمالى ، كتابي القُدس والرَّحمة ، وَمَنْ يُكْتَبُ لَهُ : صدرت  
والسامى ، كالكشف بالوجه البَحْرَى ، وكاشف القُبُوم ؛ ومن يكتب له : هذه  
المكتبة ، كالولاة الطبعاناه بالوجهين القليل والبَحْرَى ؛ ومن يكتب له : «يَعْلَمُ»  
كالولاة العشرات بالوجهين أيضا . على أن الغالب في مثل هؤلاء أن تكون الكتابة  
ضمن لأعيان الدولة «الغلاف» بمطالعة ، وفيمن هو مثلهم أو دونهم يقاس على  
ما تقدم .

وأعلم أن هذه المراتب المُضَمَّنة للطبقات ليست على سبيل اللزوم في الوقوف  
عند حلها ، بحيث لا يجوز تجاوزها بزيادة ولا التناقص عنها بنقص ، بل هي على  
سبيل التقريب ؛ والأمر في زيادة رتبة المکتوب إليه زيادة لا تُخْرِجُهُ عن حده  
في المقدار مَوْكُولٌ إلى اختيار الكاتب ، يزيد في ذلك وينقص ، بحسب ما يقتضيه  
الحال : من رفعة قدر المکتوب إليه ، لمزيد رفعة عن نوعه ، أو عما يات له لامتيازاته  
إلى التقصيد المطلوب منه ، أو القَصْصُ منه بحطية رُتَبته أو نحو ذلك .

## الفصل السابع

### من الباب الثانى من المقالة الرابعة

( فى مقاصد المكاتبات ، وهى الأمور التى تكتب المكاتبات بسببها )  
وهى الجزء الأعظم من صناعة الترسُّل ، وطبعا مَنَارُ صناعة الكتابة ، إذ الولايات  
من مقاصد المكاتبات ، وهى أُمُّ مَا تَضَلَعُ بِهِ الْكَاتِبُ ، وَأَرْزَمُ مَا مَهَّرَ بِهِ ، وهى قسمان :

#### القسم الأول

( مقاصد المكاتبات السلطانيات ، وهى على نوعين )

#### النوع الأول

( ما يَكْتَبُ عَنْ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ ، وهو على ثلاثة أضرب )

#### الضرب الأول

( ما يَكْتَبُ عَنْ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَمِنْ صَاهَاهُمْ )

مما هو مستعمل الآنَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْحَالُ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِمَّا يَقُلُ وَيَكْثُرُ ،  
وَيَتَكَرَّرُ تَدَاوُلُهُ فِي الْكَتَابَةِ وَسَائِرِ الْمَكَاتِبَاتِ فِي الْحَوَادِثِ الْمَأْلُوفَةِ الَّتِي يَكْثُرُ تَدَاوُلُهَا ،  
وَيَتَكَرَّرُ الْكَتَابَةُ فِيهَا بِتَكَرُّرِ وَقَائِمِهَا ، وَمَا رَسَمُ الْكَتَابَةِ بِهِ بَاقِي إِلَى زَمَانِنَا ، وَإِنْ تَفْسِيرُ  
مِصْطَلَحِ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَطَابِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ رُسُومِ الْمَكَاتِبَاتِ . وهو على أصناف :

#### الصنف الأول

( الْكُتُبُ بِإِنْتِقَالِ الْخِلَافَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ )

قال فى "مواد البيان" : جرت العادة أن تُنْفَذَ الْكُتُبُ إِلَى وُلاَةِ الْإِعْمَالِ فِي مِثْلِ  
هَذِهِ الْحَالَةِ ، مُتَّصِفَةً مَا جَرَى عَلَيْهِ الْأَمْرُ بِالْحَضَرَةِ : مِنْ أَقْبَادِ الْأَوْلِيَاءِ وَالرَّعَايَا

إلى الطاعة، ودُخولهم في البعثة بصدور مُنْشَرَحَةٍ، وَحَصَّ مِنْهُ بِالْإِعْمَالِ من رجال السلطان ورعيته على الدخول فيما دخل فيه أمثالهم، وإعطاء الرُطَايا على ذلك صَفَقَةً أيمانهم .

وقد كان الرسم فيها أن تُصَلِّتَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عَوَارِفِهِ التي لم تَرَلْ تُكْشِفُ الخُطْبَ، وتُرَأَّبُ الشَّعْبَ، وتدفع المَهْمَ، وترفع المَلِمَ، وتجبر الوَهْنَ، وتُسَبِّحُ الْأَمْنَ، والصلوة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذِكْرُ خِصَالِهِ وَمَنَائِقِهِ، وتشريف الله تعالى له بإقرار الإمامة في أقاربه، وتخصيصها ببنِي عَمِّهِ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وما أمر به الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من طَلَبِ مَوَدَّتِهِمْ من الأئمة بقوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . وما أشار إليه صلى الله عليه وسلم من بقاء الخلافة فيهم بقوله لعنه العباس : « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ، بِخَيْمَتِ النَّبُوَّةِ وَيَوْلَدِهَا نَحْمُ الْخِلَافَةَ » وما يجرى مجرى ذلك / ثم يتلو ذلك بالإفصاح عن شرف الخلافة وفضلها، والإبانة عن رفيع مكانها وعظمتها، وأنها ظِلُّ الله المهدود، وجَلَّةُ المَشْدُودِ، وَمَسَاكُ الدِّينِ وَنِظَامِهِ، وَمِلَاكُ الْحَقِّ وَقَوَائِمِهِ . وَأَمْتِنَانِ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ بَأَن جَعَلَ فِيهِمْ أئِمَّةً يُقْسِطُونَ <sup>(١)</sup> الْحَقَّ عَلَيْهِمْ، وَيُحْكِمُونَ الْحُدُودَ فِيهِمْ، وَيُقِيمُونَ أَدْيَانَهُمْ، وَيَهْدُونَ إِيْمَانَهُمْ، وَيُرْهِقُونَ بِصَائِرِهِمْ، وَيَهْدُونَ حَاظِرَهُمْ، وَيَكْفُونَ ظُلُومَهُمْ، وَيُصَبِّقُونَ مَظْلُومَهُمْ، وَيَحْمُونَ كَلِمَتَهُمْ، وَيَحْمُونَ ذِمَّارَهُمْ، وَيَحْمِلُونَ دِيَارَهُمْ، وما يجرى مجرى ذلك . ثم يذكر ما أوجبه الله تعالى على أهل الإسلام للإمام من الطاعة وحسن التباة أيام حياته، والالتزام لأمره في طاعة من ينص عليه في القيام مقامه بعد وفاته : لِيَتَّصِلَ حَبْلُ الْإِمَامَةِ بِهِمْ، وَيَتَدَخَّلَ فِيهِمْ الخِلافة عليهم إِنْ كَانَ قَدْ تَلَّى الخِلافة بسند عن خليفة قدماء : من أب أو غيره . أتى بمقدمة في ذكر الموت، وأن الله تعالى سوى فيه بين بَرِيَّتِهِ، وجعل في تطرقه

(١) الله يقيضون العدل .

إلى رسوله أسوةً خَلِيقَتُهُ، وَتَقَرُّدٌ بِالْبَقَاءِ، وَامْتِنَعٌ عَنِ الْقَتْلِ. ثُمَّ يُقَالُ : وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا اخْتَارَ لِعَبْدِهِ وَوَلِيهِ فَلَانِ الثَّقَلَيْنِ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَالْحُلُولِ بِفَنَاءِ طَاعَتِهِ ، وَأَعَانَةِ عَلَى سِيَاسَةِ بَرِيَّتِهِ ، وَأَنْهَضَهُ بِمَا حَمَلَهُ ، وَأَيْدَهُ فِيمَا كَفَّلَهُ ؛ مِنْ الدَّبِّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمَرَامَةِ عَنِ الدِّينِ ، وَالْعَمَلِ بِكَلَامِهِ وَسُتَّةِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَاسْتِشْمارِ خِجَتِهِ وَخَرِّ أَقْبَرَتِهِ فِي السَّيْرِ وَالْجَهْرِ ؛ وَمَا يَلِيقُ بِهَذَا - اسْتَخْلَصَ عَلَيْهِ وَوَلِيَّهُ فَلَانِ الْإِمَامَ الْفَلَائِيَّ خَلِيفَتَهُ ، وَأَفْمَى سَمَاءَ الرَّحْمَةِ بِإِمَامَتِهِ ؛ وَأَحْلَ عِزِّ النَّصْرِ بِوَلَايَتِهِ ، وَالْقِيَّاسِ فِي رَأْيِهِ النَّصَّ عَلَيْهِ ، وَالتَّفْوِضَ إِلَيْهِ ؛ لِمَا حَلَّمَ سُبْحَانَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ شُمُولِ الْمَصْلَحَةِ لِلْعِبَادِ ، وَعُمُومِ الْأَمْنَةِ لِلْبِلَادِ ؛ فَأَمَضَى قُدْسُ اللَّهِ رُوحَهُ - مَا أَلْهَمَهُ ، وَكَلَّمَ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا وَتَمَمَهُ ؛ حَالِمًا بِفَضْلِ اخْتِيَارِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَمَلِكْ يَدَ الْهَوَى فِي إِيْشَارَةٍ ؛ فَقام أمير المؤمنين الإمام الفَلَائِيَّ مقامه ، وَحَفِظَ نِظَامَهُ ؛ وَسَدَّ ثَمَّتَهُ ، وَعَثَى رِزْيَتَهُ ، وَأَقْرَأَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِمَامَةَ بِهِ فِي نَصَابِهَا وَمَقَرَّهَا ، وَزَادَ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي صِبْتِ الْخِلَافَةِ وَقُدْرَتِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسَالُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْصَّ وَلِيَّهُ السَّعِيدَ بِقُرْبِهِ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِهِ ، وَأَشْرَفِ نَحِيَّاتِهِ ؛ وَيُحَسِّنَ جَزَاءَهُ فِي سَعْيِهِ فِي صَلَاحِ الْعِبَادِ ، وَسِلَادِ الْبِلَادِ ؛ وَأَنْ يُلْهِمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّبْرَ عَلَى تَجَرُّعِ الرِّزْيَةِ فِيهِ [وَيُحْزِنُهُ] أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَأَنْ يُعْبِرَ كُسْرَهُ فِي فَقْدِهِ ، وَيُوقِّعَهُ لَجْمِلِ الْعَزَاءِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَيُسَبِّحَهُ فِي مَصَادِرِهِ وَبِمَوَارِدِهِ ؛ وَيَتَدَبَّرَهُ لِمَا يُرْضِيهِ فِي جَمْعِ حَقَائِدِهِ ؛ وَيُسَبِّحَهُ عَلَى تَأْلِيلِ الْأَهْوَاءِ ، وَجَمْعِ الْأَزْوَاجِ ، وَنَظْمِ الشُّمْلِ ، وَكَفِّ الْقَتْلِ ، وَإِرْخَاءِ الظِّلِّ .

وَكَلَّابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ وَقَدْ أَجْتَمَعَ مِنْ بَحْضَرَتِهِ ، مِنْ قَوَى جَهَنَّمَ وَأَمْرَاءِ دَوْلَتِهِ ، وَكَافَّةَ جُنْدِهِ وَجَمَاعَةِ حَوَازِمِهِ عَلَى بَيْعَتِهِ ، وَإِعْطَاةِ صَفِيقَةِ أَيْمَانِهِمْ عَلَى طَاعَتِهِ

ومشايعته ؛ عن صلور مخلصه نقيّة ، ومراة صافية سليمة ؛ وعقائد مشتملة على الوفاء بما عقدوا عليه ، وآقادوا مختارين إليه ؛ وشملتهم بملك الرحمة ، وضفت عليهم النعمة ؛ فابرحوا الرزية ، حتى فرحوا بالعطية ، ولا وجموا للصيبة ، حتى بسّموا للرغبة ؛ ولا أظلموا لفقد الماضي ، حتى أضاء الوجود بالآتي .

فله الحمد على هذه النعمة التي جبرت الوهن ، وحقت في فضله المن ؛ حمدا يستلزم أخلاف فضله ، ويستدعي سابع كونه ؛ وصل الله على عهد وآله . وأمير المؤمنين يراك من أهل مخالصته ، وللمتحقين بطاعته ؛ وهو يأمرك أن تأخذ البيعة له على نفسك ، وعلى جميع أوليائه المقيمين قبلك ، وكافة رعاياه الذين هم في عملك ؛ وتُسرعهم بما عتده للسايعين لطاعته ، المبادرين إلى أتباعه ؛ من تيسير الإنصاف والعدل ، وإقامة الإحسان والفضل ، وما لمن نكب عن الطريقة المثلى ، وحاد عن الأولى ، من الكف الرادع ، والأئب الوازع ؛ ويتوسع في هذا المعنى توسعاً يشرح صدور أهل السلامه ، المستمرين على نهج الاستقامة ؛ ويردع أهل الفساد ، وينقص من نواظر ذوي العناد . ويحلى الكتاب بآيات من القرآن الكريم بحسن استعارتها في باب العزاء ، ويلقي ذكرها في باب الإشادة بالخلافة والخلفاء ، فإن كان الكتاب مما يقرأ بالحضرة . قال في موضع «وكلب أمير المؤمنين إليك» : «وأتهم معاشر أقارب أمير المؤمنين : من أخوته وبني عمه وخوآص الدولة وأمرائها وأجنادها وكنائها وقضائها وكافة رعيئها ، ومن أشتمل عليه ظل مملكئها - أحق من حافظ على حوارف أمير المؤمنين وأعتد بطائفهم ؛ وقام بشكر نعمئهم ، وسارع إلى أتباعه وأعتصم بحبل دعوائهم ؛ فأجمعوا على متابئهم ، وإعطائهم صفة إيمانكم على مبايعئهم ؛ ليجمع الله على التأليف كلمئكم ، ويحيى بالتأزر بيضئكم» ويُنيس ذلك من وعد أهل الطاعة

بما يضاعف جُلُودهم ، ومن وعيد أهل المعصية بما يُصَفَّرُ خُلُودهم ؛ على نسق ما سبق في الترتيب .

وهذه نسخة كتاب في المعنى ، كُتِبَ به عن الأمر بأحكام الله تعالى عند استقراره في الخلافة بعد أبيه المستعلي بالله ، والدولة مشتملة على وزيره من إنشاء ابن الصيرفي ، وهي :

الحمد لله المتوحد بالبقاء ، القاضى على عباده بالقضاء ، الذى تمجد بالأزلية والقدم ، وتفرد بالوجود وتفرغ عن العدم ؛ وجعل الموت حَتْمًا مقضياً على جميع الأمم .

يحمده أمير المؤمنين على ما خصه به من الإمامة التى قمعه سرها ، ووزته نفوسها ، وجعلها ، حمد شاكي على جزيل العطية ، صابر على جليل الرزية ، مُسَلِّمٌ إليه فى الحكم والفضية ؛ ويسأله أن يصلى على جده محمد الذى ثبتت حجته ، ووضعت حجته ؛ وطئت كلمته ، وأتلفت على درج الأنبياء درجته ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى جعل [ الله ] الإمامة كلمة فى عقبه باقية ، وحبه جنة يوم الفزع الأكبر واقية ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الطاهرين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين .

وإن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين قدس الله روحه وصلى عليه ، كان من أوليائه الذين اصطفاهم لخلافته فى الأرض ، وجعل إليهم أزيمة البسط والتبسط ؛ وقام بما حمّله من أوق<sup>(١)</sup> الإمامة ، ولم يزل طاملاً بمرضاة الله إلى أن همله إلى دار المقامه ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضا بقضائه ، وصبرا على بلاءه ؛ وإلى الله يرغب أمير المؤمنين فى المسامحة حسن الصبر على هذا المصائب ، ولجزال حفظه عليه من الأجر والثواب ؛ وإمداده فى خلافته بمواد الإرشاد والصواب ؛ بكرمه .

وخطب أمير المؤمنين يوم كذا من الشهر الفلاني من سنة كذا؛ بعد أن جلس للحاضرين بحضرته من الأمراء: عُثْمَانُ وَأُولِيَّائِهِ وَخَدَمُ دَوْلَتِهِ، وَسَائِرُ أَجْنَادِهِ وَعِيِيدِ مَمْلَكَتِهِ، وَعَامَّةُ شِيعَتِهِ، وَأَصْنَافِ رَعِيَّتِهِ؛ وَأَنوَارُ الْخِلَافَةِ عَلَيْهِ مُشْرِقُهُ، وَأَغْصَانُ الْإِمَامَةِ مُثْمَرُهُ مُورِقُهُ؛ وَالسَّيِّدُ الْأَجَلُّ الْأَفْضَلُ الَّذِي أَمَدَّهُ اللَّهُ فِي نُصْرَةِ الدَّوْلَةِ الْعُلَوِيَّةِ بِالتَّائِيدِ وَالْإِظْهَارِ، وَأَبَانَ بِهِ بَرَهَانَ الْإِمَامَةِ الْأَمْرِيَّةِ فَوَحَّشَتْ أُنْوَارُهَا لِلْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ، وَشَهَّرَ لَهُ مِنَ الْمَنَاقِبِ مَا سَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ؛ يَتَوَلَّى الْأَمْرَ بِحَضْرَتِهِ تَوَلَّى الْكَافِلُ الرَّعِيمُ، وَيَبَاشِرُ النَّظَرَ فِي بَيْعَتِهِ مُبَاشِرَةُ الْقَسِيمِ الْحَمِيمِ؛ وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ فِي الْبَيْعَةِ بِأَنْسِرَاحِ صُدُورِ، وَإِظْهَارِ أَتْبَاحِ مَرْوَرِ؛ يُعْطُونَ صَفَقَةَ أَيْمَانِهِمْ، وَيَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ مِنَ الْخَطَرِ فِي طَاعَةِ إِمَامِ زَمَانِهِمْ؛ قَدْ تَحَقَّقُوا شُمُولَ السَّعْدِ وَخُمُومَ الرِّشَادِ، وَتَبَيَّنُوا الْخَيْرَةَ لَهُمْ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْمَعَادِ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُعَزِّيكُمْ مِنْ قِبَلِكِ مِنْ أُولِيَّاءِ دَوْلَتِهِ، وَسَائِرِ رَعِيَّتِهِ؛ عَنِ الْمَصِيبَةِ فِي الْإِمَامِ الْمُسْتَعْلِيِّ بِاللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ - الَّتِي قَطَعْتَ مِنَ النَّفُوسِ أَمَلَهَا، وَأَسَكَنْتِ الْأَلْبَابَ جَزَاءَ وَفَّاءَ، وَهَيَّيْكَ وَإِيَّاهُمْ بِمُتَجَدِّدِ دَوْلَتِهِ الَّتِي تَهْلَلُ لَهَا وَجْهُ الزَّمَانِ، وَأَسْتَهْلَتْ بِهَا مَحَاطِبُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ اللهُ الَّذِي أَقَرَّ الْحَقَّ فِي مَنَصِبِهِ، وَأَفْرَدَهُ بِمَا كَانَ وَالَّذِي الْإِمَامُ الْمُسْتَعْلِيُّ بِاللهِ أَفْرَدَ بِهِ .

فَأَعْلَمَكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الْخُطْبِ الْجَسِيمِ، وَالنَّبِيَّ الْعَظِيمِ؛ وَأَشْكُرُ اللهُ عَلَى مَا جَدَّدَهُ لَكَ وَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، مِنَ النِّعَةِ بِإِمَامَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ الَّتِي أَوْفَتْ بِإِسَاءَةِ الزَّمَانِ وَجَنَابَتِهِ، وَشَفَّتْ مِنْ دَاءِ كَلْبِهِ وَنِكَابَتِهِ؛ وَتَهَدَّمَتْ إِلَى الدِّهَامِ (١) قِبَلَكِ بِأَخِذِ الْبَيْعَةِ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى كَافَّةِ مَنْ فِي وِلَايَتِكَ، وَأَسْتَخْدِمُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ وَهُمْ بِالْإِخْلَاصِ فِي طَاعَتِهِ، وَالْأَجْتِهَادِ فِي مُنَاصَحَتِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِعَصِمِ مُشَايَعَتِهِ؛ لِنَتَالُوا



في العاجلة حفظاً جسيماً ، ونحزروا في الآجلة أجراً كريماً : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيُؤْخِرْ بِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وطالع بالكلان منك بعد قراءة كتاب أمير المؤمنين على الحاضرين قبلك ، وإذاعته في الواردين عليك والمستوطنين عملك ؛ ليحمدوا الله على ما أنعم به بخلافه أمير المؤمنين من جميل الصنع العائد على العباد ، وصلاح البلاد - وكتب في اليوم المذكور .



وهذه نسخة كتاب عن الأمر بإحكام الله الملقم ذكره ، كُتِبَ به إلى ولاية الأطراف بعد قراءة عهده ، مهتاً بخلافته ، وتحميد ولايته ، من إنشاء ابن الصيرفي أيضاً ، وهي .

أما بعد ، فالحمد لله مولى المنافع من نعمه ، ومُجْزِلِ العطايا من مواهبه وقسمه ، ومُعَوِّدِ الصنيع الجليل من لطفه وكرمه ، الذى له الحكم الظاهر صلته ، ولديه الطول الفاضل فضله ، وعنده مفاتيح الغيب وإليه يرجع الأمر كله .

يحمده أمير المؤمنين على ما أفرد به من منى المواهب ، ونظمه له من عقود المناقب ؛ وقَّله إليه من ثرك آياته الكرام الذين جلا ضياؤهم ظلام النياه ؛ وترى بهم الأرض تزين السماء الدنيا زينة الكواكب ؛ ويسأله أن يصل على جده عبد الذى نشر الله به الرحمه ، وكشف الغمه ، وأقذ الأمة ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، والمذكور في زُبر الأولين ، وعلى الصفوة من ذريتهما الهداة الراشدين ، صلاة باقية إلى يوم الدين .

وإن النعم تتفاضل أقدارها بحسب مواقعها ، وتتفاوت أخطارها بقدر مواضعها ؛ ومن ألقها مكاناً ، وأشرفها محلاً وشاناً ؛ وأولاهم بأن تستنطق به الأعلام ، وأحقها بأن يتناقل ذكرها الخالص والعام ؛ ما خص الله به أمير المؤمنين من المنن الظاهرة ،

وتولاه من الميِّج المتظاهره ؛ وأصاره إليه من الخلافه في أرضه ، وأمتخلفه عليه من القيام بسنن دينه وقرضه ؛ وأسترقاه لراه من جياطة بلاده ، وأوجه من طاعته على كافة خلقه وعباده ؛ وذنره لولته من كفيله وخليله ، ومقيم أدلة حقه وموضح سبيله ؛ السيد الأجل الأفضل الذي أرتضاه الله للذب عن الإسلام ، وأنتضاه لنصرة إمام بعد إمام ؛ وشهر مناقبه في كل موقف ومقام ، وخصه بفضائل لم تثر مجتمعة لملك من ملوك الإسلام ؛ لاجرم أن أمير المؤمنين قد أحله منه محل الأوج من الجسد ، والوالد من الولد ؛ وفوض الأمور إليه تفويض معول على بمن قبيته معتمد ، مبالغ في حسن الاختيار للأمة مجتهد ؛ وإله تعالى يمتنع أمير المؤمنين ببقائه الكافل ببلوغ الأمل ، ويمجازه عن تشييد مملكته أحسن ما جزئ به مخلصا جمع في الإيمان بين القول والعمل ؛ بكرمه .

ولما وقف أمير المؤمنين بما طالعه به السيد الأجل الأفضل عند مثوله بمحضرة ، وإنهائه أمور دولته وأحوال مملكته ؛ على أمرك الذي أستحمدته في الخلعه ، وأستحققت به إفاضة الإحسان وإسباغ النعمه ؛ وأن لك في الدولتين : المستنصريه والمُسْتَعْلِيه من الخدم المشكوره ، والمساعي المبروره ، ما يدل على مناصحتك وإخلاصك ، ويثبت على أصطناعك وأستخلاصك . أمر بكتب هذا السجل لك مؤكدا لأواخيك ، ومُعْرِيا عن رأيه الجليل فيك ؛ ومجتدا من ولايتك ، ومُعْجِريا لك فيها على مُستَمِرِّهمك ومستقر عادتك . فقابل نعمة أمير المؤمنين من الإخلاص في طاعته بما يرتبطها ، ووفها من حق الاجتهاد ما يقرها عندك ويثبتها ؛ وأجل تهوى الله تعالى عمادك ، وأطو طيبها طويته وأعتقادك ؛ ومكن في نفوس الأولياء جيل رأي أمير المؤمنين فيهم ؛ وإحماده لمواقفهم في الخلعه ومساعيم ؛ وحقق عند كافة المُستَقِرِّين لديك ، والواردين عليك ؛ ما يُكشِفُف به من الأمر الشامل ،

وَيُقَمَّرُونَ بِهِ مِنْ حُسْنِ النِّظَرِ الْمُتَوَاصِلِ ؛ وَأَجْرٍ عَلَى الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ فِي إِفَاضَةِ الْعَدْلِ  
وَالْإِنْصَافِ ، وَتَسْكَبُ سَبِيلَ الْجَوْرِ وَالْإِنْجَافِ ؛ وَمَهْدُ السُّبُلِ قِبَلَكَ ، وَأَحْمٍ مِنْ  
أَسْبَابِ الْفَسَادِ وَلَا يَتَكَ وَتَمَلِّكَ ؛ وَأَخْصَصْ مُتَوَلَّى الْحُكْمِ وَالِدَعْوَةَ الْهَادِيَةِ - ثَبَّتْهَا اللَّهُ  
تَعَالَى - بِالْإِعْزَازِ وَالرَّيَاةِ ، وَوَفَّرَ حَظَّهُمْ مِنَ الْمُلَاحَظَةِ وَالْعَنَايَةِ ؛ وَخَذَ الْمُسْتَحْتَمَ  
فِي الْخُطْبَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِأَقَامَتِهَا فِي أَوْقَاتِهَا ، عَلَى أَفْضَلِ قَوَائِنِهَا وَوَجَابَتِهَا ، مُعَلِّناً فِيهَا بِذِكْرِ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يَتَوَجَّحُ فُرُوقَ الْمُنَازِيرِ ، وَيُسَنِّفُ أَسْمَاعَ الْبَوَادِي وَالْحَوَاضِرِ ؛ وَتَوْفَّرَ  
عَلَى مَا تَمَرُّ الْأَمْوَالُ وَأَتَمَّهَا ، وَفَرَّوْهَا وَرَخَّاهَا ، وَقَضَى بُؤُورَهَا وَحَصُولَهَا ، وَدَا  
إِلَى دُرُورِهَا وَمَوَاصِلَةِ حُمُولَهَا ، وَأَنْظَرَ فِي أَمْرِ الرِّجَالِ الْمُسْتَحْتَمِينَ مَعَكَ نَظَرًا يُؤَدِّي  
إِلَى مَصْلَحَتِهِمْ . فَأَعْلَمَ هَذَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَغْبَطَ بِمَا أَصَارَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ أَغْبَاطُ  
أَمْثَالِكَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ ، وَأَعْتَقَدَ طَاعَتَهُ أَعْتَقَادَ مَنْ يُمَارِكُ مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ ، وَأَعْمَلَ  
بِوَصَايَاهُ وَمَرَاشِدِهِ تَحَفُّظًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَطَالَعَ بِالكَاتِبِينَ مَعَكَ بَعْدَ قِرَاءَةِ هَذَا السَّبِيلِ  
عَلَى كَافَّةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَكُتِبَ فِي كَذَا وَكَذَا .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةً بَيْنَهُمْ أَنَّهُ إِذَا كَتَبَ كِتَابٌ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِانْتِقَالِ الْخِلَافَةِ إِلَيْهِ ،  
يُكْتَبُ مَلَطَفٌ عَنِ الْوَزِيرِ ، يُلَفُّ كِتَابَ الْخَلِيفَةِ ضَمَّتَهُ ، وَيُوجَّهُ بِهِ إِلَى حَيْثُ الْمَقْصِدُ :



وهذه نسخة مُلَطَّفٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، كُتِبَ بِهِ عَنْ وَزِيرٍ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ،  
يُلَفُّ كِتَابُ الْخَلِيفَةِ طِيَّةً ؛ وَهُوَ :

بِنَقْلِي هَذَا الْأَمْرُ الْوَاردُ عَلَى الْأَمِيرِ ، عَلَى كِتَابِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْفَلَاحِيِّ  
لِدِينِ اللَّهِ ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَبْنَائِهِ  
الْأَكْرَمِينَ ، أَوْ أَبْنَائِهِ الْمُتَنْظِرِينَ ، إِنْ كَانَ لَا وَلَدَ لَهُ - بِمَا أَصَارَهُ إِلَيْهِ مِنْ شَرَفِ

الإمامه، وبوّاه إياه من مقام العظمة والكرامة؛ إثر انتقال الإمام فلان أمير المؤمنين - قدس الله روحه - إلى جوار ربه . فاعتمد العمل بمضمونه في أخذ البيعة على نفسك ومن يليك، وتلاوته على رموس الأئمه، وإذاعة مكنونه في الحاضر والباد، على الرسم المعتاد؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا المعنى في الكتابة بانتقال الخلافة إلى الخليفة جاري زماننا بانتقال السلطنة إلى السلطان؛ ويبر عن ذلك يجلوسه على تخت الملك، والأمر على ما تقدم في الخلافة من التعزية بالماضي، والتهنئة بالمستقر، ونحو ذلك مما يجري مجراه ؛



وهذه نسخة مكاتبة بالهشارة يجلوس الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون على الصخت، في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، بعد خلع أخيه الملك الناصر [حسن] . وصورتها بعد الصدر والألقاب :

وأورد عليه من البشائر أسنى البشر، وأسمعه من التهانى ما أنتشى حديثه بين البرايا وانتشر، وحفظ عليه وعلى الأمة ما أراد لهم من الخير وولى عليهم خيارهم وجعل ملكهم صالح البشر .

صدرت هذه المكاتبة إلى فلان<sup>(١)</sup> وبصرها مقدماً بالظفر، وذكراها قد ملا الأقطار بجمع عليه كل قلب كان قد نقر؛ ثمهدى إليه سلاماً عن وجه الشكر سفر، وشاء يحصل منه على النصيب الأوفر؛ وتوهم لعله أن الجنايات العالية الأمراء الأكابر، أمراء الدولة الشريفة، ضاعف الله نعمتهم؛ كانوا قد عظموا أخاناً الناصر، وحكوه، ومشوا إلى خدمته على أحسن سنن؛ وما أبقوا في خدمته مكننا من التعظيم، والإجلال والتحكيم، وأمثال الأمر في كل جليل وحقيق؛ فلم يرجع لهم

(١) كما بالأصل على هذه الصورة .

ذلك، ولا ألفت إلى ما لم عليه من حقوق الخدمة؛ وأتفق مع الصبيان، وأراد القبض على الأمراء، وإمساك الجنابات العالية الأمراء الأكابر والإقطاع بهم . فلما تحققوا منه ذلك، أجمعت الأمراء، وأتفتت الكلمة على خلعهم من الملك الشريف وإقامتنا، فخلع المشار إليه، وكان جلوسنا على تخت الملك الشريف وكرسي السلطنة المعظمة في يوم الاثنين المبارك، بحضور الإمام المعتضد بالله أمير المؤمنين أبي الفتح أبي بكر، ابن الإمام المرحوم أمير المؤمنين أبي الربيع سليمان المستكن بالله، ومبايعته لنا، وحضور المجالس العالية قضاة القضاة بالأبواب الشريفة، أعز الله تعالى أحكامهم، وحلف لنا أمراء الدولة الشريفة على جاري العادة في ذلك؛ وضربت عند ذلك البشائر، وشهد هذا الهناء كل بادٍ وحاضر، وتشتت الإجماع وقرت العيون واستقرت الخواطر، وأبتهجت بذلك الأمم، وتباشرت بهذا السعد الذي كُتِبَ لنا من القَدَم، وأصبح كل من أنصار دولتنا الشريفة مبتهلاً بالدعاء متهبجا .

فلما أخذ المقر حظه من هذه التهنية، وليدع خبرها لتكون المسارُ بعيدة ومبديه؛ ويتحقق ماله عندنا من مكانه، والمحل الذي زان بالإقبال الشريف زمانه؛ ويتقدم أمره الكريم بهتنة المجالس العالية والسامية ومجالس الأمراء بالملكة الفلانية؛ ويتقدم أيضا بضرب البشائر وبالزينة على العادة .

وقد تهيأ إلى الجناب العالي نسخة يمين شريفة يحلف عليها، ويكتب خطه، ويجهزها إلينا مُجَبَّة المجالس السامية، الأمير، الأجل، الكبير، العُضد، الأخرى، التَّصيرى، الأوحدى، عُضد الملوك والسلاطين، يليق الحموى الصالحى، أدام الله علوه، المتوجَّه بهذا المثال الشريف . وقد جهزنا نسخة يمين شريفة ليحلف عليها لنا الأمراء بقرائس ويكتبوا خطوطهم، ويجهزها إلينا على العادة مُجَبَّة المشار إليه .

وقد جهزنا للجناب العالى صحبة المشار إليه تشريفاً شريفاً كاملاً؛ فيتقدم الجناب العالى بتسلمه منه وإليه، ويتحقق ماله عندنا من المكانة والمثلية، ويُعيد الأمير سيف الدين يليقاً المشار إليه إلى الباب الشريف، فيحيط علمه بذلك.

### الصنف الثانى

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ فى الدماء إلى الدين، وهو من أهم المهمات) قال فى "مواد البيان": أشرف ما يُنشئه الكاتب الدماء إلى دين الإسلام الذى أظهره الله تعالى على كل دين، وأعزّه على كثره المشركين، وأسيحراً مخالفيه إليه، وأجذباً للخارجين عن دائرته إلى الدخول فيه؛ عملاً بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، لأنه قوام الملك ونظام السلطان اللذان لا يصحان إلا به.

قال: والكاتب يحتاج فى إنشاء هذه الكُتُب إلى علم التوحيد وبراهينه، وشرح الرسول صلى الله عليه وسلم خاصه وعامه، ومعجزاته، وآيات نبوته: ليتوسع فى الإبانة من ظهور حجته، ووضوح حجته.

ثم قال: والرسم فيها أن يُختص بحمد الله الذى اختار دين الإسلام فأعلاه وأظهره، وقُدسه وطهره؛ وجعله سبيلاً إلى رضا وكرامته، وطريقاً إلى الزلزال فى جنته؛ وشقيقاً لا يُقبل عملٌ حائل إلا به، وبأن لا يصل واصل إلا منه؛ فلا تُنقَر السيئات إلا لمن اعتصم بحبله، ولا تُقبل الحسنات إلا من أهله. وشكره تعالى على الهداية إليه، والتوقيف عليه؛ وذيادة عن مجاهل الضلالة بما أوحى من برهانه، ونوره من تيانته. وتمجيد من تعظيم آياته، وباهر مُعجزاته؛ وحكم صنعته، وبديع فطرته. وتثريه عما لا يليق بسُلطانه، ولا تجوز إضافته إلى عظيم شأنه. وتسيحه

عما يَصِفُهُ به الْمُعْلِمُونَ، وَيُحْتَفُّهُ بِالْجَاهِلُونَ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ عِدَّ صَلَاتِي اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْإِفْصَاحُ عَنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ، وَبَرَاهِينِ رِسَالَتِهِ؛ وَمَا خَصَّصَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ إِعْلَانِ ذِكْرِهِ وَإِمْدَادِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَالْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ .

ثُمَّ يُتَّبِعُ ذَلِكَ بِالْإِعْلَانِ إِلَى الدِّينِ وَالْحَقِّ عَلَيْهِ. وَلِيُضَاحَ مَا فِي التَّسْلُكِ بِهِ مِنَ الرِّشَادِ فِي دَارِ الْمَبْدِ وَالْمَعَادِ، وَالتَّبَشِيرِ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ، وَالْدَاخِلِينَ فِيهِ؛ مِنْ تَمْحِيطِ السَّيِّئَاتِ، وَمُضَاغَفَةِ الْحَسَنَاتِ، وَعِزِّ الدُّنْيَا وَفَوْزِ الْآخِرَةِ. وَالْإِنْذَارِ بِمَا أَوْعَدَ اللَّهُ بِهِ الْتَّائِبِينَ عَنْ سَبِيلِهِ، الْعَادِلِينَ عَنْ دَلِيلِهِ؛ مِنْ الْإِذْذَالِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالتَّخْلِيدِ بَعْدَ الْعَرَضِ عَلَيْهِ فِي النَّارِ؛ وَتَصْرِيفِ الْمُخَالَفِينَ بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، فِي الْعَاجِلِ وَالْمُتَّخِرَةِ .

قال : وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَنَّى الْكَاتِبُ فِيمَا يُورِدُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ، لِيَقَعَ فِي الْمَوَاقِعِ الْأَلَهْمَةُ بِهِ، وَيَحْتَلُوا الْمَجْجَ فِي أَحْسَنِ الْمَارِضِ، وَيُفْصِحَ عَنْهَا بِأَقْرَبِ الْإِلْفَافِ مِنَ النُّفُوسِ . فَإِنَّهُ إِذَا وَفَّقَ لِنَاكَ، نَابَ كِتَابُهُ مَتَابَ الْجُيُوشِ وَالْأَجْنَادِ، وَأَقْرَبَ السِّيُوفِ فِي الْأَعْمَادِ . ثُمَّ قَالَ : وَمَنْ صَدَقَتْ فِي هَذَا الْقَنْ رَغْبَتُهُ، أَيْدِ اللَّهُ تَعَالَى غُرُورَتَهُ، وَعَضَدَ بَدَنَتَهُ وَرَوَيْتَهُ .

قلت : وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْمَكْتَابَاتِ السُّلْطَانِيَةِ قَدْ بَطَلَ فِي زَمَانِنَا، فَلَمْ يُعْهَدْ أَنْ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ كَتَبَ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ بِالْعُيَاةِ إِلَى الدِّينِ . إِذْ مِثْلُ ذَلِكَ إِنَّمَا يَصْدُرُ مَعَ الْقَلْبَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ . كَمَا كَانَ الْخُلَفَاءُ فِي الزَّمَنِ الْمُنْقَضِ، وَالْكُفْرُ مَقْهُورٌ مَعَهُمْ، مَذْلُولٌ لِسِيهِمْ . أَمَّا الْآنَ فَلَوْلَا مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ : «وَنُصِرْتُ بِالرَّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» وَفِي رِوَايَةٍ «وَنُصِرْتُ أُمَّي» لِاجْتِنَاحِ أَهْلِ الْكُفْرِ الْإِسْلَامَ؛ وَلَكِنْ اللَّهُ وَدَّ دِينَهُ أَنْ لَا يُجْتَنَلَ .

## الصنف الثالث

( من الكتب السلطانية المكتب بالحث على الجهاد )

قال في "مواد البيان" : كما أن الذين ينظم بالدماء إليه والترغيب فيه ، كذلك ينظم بصيانة حوزته ، وما دخل في مملكته ؛ وكف أعدائه عن تنقص أطرافه ، والتغلب على بلاده . ولهذا فرض الله تعالى الجهاد وأوجبه ، وأكد الأمر فيه وشده ، والسلطان يحتاج عند الحوادث التي تحدث من تطرق المخالفين إلى بعض الثغور ، أو شن الفارة على أهل الإسلام ، أن يدعو إلى الجهاد ومقارعة الأعداء ، وصون حريم الله ، وحفظ نظام الدولة .

ثم ذكر أن الرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على جميل صنيعه : على إعراز الكلمة ، وإسباغ النعمة بإظهار هذه الملة ، وما وعد الله به من نصر أوليائه ، وإخلاق أعدائه ، وإدالة الموحدين ، وإزالة الملحين ؛ والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وذكر طريف من مواقفه في الجهاد ، ومقارعة لشيع الإلحاد ، وتأييد الله تعالى أنصاره على أهل العناد . ثم يذكر الحادثة بنصها ، ويشرح القصة على قصتها ؛ ويتنب من جاوره وداناه من أهل الملة أجمعين ، ويخاطبهم بما يرهف عزائمهم في نصرة الدين وكافة المسلمين ، وأتباع سبيل السلف الصالحين ، الذين خصهم الله تعالى بصنق الضائر ، وقاذ البصائر ، وصحة الدين ، ووثاقة اليقين ؛ فلم يكونوا ليروموا مرآة إلا سهل لهم ما توهم ، ويسر عليهم ما تعسر ؛ وسماهم إلى ما هو أقصى منه مرعى وأبعد مدى ؛ رغبة فيما رغبهم فيه من نصرته ، وتعرضاً لما عرضهم له من جزيل مثوبته ؛ وأن يحضهم على التمسك بعزائم الدين ، والعمل على بصائر المخلصين ؛ وأقراض ما فرض الله عليهم من جهاد أعدائه ، وتعيين ما وصلهم به



من الإظهار بهم والإظهار عليهم؛ وأن يحاهدوا مُسْتَصِرِينَ، ويُؤدُّوا الحَقَّ مُحْتَسِبِينَ،  
وَيُقَدِّمُوا رَسَلًا لَا تَاكِبِينَ وَلَا شَاكِينَ وَلَا مُرْتَابِينَ؛ مُتَّبِعِينَ الْحَقَّ حَيْثُ يَمُوقَصِدُ،  
ومضارين دونه من صد عنه وعند؛ وَيُأَلِغُ فِي شَخِيَةِ أَهْلِ الْبَسَالَةِ وَالنَّجْدَةِ، وَالْبَاسِ  
وَالشُّدَّةِ؛ وَيُعِثُّهُمْ عَلَى نَصْرِهِمْ وَطَاعَةِ خَالِقِهِمْ، وَالْفَوْزِ بِدَرْكِ الثَّوَابِ وَالرَّضْوَانِ،  
وَتَسْوِيرِ الْبَصَائِرِ فِي الْإِيمَانِ؛ وَفَضِيلَةِ الْأَنْفِ مِنَ الضَّمِيمِ، وَالْبُعْدِ مِنَ الذَّمِّ؛ إِلَى فِرَ  
هَذَا عَمَّا يَتَّبِعُ الْأُرُوحَ وَالْمُهْجَ، وَالْإِقْدَامِ عَلَى مَصَارِعِ التَّلَفِّ. فَإِنَّ الْمُلُوكَ الْمَاضِينَ -  
لِعَلَمِهِمْ أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يُجُودُونَ بِذَلِكَ الْقَوَائِدِ الَّتِي تُوجِبُهُ - كَانُوا يَبْتَغُونَ لِمَنْ يَدْعُوهُ  
إِلَى الْمَكَلَفِ، وَيُعَرِّضُونَهُ لِلنَّابِغَةِ، الرِّثَابِ الَّتِي تُهَوِّنُ عَلَيْهِمْ إِقْدَاءَ نَفْسِهِمْ فِي الْمَهَالِكِ  
تَارَةً، وَيَذْكُرُونَهَا الْأَحْقَادَ وَالضَّغَائِنَ وَيَخُوفُونَهُمْ مِنَ الْوَقُوعِ فِي الْمَذَلَّةِ الْآخَرَى .

فِيمَ قَالَ : وَيُنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يُقَدِّمَ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ مُقَدِّمَاتٍ، يَرْتَبِهَا عَلَى تَرْتِيبِ  
هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِيَّاتِ، وَيُسَبِّحُ الْعَزَائِمَ؛ لِيَجْمَعَ بَيْنَ خِدْمَةِ سُلْطَانِهِ وَالْفَوْزِ بِنَصِيبِ  
مِنَ الْأَجْرِ .

قُلْتُ : وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ السُّلْطَانِيَّاتِ مُسْتَمَرٌّ الْحُكْمَ إِلَى زَمَانِنَا . فَمَا  
زَالَتِ الْمُلُوكُ يَكْتُبُونَ إِلَى مَا لِيهِمْ بِالْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ، وَالْقِيَامِ بِأَوَامِرِهِ، وَالْحَصْرِ عَلَى  
مُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ، وَالْأَخْذِ بِنُصْرَةِ الدِّينِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مُقَدِّمَاتِ الْمَكَاتِبَاتِ  
فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ : أَنَّ الشَّيْخَ شَهَابَ الدِّينِ مَجْمُودًا الْحُلِيَّ ذَكَرَ فِي تَوْحِيدِ التَّوَسُّلِ  
أَنَّهُ إِذَا كُتِبَ عَنِ الْمَلِكِ فِي أَوْقَاتِ حَرَكَاتِ الْعَدُوِّ إِلَى أَهْلِ الثَّغُورِ، يُهْلِكُهُم بِالْحَرَكَةِ لِلِقَاءِ  
عَدُوِّهِمْ - أَنَّهُ يَسْطُرُ الْقَوْلَ فِي وَصْفِ الْعَزَائِمِ، وَقُوَّةِ الْهَيْمِ، وَشِدَّةِ الْحِمِيَّةِ لِلدِّينِ،  
وَكَثْرَةِ الْعَسَاكِرِ وَالْجُيُوشِ، وَبُصْرَةِ الْحَرَكَةِ، وَعِلَى الْمَرَاكِحِ، وَمُعَاجَلَةِ الْعَدُوِّ، وَتَحْقِيقِ  
أَسْبَابِ النَّصْرِ، وَالْوُثُوقِ بِعَوَائِدِ اللَّهِ فِي الظُّفْرِ، وَتَقْوِيَةِ الْقُلُوبِ مِنْهُمْ، وَبَسْطِ آيَاتِهِمْ،  
وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّبَقُّطِ، وَحَصِّهِمْ عَلَى حِفْظِ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَأَنَّهُ يُبْرِزُ

ذلك في آيتين كلام وأجله ، وأمكنه وأقر به من القوة والبسالة ، وأبسه من اللين والرقّة ، وبألغ في وصف الإنابة إلى الله تعالى واستتزال نصيره وتأنيده ، والرجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والأعتصام به في الصبر ، والاستعانة به على العلوّ ، والرغبة إليه في خذلانهم ، وزلزلة أقدامهم ، وجعل الدائرة عليهم ، دون التصريح بسؤال بطلان حركاتهم ، ورجاء تأخيرهم ، وانظار المَرْضِيَّات في تحقّقهم ، لما في ذلك من إيهام الضعيف عن لقائهم ، واستشعار الوهن والخوف منهم ، وأن زيادة البسط وتقصها في ذلك بحسب المكتوب إليه .

وهذه نسخة مكتوبة من ذلك عن السلطان إلى بعض ثواب الثغور ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ ، أوردها في "حسن التوسل" وهي :

أصدرناها ومُنَادَى النَّصْرُ قَدْ أَطْن بِيَاخِيَلِ اللَّهِ أَرْثِي ، وَيَا مَلِكَةَ الرَّحْمَنِ أَحْصِي ،  
وَبِأَوْفُودِ الظُّفْرِ والتَّأْيِيدِ أَقْرِي ، وَالْعَزَائِمُ قَدْ رَكَضَتْ عَلَى سَوَابِقِ الرُّكُضِ إِلَى الْعِدَا ،  
وَالْهَمُّ قَدْ تَهَضَّتْ إِلَى مَدَى الْإِسْلَامِ فَلَوْ كَانَ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ لاسْتَقَرَّتْ مَا بَيْنَهَا  
وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَدَى ، وَالسُّيُوفُ قَدْ أَفْقَتْ مِنَ الْغُمُودِ فَكَادَتْ تَنْفِرُ مِنْ قُرْبِهَا ، وَالْأَسِنَّةُ  
قَدْ فُلِمَتْ إِلَى مَوَارِدِ الْقُلُوبِ فَتَشَوَّفَتْ إِلَى الْإِرْتَوَاءِ مِنْ قُلُوبِهَا ، وَالْكُفَّةُ قَدْ زَارَتْ  
كَالْيُوثِ إِذَا دَنَتْ فَرَأَتْهَا ، وَالْجِيَادُ قَدْ مَرَحَتْ لِمَا عَوَدَتْهَا مِنَ الْإِنْتَعَالِ بِجَاهِمِ  
الْأَبْطَالِ فَوَارُسُهَا ، وَالْجِيُوشُ قَدْ كَثُرَتْ النُّجُومَ أَعْدَادُهَا ، وَسَارِبُهَا لِلْهَجُومِ عَلَى  
أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ أَمْدَادُهَا ، وَالنُّفُوسُ قَدْ أَضْرَمَتْ الْحِمِيَّةَ لِلَّذِينَ نَارَ  
غَضَبِهَا ، وَمَعَادَهَا حَرُّ الْإِسْفَاقِ عَلَى نُفُورِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ وَطَيْبِ شَتَائِهَا ،  
وَالنَّصْرُ قَدْ أَشْرَقَ فِي الْوُجُودِ دَلَامُهُ ، وَالتَّأْيِيدُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى الْوُجُوهِ حَيَالُهُ ،  
وَحُسْنُ الْيَقِينِ بَالَهُ فِي إِعْزَازِ دِينِهِ قَدْ أَنْبَأَتْ بِحُسْنِ الْمَالِ أَوَائِلُهُ ، وَالْإِسْنُ بِاسْتِزَالِ

نَصَرَ اللهُ لِهَجَرِهِ ، والأرجاء بأرواح القبول أَرَجَهُ ، وألقُوب بوائد لُطِفَ الله بهـ  
الأمة مبهجة ؛ والجماعة وما منهم إلا من استظهر بإمكان قُوَّتِهِ وقُوَّة إمكانه ، والأبطال  
وليس فيهم من يسأل عن عَدَدِ عُدُوِّهِ بل عن مَكَانِهِ ؛ والنِّبَاتُ على طَلَبِ عَدُوِّهِ  
حيث كان مُجْتَمِعِهِ ، والنحواطر مطمئنة بكونها مع الله بصدقها و«مَنْ كَانَ مَعَ اللهِ  
كَانَ اللهُ مَعَهُ» ؛ وما بَقِيَ إِلَّا طَيُّ المراحل ، والتروُّلُ على أطراف الثغور نزول النِّبْتِ  
على البَلَدِ المَسَاحِلِ ؛ والإحاطة بمنوَّاه من كل جانب ، وإزَالُ نفوسهم على <sup>(١)</sup> [حُكْمِ  
الأمرين] <sup>(١١)</sup> [الآخرين] من عذابٍ وأصيب وهم نَاصِبٌ ؛ وإحالة وجودهم إلى العدم ،  
وإحالة السيوف التي إِنْ أَنْكَرَتْهَا أَعْتَقَتْهُمْ لما بالعهد من قَدَمٍ ؛ وأَصْطَلَامُهُمْ على ما بأيدي  
المصَابَةِ المؤيَّدة بنصر الله في حربها ، وأبتلاؤهم من حَمَلَاتِهَا بِرِيحٍ عَادِ التي تُدَمِّرُ كُلَّ  
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ؛ فليكن مُتَرَقِّبًا طلوع طلائعها عليه ، مُتَبَقِّيًا من كَرَمِ الله استِصْصَالُ  
عدوه الذي لَمْ يَفِرْ أَدْرَكَتْهُ من ورائه وإن ثبت أَخَذَتْهُ من بين يديه ؛ وليجتهد  
في حِفْظِ مَا قَبْلَهُ من الأطراف وَصْنِهَا ، وَجَمْعِ سَوَائِمِ الرِّطَا من الأمان المُنْقَوِّة وَلَمَّهَا ؛  
وإصلاح مَا يَخْتَلِجُ إلى إصلاحه من مسالك الأرباض المتطرِّفة ورَمَّهَا ، فإنَّ الأخطاط  
على كل حال من أَكْدِ المصالح الإسلامية وأهمها ؛ فكأنَّه بِالْعُدُوِّ وقد زال طَمَعُهُ ،  
وزاد ظَلَمُهُ ؛ وَدَمَّ عَقْبُ مَسِيرِهِ ، وَتَحَقَّقَ سُوءُ مُنْقَلَبِهِ ومَصِيرِهِ ؛ وتبرأ منه الشيطانُ  
الذي دَلَّاهُ بَغْوَهِ ، وأصبح لُحْمُهُ مُوزَعًا بين ذَنَابِ القَلَا وضَبَاعِهَا وبين عِقْبَانِ الجَوِّ  
وُسُورِهِ ؛ قَسَّةٌ من وعد الله وَتَمَسُّكًا منه باليقين ، وتحققاً أَنَّ الله يَنْصُرُ من يَنْصُرُهُ  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْيَقِينِ .



وهذه نسخة مرسومة كريمة في المعنى ، بل هو أصرحُ في ذلك مما قبله ، كُتِبَ به  
عند ظهور الفرج اللوسارية والشوال بالبحر: من إنشاء الشيخ بدر الدين حبيب

الْحَلِيِّ؛ وهو وإن لم يكن عن السلطان فإنه في معناه، لقيام النائب بالملكية قيام السلطان الذي آستنباه، وهو :

المرسوم بالأمر العالى أعلاه الله تعالى، لازالت مراسمه النافذة تُبلِّغُ أهلَ المصَابَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ قَايَةَ الْأَمَالِ، وأوامره الْمُطَاعَةُ تَهْضِي بِكسرِ التُّوسَارِيَّةِ وَشَيْنِ الشَّوَالِ؛ أنْ تَقْدَمَ العساكِرُ المَنْصُورَةُ بِالْمَلِكَةِ الطُّوَابُكِيَّةِ أَيْدِ اللَّهِ تَعَالَى عِزَائِهِمُ الْقَاهِرَةِ، وَأَذَلَّ بِسُيُوفِهِمُ الطَّائِفَةَ الْكَافِرَةِ؛ بَارْتِدَاءَ مَلَابِسِ الْجِهَادِ، وَالتَّحَلِّيَّ بِمِرَاةِ الصَّبْرِ عَلَى اجْتِلَاءِ الْجِلَادِ؛ وَأَنْ يَجِيبُوا دَاعِيَ الدِّينِ، وَيَكْفُوا أَيْدِيَ الْمُعْتَدِينَ؛ وَيُفَوِّقُوا سِهَامَهُمْ، وَيَمْلِكُوا التَّقْوَى أَمَامَهُمْ؛ وَيُسْرِعُوا رِمَاحَهُمْ، وَيَحْمِلُوا سِلَاحَهُمْ؛ وَيُؤْمِضُوا بَرَقَ السُّيُوفِ، وَيُرْسِلُوا نِبَالَ الْخُتُوفِ؛ وَيَهْدُمُوا بُيُوتَ الْكُفَّارِ، وَيُطْلِعُوا أَهْلَ الْقِيَمِ بِمَدِّ الْأَوْتَارِ؛ وَيَهْضُمُوا جَانِبَ أَهْلِ الْعِنَادِ، وَيَقَابِلُوا الْبَحْرَ بِمِلْءِ بَحْرِ الْحَيَادِ؛ وَيَنَظُرُوا أَمْوَاجَهُ بِأَمْوَاجِ النُّصَالِ، وَيَقَاتِلُوا الْفِرْقَةَ الْفَرَجِيَّةَ أَشَدَّ الْقِتَالِ؛ وَلَا يَهْمِلُوهُمْ بِالنَّهَارِ وَلَا بِاللَّيْلِ، وَيُعِدُّوهُمُ لَمْ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ انْخِلِيلَ، وَيَنْوَرُوا بِمَصَابِيحِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَا مَ دُجْنَةَ؛ وَأَنْ يُصَابِرُوا وَيَصْبِرُوا، فَإِذَا اسْتَنْفَرُوا فَلْيَنْفِرُوا؛ وَيَبَالِغُوا فِي الْقُدُورِ وَالرَّوَاحِ لِيُبَلِّغُوا الرَّجِيَّةَ مِنَ الْأَمْنِ أَمَانِيهَا . فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَذَنُوءٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» . وَيَعْتَمِدُوا عَلَى الْقَرِيبِ الْغَيْبِ، وَيَجْتَهِدُوا فِي كَسْرِ أَصْلَابِ أَهْلِ الصَّلِيبِ؛ وَيَنَافِسُوا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَيَدْعُوا الدُّنْيَا، وَيَقَاتِلُوا لِيَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا؛ وَيَهْدُمُوا الْمَوَاقِفَ، وَيَذْكُوا النَّالَةَ وَالطَّارِفَ؛ وَلِيَبْزُتِ الْقَارِئُ وَالرَّاجِلُ، وَيُظْهَرَ الرَّامِحُ وَالنَّائِلُ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ، سَطْوَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى تَوَيِّ الْقَسَادِ، وَتَقْمَتُهُ الْقَائِمَةُ عَلَى أَهْلِ الشَّرِّ وَالْعِنَادِ؛ وَهُوَ مِنَ الْقُرُوضِ الْوَاجِبَةِ، الَّتِي لَمْ تَزَلْ سِهَامُ أَصْحَابِهِ صَائِبَةً، فَوَاطِبُوا عَلَى فَعْلِهِ،

ولا تنهبوا عن مَنَاهِهِ وَسُبُلِهِ ؛ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ بَرًّا وَبِخْرًا ، وَقَسِّمُوا بَيْنَهُمُ التَّكَاثُفَ قَتْلًا وَأَسْرًا ؛ وَفَاجِئُوهُمْ بِمَكْرِهِ الْحَرْبِ ، وَأَجُوهُمْ بِرِسَائِلِ الطُّغْيَانِ وَالضَّرْبِ ؛ وَغَدُّوا مِنَ الْكُفَّارِ بِالْيَمِينِ ، وَجِدُّوا فِي تَحْصِيلِ الرِّبْحِ الثَّمِينِ ؛ وَلَا زُمُوا التَّوَلَّ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ لِمَنَازِلَةِ الطُّغَاةِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَسَاجِدُوا لِأَعْنَتِهِ ، وَهَرَّزُوا أَعْطَافَ الْأَسْنَةِ ؛ وَتَمَرَّزُوا عَنْ سَائِقِ الْعِزَائِمِ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَّامٍ ، وَأَتَّخِذُوا الْخِيَامَ مَسَاكِينَ ، وَاجْعَلُوا ظُهُورَ الْخَيْلِ لَكُمْ مَوَاطِنَ ؛ وَأَنْصِبُوا الْأُلُيَّةَ وَالْأَعْلَامَ ، وَأَطْفِئُوا بَحْمَرَةَ الشَّرْذِمَةِ الْفَاطِلَةِ لِلْإِسْلَامِ ؛ وَلَا تَحْشَوْا مِنْ جَمْعِهِمُ الْآئِلَ إِلَى التَّفْرِيقِ ، وَحَشِيحُمُ الَّذِي هُوَ عَمَّا قَلِيلٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى غَيْرِقٍ ؛ وَلَا تَعْبَثُوا بِسُفْنِهِمُ الْبَحْرِيَّةِ ، فَإِنْ سَفَنَكُمْ الْخَيْلُ الْمَخْلُوقَةُ مِنَ الرِّيحِ ؛ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى تَجَادِفِهِمُ الْخَشْيَةِ ، فَإِنَّ مَجَادِفَكُمْ السَّيُوفُ وَالرِّمَاحُ ؛ فَاقْلَعُوا قُلُوعَهُمْ ، وَشَتَّتُوا جُمُوعَهُمْ ؛ وَأَذْهَبُوا الْجَنَفَ وَالْحَيْفَ ، وَخَاطَبُوهُمْ بِالسِّنَةِ السَّيْفِ ؛ وَأَوْقِدُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْبُتْحَصِينَ وَالْإِحْتَزَارَ نَارًا ، وَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَنْدِرَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ؛ وَنَكَّسُوا صُلَيْبَهُمُ الْمَنْصُوبَ ؛ وَبَادَرُوا إِلَى حَرْبِ حَزْبِهِمُ الْمَغْلُوبَ ؛ وَأَرَفَعُوا بِالْيَقِينِ شَكَّ هَذِهِ الْمِخْنَةِ ، وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَبْكَوْنَ فِتْنَةً ؛ وَأَهْجَرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ طَيْبَ الْمَنَامِ ، وَأَقْلَعُوا الْأَقْدَامَ إِلَى الْإِقْدَامِ ؛ وَاكْشَفُوا عَنْكُمْ أَسْتَارَ الْمَالِ وَالْمَلَامِ ، وَأَهْتَمُّوا بِمَا يُعَلِّ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ وَالسَّلَامِ ؛ فَلْيَرْفَعَنَّ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِ الْعِزِّ وَالْتِمِيزِ ، ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

## الصَّنْفُ الرَّابِعُ

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ في الحُتِّ على لزوم الطاعة وذمَّ الخِلاف)

قال في "موادِّ البيان" : طاعةُ السلطان والاعتقادُ إليه ، والرجوعُ إلى رأيه والاعتقادُ عليه ، أبدى الأسباب ، في استمرارِ الانشقاقِ والاشتتَابِ ؛ وهي فرضُ أوجهه الله تعالى . فقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ولا تصح مملكةٌ ولا مَدُومُ دَوْلَةٍ إلا بأمرين : أحدهما عدلُ السلطان ، والآخر طاعة الرعية له ؛ فحقُّ أرفع أحدهما ، فسَدَ السَّائِسُ والمسُوسُ . ولم تزل ملوك الأزمنة يقتضون إلى الرعايا لزوم الطاعة ، والاختصاصَ بحِجَلِ الشريعة والنهي عن مفارقة الجماعة .

قال : والرسم فيها أن تفتح بالحمد لله على التَّعَمُّدِ في تأليف قلوب أهل الدين ، وجمع كلمة الموحدين ؛ ودعاية أهوائهم إلى الانشقاق ، وصيانة عصاهم عن الانشقاق ؛ والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتنبيه على فضائل الطاعة ، فإنها المروة الوثقى ، والمَعْقِلُ الذي لا يُرْفَى ؛ والحصن الحصين ، والكَنَفُ الأمين ؛ والجمي الأمنع ، والمَرْقَبُ الأرفع ؛ وأنَّ مَنْ حافظ عليها فاز وسلم ، وريجَ وغنم ؛ ومَنْ فارَقها خسر وخاب ، ونكَبَ عن سبيل الصواب ؛ وإيضاح مافي سبيل الطاعة من اتفاق الكلمة ، وانتظام شمل الأمة ؛ ومُتَمَوِّلِ الخيرات ، وعموم البركات ؛ وعِمارة البلاد ، وصَلَاحِ العباد ؛ وما في المُشَاقَّةِ من الفساد العام ، العائد بِاتِّتَارِ النِّظامِ ؛ وأُنْبِيَتِ الحبلُ ، وتفرَّقَ الشملُ ، وأجْتَنَّثَ الأصلُ ؛ وطُمُوسِ الديار ، وصيَالِ الأشرار ، وأقْصَاعِ الأخيار ؛ وتوالى الفتن التي لا تُصِيبُ الظالمَ خاصَّةً دون العادل ، ولا المُشَاقِّقَ دون الموافق ؛ وحلولِ النوايب المُزِيلَةِ للنعم ؛ وإتباع ذلك بما يجب من إعتذار وإنذار ، وترهيب وترغيب ، وتذكير وتبصير ، ووعظ ونحويف ؛ وبعثُ العلماءِ

الحَصَفَاءَ ، عَلَى رَدِّعِ الْجُهْلَاءِ السَّخَفَاءِ ؛ وَتَبِيهِ أَهْلِ السَّلَامَةِ وَالصَّلَاحِ ، عَلَى كَفِّ ذَوِي الْعَيْثِ وَالطَّلَاحِ ؛ إِلَى نَحْوِ هَذَا مَا يَجَارِيهِ . وَأَنْ يَبَالِغَ فِيمَا يُورِدُهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي ، فَإِنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ إِذَا كَانَتْ بَلِغَةً مُسْتَوْفَاةً جَيِّدَةً الْعِبَارَةَ ، أَخَذَتْ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ ، وَأَغْنَتْ عَنِ الْكَتَائِبِ فِي إِدْرَاكِ الْمَطْلُوبِ .



وهذه [مكتابات] في معنى ذلك أوردتها أبو الحسين بن سعد في تَرْسُلِهِ ، وَهِيَ :  
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَقْرَضَ الطَّاعَةَ وَأَوْجَبَهَا ، وَأَحْرَبَهَا وَرَغَّبَ فِيهَا ؛ وَجَعَلَهَا عِصْمَةً مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ ، وَضِيَاءَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ ، وَسَلَامَةً مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ؛ وَسَبَابًا لِلظُّفْرِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَفَّقَهُ لَهَا ، وَأَلْزَمَهُ الْمَحَافِظَةَ طَلِيهَا وَالْإِخْتِصَامَ بِحَبْلِهَا ؛ فَتَجَلَّ عِزُّهَا وَشَرَفُهَا ، وَسَعَتْهَا وَأَمْنَتْهَا ؛ وَأَسْتَحَقَّ السَّعَادَةَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ بِهَا ، وَالْمَثُوبَةَ عَلَيْهَا .

آخِرُ : وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي الطَّاعَةِ وَلِزُومِهَا ، وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا : مِنْ الْعِزِّ وَالْمَنْعَةِ وَالْأَيْدِ وَالْقُوَّةِ وَالْفَوْزِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [وَمَا] فِي خِلَافِهَا مِنْ ضُتُوفِ الْمَخَافِيفِ ، وَأَنْوَاعِ الْمَتَائِفِ .

آخِرُ : وَقَدْ كَانَتْ الطَّاعَةُ آتَاكَ بِكَ عَلَى كُلِّ ظَلِيلٍ ، وَأَقْفَضَتْ بِكَ إِلَى لَيْلٍ مِهَادٍ عِنْدَ إِقْبَاضِ الْمَضَاجِعِ ، وَصَفَاءِ الْمَشَارِبِ عِنْدَ تَكْثُرِ الْمَنَاهِلِ ، وَأَتِّصَالِ أَمْنَةٍ عِنْدَ حُلُوثِ الْمَخَافِيفِ ؛ حَتَّى فَهَلْتُ كَذَا وَكَذَا .

آخِرُ : فَلَمْ يَمُتْ مِنْ طَاعَتِهِ مَارِقٌ ، وَلَا فَارَقَهَا مُقَارِقٌ ؛ إِلَّا صَرَّحَ اللَّهُ خَدَّهُ ، وَأَتَمَّسَ جَدَّهُ ؛ وَخَفَضَ شَوْكَتَهُ ، وَأَكْذَبَ ظَنَّهُ وَأُمْنِيَّتَهُ ، وَجَعَلَهُ لِسِيوفِ اللَّهِ غَرَضًا ، وَلَأُولِيائِهِ غَنِيمَةً .

آخر : والطامة هي العروة الوثقى ، والطريقة المثلى ، والغنيمة لاهلها في الأخرى والأولى .

« عبد الحميد » : - فان الفتنه تتشوف لاهلها بأق منظر ، وأزمن ملبس ، يجر لهم أذيالها ، وتعلم تتابع لذاتها ، حتى ترى بهم في حومات أواجها ، مسلمة لم تعلم الكذب وتبينهم الخدع ، فاذا لزمهم عضاضها ، وفقر بهم شماسها ، تحلت عنهم خاذلة لهم ، وتبرأت منهم معرضة ، قد سلبوا أجمل لابس دينهم ، واستنزفوا عن أحسن معاقل دنياهم : من القناء البهي منظره ، الجميل أثره ، حتى تطرحهم في فضائح أعمالهم ، والإيجاف في التعب ، وسوء المقلب ، لمن آثر دينه على دنياه تمسك بطامة ولأته ، ويحترز بالسخول في الجماعة ، تازكا لأهل الأمرين ، وأويل الحالين .

« ابن عبد كان » في ذم الخلاف : - وإن فلانا كان عبدا من عبيدنا ، اعتوره إنا مننا ، وقوه به إكرامنا ، وشرفه ولأونا ، وحسن عنده بلأونا ، وأبتئنا له الأموال ، وأسبنا له الأعمال ، وأوطأنا عقيب الرجال ، فلم تقع النعم منه عند شاكرك ، ولا الصليمة عند محتلم ، فلما رفع الله بمكاننا خبيسته ، وبلغه من شرف الذكر ونباهة القدر وأنسأط يده ما كانت هيمته تسيج عنه ، وآماله تقصر دونه ، أضراه ذلك وأبطره ، وأطفاه وأكفره ، فأختل زاهيا ، واستكبر عالييا ، وفلتر باغيا ، وشاق عاصيا ، وأوضع في الفتنه لنا حربا ، ولأعدائنا حربا ، ولنا أشمرف عنا يدا ، ولنا مال إلينا ضدا ، من غير سبب أوجب ، ولا أمر دباه إليه ، فكان كما قال الله عز وجل في كتابه : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِغْنَىٰ أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْنَىٰ ﴾ وكقوله : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ فلما ورده الخبر بما هيا الله لنا من الرجوع إلى القساطر على الحال السائرة لأوليائنا ، الغائظة لأعدائنا ، سقط في يده ، وفكر في خليف جرمه



وحياتته ؛ فآذاه الخوف الذى آستشعره ، والإشفاق الذى حَآمره ؛ لئلا أن ركبَ عظيمًا من الأمور ، وكاشف بالصَّبيَّة والفُرور ؛ مكافأ أعداء <sup>(١)</sup> ، ومواليا ذوى العداوة والشَّتَاة ؛ وزجوا بحول الله وقُوَّته ، وإرادته ومشيتته ، وما لم يزل الله - تَهْدِسُ أَسْمَهُ - يُخْرِيه عندنا من جميل عاداته فِيمَنْ سَفِهَ الحق ، وزَاغَ عن القصد ؛ أَنْ يُبْسِلَ هَذَا الْخَلَاءَ بِجَبَائِثِ أَعْمَالِهِ ، وَيُسْلِمَهُ لِقَبَاحِ أَعْمَالِهِ ، وَأَنْ يَصْرَعَهُ بِأَسْوَأِ مَصَارِعِ أَمْثَالِهِ ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يَحْمَدِ النِّعْمَةَ ، إِلَّا أَسَدَعَى النِّقْمَةَ ؛ وَلَمْ يُدْعِ الشُّكْرَ ، وَلَيْسْتَعْمَلِ الْكُفْرَ ؛ إِلَّا كَانَتِ الْعَثْرَةُ مِنْهُ قَرِيبَةً ، وَالْبَلَاءُ يَحِيطُهُ ، قَوْلًا لَا يُبْدِلُ رِسْمَهُ وَلَا يُحَوِّلُ .

من كتاب مومى بن عيسى .

أما بعد ، فَإِنْ أَمْرًا لَوْ خَلَصَ مِنْ فَلَائِتِ الْخَطَلِ وَخُطُوبِ الْمَلَأِ ، بِفَضِيلَةِ رَأْيِي وَلِطَافَةِ بَصَرِ الْأُمُورِ ، كُنْتُ أَجْمِيْ بِذَلِكَ دُونَ أَهْلِ زَمَانِكَ ، لِذَلِكَ بَرَّتُ لَكَ عَلَيْهِ تَصَارِيفَ التَّبَعِ ، وَتَعَرَّضْتُ لَكَ بِهِ وَجُوهَ الْعِبَرِ ؛ وَلَيْتَ أَسْتَقْبَلْتَ مِنْ مَوَارِدِ أُمُورِ نَفْسِكَ ، وَتَعَقَّبْتَ مِنْ مَصَادِرِ أُمُورِ غَيْرِكَ ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا جَعَلَ لَهُ مِنْ قَضَائِهِ سَبِيحًا ، وَمِنْ مَقَادِيرِهِ عِلَالًا ؛ فَمِنْ مَقَادِيرِ طَلِيِّ الْبَلَاءِ تَضْيِيعُ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْعَفَاةُ مَا تُفْسِدُهُ التَّجَرُّبَةُ ؛ وَمِنْ أَسْبَابِ السَّلَامَةِ الْإِتِّبَاهُ بِالْعِبَرِ ، وَالْأَسْتِدْلَالُ بِمَا كَانَ عَلَى مَا يَكُونُ . وَأَنْتَ أَمْرٌ بَرَّتَ لَكَ وَطَيْكَ أُنْحَاءُ مِنَ النِّمِّ ، وَأُنْحَاءُ مِنَ الْمَجْجِ ، عَرَفْتَ بِهَا مَا لَكَ وَعَلَيْكَ ؛ فَإِنْ تَأَخَّذْ بِهَا ، عَرَفْتَ كَيْفَ تَسْلُكُ مَسَالِكَهَا ، وَإِنْ تَتَّجَعَ الْإِخْذَ بِذَلِكَ ، تَدْمَحْ عَلَى عِلْمٍ . وَقَدْ رَأَيْتَ الَّذِي أَتَهَادَثَ لَكَ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَوَهَبَتْ لَكَ بِهِ الْعَافِيَةَ ؛ فِيمَا أَلْهَمَكَ اللَّهُ مِنْ طَاعَةِ وَكَلَاةِ أُمُورِكَ ، وَالصَّبْرِ لَهَا عَلَى مَوَاطِنِ الْحَقِّ الَّتِي رَفَعَ اللَّهُ بِهَا ذِكْرَكَ ، وَأَحْسَنَ عَلَيْهَا عُقْبَاكَ وَدُنُورَكَ ؛ فَلَمْ تَمْنَحْ بِكَ فِي طَاعَتِهِمْ رُتْبَةً ، إِلَّا قَرَّبَكَ اللَّهُ بِهَا فِي الْخَيْرِ عَقْبَهُ ، وَلَا تَبْذُلْ مِنْ نَفْسِكَ نُبْحًا ، إِلَّا أَوْجِبَ

(١) بياض في الأصل ولله الامارة .

(٢) الملاء هنا معناه الظن والطبع .

لك به مُجْحَا ، ولم تَقْتُلْ تَوَاتُرَ ذَلِكَ : من مناصحتك وحسن طاعتك ، حتى طَلَّتْ بها على من طاولك ، وقَضَلَتْ بها من فاضلك ؛ وجريت مملوداً عَنَّاكَ إِلَى قُصُوصِ غَايَاتِ أَمْلِكَ ، فَأَصْبَحَتْ قَرِيعَ الْمُسْلِمِينَ ، بعد خليفة الله أمير المؤمنين ، وخَيْرَتِهِ من خَلْقِهِ ، بعد ذَوِي الْقَضَلِ من أهل بيته ؛ حتى مَالَك من رِجَالِ الْعَرَبِ تَظْهِيرَ فِي مَتَرَلَةٍ ، وَلَا تَنْدِيدَ فِي حَالٍ وَلَا رُتْبَةٍ ؛ بل هم فيك رِجْلَانِ : إِمَّا رَاهِبٌ مِنْكَ ، وَإِمَّا رَاغِبٌ فِيكَ .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية مستمر الكُتَابَةِ إِلَى زَمَانِنَا . فإِذَا زَالَتْ الْمُلُوكُ يَكْتُبُونَ إِلَى مَنْ يَتَخَيَّلُونَ مِنْهُ خَلَعَ الطَّاعَةِ مِنَ التَّوَابِ وَمِنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَيَحْتَوِنُهُمْ عَلَى لزوم الطَّاعَةِ ، وَيُحَذِّرُونَهُمُ الْخَافَةَ وَالْخُرُوجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ .



ومن ذلك ما كتب به الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي إلى مملوك ميسر عند كسرة التار ، بعد قيامه معهم في المصاف ، ومساعدته إياهم ، وهو :  
بَصَرَهُ اللهُ بِرُشْدِهِ ، وَأَرَاهُ مَوَاقِعَ غَيْهِ فِي الْإِصْرَارِ عَلَى غِلَافَتِهِ وَتَقْضِ عَهْدِهِ ، وَأَسْأَلُهُ بِسَلَامَةِ نَفْسِهِ عَنِ رَوْحَتِهِ السَّيُوفِ الْإِسْلَامِيَةِ بِفَقْدِهِ .

صدرت تُعَرِّفُهُ أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَدُوِّ الَّذِي دَلَّاهُ بِفُرُورِهِ ، وَحَمَلَهُ التَّمَسُّكَ بِخِدَاحِهِ عَلَى مِجَانِبَةِ الصَّوَابِ فِي أُمُورِهِ ؛ وَأَنَّهُمْ أَسْتَجَدُّوْا بِكُلِّ طَائِفَةٍ ، وَأَقْدَمُوا عَلَى الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَةِ بِنُفُوسِ طَامِعَةٍ وَقُلُوبِ خَائِفَةٍ ؛ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا مَدَّةً يَسْتَرْوْنَ الْخُدَاةَ بِالْمُوَادَعَةِ ، وَيُسْرِوْنَ الْمُصَارِمَةَ فِي الْمَسَالِمَةِ ؛ وَيُظْهِرُونَ فِي الظَّاهِرِ أُمُورًا ، [ وَيُدْبِرُونَ فِي الْبَاطِنِ أُمُورًا <sup>(١)</sup> ] وَيَعْنُونَ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ وَيَمْنُونَهُمْ وَمَا يَعْنِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ؛ وَكُنَّا بِمَكْرِهِمْ عَامِلِينَ ، وَعَلَى مُعَاجَلَتِهِمْ طَامِلِينَ ؛ وَحِينَ

(١) الزيادة من "حسن التوسل" (ص ٩٧) .

تَبَيَّنَ مَرَادُهُمْ ، وَتَكَلَّلَ احْتِشَانُهُمْ ؛ اَسْتَدْرَجَتْهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ ، وَاسْتَجَرَتْهُمْ لِيَقْرَبُوا  
فِي الْقَتْلِ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ ، وَيَبْعُدُوا فِي الْهَرَبِ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ ؛ وَصَدَمَتْهُمْ بِقُوَّةِ اللَّهِ  
صَدَمَةً لَمْ يَكُنْ لَهَا قَبْلُ ، وَحَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةَ الْجَاهِمِ طُوفَانُهَا إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ ؛ وَهَلْ  
يَصِصُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ جَبَلٌ ؟ فَخَصَرْتَهُمْ فِي ذَلِكَ الْغَضَاءِ الْمَتَّيِّعِ ، وَضَايَقَتْهُمْ كَمَا قَدْ رُئِيَ  
وَمَرَقَتْهُمْ كَمَا قَدْ سَمِعَ ؛ وَأَنْزَلْنَاهُمْ عَلَى حُكْمِ السَّيْفِ الَّذِي نَهَلَ مِنْ دِمَائِهِمْ حَتَّى رَوَى  
وَأَكَلَ مِنْ لَحُومِهِمْ حَتَّى شَبِعَ ؛ وَتَبِعْتَهُمْ جِيوشُنَا الْمَنْصُورَةَ تَحْتَطِفُهُمْ رِمَاحُهَا ، وَتَسْلَقُهُمْ  
صِيقَاحُهَا ، وَيُسَدُّهُمْ فِي الْقُلُوكَاتِ رُعْبُهَا ، وَيُفَرِّقُهُمْ فِي الْقِفَارِ طَعْنُهَا الْمُتَدَارِكُ وَضَرْبُهَا ؛  
وَيَقْتُلُ مَنْ فَاتَ السُّيُوفُ مِنْهُمْ الْعَطَشُ وَالْجُوعُ ، وَيُحِيلُ لِحَى مِنْهُمْ أَنَّ مَوْضِعَهُ كَالدَّيْنِ  
الَّتِي لَيْسَ لَهَا لَبِّي إِلَيْهَا رَجُوعُ ؛ وَلَعَلَّهُ قَدْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا وَصَفَ عَيَانًا ، وَتَحَقَّقَ  
مِنْ كُلِّ مَا جَرَى مَا لَا يَحْتَاجُ أَنْ تَزِيدَهُ بِهِ مِلًّا وَلَا تُقِيمَ عَلَيْهِ بُرْهَانًا .

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَمْرَ هَذَا الْعَلَقِ الْخَفُولِ مَا زَالَ مَعَنَا عَلَى هَذِهِ الْوَيْبَةِ ، وَأَنْهُمْ مَا أَقْدَمُوا  
إِلَّا وَنَصَرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ؛ وَمَا سَاقَتْهُمْ الْأَطْلَاحُ فِي رِقَتٍ مَا إِلَّا إِلَى خُتُوفِهِمْ ،  
وَلَا عَادَمَتْهُمْ قَطُّ فِي رِقَةٍ إِلَّا آحَادٌ تُخْبِرُ عَنْ مَصَارِعِ الْوُفْهِمْ ؛ وَلَقَدْ أَضَاعَ الْحَزَمُ مِنْ  
حَيْثُ لَمْ يَسْتَدِمَّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ [بَطَاحَتَنَا] الَّتِي كَانَتْ فِي مَهَادِ أَمْنِهَا ، وَوَهَادِ يَمِينِهَا ؛ وَحِمَايَةِ  
عَفْوِهَا ، وَبَرْدِ رَأْفَتِهَا الَّتِي كَدَّرَهَا بِالْمُخَالَفَةِ بَعْدَ صَفْوِهَا ؛ يَصُونُ رَعَايَاهُ بِالطَّاعَةِ عَنِ الْقَتْلِ  
وَالْإِسَارِ ، وَيَجْعَلُ أَهْلَ مِلَّتِهِ [بِالْحَذَرِ عَنِ الْحَرَكَاتِ] الَّتِي مَا نَهَضُوا إِلَيْهَا إِلَّا وَجَرُوا ذُبُولَ  
الْخَسَارِ ؛ وَلَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ وَأَحْبَابَهُ لِمِیُوفِنَا الَّتِي كَانَتْ مِنْ سَطَوَاتِهَا فِي أَمَانٍ ، وَوَقَّى  
بِمَا حَتَمَ لَهُ التَّنَارُ مِنْ نَصْرِهِ وَقَدْ رَأَى مَا لَلَّ إِلَيْهِ [أَمْرٌ] ذَلِكَ الضَّيَامِ ؛ وَجَرَّ لِنَفْسِهِ بِمُؤَالَاةِ  
التَّنَارِ عَنَاءَ كَانَتْ عَنْهُ فِي غَنَى ، وَأَوْقَعَ رُوحَهُ بِمُظَافَرَةِ الْمُتَغَلِّ فِي حَوْمَةِ السُّيُوفِ الَّتِي تَحْطَفُتُ

(١) يابض بالأصل والصحيح عن "حسن التوسل" (ص ٩٨) .

أولياءه من هنا ومن هنا؛ وأقمتم بنفسه مواردَ هلاكٍ سلبت رداءَ الأمن عن منكيته،  
وأغترَّ هو وقومه بما زين لهم الشيطان من غروره (فلما تراءى بين الفئتين نكص  
على حقيقته) وما هو والوقوف في هذه المواطن التي تترازل فيها أقدام الملوك الأكاسره؟  
وأثى لضعاف النقاد قدرة على الثبات لوثبات الأسود الضارية والليوث الكاسره؟  
لقد أعرض بين السهم والهدف ببحره، وتعرض للوقوف بين ناب الأسد وطفره؛  
وهو يعلم أننا مع ذلك نرى له حقوق طاعة أسلافه التي ماتوا عليها، ونحفظ له خدمة  
آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في التوصل إليها؛ ونجريه وأهل بلاده نجري  
أهل نعمتنا الذين لا نؤنسهم من عقوبنا ما استقاموا، ونسلك فيهم حكم من في أطراف  
البلاد من رعايانا الذين هم في قبضتنا: نزحوا أو أقاموا؛ ونحن نتحقق أنه ما بقى  
ينسئ ملازمة ربة الخيف خنقه، ولا يرجع يورد نفسه في موارد الهلاك وهل  
يرجع إلى الموت من ذاقه؟ فيستدرك باب الإنابة قبل أن يعلق دونه، ويصون  
نفسه وأهله قبل أن يتبدل السيوف الإسلامية مصبونه؛ ويبادر إلى الطاعة قبل  
أن يئذنها فلا تقبل، ويمسك بأذيال المعوق قبل أن ترتفع دونه فلا تسبل؛ ويسجل  
بجمل أموال القطعية ولا كان أهله وأولاده في جملة ما يميل منها إليها، ويسلم مفاتيح  
ما حلت عليه من فتوحنا وإلا فهو يعلم أنها وجميع ما تأخر من بلاده بين يدينا؛  
ويكون هو السبب في تمزيق شمله، وتفرق أهله، وقطع بنيه من أصله؛ وهضم  
كنائسه؛ وأبتذال نفسه ونفائسه؛ واسترقاق حرمة، واستخدام أولاده قبل خدمته؛  
واستقلاع قلاعهم، وإحراق رؤوسهم وربابهم؛ وتسجيل رؤية ما وعده به قبل سماحه.  
ومن لغازان أن يجاب إلى مثل ذلك، أو يُسمح له مع الأمن من سيوفنا ببعض ما في يده  
من المال؛ ليشفع بما أقتت جيوشنا المؤيدة في يده من الخيل والخيول، ويعيش

في الأئمن ببعض ما نسمح له به ومنّ للور بالحوّل ؛ والسيوف الآن مُصَنِّغَةٌ إلا جوابه تُكفّف إن أبصر سبيل الرشاد، أو تَمَوَّصَ برعوس حُمَاهِ وَكُجَاهِ عن الإغساد إن أَصَرَ عَلَى العِتَادِ ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .

### الصنف الخامس

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ إِلَى مَنْ نَكَثَ المَهْدَ من المخالفين)

قال في "موادّ البيان" : إذا نقض مُعَاهِدٌ عهده ، أو نقّض من شروط الهدنة يده ؛ فالرسم أن يصدر ما يكتبُ به بالحمد لله تعالى على موهبتة في إظهار الدين ، وإحراز المسلمين ؛ وما تُكفّله من النصر على الباغين ، ووعده به أهل العدل من الإدالة والتمكين ؛ والصلاة على سيدنا محمد النبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ؛ وإيراد طرّف من معجزاته وفضائله ، وآياته ومناقبه ؛ التي تغرط في هذا النظام ، وتليق بهذا النمط من الكلام ؛ ثم يُنْجِصُ ذلك بمقدمة تدلّ على متانة البصائر في الدين ، وَوَقَافَةٌ العقائد في إذالة المُخَادِنِ ؛ وَمَقْبَأُ العزائم في مجاهدة المُعْتَدِينَ ، والاستطالة على المعاندين ؛ مع ما تَضَمَّنَهُ الله تعالى من نصره وإظفاره ، ووعده به من تأييده وإقراره ؛ وسهله من إهواء الأهوية إليه ، وجمع الكلمة عليه ؛ بما خوله من بأسٍ وشدة ، وعديد وعدة . وما يليق بذلك مما يُعْرَبُ به عن طُلو السلطان ، وقُفُور الإخوان ؛ وأَسَاعِ القوة والأيد ، وصنقِ العزم والحد . ثم يذكر الحال التي أتعقدت الهنئة عليها ، وأن الإجابة إليها لم تقع قصورا عن غُروهم في مُقَرِّ دارهم ، وتُسَرِّيعهم بالفارات المبثوثة برأ وبجرا عن قرارهم ؛ وإنما قبولا لمساكنتهم ، وأمتثالا لأمر الله تعالى في مُسألتهم . ويأخذ في تعديد الوقائع التي أوقعها أهل الإسلام بهم ، والمشاهد التي نصر الله تعالى فيها عليهم ، والمآكل المترصّة من أبيهم ؛

وَأَنَّكَ الْعَزَائِمُ مُضْطَرَمَّةٌ مُتَوَقَّدَةٌ ، وَتِلْكَ السِّبُوفُ مُشْحَدَةٌ مُهَنْدَةٌ ؛ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
قَدْ أَبَاحَ حَرَّمَ مَنْ قَضَى عَهْدَهُ ، وَنَقَضَ مِنَ الذَّمَامِ يَدَهُ ؛ وَأَنَّ كَاتِبَ اللَّهِ مُوَجِّعٌ وَرَاءَ  
هَذَا الْكِتَابِ ، فِي جَيْشٍ يُلْحِقُ الْخَلْبَتَ بِالْهَضَابِ ؛ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَبَادِرَةٌ إِلَى الْإِفْلَاحِ  
وَالْإِنَابَةِ ، وَمَكَاتِبَةٌ فِي الصَّفْحِ وَالْإِسْتِغَاثَةِ ؛ وَأَنَّهُ قَدْ قَدَّمَ الْأَصْدَارَ ، وَبَدَأَ قَبْلَ الْإِقْدَامِ  
بِالْإِنْذَارِ ؛ وَمَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ مِنْ هَذَا وَمِثْلِهِ .

قال : فَإِنْ كَانَ الْكِتَابُ جَوَابًا عَنْ كِتَابٍ وَرَدَّ ، أَجِيبْ بِمَا يَنْقُضُهُ ، وَبُئِيَ الْأَمْرُ  
فِيهِ عَلَى مَا يَبْسُطُ الْحَيَّةُ ، وَيَدْعُو إِلَى التَّزَوُّلِ عَلَى أَحْكَامِ الطَّاعَةِ . وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ  
فِي ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأُمُورِ الْحَادِثَةِ ، وَالْأَسْبَابِ الْعَارِضَةِ ؛ فَيُلْبِئِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَحْتَمَلَ  
فِيمَا يُطْلَقُ بِهِ قَلَمُهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الْخَطِيرَةِ : لِأَنَّهَا مَزَاحِمَةٌ بِالْأَدُولِ وَالْمَلِكِ ، وَجُجِجٌ  
تَحْصُلُ مِنْ كُلِّ دَوْلَةٍ عِنْدَ الْآخَرِينَ ؛ وَدَرَكٌ مَا يَقَعُ فِيهَا صَائِدٌ عَلَيْهِ ، وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِ .



وهذه نسخة كتاب كُتِبَ بِهِ مِنَ الْخَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ ،  
إِلَى بَهْرَامِ النَّصْرَانِيِّ الْأَرْمَنِيِّ الَّذِي كَانَ آسْتُورَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ رِضْوَانُ بْنُ وَلَحْشَى ،  
أَرْتَفَاعًا لِلدَّبْرِ ، لَتَحْكُمَ نَصْرَانِيَّ فِي أَهْلِ الْمِلَّةِ ، وَوَلَّى الْوِزَارَةَ مَكَانَهُ ؛ فَقَرَّ هَارِبًا  
إِلَى الشَّامِ نَاقِضًا الْعَهْدَ ، وَكُتِبَ إِلَى الْخَافِظِ يَطْلُبُ أَهْلَهُ وَبِخَاصَّتِهِ مِنَ الْأَرْمَنِ الَّذِينَ  
كَانُوا مَعَهُ فِي جَمَلَةِ جُنْدِ الْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ ، مَظْهَرًا لِلطَّاعَةِ وَالرَّغْبَةِ إِلَى التَّصَلُّعِ عَنِ الدُّنْيَا ،  
وَالْإِقْطَاعِ فِي بَعْضِ الدَّيْرَةِ لِلتَّعَبُّدِ مَكْرًا وَخَدِيعَةً ؛ فَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ جَوَابًا عَنْ كِتَابِهِ  
الْوَارِدِ مِنْهُ . وَنَصَّ مَا كُتِبَ إِلَيْهِ :

عُرِضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْكِتَابُ الْوَارِدُ مِنْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، الْمَقْدَّمُ ، الْمُؤَيَّدُ ،  
الْمَنْصُورُ ؛ حُرِّمَتْ الْخِلَافَةُ وَتَمَسَّسَتْهَا ، تَأْتِجُ الْمُلْكَةُ وَقَطَّامُهَا ؛ فَخَرُّ الْأَمْرَاءِ ، شَيْخُ الدَّوْلَةِ

وعمادها؛ ذو الجَدَيْن، مصطفى أمير المؤمنين . ووقف على جميعه ، وأستولى بحكمه على مضمونه .

فأما ما وَسَّعَت القول فيه وبسطته ، وَفَسَّحَتْ فيها أوردته منه وذكرته ؛ مما خفاه ومحبوبه ما أنت عليه من الطاعة ، والولاء والمشايعة ؛ والاعتراف بنعم الدولة عليك ، والإقرار بإحسانها إليك ؛ فَعَمَّرَ أمير المؤمنين إن هذا الذي يليق بك ويحسن منك ، ويحسن أن يردّ عنك ، ويجب أن يعرف لك ؛ وقد كانت الدولة أسلفتك من حسن الظن قديما ، وقلتك في درجة التنويه حديثا ؛ حتى رفعتك إلى أعلى المراتب ، وبلغتك ما لم تسم إليه همّة طالب ؛ وأوطأت الرجال عقبك ، وجعلت جميع أهل الدولة تبعك ؛ مما أغنى اعترافك به عن الإطالة بشرحه ، والإطناب في ذكره .

وأما ما ذكرته مما كان أمير المؤمنين أعطاك التوثقة عليه ، فأجابه منه إلى ما رغبت فيه ، فأستقر بينه وبينك في معناه ما أطمأنت إليه ؛ فلم يزل أمير المؤمنين على الوفاء باطنا وظاهرا ، ونية وعلانية ؛ واحتقاده أن لا يرجع عنه ، ولا يغير ما أحكمه منه ؛ وإنما حال بينه وبين هذا المراد أن كافة المسلمين في البعد والقرب غضبوا لِمَلَّتْهم ، وأمتصوا مما لم تجربه عادة في شرعتهم ؛ ونفرت نفوسهم مما يعتقدون أن الصبر عليه قاذح في دينهم ، ومضايغف لآلامهم ؛ وأنه ذنب لا يفتقر ، ووزر لا يتجاوز ولا يصفح [عنه] حتى إن أهل المشرق أخذوا في ذلك وأعطوا ، وعزموا على ما أحققوا عليه مما صرفه الله وكفى مشوته والأشتغال به .

وأما ما أتمسته من تسير من الباب من طاعتك إليك ، فهذا أمر لا يسوغ ولا يمكن فعله ، ولو جاز أن يؤمر به لمت المسلمون منه فلم يتسحوا فيه . والآن فلن

يَحْلُو حَالُكَ مِنْ أَحَدِ قَسْمَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُتَمَلِّقًا بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَغَيْرِ مُفَصَّلٍ عَنْهَا ،  
فَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُخَيِّرُكَ فِي وِلَايَةِ أَحَدِ ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : إِمَّا قُوَّصَ ، أَوْ أُنْجُمَ ، أَوْ أَسْوَطَ ؛  
فَأَيُّهَا أَخْتَرْتَ وَلَئِكَ لِيَأْهَ ، وَرَدَّ أَمْرَهُ وَالنَّظَرَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ عَلَى أَنْ تَقْتَصِرَ مِنَ الَّذِينَ  
مَعَكَ عَلَى نَحْسَيْنِ أَوْ سِتِينَ فَارِسًا ، وَتُسَيِّرَ الْبَاقِينَ إِلَى الْبَابِ لِيُجْرُوا عَلَى عَادَاتِهِمْ ،  
وَيُسَوِّمَهُمْ فِي وَاجِبَاتِهِمْ وَإِقْطَاعَاتِهِمْ ؛ إِذْ كَانُوا عِيْدَ الدَّوْلَةِ وَمُتَقَلِّبِينَ فِي قَضَائِهَا ،  
وَأَكْثَرَهُمْ مُتَوَلِّدُونَ فِي ظِلِّهَا ؛ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَلَى الْقَضِيَّةِ الَّتِي مَازَلْتَ تَذَكُّرَ رَغْبَتِكَ  
فِيهَا وَإِنْ شَاءَ لَهَا : مِنْ التَّخَلِّيِ عَنِ الدُّنْيَا وَلِزُومِ أَحَدِ الدَّيْرَةِ ، وَالْإِقْطَاعِ إِلَى الْعِبَادَةِ ؛  
فَإِنْ كُنْتَ مَقِيًّا عَلَى ذَلِكَ فَتَخَيَّرْ ضَيْعَةً مِنْ أَى الضِّيَاعِ شِئْتَ يَكُونُ فِيهَا دِيرٌ يُقِيمُ فِيهِ  
وَيَقْطَعُ إِلَيْهِ ؛ فَصَيِّرْ الضَّيْعَةَ لِيَجْعَلَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَسْوِيفًا لَكَ مُؤَبَّدًا ، وَإِقْطَاعًا  
دَائِمًا مُخْلَدًا ؛ وَيَجْرَى جَرَى الْمَلِكِ ، وَيُكْتَبُ لَكَ بِذَلِكَ مَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ ، مِمَّا تَطْمَئِنُّ  
إِلَيْهِ وَتُسْتَحْكَمُ قِتْنُكَ بِهِ . وَإِنْ آيَّتِ الْقِسْمَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ وَلَمْ يُرِضِكَ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا ،  
وَلَا رَغِبْتَ فِي الثَّانِي ، فَصَحِّقْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَكَأَنَّهُمْ وَأَسْرَهُمْ ؛ وَكُلٌّ مِنْ يَقُولُ  
بِالشَّهَادَتَيْنِ : مِنْ قَاصٍ وَدَانٍ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، يَنْفِرُونَ إِلَيْكَ ، وَيَتَفَقَّهُونَ  
عَلَى الْقَصْدِ لَكَ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي التَّوْحِيدِ نَحْوَكَ ؛ وَهُوَ عَمَلُ دِينِي ، لَا يُرِيدُهُ أَمْرٌ دُنْيَوِيٌّ ؛  
فَتَأْمَلْ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْإِجَابَةُ مِنَ الْأَقْسَامِ ، وَطَالِعْ بِمَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ .

قُلْتُ : وَهَذَا الصَّنَفُ مِنَ الْمَكْتَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ لَا وُجُودَ لَهُ فِي زَمَانِنَا لَعَلَّمْ وَقُوعُ  
الْهَدَنِ الْمُرْتَبِ عَلَيْهِمَا هَذَا الصَّنَفُ مِنَ الْمَكْتَابَاتِ ؛ فَإِنْ أَحْتِجَّ إِلَى ذَلِكَ مَشَاءَ الْكَاتِبُ  
عَلَى الْقَاعَةِ الْقَدِيمَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ .



## الصف السادس

( من الكتب السلطانية ، الكتب إلى من خلع الطاعة )

قال في "مواد اليان" : وهذه الكتب تختلف رسومها بحسب اختلاف أقدار المكاتبين وأحوالهم في الخروج عن الطاعة . قال : وجمع أوضاعها كلها في قانون كلى عسير المرام ، إلا أننا نرسم فيها رسوماً يمكن الزيادة فيها والتقص منها . ثم قال : والعادة أن تنفذ هذه الكتب إلى من توجب إجابته ، وتؤمل مراجعته . فإما من وقع الإيأس من استصلاحه ، ودعت الضرورة إلى كفاحه ، فلا حاجة إلى معاتبته ، ولا وجه لمكاتبته .

قال : والرسم فيها أن تفتح بالتحميد المناسب لمعنى الكتاب ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، بما يدعو إلى إيناسه ، ويزيل أسباب استيغاثته ، ويودد ببنات جاشه ، ويمنه على مراجعته فكره ، ومعاودة النظر في أمره ، ويدكره ما أمدى من العوارف إليه ، وأفيض من التمس عليه ، وأنه لا ينفر مرئياً بحملها وكفرها ، ويوحش ربها بأعمال حملها وشكرها ، ويربطها بحسن الطاعة ، ويستريحها بالتأديب في التباعه ، ولا يحر الوبال إلى نفسه بالخروج عن المضمه ، في طاجل ذم الوصية وفي أجل أليم العقمة . ويصره بمقابته ومن يركبه من ذوى الجند بما يقتضى رب الإنعام لديهم ، وإقرار الفضل عليهم ، وأن يسلمهم ملبس الثقل الظليل ، وأن يعطهم من حلى الرأى الجليل ، ويتنزع في أثناء ذلك بشعار الشفاق ، ويتميم بميسم الشفاق ، ويتجمل لإزاجه من داره ، ويعد من قراره ، وهم ماشية الإخلاص من ذكره ، وتقويض ما رفته الطاعة من قدره ، ويودد بعد أن كان مجاهداً عن الحوزة مجاهداً بمحتدتها ، وبعد أن كان مرامياً عن السدة مرمياً بيدتها ، ويضع

مَا أَسَدِي إِلَيْهِ ، وَأُفِضَ مِنَ الْإِحْسَانِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا نَهَبَ مِنَ الْبَقِيَّةِ فِي تَدْرِيجِهِ إِلَى مَرَاقِي السَّيَادَةِ ، وَمِنَ الرِّضَا فِي الْحَاقَةِ بِأَهْلِ السَّعَادَةِ ؛ وَلَا يَفْتَرِّقُ بَيْنَ يُزَيْنُ لَهُ عَاجِلَ الْآجِلِ ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِمُتَدَجِ الْبَاطِلِ ؛ وَيَجْعَلُ أَقْوَامَهُ دَبْرَ سَمْعِهِ ، وَيُبْعِدُ أَشْخَاصَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ ؛ نَازِلًا فِي عَاقِبَتِهِ ، وَحَارِسًا مُهْجَتَهُ ؛ وَرَاغِبًا فِي حَقِّ دَمِهِ ، وَصِيَانَةً حُرْمَتِهِ ؛ وَلِيَعْرِجَ إِلَى الْفِتَاءِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُحْزَنُ ، وَالْكَفِّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعْزَنُ ؛ وَلَا يَجْعَلُ مُسَالِمَهُ بِالْعُبُودِ مَنَازِلًا ، وَمُوَاصِلَهُ بِالْخُذُودِ مَقَاطِعًا ؛ وَوَاهِبَهُ بِالْكَفْرِ سَالِيًا ، وَمَطْلَعِ النِّعَةِ بَضَائِعًا ؛ حَقَّقَهَا مَغْرِبًا ؛ وَقَدْ بَقِيَ فِي الْحَبْلِ تَمْسِكُ ، وَفِي الْأَمْرِ مُسْتَدْرِكُ ، لِأَنَّهُ يَهْبُ مِنْ رَقَبَتِهِ ، وَيُسْتَبَدَّلُ مِنْ لَفَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِلَقَاءِ حَضْرَتِهِ . ثُمَّ يَقُولُ : فَإِنْ كَانَ مَا جَاءَهُ قَدْ هَدَّ سُرْبَهُ ، وَكَدَّرَ شَرْبَهُ ، وَأَحْسَنَ فِي نَفْسِهِ سُوءَ الظَّنِّ ، وَأَخَافَهُ بَعْدَ الْأَمْنِ ؛ فَلْيَبْعَثْ رَسُولَهُ لِيَسْتَوْثِقَ وَيُعَاقِدَ ، وَيَتَوَكَّدَ وَيُعَاهِدَ ؛ فَإِذَا عَادَ إِلَيْهِ بِمَا يَمْلَأُ قُودَهُ أَمْنًا ، وَيُحْكِنُ عَلَيْهِ حِصْنًا ؛ سَارِعًا إِلَى أَمْتَالِ الْمَرَامِ ، وَجَرَى فِي الطَّاعَةِ عَلَى سَنَنِ الْمُتَقَادِمِ ؛ وَلَا يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمُدَافَعَةِ وَالْمُطَاوَلَةِ ، وَيَقْتَصِرْ عَلَى الْمُعَاقَبَةِ وَالْمُحَاطَلَةِ .

ثُمَّ يَقَالُ بَعْدَ هَذَا : وَقَدْ قَدَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابَهُ هَذَا إِلَيْكَ نَائِبًا عَنْهُ فِي اسْتِصْلَاحِكَ ، وَقَائِدًا يَقُودُكَ إِلَى طَرِيقِ نَجَاحِكَ ؛ قَبْلَ تَجْرِيدِ مَوَاضِيهِ ، وَالْحَاقِ مُسْتَأْنَفِهِ فِي الْحَرْبِ بِمَاضِيهِ ؛ وَخَبُولِهِ مُجَادِبِ الْأَعْيَنِ ، وَذَوَائِلِهِ مُثْبِرَةِ الْأَمْنَةِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَصْبُكَ فِي حُفْرِ دَارِكَ الَّتِي بَوَّأَتْهَا ، وَأَتْرَاعُ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَخْطَأَتْهَا ؛ لِنُفُوقِ مَرَارَةِ الْخَالِفَةِ ، وَتَرْكِهَا بِجَلَاوَةِ الْمَوَاقِفِ ؛ فَحُكِّنْ عَلَى نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ حَاسِمًا ، وَلَا تُحْكِنْ لَهَا ظَالِمًا ؛ وَنَحْوَ ذَلِكَ تَمَّا يَلِيْقُ بِهِ .

وَأِنْ كَانَتْ الْمَكْتُبَةُ إِلَى رَجُلٍ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ سَابِقَةٌ بِجَلْعِ الطَّاعَةِ ، ثُمَّ سَأَلَ الْإِقَالَةَ فَأُقِيلَ بَعْدَ مُشَارَفَةِ الْإِحَاطَةِ بِهِ وَالنَّكَايَةِ فِيهِ ، ثُمَّ رَاجَعَ الْعَصِيَانَ ؛ فَالْهَمُّ أَنْ تَقْتَضَعَ

بِحَمْدِ اللَّهِ جَاعِلِ الْعَاقِبَةِ لِلْبَتِّينِ ، وَالْعُدُوَانِ عَلَى الظَّالِمِينَ ؛ وَالْعِزَّةِ لِحُرِّهِ ، وَالنَّصْرَ لِحُرِّهِ ؛  
وَالْإِظْهَارَ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالنَّهْضَ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ؛ وَدَائِرَةَ السُّوءِ عَلَى الْخَالِعِينَ طَاعَةَ  
خَلْقَانِهِ ، الْقَائِمِينَ بِحُجَّتِهِ . ثُمَّ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا رَأَيْتَ تَقُولُهُ بِهِ مِنْ تَصْدِيقِ  
أَمَالِهِ ، وَتَوْفِيقِ أَفْئَالِهِ ؛ وَتَسْلِيدِ مَرَامِيهِ ، وَهَدَايَةِ مَسَاعِيهِ ؛ وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ ،  
وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ ، بِإِدَالَةِ مُوَالِيهِ ، وَإِذَالَةِ مُعَادِيهِ ؛ وَمَعُونَتِهِ عَلَى مَوَالَاهُ ، وَتَعِينِهِ  
مِنْ نَوَاهٍ ؛ وَيُسَالِهِ الصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ رَوَى بِمُقَدِّمَةِ تَمَلُّ عَلَى جَمِيلِ طَائِفَةِ الطَّاعَةِ ، وَذَمِّهِ مَقْبِلَةِ الْمَعْصِيَةِ ؛ يَسْطُرُ الْقَوْلَ  
طَبِيعًا ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهَا ، لِتَكُونَ فِرَاشًا لِمَا يَتْلُوها . ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا : وَإِنَّمَا يَجْعَلُ ذَلِكَ  
أَهْلُ الْفِرَازَةِ الَّذِينَ لَمْ يَلُوكُوا شَكَاكُمُ التَّجَارِبِ ، وَلَمْ يَمَارِسُوا ضَرَامِ التَّوَاتُبِ ؛  
وَأَنْتَ فَقَدْ تَذَوَّقْتَ مِنْ كِرَاهَةِ الْمَعْصِيَةِ وَمَرَارَتِهَا ، وَدُعُوبَةِ الطَّاعَةِ وَحِلَاوَتِهَا ؛  
مَا يَرْجُو أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَعَظَكَ وَأَدَبَكَ ، وَقَوَّمَكَ وَهَدَبَكَ ؛ وَكَشَفَ لَكَ  
عَنْ عَاقِبَتِهَا ، وَعَرَّفَكَ بِفَاتِتِهَا ؛ فَدَعَاكَ الطَّاعَةَ إِلَيْهَا بِمَا أَسْبَقَتْ طَلِكَ مِنْ رِبَاسِ  
شَرِّهَا وَبِجِدِّهَا ، وَاسْتَعَدَّتْ لَكَ مِنْ أَنْصَارٍ إِقْبَالَهَا وَسَعِيدِهَا ؛ وَنَهَتْكَ الْمَعْصِيَةَ عَنْهَا  
بِمَا بَلَّوَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا وَصَنَائِمِهَا ، وَجَرَّبَتْهُ مِنْ مَرَمِضِ مَرَامِيهَا وَمَوَاقِعِهَا ، لِأَنَّهُ أَقَلَّتْ  
عِنْدَكَ ، وَمَرَقَتْ مَطَرَكَ وَمُتَلَنَّتْ ؛ حَتَّى تَمَارَكَكَ مِنْ عَطْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَتَيْتَكَ  
بَعْدَ الْحَصْدِ ، وَرَأَيْتَكَ بَعْدَ الْحَصِّ ؛ وَأَتَيْتَنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْكَ حَتَيْتَ إِلَى أَتْبَاعِ  
الضَّلَالَةِ الَّذِينَ غَرُّوكَ ، وَمِلْتَ إِلَى أَشْيَاعِ الْفِتْنَةِ الَّذِينَ اسْتَهْوَوْكَ ؛ فَأَصْبَحْتَ إِلَى أَقْوَالِهِمْ  
أَتَى ظَاهِرُهَا يُصْبِحُ وَبَاطِنُهَا غَشٌّ ، وَأَرَائِهِمْ أَلَى مَوَارِدِهَا صَلَاحٌ وَمَصَادِرُهَا فُسَادٌ ؛  
وَمِلْتَ إِلَى مَعَاوِدَةِ الشَّقَاقِ وَالْأَكْرَنَكُاسِ فِي الْعِصْيَانِ ، وَمُقَابِلَةِ النُّعْمَى بِالْكُفْرَانِ ؛  
فَقَدَّمَ كِتَابَهُ إِلَيْكَ مَذْكُرًا ، وَمَنْعَكَ خُطَابَهُ مُعَذِّرًا مُنْذِرًا ؛ لِيَعْرِفَكَ حَقْلَكَ ، وَيَهْدِيكَ  
رُشْدَكَ [ وَيُذَكِّرَكَ ] عَلَى الْأَحْسَنِ لَكَ فِي مَبْدِكَ وَعَاقِبَتِكَ ، وَيُجَنِّدَكَ مِنْ مَرَاجَعَةِ

ما فارقتهم ، وأن تزلَّ عن المتلة التي رَفَّكَ إليها ، وتُجَلِّبَ رِبَاكَ من النعمة التي أَرَفَّكَ فيها ، وتُجَلِّبَ عن مِراجِ النِّعَةِ التي أَوْرَدَكَ عليها ؛ فانظر لنفسك حَسَنًا ، وَكُنْ إليها مُحْسِنًا ؛ وانتفع بمرشد أمير المؤمنين ، ولا تُفْسِدَنَّ بِخِلَافِكَ عَنْ أَمْرِهِ نَصِيحَتَكَ من الدُّنْيَا والدِّينِ ؛ فارْجِعْ إليه مُسْتَرْغِمًا فَإِنَّهُ يَقْتَدِي بِإِلَهِهِ فِي الرَّحْمَةِ لِلْحَسَنِ ، مادام مُؤَيَّدًا لِرَبِّ النِّعَةِ لَدَيْكَ ، وإِقْرَارِهَا عَلَيْكَ . فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

قال: وإن كانت المكتبة إلى رَجِيَّةٍ قد خرجت عن الطاعة كَتَبَ إليها بما مثاله :

أما يعلم ، وَتَقْصِمُ اللهَ طَاعَتِهِ ، وَتَصْمِمُكَ من معصيته ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُدِلُّ الْإِنْسَانَ بِغُرُورِهِ ، وَيَقِيمُ لَهُ الضَّلَالَةَ فِي صُورَةِ الْهُدَى يُهَيِّئُهُ وَزُورِهِ ؛ مُسْتَحْفَظًا لِطَائِفَةِ الْأَكْبَابِ ، وَمُسْتَرَلًّا لِلْأَقْدَامِ عَنْ مَوْقِفِ الصُّوَابِ ؛ مُحَسِّنًا بِكَيْدِهِ لاعتقاد الأباطيل ، مُزَيِّنًا بَعْدَ اتِّبَاعِ الْأَضَالِيلِ ، صَارِفًا بِمَكْرِهِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ؛ مُصَوِّرًا لِلْحَقِّ فِي صُورَةِ الْمُنَى ، مُغْطِيًا عَلَى الْقُلُوبِ بَشَافِيفِ الرِّينِ ؛ وَالْحَازِمُ الْيَقِظُ مِنْ تَحَرُّزٍ مِنْ أَشْرَاكِه وَجَبَائِلِهِ ، وَتَحْفَظُ مِنْ تَحَايِلِهِ وَغَوَائِلِهِ ؛ وَأَتَمُّهُمُ هُوَ أَجْسِدُ فِكْرِهِ ، وَأَسْتَرَابُ بَوَسَاوِسِ صَدْرِهِ ؛ وَعَرَضُ مَا يَعْزِضُ لَهُ عَلَى عَقْلِهِ . وَكَرَّرَ فِيهِ النَّظَرَ مُتَحَرِّزًا مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ وَخَتَلِهِ ؛ فَإِنَّ الْقَاهِ حَادِلًا عَنْ الْهَوَى ، مَائِلًا إِلَى التَّقْوَى ؛ بَرِيثًا مِنْ خُدْعِ الشَّيْطَانِ ، آمِنًا مِنْ حَوَادِ الْأَفْتِنَانِ ؛ أَمْضَاهُ وَاقِعًا بِسَلَامَةِ مَقْبَلَتِهِ وَطَاقِبَتِهِ ، وَمُتَمَوِّلًا الْأَمْنِ فِي أَوَّلِهِ وَأَخْرَاهُ .

وَأَتَتْهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبُ الشَّيْطَانِ لِلْعَبِيدِ اسْتَحْفَافَ أَحْلَامِ جَمَاعَةٍ مِنْ جُهَالِكُمْ ، وَاسْتَعْلَى عَلَى أَفْهَامِ حِدَّةٍ مِنْ أَرَادِكُمْ ؛ وَحَسَّنَ لَهُمْ شَقَّ عَصَا الْإِسْلَامِ ، وَمَعْصِيَةِ الْإِمَامِ ؛ وَمَفَارِقَةَ الْجَمَاعَةِ ، وَالْأَسْيَاحَ مِنَ الطَّاعَةِ ؛ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى الْجُمْهُورِ ، وَجَعَلَهَا نِظَامَ الْأُمُورِ ؛ فَقَالَ جَلَّ قَائِلًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ وَأَخْتَارَ الْفُرْقَةَ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا . فَقَالَ :

﴿ وَلَا تُكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ ﴾ وَعُجَابَةُ الْأَفْئَةِ  
التي صلحها في جلائل نِعْمَةٍ ، فقال مُتَتَابِعًا عَلَى عِبَادِهِ : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ وَسَوَّلَ لَهُمُ التَّعَرُّيَّ مِنْ آذَابِ  
الدين ، وَالتَّجَاهَرَةَ بِالْخِلَافِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَنَبَلُّوا مَا بَايَلِهِمْ مِنْ بَيْعَتِهِ ، وَسَلَبُوا  
مِنْ ظِلِّ دَعْوَتِهِ ؛ وَرَكِبُوا مِنْ ذَلِكَ أَوْعَرَ الْمَرَكَبِ ، وَسَلَكُوا أَخْشَنَ الْمَسَارِبِ ؛  
وَسَعَوْا فِي الْبِلَادِ بِالْقَسَادِ ؛ وَاقَامُوا فِي وَجْهِ الْحَقِّ بِالْعِتَادِ ؛ وَاسْتَحْضُوا بِحَسْلِ الْآثَامِ ،  
وَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى الدَّمَاءِ الْحَرَامِ ، وَشَنُّوا الْفَارَاتِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ .

وَقَدْ صَلَّيْتُ أَنْ مِنْ أَقْدَمِ عَلَى تَأْيِيدِ مِثْلِ هَذِهِ الْآثَارِ ، قَدْ اسْتَنْزَلَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مُخْطَفُ  
الْجَبَّارِ ، وَتَبَوَّأَ فِي الْآخِرَةِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ؛ وَجَرَى عَلَى غَيْرِ الْوَاجِبِ فِي إِقَامَةِ الْفُرُوضِ  
وَالصَّلَوَاتِ ، وَتَأْدِيَةِ الْعِبَادَاتِ وَالزَّكَّوَاتِ ، وَعَقْدِ الْعُقُودِ وَالْمُنَاحَاتِ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ  
الْأَحْوَالَ إِنَّمَا تُجَنَّبُ وَتُرْفَعُ ، وَتُجَابَ وَتُسَمَّعُ ؛ إِذَا تَوَلَّاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ مَنْ  
يَسْتَخْلِفُهُ مِنْ صَلَحاءِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَمَا إِذَا اسْتَبَدَّتُمْ فِيهَا بِأَنفُسِكُمْ ، وَأَقْدَفْتُمْ فِي نَادِيَتِهَا  
بِنَاكِيبٍ عَنْ سَبِيلِهِ ، مُجَانِبِينَ لِدَلِيلِهِ ؛ فَقَدْ كَسَحْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ ، وَتَطَايَعْتُمْ عَلَى الْجَهَالَةِ ؛  
وَكُلُّكُمْ رَاضٍ مِنْكُمْ بِبَلَاكِ ، حَاصِلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْإِمَامِ .

وَلَمَّا أَطَّلَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَاضِيَتِهِمْ إِلَيْهِ بِسُوءِ الْاِخْتِيَارِ ، وَرَكِبَتِهِمْ مِنْ مَرَائِبِ  
الْاِفْتِرَاقِ ؛ لَمْ يَرَأْ أَنْ يُفْلِكَمْ وَيَهْجُرْهُمْ ، وَخَفَلَ عَنْهُمْ وَلَا يُبَصِّرْهُمْ ؛ فَقَسَمَ مَكَابِدَهُمْ مُعْذِرًا  
مُنْذِرًا ، وَخَوْفًا مُخْذِرًا ؛ وَبَدَأَ بِمَوْعِظَةٍ مُشْفِقًا عَلَيْهِمْ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَمَوْعِظَةٍ نَدِيمٍ ؛  
وَجَازِبًا لَهُمْ عَنْ مَضَالِّ الْغَوَايَةِ ، إِلَى مَرَاشِدِ الْمَهْدَايَةِ ؛ وَأَقْتَحَمَ بِاللَّفْظِ الْأَحْسَنِ ،  
وَالْقَوْلِ الْأَمِينِ ؛ وَهَدَاكَ إِلَى السَّبِيلِ الْأَوْضَحِ ، وَالْمَعْجَرِ الْأَرَبِيِّ ؛ وَأَخْتَارَ أَنْ يَهْدِيَكُمْ  
اللَّهُ تَعَالَى إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ ، وَيَهْدِيَكُمْ عَلَى مَقَاصِدِ السَّدَادِ ؛ وَيُهْدِيَكُمْ إِلَى الْأَوَّلَى ،

وَيَسْتَكْمِلُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُنْتَهَى ؛ وَأَنْ تَعْرِفُوا الْحَقَّ فَتَعْتَصِمُوا فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ بَيْعَتِهِ ،  
وَتَقُومُوا بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ ؛ وَتَرْجِعُوا إِلَى إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا أَخْفَتْ عَلَيْهِ  
كَلِمَةُ إِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ ؛ وَتَتَّبِعُوا مَذَاهِبَ أَهْلِ السَّلَامَةِ ، وَأَوَّلَى الْأَسْتِقَامَةِ ؛ فَإِنْ وَقَعَ  
مَعَكُمْ أَلْقَاهُ إِلَيْكُمْ الْمَوْقِعَ الَّذِي قَدَّرَهُ فِيكُمْ ، وَسَأَلْتُمْ الْإِفَالََةَ ، فَالْتَوْبَةُ تَنْفَعُكُمْ ، وَالْعَفْوُ  
يَسْعَىكُمْ ؛ وَإِنْ تَمَادَيْتُمْ فِي فَيْكِكُمْ وَبَاطِلِكُمْ ، وَغُرُّو رِيكُمْ وَجَهْلِكُمْ ؛ هَمَلْتُمْ إِلَيْكُمْ جِيُوشَ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُقَوِّمَهُ ، وَمِنْ حُصْبَاتِكُمْ مُنْقِمَهُ ؛ وَذَلِكَ مَقَامٌ لَا يَتِمُّزُ فِيهِ الْبَرُّ مِنَ السَّقِيمِ ،  
وَلَا الْجَاهِلُ مِنَ الْعَلِيمِ ؛ أَلَا تَسْمَعُونَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَأَتَّخِذُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ؟ وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَشَدَّ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَمَعْصِيَةِ السُّلْطَانِ ؛ وَشَقِّ  
الْعَصَا ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَا ، وَإِفَارَةِ الدِّهْمَا ؟ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا ، وَتَأْمَلُوا وَارْجِعُوا ؛  
وَتَبَصَّرُوا وَاسْتَبْصَرُوا ؛ وَفَقِدُوا أَوْضَعَ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَجَّهَ ، وَبَدَأَكُمْ بِالْحُجَّةِ ؛ فَأَوْجِدُوهُ  
السَّبِيلَ إِلَى مَا يُنَوِّيه لَكُمْ وَلِكُلِّ أَهْلِ الْإِسْلَامِ : مِنْ حَقِّ الدِّمَاءِ ، وَصِيَانَةِ الْحَرَمِ ،  
وَتَحْصِينِ الْأَمْوَالِ ، وَشَوَلِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ؛ وَأَجِيبُوا عَنْ كِتَابِهِ هَذَا بِمَا يُؤَفِّقُكُمْ اللَّهُ  
تَعَالَى [إِلَيْهِ] : مِنْ إِبَاجَةِ دَعَائِهِ وَالْعَمَلِ بِرَأْيِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة ما كتب به عبد الحميد إلى بعض من تخرج عن الطاعة ، وهو :  
أما بعد : بلغني كتابك تذكر أنك تحمِلُ الْمُرَدَّ عَلَى الْجُرْدِ ؛ فَسَرِدَ عَلَيْكَ جَنُودُ اللَّهِ  
الْمُقَرَّبُونَ ، وَأَوْلِيَاؤُهُ الْغَالِبُونَ ؛ وَبَرِدَ عَلَيْكَ مَعَ ذَلِكَ حَزْبُهُ الْمُنْصَوَّرُ مِنَ الْكُهُولِ ، عَلَى  
الْفَحُولِ ؛ كَأَنَّهَا الْوُحُولُ ، تَخْضُضُ الْوُحُولَ ؛ طَوَالَ السَّبَالِ ، تَخْضِبُ بِالْجُرْيَالِ ، رِجَالُ  
هَمِ الرِّجَالِ ؛ بَيْنَ رَاغٍ وَنَاشِبٍ ، لَيْسَ مَعَهُمْ إِلَّا كَلْبٌ عَارِبٌ ؛ وَلَا يَنْتَكِلُونَ عَلَى الْأَصْحَابِ .  
قَدْ ضَرُّوا بِضَرْبِ الْهَامِ ، وَاعْتَدُوا الْكَثْرَ وَالْإِهْدَامَ ، لَيْسُوا بِزَوَى هَيْئَةٍ وَلَا إِجْمَامِ ؛  
يَقْبُضُونَ بِالسُّيُوفِ ، وَيَخَالِطُونَ الرُّحُوفَ ، فِي أَعْتَمِ الْخُتُوفِ ؛ يَزَارُونَ زَيْغِيرَ الْأَسُودِ ،

وَيَكُونُ وَتُوبَ الْفُؤُودِ؛ لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا شَاكٌ مُحْتَكِكٌ، فِي الْحَرْبِ مُجَرَّبٌ، قَدْ شَرِبَ عَلَى تَأْجِذِ الْحَرْبِ وَأَكَلَ، ذَوْ شَفِيقَةٍ وَكُلَّ كُلٍّ، كَأَمَّا أَثِيرَبَ وَجْهَهُ قَبِيعَ الْحَيَاءِ؛ قَدْ رَمَحَ الْحَرْبَ وَرَضَعَهَا، وَقَذَّاهُ وَالْفَهَا؛ فَهِيَ أُمُّهُ وَهُوَ ابْنُهَا، يَسْكُنُ إِلَيْهَا وَيَأْتِسُ بِقُرْبِهَا؛ فَهُوَ بَطْلُهَا أَرَبٌ، وَعَلَى أَهْلِهَا حَرْبٌ لَا يَرُومُهُ مَا يَرُوعُ، وَلَا يَزِفُّهُ مَا يَزِفُّ الْغَمَرُ الْجَبَانَ؛ حِينَ يَسْتَدُّ الْوَفَى، وَتَخْطُرُ الْقَتَا؛ وَتُقَلِّصُ الشَّقَاءَ، وَتُسْفِرُ الْكَمَاءَ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ تُسَالِمُكَ الْمُرْدُ، وَتُكْشِفُ عَنِ الْجُرْدِ. فَتَاهِبُ لِنَاكَ أَهْبَتِكَ، وَأَخْطَبُ لَهُ خِطْبَتِكَ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْحَوَاكِي؛ ثُمَّ كَيْتُونِي جَمِيعًا فَلَا تُنْظِرُونَ؛ فَمَا أَسْرَأَ لِكُتَارِكَ الْجَمُوعِ، وَحَشْدِكَ الْخَطِيعِ؛ فَإِنَّكَ لَا تُكْشِفُ جَمْعًا، وَلَا تُسَرِّبُ خَيْلًا، إِلَّا وَقَفْنَا بِأَنْ سَمِعْنَا أَنَّكَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَيَزِيدُنَا مِنْ نَصْرِهِ؛ بِمَا قَدْ جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ، وَسَلَفَتْ بِهِ عَادَتُهُ؛ وَنَحْنُ نَجْرِي مِنْ ذَلِكَ عَلَى نَقَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَنِكَالٍ وَسَطَوَاتٍ مُهْلِكَةٍ؛ فَرَأَيْتُمْ ذَلِكَ فِي الْمَنَازِلِ، وَصَرَفْتُمُوهُ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَجْمَعُهَا الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ؛ فَأَتَيْنَا بِمَا سَأَلَكُمُ جَهْرًا، وَمَشَّاكَ تَقَادُ كَمَا يَقَادُ الْجَمَلُ الْمُخْشَوْشُ .



وَمِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ الْمَكْتُبَةِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا كَتَبَ بِهِ قِيَامُ الدِّينِ (يَحْيَى بْنُ زِيَادَةَ) وَزَيْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْخَلِيفَةِ بَيْقَدَادَ إِلَى (طُغْرُل) مُقَطِّعِ الْبَصَرَةِ بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ تَزَجَّحَ ضَمًّا، قَاصِدًا بَعْضَ الْأَطْرَافِ، مَفَارِقًا لِعَلَاةِ الْخَلِيفَةِ، عِنْدَ مَا طَلِبَ مِنْ دِيَوَانِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ، فَأَوْجِبَ ذَلِكَ آتِنَاءَهُ عَنْ عَزْمِهِ وَتَوَجُّهُهُ إِلَى بَقَدَادَ دَاخِلًا تَحْتَ الطَّامَةِ، وَمُقَابَلَتَهُ بِالصَّفْحِ وَتَلْقِيهِ بِالْقَبُولِ . وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

أَصْدَرْتُ هَذِهِ الْخُلْعَةَ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ، الْأَمِيرِ، الْأَسْفَهْ سَلَارِي، الْأَجَلِّ، الْكَبِيرِ، السَّيِّدِ، الْعِمَادِيِّ، الرَّحْمَنِ، الظَّهِيرِيِّ، الْمُحْتَرَمِ، الْعَزِيِّ، الْجَلَالِيِّ، أَمِيرِ الْجَيْشِ، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، وَأَدَامَ عُلُوَّهُ وَنِعْمَتَهُ؛ وَأَنَا أَوْعِ الْأَقْوَالِ التَّوَاتُرَ،

والأموال المتناصرة، مُستَغْرَباً لها، مُتَجَبِّهاً منها، كَأَنِّي أَسْمَعُها في المنام، وتَخاطُبُنِي بها أَصْنَاتُ أَحْلَامٍ؛ فَوَلَا أَنِ الأَيَّامَ مَحَايِفُ الْعَجَائِبِ، وَلَا يَأْنِسُ بِمُتَجَلِّدَاتِهَا إِلَّا مَنْ حَنَنْتُهُ التَّجَارِبُ؛ لَمْ أَصْدَقْ هَذِهِ الْحَرَكَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْهُ بِسَعَادَتِهِ؛ فَإِنِّي مَا أَرَاهَا إِلَّا صَفْرَةً مِنْ جَوَادٍ، وَعَوْرَةً عَلَى كَمَلِهِ؛ وَإِلَّا فَمَنْ أَنَّى يَدْخُلُ الزَّلْزَلُ عَلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ السَّيِّدِ، وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ، وَالْفِكْرِ الصَّائِبِ؟ الَّذِي يُعَلِّمُ الْآرَاءَ كَيْفَ تُشِيرُ، وَيُعَرِّفُ النُّجُومَ كَيْفَ تُسِيرُ، وَيَهْدِي غَيْرَهُ فِي الْمُسْكَلَاتِ إِلَى صَوَابِ التَّدِيرِ. وَالْفَائِئُ لَا كَلَامَ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّ الْعَقْلَ يَقْضِي بِأَسْتِدْرَاكِ الْمُمْكِنِ وَتَلَاْفِيهِ؛ بِالْإِنْحِرَافِ عَنِ الْهَوَى إِلَى الرَّأْيِ الصَّادِقِ، وَالرُّجُوعِ عَنِ تَأْوِيلِ النَّفْسِ إِلَى مَرَاجَعَةِ الْفِكْرِ النَّاسِجِ؛ فَالْعَوْدُ إِلَى الْحَقِّ أَوَّلَى مِنَ التَّمَادَى عَلَى الْبَاطِلِ، وَأَحَبُّ أَنْ تَسْمَعَ مَا أَقُولُ بِأُذُنٍ وَاعِيَةٍ وَقَلْبٍ حَاضِرٍ؛ وَحُوشِي أَنْ تَسْتَدْفِعَهُ الْكَوَاذِبُ عَنْ تَدَبُّرِ الْحَقَائِقِ، وَعِرْفَانِ الصَّالِحِ؛ فَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ مَا بُرْهَانُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَاهِدٍ مِنْ غَيْرِهِ .

قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ: مَا الَّذِي أَحْجَجَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الْقَبِيحَةِ السُّمَمَةِ، وَرُكُوبِ الْخَطَرِ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ، وَأَحْتِمَالِ هَذِهِ الْمَشَاقِّ، وَالْإِنْخِرَافِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدْعُوَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ؟ هَلْ هُوَ إِلَّا شَيْءٌ بَرَّتِ الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ، وَبِمَطَالَبَةِ دِيَوَانِهِ بِمَا كَانَ يَنْدَفِعُ الْأَمْرَ بِبَعْضِهِ؟ كَمَا بَرَّتِ عَادَةُ الدَّوَاوِينَ، وَخَلَّمَ السُّلَاطِينَ؛ ثُمَّ إِنَّهُ عَمِدَ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - بِأَوَّلِ خَاطِرِهِ، وَبَادَى رَأْيَهُ فِي هَذِهِ السَّجَلَةِ، مِنْ غَيْرِ تَهْتُّ وَلَا رَوِيَّةٍ . لَمْ لَا رَاجِعَ فِكْرُهُ الْكَرِيمَ، وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: إِلَى أَيْنَ أَمْضِي؟ وَلِمَنْ أَخْتُمُ؟ وَعَلَى أَيْ بَابٍ أَقِفُ؟ وَتَحْتَ أَيْ لَوَايَ أُسِيرُ؟ وَبِأَيِّ حُسْبَايَ أَكْتَمِلُ؟ وَفَضَّلَ مَنْ أَطْلُبُ؟ وَعَلَى حُكْمٍ مَنْ أَنْزِلُ؟ بَعْدَ أَنْ رُيِّئْتُ فِي عَرَصَةِ الْخِلَافَةِ، وَدَارِ النُّبُوَّةِ، وَحِضْنِ الْمَمْلَكَةِ؛ أَتَشَاقِي نَعِيمَهَا صَغِيرًا، وَقَلَمْنِي كَبِيرًا؛ وَكُنْتُ مَأمُورًا بِفِعْلِي أَمِيرًا، وَطَارَ صَبِيحِي فِي الدُّنْيَا وَلَمْ أَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا؛ فَأَنَا خَيْرٌ مِنْ مَلِكٍ أَقْصَدَهُ، وَأَمْتَلُ مِنْ كُلِّ



مَنْ أَرْجُوهُوَ اسْتَجَبْهُ؛ أَفَأَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْخَضِيضِ، وَأَهْدِمُ مَا بَقِيَ الْإِنْعَامِ عِنْدِي فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ الْعَرِيزِ؟ ! هَذَا هُوَ الْمَكْرُوهُ الْأَعْظَمُ، الَّذِي تَعَوَّدَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حِينَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ» وَمَنْ يَكُونُ حَضِيضِينَ خِلَافَةً كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ تَابِعَ إِمَارَةٍ؟ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا هِجَمَ عَلَيْهِ إِلَّا هَذَا لَكُنْتُ. ثُمَّ لَمْ يَلْتَمِصْ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، الَّتِي صَحِيحَتُهَا بَوَاقُهَا، وَيَسْمَعُ خَطَابَهَا بِلسَانِ حَالِهَا ثُمَّ؟ يَقُولُ لَهُ: يَا عِمَادَ الدِّينِ! أَمَّا هَذِهِ خِيَامُ الْإِنْعَامِ عَلَيْكَ؟ أَمَّا هَذِهِ الْخَبْلُ الْمُسَوَّمَةُ تَحْتَكَ؟ أَمَّا هَذِهِ مَلَابِسُهُ الْفَانِعَةُ مُقَاضَةً عَلَيْكَ؟ أَمَّا هَذِهِ مَالِكُهُ حَافَّةٌ بِكَ؟ أَلَيْسَ الْأَصْطِنَاعُ رَفَعَ قَدْرَكَ إِلَى الْمَتَرَةِ الَّتِي تَقُلُّ عَلَيْكَ بَعْضُ الْأَخْطَاطِ عَنْهَا، وَوَهَبَ لَكَ الْهَمَّةَ الَّتِي آيَتِ الضَّمِيمُ بِهَا؟ فَخُوشِيَتْ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ تَوَارَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ فَلَهَا، وَتَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ فَضَمَفَ عَنْ حَمَلِهَا؛ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! مَاذَا يَكُونُ جَوَابُهَا؟ وَاللَّهِ إِنِّي أَقُولُ لَهُ بِسَعَادَتِهِ وَلَا أُعَقِّبُ: وَلَوْ أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - وَقَوَّعَ كُلُّ مَحْذُورٍ، وَحُلُولُ كُلِّ مَكْرُوهٍ؛ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ مَعْنُورًا، فَكَيْفَ يَنْقُضُ مُرَاجِمٌ، وَقَوْلُ مُسَوِّفٍ مُتَوَهِّمٌ؛ وَرَأْيِي قَطْعِيٌّ غَيْرُ مُخْتِمٍ. وَلَقَدْ كَانَ أَسْتَسْلِمُهُ لِمَالِكِ الرَّقِّ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْمَدَ فِي الْعُقْبَى؛ وَأَقَامَا ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِ حَيْثُ وَقَعَ. وَالْآنَ فَالْوَقْتُ ضَاقَ فِي إِبْدَارِ هَذِهِ الْمَكْتُبَةِ، عَنْ أَسْتَقْصَاءِ السَّابِّ وَالْمُحَاقَقَةِ؛ وَلِإِيرَادِ كُلِّ مَا تَنَزَّمُ بِهِ الْجُمُوعُ، لِكُنِّي أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْجُمْلَةِ:

إِنِّي أَخَافُ عَلَى سَدِيدِ ذَلِكَ الرَّأْيِ إِمَابَةَ دَاعِي الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَبَّاحَ مِنْ أَوْسَعِ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَخُوشِي كِبَالَهُ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ.

وَالثَّانِي أَسْتَشْعَارُهُ بِسَعَادَتِهِ مِنْ بَادِرِيهِ، وَأَسْتِيحَاثُهُ مِنْ تَحْقِيقِهِ؛ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَدْنَى مَكَائِدِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، فَإِنَّهَا تَوَكَّنُ مِنَ الْخُشُوفِ، وَتُخَوِّفُ مِنَ الْمَأْمُونِ،

وَسَحَرُ الْعَقْلِ بِالتَّحْيِيرِ وَالشَّكِّ ، فَلَا تَصِحُّ لَهُ عَزِيمَةٌ ، وَلَا تَصِفُوهُ لَهُ فِكْرُهُ ؛ وَهَذَا التَّوَعُّدُ إِذَا عَرَّضَ فِي الصَّدْرِ يَجِبُ دَفْعُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْحَقِّ وَشِجَاعَةِ الْقَلْبِ ، وَالْإِخْلَادِ إِلَى مُنَاطَرَةِ النَّفْسِ ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ ، وَالزَّلَلُ فِي الرَّأْيِ لَيْسَ مِنْ أَوْصَافِ الْجَمَادِ ، بَلْ مِنْ الْأَوْصَافِ الْأَلْزِمَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ ؛ وَلَيْسَ الْكَيْلَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ .

فَإِذَا عَرَّضَ لَهُ بِسَعَادَتِهِ هَذَا الْاِسْتِشْعَارَ ، فَيُدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ ؛ فَلَيْسَ سُلْطَانُ الْوَسْوَاسِ الْخَفِيِّ ، إِلَّا فِي صُدُورِ النَّاسِ ؛ فَهَذَا لَا يَنْبَغِي لِمُدْنِيٍّ أَنْ يَقْنَطَ ، وَلَا لِمُسْمِيٍّ أَنْ يَسْتَوْحِشَ ؛ لَا سِيَّمَا إِذَا اتَّبَعَ الذَّنْبَ بِالْاِسْتِغْنَاءِ وَالْاِسْتِغْفَارِ ، وَالْاِعْتِدَارِ وَالْإِقْلَاعِ ؛ وَعَلَى الْاِخْتِصَاصِ إِذَا كَانَتْ الْاِخْلَاءُ عَنْهُ مِنْ لَا يَتَعَاطَلُهُ عَفْوَهَا ، وَلَا يَضِيقُ حِلْمُهُ عَنْهَا ؛ فَإِنَّ كُلَّ كَبِيرَةٍ تُوجِبُ الْخُفَاةَ ، تَفَرَّقُ فِي بَحْرِ عَفْوِ الْاِخْلَاءِ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَقَرَّرَ بِسَعَادَتِهِ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، وَيُخْرِجَ سُوءَ الظَّنِّ وَالْاِسْتِشْعَارَ مِنْ خِيَالِهِ ؛ فَإِنَّ مِثْلَهُ مِنْ خُلَصَانِ الْمَالِكِ لَا يُسَمَحُ بِهِ ، وَلَا يُسَغَّبُ عَلَيْهِ عِنْدَ هَفْوَةٍ بِادْرَةِ .

وَالثَّالِثُ الْاِقْتِبَاضُ وَالْحَيَاءُ . فَانَّهُ رُبَّمَا يَقُولُ فِي نَفْسِهِ : بَأَى وَجْهِ أَلْيَ مَوْلَايَ ؟ وَبَأَى عَيْنِ أَبْصَرِ مَوَاطِنِ الدَّارِ الْعَزِيزَةِ ؟ رَأَيْتِي وَأَنْشَأَنِي ! . وَهَذَا أَيْضًا لَا يَصْلُحُ خُطُوبُهُ بِيَالِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، فَإِنَّهُ مِنْ ضَعْفِ النَّجِيَّةِ ، وَالْمَلِيلِ مَعَ خَوَاصِجِ الطُّغْيَانِ ، مِنْ نَصَاحِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ لِيَتَّبَعُ زَلَّةَ الْقَدَمِ بِالنِّتَمِ وَالْاِعْتِدَارِ ، لَا التَّهَوُّكُ فِي الْمَجَاجِ وَالْإِصْرَارِ . فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِنَحِيبِصٍ مِنْ خَوَاصِهِ ، عَصَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ :

« بَأَى عَيْنٍ تَلْقَانِي وَقَدْ عَصَيْتَ أَمْرِي ؟ » فَقَالَ : « بِالْعَيْنِ الَّتِي أَلْيَ بِهَا رَبِّي فِي الصَّلَاةِ الْاِتِّكِنِ ، وَهُوَ سَبْعَانُهُ رَأَى عَلَى فَوَاصِحِ الْمَعَاصِي » . وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ سَبْعَانَهُ عَلَى مَنْ أَذْنَبَ ثُمَّ تَابَ ، وَشَرَدَ عَنْ طَاعَتِهِ ثُمَّ أَتَابَ . وَبِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَجْرِي مَا يَقْتَضِي قُرْطُ الْاِسْتِشْعَارِ . هَلْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ خَافَ بِادْرَةَ مَوْلَاهُ ، فَتَنَحَّى مِنْ مَكَانِهِ إِلَى أَنْ يَطِيفَ

عليه برحمته؟ وليس هذا ببديع، ولا من الصفح ببيد، على أنه بسعادته لو أنصف من نفسه لما استشعر. فكم أخرجت الخزائن الشريفة عليه من الأموال حتى نبت عرقه، وأورق غصنه، وكبر شأنه، وجمع ضمان البصرة عشر معشار ذلك.

والراجح إصفاؤه - والعياذ بالله - إلى قول من لا ينصح به، ونفيه ولا يرشده؛ ويتقرب إليه بتبابعة هواه. وهذا ما لا ينبغي عن لمة الناقد، ولا يحتاج في الإعراض عنه إلى باحث؛ فقدما قيل: «صديقك من نكاه، وصديقك من أغراك» والله تعالى يوفقه لتحقيقه النظر في هذه الأقسام الأربعة، التي أحلها عليه، وأحذر منها؛ ويسره اليسر.

وبعد ذلك فإنا أنصفه من نفسي، وأقول الحق: إن نفساً رباً خليفة الله في أرضه - صلوات الله عليه وسلامه - بإنعامه، وأحل همتها باختصاصه، وشرفها بتسبب عبوديته، لا تختمل الهوان، ولا تحر على الاعتدال؛ فغالب ظني أن نفوره بسعادته إنما هو من ديوان الزمان المعمور. والآن فإنا وهو بسعادته عبدان، ولكي أتفرد عنه بالسني والتجريب؛ وطريقتي هو بسعادته يعرفها، وإنني لأدبر عن أحد نصحا. فالصواب أن يقبل قولي، ويتحقق صحة مقصدي في نصيحته ومقصدته، فإني أوجب ذلك له على نفسي، وأراه من واجبات خدام مالك الرقي - صلوات الله عليه وسلامه - أيضا.

وقد علم الله تعالى أني قد أوصفت من عذره، وأحسن المتأب عنه بسعادته، مالم يحضره وتولاه بنفسه لما زاد عليه؛ ورأيت الإنعام يستغني عن كل شرط ولا يحتاج إليه، وتقررت قاعدته بسعادته أن لا يكون له مع ديوان الزمان المعمور حديث، ولا مع غيره ممن لا يعرف حقه، ولا يوفيه من الاحترام وأجبه؛ فإن أمر

أَنْ أَتَوَّلِيَّ وَسَاطَتَهُ فَأَنَا أَعْتَمِدُ ذَلِكَ فِي مَرَاضِيهِ، وَتَمَثُّبَةِ أَمْرِهِ أَكْثَرِيًّا فِي نَفْسِهِ .  
وإن أختار بسعادته أَنْ يَكُونَ غَيْرِي وَسِيطَهُ وَسَفِيرَهُ ، فَيُعِينُ مَنْ يَخْتَارُهُ : لِيَكُونَ  
حديثه معه . وقد أسلفتُ من وظائف إحسان المَنَابِ أُنْثَى تَجَزَّتْ لَهُ بِسَعَادَتِهِ أَمَانًا  
مُتَوَجِّجًا بِالْقَلَمِ الْأَشْرَفِ الْمُقَدَّسِ ، عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَمَالِهِ وَأَوْلَادِهِ وَالْأَمَانِ الْمَذْكُورِ  
عَلَى كِتَابِي هَذَا - مَقْرُوءًا بِخَاتَمِ أَمَانٍ ثَانٍ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ بِسَعَادَتِهِ جَوَابَ  
ذَلِكَ . إِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ إِلَّا هُوَ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ ؛ فَلَا يَشْعُرُهُ أَحَدٌ  
إِلَّا وَهُوَ مُقَابِلُ السَّاجِدِ الشَّرِيفِ ، مُلْقِيًا نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكِهَا الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ لَهَا ،  
وَالْأَلْفُ بِهَا ، وَأَشْفَقُ عَلَيْهَا مِنْهَا ؛ تَالِيًا مَا حَكَاهُ الْقُرْءَانُ الْحَمِيدُ عَنْ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،  
إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْطُومٌ : ( سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) فَإِنَّهُ يَرَى -  
بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ - كُلَّ مَا يُجِبُّ ، وَيَأْمَنُ كُلَّ مَا يَحْذَرُ . وَأَنَا أَسْتَسْرِعُ وَصُولَهُ  
عَنْ أَسْتِعْرَاضِ مُهَيِّئِهِ ، وَلِرَأْيِهِ كَرَمُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : فَإِنْ أَتَقَبَّحَتِ الْمَكْتَابَةُ فِي مَعْنَى ذَلِكَ فِي زَمَانِنَا ، رَاعَى الْكَاتِبُ فِيهِ صُورَةَ  
الْحَالِ ، وَجَرَى فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يَلَاحِظُ حَالَهُ ، وَيُنَاسِبُ مَا هُوَ فِيهِ ؛ مَعَ النَّظَرِ فِي كَلَامِ  
مَنْ سَبَقَهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَالنَّسْجِ عَلَى مَنَوَالِ الْحَمِيدِ ، وَالْاِقْتِدَاءِ بِالْمُحْسِنِ فِي إِبْرَادِهِ  
وإصداره .

### الصَّنْفُ السَّابِعُ

( الْكُتُبُ فِي الْفَتْوحَاتِ وَالظُّفَيْرِ بِإِعْدَادِ النَّبُولَةِ وَأَعْدَادِ الْمِلَّةِ ،  
وَأَسْتِرْجَاعِ الْمَاعِلِ وَالْحَصُونِ ، وَالْأَسْتِيلَاءِ عَلَى الْمُدُنِ )  
وَأَصْلُهَا مِنْ تَفْتِاحِ الْأَهْصَالِ وَدُخُولِ الْأَبْوَابِ . كَأَنَّ الْمَدِينَةَ أَوْ الْحِصْنَ كَانَ مُقْفَلًا  
مُتَمَتِّعًا بِالْأَفْلاَقِ عَلَى قَاصِدِهِ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ فَيَدْخُلُ .

قال في "مواد اليانف" : وهو من أعظم المكتابات خطراً ، وأجلها قدراً ؛ لا شتمال أغراضها على إنجاز وعد الله تعالى الذي وعد به أهل الطاعة في إظهار دينهم على كل دين ، وتوفير حفظهم من التأييد والتمكين ، وما يتو فيها من الأساليب المختلفة التي يشتمل هذا القانون عليها .

قال : والكتاب يحتاج إلى تصرف فكره فيها ، وتهذيب معانيها : لأنها تُثلى من فوق المنابر على أسماع السامعين ، ويُجمل نصب عيون المتصفيين .

ثم قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله الموقر الحليم ، الفوق الرحيم ، العليم الحكيم ، دى البرهان المبين والفضل الحليم ، والقوة المتين والغاب الأليم ، مُبِيد الظالمين ، ومُبِير القاسطين ، ومؤيد العادلين ، وجاعل العاقبة للمتقين ، المُبْلِ إِمهالاً وإنذاراً ، والمُعاقب تنبيهاً وإذكاراً ، الذي لا يُغنى منه مهرب ، ولا يبعد عليه معقلب ، وكيف يتصم منه وهو أقرب من حبل الوريد ، وله على كل لا يظفر رقيب وعييد ؟ . والصلاة على رسوله الأمين ، الذي ختم به النبيين ، وفضله على المرسلين ، وأيده بأوليائه الثائنين ، الذين قاموا في نصرتيه ، وإعزاز رأيتيه ، المقام الذي قازوا فيه بالفضل ، فاستولوا به على قصبات الفضل ، فشرَكهم معه في الوصف والثناء ، فقال جل قائل : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ .

ثم يؤتى بمقدمة تشتمل على التعلل بنعمة الله في تعهد العزائم لنصرتيه ، وشيبت الإقدام في لقاء عدوه ومجاهدته ، والجازة وعده في الإعزاز والإظهار ، والظفر والإظهار ، والاستبشار بموقع النجعة في الفتح الحليل ، والإشادة بإبقاء هذا الأمر الحبيب . ثم يفيض بما جرت العادة به في مقاربة العدو ومدااته ، وبث الطلائع لتنفيذ السرايا في مبادئ ملاقاته ، وما أفضى إليه الأمر في التقابل

والمؤاتبة ، والواشع في المطاوعة والمضاربة ؛ وذكر مواقف الشجعان في الكفاح والمجاهدة ، والذب والمجالد ، وشيوت الأقدام ، والجود بالنفوس ، واشتداد الأيدي ؛ وقوة الشكايم ، واستصحاب العزائم ؛ وتضخيم أمر العدو ؛ بوصفه بكثرة الرجال والأجناد ، والقوة والاستعداد ؛ لأن توقع الظفر من هذه صفته أعظم خطراً ، وأوقع في النفوس أثراً .

ثم يذكر ما جال بين الفريقين من قراع ومصاع ، ومضاربة ودفاع ، ومصارلة ومناضلة ، ومناهضة ومكافهة ؛ وحماية ومناكفة ، وثبات ومصافهة ؛ ومقاومة وموافهة ، ومخادعة ومطامعة ؛ وينمت المواقب والكائب ، والخيول والأسليحة ؛ والجرحى والمجذلين ، والأسرى والمقتلين . واستعمال التشبيهات الفائقة ، والاستعارات الرائقة ؛ وإرداف المعاني في الإبانة عن لعمري أسنة الذوايل ، وبرقي صفحات المناصير ؛ وإعمال المقاصل في التعميم ، وظهور نجوم السيوف من ليل الحرب في دياجي الظلم ؛ وينمت الدماء المنبثثة من الجراح ، على متون الزماح والصفاح .

ويذكر ما أظهره الله تعالى : من تكامل النصر ودلائل الظفر ، وما أنجحت عنه الحرب : من قتل من قُتل وأسر من أسر ، وهزيمة من هُزم ؛ وما فاز به الرجال من الأسلاب والأموال ، والبواب والرجال ؛ وما جرت عليه الحال من أنفلال العدو عند المقاتلة ، وأمر العدو إن أسر ، أو احتصامه بمقيل لا يمحضه ، أو امتناعه بمحيث يحتاج إلى منازلة باستزاله قسراً ، أو حيازة المقل الذي كان بيده ، وما أجمد فيه : من حسن السيرة ، وتخفيف الوطأة عن الرعية وحتم أسباب الفتنة ؛ أو رغبته في المسالمة ، ومؤالاه في الهدأته ؛ تخويف أغلله ، وهلع أحلله ؛ وما تردد من رسائل ، وتقرر من شروط وعقود ؛ وإنفاذ الأمر في ذلك كما أوجبه الحزم ، واقتضاه صواب الرأي .

وإن كان السلم قد وقع، والتنازع قد أرفع، ذكر آتفاق الحزبين<sup>(١)</sup>، واتحاد الكل، ويؤول النعمة.

وإن كان لم يصبه إلى المهادنة، حذرًا من المكر والمخادعة، ذكر ما مر في ذلك من رأي وتقرير، وتسلية وتقرير.

وإن كان طلب المهادنة ليبدد فسخة المثل فيكثر عدده، ويضم عدده، ويغير حاله، فأطلع منه على ذلك، قبادره مقللاً لكيده ومكره، مديقه له وبأل أمره، شرح الحال على نصها وما انتهى إليه آخرها.

قال : وقد يقع من هذه الأمور مالا يحسب، وسيل جميعه هذا السبيل.

ثم قال : ويهتم الكاتب بحمد الله القاضي لأوليائه بالإداله، ولأعدائه بالإذاله، الذي يستدرج عليه إمهالا، ولا يلقى العادل عن حكمة إمهالا، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

وقد تقدم في الكلام على مقدمة المكاتبات في أوائل المقالة الرابعة من الكتاب، أن هذه الكتب مما يجب بسطها والإطناب فيها، وأن ما وقع في كتاب المهلب ابن أبي صفرة، من كتابه إلى الجراح في فتح الأزارقة من الخوارج، على عظم الفتح وبعد صيته، على سبيل الإيجاز والاختصار، حيث قال فيه :

أما بعد، فالحمد لله الذي لا تقطع مواد نعيمه عن خلقه حتى تقطع منهم مواد الشكر. وإنا صدقناكم على حال يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا، ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم، ولم يزل الله جل ثناؤه يزيدنا وينقصهم، ويعزنا ويذلهم، ويؤيدنا ويخذلهم، ويحصننا ويحقهم، حتى بلغ الكتاب أجله. (تقطع دابر القوم الذين

(١) في الاصل "آتفاق الحزبين" وهو غير مناسب.

ظَلَمُوا وَاتَّخَذُوا لِرَبِّ السَّالِكِينَ ﴿ فَإِنَّمَا سَلَكَ فِيهِ سَبِيلَ الْإِنْحِازِ، لكونه من التابع إلى المتبوع ؛ إذ انْحِازُ كان هو القائم بأمر العراق وما وآلاه لعبد الملك بن مروان، على شدة سَطَوِيَّتِهِ، وما كان عليه من قوة الشَّكِيمَةِ وَشِدَّةِ الْبَاسِ؛ مع كون الأدب في مكتبة المرموس الرئيس الإثنيان بقليل اللفظ الدال على المَقْصِدِ؛ حتى لا يكون فيه شغلٌ للرئيس بطول الكلام وبسط القول، على ما هُتِمَ بيانه في موضعه .

وألم أن الكتابة في فوحات بلاد الكُفْرِ وَمَعَاظِلِهِمِ وَالْأَسْتِيْلَاءِ على بلاد البَقَاةِ تَكَادُّ أَنْ تكون في الكتابة على تَسْقِيٍّ واحدٍ ؛ إِلَّا أَنْ جَعَلَ الْكَاتِبُ في فوحات بلاد الكُفْرِ أَوْسَعَ، من حيث عِرْزَةُ الْإِسْلَامِ على الكُفْرِ، وظهورُ دينِهِ على سائر الأديان .

وهذه نسخة كتاب بفتح قَته الخليفة وطاد منه ، وهي :

الحمد لله مُدِيلِ الْحَقِّ وَمُنِيرِهِ ، وَمُذِلِّ الْبَاطِلِ وَمُيَبِّرِهِ ؛ مُؤَيِّدِ الْإِسْلَامِ بِبَاهِرِ الْإِنْحِازِ، وَمُثَمِّمِ رُصْدِهِ في الإظهار بوشيك الإنجاز ؛ وَأَتَمِّدُ كُلَّ دِينٍ وَأَعْلَاهُ ، وَزَفَضُ كُلَّ شَرٍّ وَأَجْتَبَاهُ ؛ وَجَعَلَهُ نُورَهُ الْأَلَمِ ، وَظِلَّهُ الْمَسَاعِ ؛ وَأَبْتَعَتْ بِهِ السَّرَاجَ الْمُتَبِّرَ، وَالْبَشِيرَ النَّذِيرَ ؛ فَأَوْضَعَ مَتَابِجَهُ ، وَبَيَّنَّ مَذَارِجَهُ ؛ وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَفَصَّلَ أَحْكَامَهُ ؛ وَسَنَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَاهُ ، وَبَيَّنَّ خَاصَّهُ وَطَامَهُ ؛ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَصَّنَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِعَصَمِ دِينِهِ ؛ وَشَرَّفَ فِي نَصَرِهِ مُجَاهِدًا مَنْ نَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَعَنَّدَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَّدَ الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَافَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسِرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غِيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَتَمَّلَتْ خَيْلُ اللَّهِ بِقِبَالِ الْهَامِ .

(١) له زائد من قلم التابع .

(٢) يؤيد ماورد هنا التصحيح الذي أوردها بهامش (١) من (ج ٦ ص ٤٤٠) من هذا المطبع طبراج هناك .

(٣) يؤيد ماورد هنا أيضا التصحيح الذي أوردها بهامش (٢) من (ج ٦ ص ٤٤٠) .



يحمده أمير المؤمنين أن [ جعله من ولادة أمره، ووقفه لاتباع سنة رسوله وأتباعه أثره، وأعانته على تمكين الدين، وتوهمين المشركين، وشفاء صدور المؤمنين ]<sup>(١)</sup> أنهضه بالمرأمة عن الملة، والمحاماة عن الحوزة، وإعزاز أهل الإيمان، وإذلال حزب الكفران، ويسأله الصلاة على خيرته المجتبى، وصفتوته المتعنى، عهد أفضل من ذنب وكافح، وجاهد ونالغ، وسمى النصارى، وغزا الكفار، صلى الله عليه وعلى آخيه وأبن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سيفه القاطع، وبيجته المذافع، وسهمه الصارِد، وناصره المعاضد، فارس الوقائع، ومُفرّق الجماع<sup>(٢)</sup>، ومُبيد الأثران، ومُبيد الشجنان، وعلى الطهارة من عثرته أئمة الأزمان، وخالصة الله من الإثس والجأنس.

وإن أولى النعم بأن يرقل في لباسها، ويتوصل بالشكر إلى إبتاسها، ويتكادى طيب خبرها، ويتناول بحسن أثرها، نعمة الله تعالى في التوفيق لجهاطة أهل الإلحاد والشرك، وغزو أولى الباطل والإفك، والمُجُوم عليهم في عُقر دارهم، وأجتنات أهلهم، وإلحد في دمارهم، واستزالمهم من معاقلمهم، وتشريدهم عن منازلهم، وتغميض نواظرهم الشؤوس [ والباسهم لباس البؤس ] لما في ذلك من ظهور التوحيد وعزّه، ونُمود الإلحاد وعزّه، وعُلُومة المسلمين، وانخفاض دولة المشركين، ووضوح [ حجة ] الحق ومُجته، وصُلُوع بُرْهانه وآيته.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك وقد أنكفأ عن ديار الفلانيّين المشركين إلى دَستِ خلافته، ومقر إمامته؛ بعد أن غزاهم براً وبحراً، وشرتهم سهلاً ووعراً، وجرعهم

(١) الزيادة مما تقدم (ج ٦ ص ٤٤٠).

(٢) ورد بدل هذه الكلمة في (ج ٦ ص ٤٤١) "سبوس" وقد وضع بجانبها هناك علامة توقف لعدم ظهور معناها.

(٣) كذا هنا، وأقوى في (ج ٦ ص ٤٤١) "لباسها".

(٤) الزيادة مما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤١).

من عواقب كفرهم مُرًّا ؛ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ الَّتِي تُطَبَّقُ سَهَوْبَ الْفَضَاءِ [خيلا وَرَجُلًا ،  
وَتَضْيِيقُ بِهَا الْمَهَامَةَ حَزَنًا وَسَهْلًا ، وَمَزَّقَ كَنَائِهِمُ الَّتِي تُطَحِّقُ الْوَهَادَ بِالنَّجَادِ ، وَتَحْتَضِطُّ  
الْأَبْصَارَ بِبَوَارِقِ الْأَعْمَادِ] <sup>(١)</sup> وَتَجْعَلُ رَعُودَ سَنَابِكِهَا فِي السَّمَاءِ ، وَسَهْبَ الدَّرَارِيِّ  
وَالْأَطْفَالِ ، وَأَمَرَ الْبَطَارِيْقَ وَالْأَقْبَالَ ، وَأَفْتَحَ الْمَعَاقِلَ وَالْأَعْمَالَ ، وَحَازَ الْأَسْلَابَ  
وَالْأَمْوَالَ ؛ وَأَسْتَوَى مِنَ الْحُصُونِ عَلَى حِصْنٍ كَذَا وَحِصْنٍ كَذَا ، وَمَحَا مِنْهَا رُسُومَ الشُّرَكَ  
وَعَقَاهَا ، وَأَثَبَتْ سُنَنَ التَّوْحِيدِ بِهَا وَأَمْضَاهَا ؛ وَغَنِمَ أَوْلِيَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُتَطَوِّعَةٌ <sup>(٢)</sup>  
الْمُسْلِمِينَ [مِنَ الْفَتَاةِ] مَا أَقْرَبَ الْعَيُونَ ، وَحَقَّقَ الظُّنُونَ ؛ وَأَقْفَصُوا وَقَدْ زَادَتْ بَصَائِرُهُمُ  
تَفَازًا فِي الدِّينِ ، وَسَرَّاهُمْ إِخْلَاصًا فِي طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ بِمَا أَوْلَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّصْرِ  
وَالْإِظْفَارِ ، وَالْإِعْزَازِ وَالْإِظْهَارِ ؛ وَوَجَّحَ لِلشُّرَكَينَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ الْإِلْهَادِ ،  
وَأَنَالَهُمْ لِيَأْمَ مِنَ الْهَوَانِ ؛ أَنَّهُمْ عَلَى مَصْطَلَةٍ مِنَ النَّفَى وَالْعَمَى ، وَمَنْحَاةٍ مِنَ الرُّشْدِ وَالْهُدَى ؛  
فَضَرَعُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّلَامِ وَالْمَوَادَّةِ ، وَتَحَمَّلُوا بَذْلًا بَذْلُهُ [تَفَادِيًا] <sup>(٣)</sup> مِنَ الْكِفَاحِ  
وَالْمُقَارَعَةِ ؛ فَاجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَامْتِنَالًا لِقَوْلِهِ إِذْ يَقُولُ :  
(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاكْبَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وَعَاقَدَ طَائِفَتُهُمْ  
عَلَى كِتَابٍ هُدْنِيهِ كَتَبَهُ لَهُ ، وَأَقْرَهُ فِي يَدِهِ ؛ مُجَمَّةٌ بِمَضْمُونِهِ .

أَشْعَرَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ : لَتَأْخُذَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِنَصِيبٍ مِثْلِكَ مِنَ الْخُلُصِينَ ،  
وَتَعْرِفَ مَوْجِعَ مَا تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ؛ فَيَحْسَنَ ظَنُّكَ ،  
وَتَقَرَّ عَيْنُكَ ؛ وَتَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى شُكْرَ الْمُسْتَعِذِّ مِنْ فَضْلِهِ ، الْمُعْتَدِّ بِطَوْلِهِ ؛ وَتَتَلَوَّ كِتَابَ

(١) الزيادة عما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤١) .

(٢) في (ج ٦ ص ٤٤٢) من هذا المطبع "وبند"

(٣) الزيادة عما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤٢) .

أمير المؤمنين ، على كَافَّة مَنْ قَبْلَكَ من المسلمين : ليعلموا ما تولاهم الله به من نصرِهِ وتمكينه ، وإذلالِ صُلُوبِهِمْ وتَوَهِينِهِ ، فأعلم ذلك وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .  
ثم الفتح إما فتح لبعض بلاد الكُفَر ، وإما فتح لِمَا استولى عليه البُغَاة من المسلمين .

فأما فتح بلاد الكُفَّار فكان سبيلهم فيه أن يُصدَّر الكتاب بحمد الله تعالى على حُلُولِ دين الإسلام ورفقته ، وإظهاره على كل دين ؛ ثم على به في النهي صلى الله عليه وسلم بالهداية إلى الدين القويم ، والصراط المستقيم ؛ ويذكر ما كان من أمره صلى الله عليه وسلم من جهاد الكُفَّار . ثم على إقامة الخلفاء في الأرض حفظاً للرعيّة ، وحياطة للبرية ، وصوناً للبيضة ؛ ويخصّ خليفة زمانه من ذلك بما فيه تفضيله ورفعة شأنه ؛ ثم يؤخذ في تعظيم شأن العدو وتهويل أمره ، وثثرة عدده ، وقُوَّة مدّده ؛ ثم في وصف جيوش المسلمين بالقوّة والاستعداد ، والاشتداد في الله تعالى ، والقيام في نصرته دينه ؛ ثم تذكر المَلْحَمَة وما كان من الوقية والتهام القتال ، وما أجمَلَتْ عنه المَلْحَمَة من النُصرة على صُلُوبِ الدين وخِذْلانِهِ ، والإمكان منه ، وقتل من قُتِل منهم ، وأمر من أُمِر ، وتغريق قتلهم ، وانتظام كلمة الإسلام ، وطاعيتهم بهلاك صُلُوبِهِمْ ، وما في معنى ذلك .

وهذه نسخة كتاب كُتِبَ به إلى الديوان العزيز ، أيام الناصر لدين الله ، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، بفتح القدس الشريف ، وإتقانه من يد الكُفَر ، في آخر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهو :

أدام الله أيام الدينار العزيز النبوي الناصري، ولا زال مظفر الحد بكلك جاحد،  
 غني التوفيق<sup>(١)</sup> عن رأي كل رائد؛ موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد؛  
 مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقد، وأرد الجود والسحاب على الأرض غير وأرد؛  
 معتد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد، ماضي [حكم القول]<sup>(٢)</sup> بعزم  
 لا يعضى إلا بسئل غوي ورئش راشد، ولا زالت غيوت فضله [إلى الأولياء]<sup>(٣)</sup>  
 أنواء إلى المراكب وأنواراً إلى المساجد؛ وبُعوث رعيه إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب  
 وخيالاً إلى المراقد.

كتب الخادم هذه الخدمة يلو ماصدر عنه مما كان يجرى بجرى التبشير لصبح  
 هذه الخدمة، والعنوان لكاتب وصف هذه النعمة، فإنها بحر للأفلام فيه سبع  
 طويل، وكلف تحمل الشكر فيه حب تهيل؛ وبشرى للقواطر في شرحها مآرب،  
 وبشرى للأسرار في إظهارها مسارب؛ وفيه في إطادة شكر رضا، وللنعمة الرائنة  
 به دوام لا يخال معه: هذا مضي؛ وقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها،  
 واستنبتت حقائق أهل على آيين بصايرها؛ وتخلص ظل رجاء الكافر المسبوط،  
 وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط؛ وكان الدين غريباً فهو  
 الآن في وطنه، والقور معروضا فقد بذلت النفس في نعمة؛ وأمر أمر الحق وكان  
 مستضعفاً، وأهل ربه وكان قد عيف حين عفا وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك  
 راعه، قاذبت السيوف إلى الأجل وهي تأممه؛ وصدق وعد الله في إظهار دينه

(١) كنا هنا وفيما قسم، واقى في وفات الأيمان لأبن خلكت (ج ٢ ص ٥٨٤)  
 "غنياً بالتوفيق".

(٢) الزيادة عن رسائل القاضي الفاضل التنوخرافية المحفوظة بدار الكتب السلطانية مرة ٢٢٩٤  
 أدب.

على كُلِّ دين ، وَأَسْطَارَتْ لَهُ أَنْوَارُ بَابَتْ أَنَّ الصَّبَاحَ عِنْدَهَا حَيَّانُ الْحَيِّ ؛ وَأَسْتَدَّ  
المسلمونُ تَرَاثًا كَانَ ضَمُّهُمُ آيَمًا ، وَظَفَرُوا بَقَعْلَةٍ بِمَا لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِهِ طَيْفًا  
على النَّاسِ طَارِقًا ؛ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى الْأَعْلَى أَقْدَامُهُمْ ، وَخَفَقَتْ عَلَى الْأَقْصَى أَعْلَامُهُمْ ؛  
وَتَلَاقَتْ عَلَى الصَّخْرَةِ قُبُلُهُمْ ، وَشَفِيَتْ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ صَخْرَةٌ [قُلُوبُهُمْ<sup>(١)</sup>] كَمَا تُشْفَى  
بِالْمَاءِ قُلُوبُهُمْ .

ولما قَدِمَ الدِّينَ عليها جَرَفَ مِنْهَا سُوْدَاءَ قَلْبِهِ ، وَهَنَّا كَفُوْهَا الْهَجْرَ الْأَسْوَدَ  
بَيْتُ عَصْمَتِهَا مِنَ الْكَافِرِ بِحَرْبِهِ ؛ وَكَانَ الْخَادِمُ لَا يُسَمِّي سَمِيْعَهُ إِلَّا لِهَذِهِ الْعُظْمَى ،  
وَلَا يَقَاسِي تِلْكَ الْبُؤْسَى إِلَّا رَجَاءَ هَذِهِ التَّعْمَى ؛ وَلَا يُتَأَخَّرُ مِنْ يَسْتَمِطِلُهُ فِي حَرْبِهِ ،  
وَلَا يَسْتَبِ بِأَطْرَافِ النَّفْسِ مَنْ يَتَمَادَى فِي حَتِيْهِ ؛ إِلَّا لَتَكُونَ الْكَلْبَةُ مَجْمُوعَةً ، وَالذُّعُوَّةُ  
إِلَى سَامِعِهَا مَرْفُوعَةً ؛ فَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْمَلِيَا ، وَلَيُفَوِّزُ بِجَوْهَرِ الْأَمْرِ لَا بِالرَّضِ  
الْأَذْنَى مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَكَانَتْ الْأَلْسَنَةُ رُبَّمَا سَلَقَتْهُ فَاتَّضَجَّ قُلُوبُهَا بِالْاِحْتِقَارِ ، وَكَانَتْ  
الْخَوَاطِرُ رُبَّمَا غَلَّتْ عَلَيْهِ مَرَّاجِلُهَا فَاطْفَأَهَا بِالْاِحْتِمَالِ وَالْاِصْطِبَارِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ خَطِيْرًا  
خَاطِرًا ، وَمِنْ رَامَ صَفْقَةً رَاجِحَةً تَجَامَسَ ، وَمَنْ تَمَّ لَأَنَّ يَحْتَلِيَ عُمْرَةً فَامَرَ ؛ وَالْأَفَاقُ  
الْقُعُودُ يُلَيِّنُ تَحْتِ نُبُوبِ الْأَعْدَاءِ الْمَصَاحِمَ تَنْمِضُهَا ، وَيُضْعِفُ بِأَيْدِيهَا مَهْزِ الْقَوَائِمِ  
فَقَضُّهَا ؛ هَذَا إِلَى كَوْنِ الْقُعُودِ لَا يَقْضِي فَرْضَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يُرْعَى بِهِ حَقُّ اللَّهِ  
فِي الْعِبَادِ ؛ وَلَا يُؤْفَى بِهِ وَاجِبُ التَّقْلِيدِ الَّذِي تَطَوَّقَهُ الْخَادِمُ مِنْ أَمِيَّةٍ قَضَوْا بِالْحَقِّ  
وَبِهِ كَانُوا يَتَعَدَّلُونَ ، وَخَلْقَاءُ اللَّهِ كَانُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ اللَّهُ يَسْأَلُونَ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا  
سِرْمَ وَمِزْرَ مَخْلَقَتِهِمُ الْأَطْهَرِ ، وَجِلْمَهُمُ الْأَكْبَرِ ؛ وَبَقِيَّتَهُمُ الشَّرِيفِ ، وَطَلْعَتَهُمُ  
الْمُنِيفِ ، وَغُتُونَهُمْ صَحِيفَةَ فَضْلِهِمْ لَا عَلِمَ سِوَادُ الْعِلْمِ وَبَيَاضُ الصَّحِيفَةِ ؛ فَمَا غَابُوا

(١) كَلَامًا قِيَامًا يَضَاهِي (ج ٦ ص ٩٧) وَفِي نَوَاقِصِ الْأَحْيَانِ (ج ٢ ص ٥٨٥) "عَدِيْسَانُ الْحَيِّ" .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ نَوَاقِصِ الْأَحْيَانِ (ج ٢ ص ٥٨٥) .

لَمَّا حضر، ولا غَضُوا لَمَّا نَظَرُوا، بَلْ وَصَلَهُمُ الْأَجْرُ لِمَا كَانَ بِهِ مَوْصُولًا، وَشَاطَرُوهُ الْعَمَلُ لِمَا كَانَ عَنْهُ مَقْبُولًا، وَخَلَصَ إِلَيْهِمْ إِلَى الْمَضَاجِعِ مَا أَلْطَمَتْ بِهِ جُنُوبُهَا، وَإِلَى الصَّعَافِ مَصَبَّتْ بِهِ جُيُوبُهَا، وَفَازَ مِنْهَا بِذِكْرِ لَا يَزَالُ اللَّيْلُ بِهِ سَمِيرًا، وَالنَّهَارُ بِهِ بَصِيرًا، وَالشَّرْقُ يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ، بَلْ إِنْ أَبْدَى نُورًا مِنْ قَدَاتِهِ هَتَفَ بِهِ الْقَرَبُ بِأَنْ وَارِهِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَا يَمُكِّنُهُ أَغْصَاقُ السُّفْ، وَذِكْرُ لَا تُوَارِيهِ أَوْرَاقُ الصُّحُفِ .

وكتاب الخادم هذا، وقد أظفر الله بالعقد الذي تَشَطَّلَتْ قَنَاتُهُ شَفَقًا، وَطَارَتْ فِرْقُهُ قَرَفًا، وَفُلَّ سَيْفُهُ فَصَارَ عَصَا، وَصُدِعَتْ حَصَاةُ وَكَانَ الْأَكْثَرُ مَدَاوِحَ حَصَا؛ وَكَلَّتْ حِمْلَاتُهُ وَكَانَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ تُصَرِّفُ فِيهِ الْعِيَانَ بِالْعَيْنِ، عُقُوبَةُ مَنْ لَيْسَ لِمُصَاحِبِ يَدَيْهَا يَدَانِ؛ وَعَثَرَتْ قَدَمُهُ وَكَانَتْ الْأَرْضُ لَهَا حَلِيفَةً، وَغَضِبَتْ حَبِيبَتُهُ وَكَانَتْ [عُيُونُ] السُّيُوفِ دُونَهَا كَسِيفَةً؛ وَنَامَ جَفْنُ سَيْفِهِ وَكَانَتْ يَقْظَلْتُهُ تُرِيْقُ تُظْلَفُ الْكَرَى مِنَ الْخُفُونِ، وَجُدِعَتْ أَتُوفُ رِمَاحِهِ وَطَالَمَا كَانَتْ شَاخِصَةً بِالْمُنَى أَوْ رَاغِبَةً بِالْمُنُونِ؛ وَأَخْفَتِ الْأَرْضُ الْمُقْتَسِمَةَ الطَّاهِرَةَ وَكَانَتْ الْعَامِثُ، وَالرَّبُّ الْمَعْبُودُ الْوَاحِدَ (١) وَكَانَ عِنْدَهُمُ الثَّالِثُ؛ فَيُؤْتِ الشَّرْكَ مَهْلُومَهُ [وَيُؤَيِّبُ الْكُفْرَ مَهْتُومَهُ] (٢) وَطَوَائِفُهُ الْمُحَامِيَّةُ، مُجْتَمِعَةٌ عَلَى تَسْلِيمِ الْبِلَادِ الْحَامِيَّةِ، وَتُجَبَّاهُ الْمُتَوَافِيَةُ، مُدْحَنَةٌ لِبَدْلِ الْمَطَامِعِ الْوَافِيَةِ؛ لَا يَرَوْنَ فِي مَاءِ الْحَدِيدِ لَمْ حُضِرَهُ، وَلَا فِي فِتَاءِ الْأَفْنِيَةِ لَمْ تُعْرَهُ؛ وَقَدْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكِنَةُ، وَبَدَّلَ اللَّهُ مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ؛ وَتَقَلَّ يَنْتَ عِبَادَتِهِ مِنْ أَيْدِي أَصْحَابِ الْمَشَاطِمَةِ إِلَى أَيْدِي أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ .

(١) الزيادة عن رفيات الأعيان .

(٢) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل .

(٣) في رفيات الأعيان "القتلاع" .

وقد كانت الخادم لقيهم اللقاء الأولى فأمده الله بمذاركتيه ، وأجده هلاكته ؛ فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا يتعيش بعدها بمشقة الله كُفْرًا ، وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصيل ، وأجلت المعركة عن صرعها من الخيل والسلاح [ والكفار ، وعن أنصاف عجل فإنه قتلهم بالسيوف الأثقال والرمح الأكرار ، فنيأوا بنار من السلاح وثالوه أيضا بنار ] فكم أهلة سيوف تقارض الضارب بها حتى صارت كالمرآجين ، وكم أنجم أسنة تبادلت الطعان حتى صارت كالطعاصين ؛ وكم فارسية ركض عليها فارسها النهم إلى أجل فأختلسه ، وفترت تلك القوس فأها فلذا فوها قد نهش القرن على بُعد المسافة فأقرمه ؛ وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ؛ وكان الكفرة مفقودا والإسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا ؛ وأسير الملك وبسده أوثق وأتقى ، وأكّد وصلبه بالدين وعلايقه ؛ وهو صليب الصلوات ، وقائد أهل الجبروت ؛ وما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دمهاتهم يسقط لهم بآعه ، ويحرضهم وكان مدّ اليدين في هذه النعمة وقآعه ؛ لاجرم أنهم يتأفت على ناره فرأشهم ، ويجمع في ظل ظلامه خشاشهم ؛ ويقاوتون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدق ، وبروته ميثاقا يتنون عليه أشد عقيد وأوثقه ، ويمدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه .

وفي هذا اليوم أسرت سراتهم ، وقهبت دعاتهم [ ولم يلبث منهم معروف إلا القومص ، وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال ، ومليا يوم انليذلان ] بالاحتيال ؛ فتبعا ولكن كيف ، وطار خوفا من أن يلحقه بمنس الرمح أو جناح السيف ؛

(١) الزيادة من رسائل القاضي القاضل .

(٢) في وفيات الأعيان وفي رسائل القاضي القاضل القومص اقية "قما" .

(٣) الزيادة من رسائل القاضي القاضل ومن وفيات الأعيان .

ثم أخذ الله تعالى بعد أيام بيده، وأهلكه لموعده؛ فكان لعلتهم قد ألك، واستقل  
من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكثرة مر الخلد على البلاد فطواها بما تشر عليها من الراية العباسية السوداء  
صبغا، البيضاء صنما؛ الحافقة هي وقلوب أعدائها، الغالبة هي [وعزائم أوليائها]<sup>(١)</sup>  
المستضاء بنوارها إذا فتح عنها البشر، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر؛  
فاتتح بلد كذا وكذا وهذه [كلها] أمصار ومدن، وقد تسمى البلاد بلادا وهي مزارع  
وقدن، وكل هذه ذوات معاقل ومعاقر، وبحار وجزائر، وجوامع ومناير، ومجموع  
وصاكر، يتجاوزها الخلد بعد أن يحرقها، ويتركها وراءه بعد أن يتنزهها، ويحصد  
منها كغرا ويزرع إيمانها، ويحط من منائر جوامعها صلبانا ويرفع أذانا؛ ويبدل المذابح  
متائر والكائس مساجد، ويؤي بعد أهل الصلبان أهل القرآن للذب عن دين الله  
مقاعدا . ويقر عينه ويؤي أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بحمار  
ومحور، وأن ظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله وزياله إلى يوم النسخ في الصور .  
ولم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد، واعتصم بمنعتها  
كل قريب منهم وبعيد، وظنوا أنها من الله ما نعمتهم، وأن كنيسة سببا إلى الله شافعهم؛<sup>(٢)</sup>  
فلما نازلها الخلد رأى بلدا كبلاد، وجمعا كيوم التناد؛ وعزائم قد تالفت وتالفت  
على الموت فزلت بعرضته، وهان عليها مورد السيف وأن ثموت بفضيته؛ فزاول  
البلد من جانب فإذا أودية عميقة، وحلج وعرة غريقة؛ وسور قد انعطفت عطف  
السوار، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فعدل إلى جهة أخرى

(١) الزيادة من رسائل القاضي القاضل ومن وفيات الأعيان .

(٢) جواب لما الأول مفهوم من المقام . أنظر ما كتبه عند الكلام على هذه الرسالة فيما تقدم



كان للطامع عليها مُعْجِجٌ، وَلِخَيْلٍ فِيهَا مُتَوَجِّجٌ، وَفُتِلَ عَلَيْهَا، وَأَحَاطَ بِهَا وَقُرْبَ مِنْهَا؛  
وَضَرَبَ خَيْمَتَهُ بِحَيْثُ يَسْأَلُهُ السَّلَاحُ بِأَطْرَافِهِ، وَزَيَّجَهُ السُّورَ بِأَكْثَافِهِ، وَقَابَلَهَا  
فِي قَاتِلِهَا، وَنَزَلَهَا فِي نَازِلِهَا، وَبَزَلَ إِلَيْهَا فِي بَارِزِهَا، وَحَاجَزَهَا فِي حَاجَزِهَا، وَفَضَّمَهَا ضَمَّةً  
أَرْهَبَ بَعْدَهَا الْفَتْحَ، وَصَدَعَ أَهْلَهَا إِذَا هُمْ لَا يَصْبِرُونَ - عَلَى عُبُودِيَّةِ الْخُلْدِ - عَنْ عِشَى  
الصُّفْحِ؛ فَرَأَسُوهُ بِبَدَلِ قِطْعَةٍ إِلَى مُتْنِهِ، وَقَصَبُوا قِطْرَةً مِنْ شِدَّةٍ وَأَنْتَظَرُوا لِنَجْدِهِ؛  
فَرَفَقَهُمُ الْخِلَادِمُ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ، وَأَجَابَهُمْ بِلِسَانِ الطُّولِ؛ وَقَدَّمَ الْمَتَجَنِّقَاتِ الَّتِي لَتَوُلَّى  
حُقُوبَاتِ الْحُصُونِ عَصَبُهَا وَجِبَالُهَا، وَأَوْتَرَلَهُمْ قِسْبَهَا الَّتِي تَضْرِبُ فَلَا تُفَارِقُهَا سِهَامُهَا  
وَلَا يَفَارِقُ سِهَامُهَا نِصَالُهَا؛ فَصَالَحَتِ السُّورَ بِأَكْثَافِهِ إِذَا سَبَّحُوا فِي شَيْءٍ شَرَفَاتِهَا سِوَاكَ،  
وَقَدَّمَ النَّصْرَ نَسْرًا مِنَ الْمَتَجَنِّقِ يُجَلِّدُ إِخْلَادَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَعْلُو عُلُوَّهُ إِلَى السَّمَاءِ؛  
فَشَجَّ مِرَادِخَ أِبْرَاجِهَا، وَأَسْمَعَ صَوْتُ عَجِيجِهَا [صَمَّ أَعْلَاجِهَا] وَرَفَعَ مَنَارَ عَجَاجِهَا؛ فَأَخْلَى  
السُّورَ مِنَ السَّيَّارِ، وَالْحَرْبَ مِنَ النَّظَارِ؛ فَاكْمَنَ الْقَبَابُ، أَنْ يُسْفِرَ لِحَرْبِ الْقَبَابِ،  
وَأَنْ يَعِيدَ الْجَحْرَ إِلَى سِيرِهِ [الْأُولَى] مِنَ التُّرَابِ؛ فَخَسَمَ إِلَى الصَّخْرِ لَمَضِغَ سَرْدِهِ  
بَأَنْيَابِ مِعْوَلِهِ، وَحَلَّ عَقْدَهُ بِضَرْبِهِ الْأَخْرَقِ الدَّالَّ عَلَى لَهَافَةِ أَهْمَلِهِ، وَأَسْمَعَ الصَّخْرَةَ  
الشَّرِيفَةَ حَيْنَهُ وَأَسْتَفَاتَهُ إِلَى أَنْ كَادَتْ تَرِقُّ لِمُقْبَلِهِ؛ وَجَبَّأَ بَعْضَ الْجِمَارَةِ مِنْ  
بَعْضٍ، وَأَخَذَ الْخَرَابَ طَلْعًا مَوْثِقًا فَلَنْ يَهْرَجَ الْأَرْضُ، وَقَعَ فِي السُّورِ بَابَا سَدٍّ مِنْ  
نَجَاتِهِمْ أَبْوَابًا، وَأَخَذَ يَقْبُضُ فِي حِجْرِهِ قَالِ عَنْدهُ الْكَافِرُ: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا) لِحَبْتِنْدِ  
يَكْسَ الْكَفَّارِ مِنْ أَصْحَابِ الدُّورِ، كَمَا يَكْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ، وَجَاءَ أَمْرُ اللَّهِ  
وَضَرَبَهُمُ اللَّهُ الْغُرُورَ.

وَفِي الْحَالِ خَرَجَ طَاطِيَةٌ كُفْرُهُمْ، وَزِمَامٌ أَمْرُهُمْ، أَيْنَ بَارِزَانِ سَأَلَا أَنْ يُؤْخَذَ  
الْبَلَدَ بِالسَّلَامِ لَا بِالْعَنَاءِ، وَبِالْأَمَانِ لَا بِالسُّطُوهِ؛ وَالْقِيَامُ يَسِيدهُ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَعَلَّاهُ ذَلِكَ

الْمَلَكَةِ بَعْدَ عِزِّ الْمَلِكَةِ؛ وَطَرِحَ جَبِينَهُ فِي التَّرَابِ وَكَانَ جَبِينًا لَا يَتِمَّ طَافَهُ طَارِحٌ، وَبَنَلُ مَبْلَأًا مِنَ الْقَطِيعَةِ لَا يَطْمَحُ إِلَيْهِ طَرُفٌ أَمِلَ طَامِحٌ؛ وَقَالَ: هَاهُنَا أُسَارَى مُؤْمِنُونَ يَتْبَاوَزُونَ الْأَلُوفَ، وَقَدْ تَعَاقَدَ الْفَرَنْجُ عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ هُجِمَتْ عَلَيْهِمُ الدَّارُ، وَجُمِلَتْ الْحَرْبُ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْأَوْزَارُ؛ يُدَيِّ بِهَمِّ فَجَلُّوْا، وَثَنَى بِنِسَاءِ الْفَرَنْجِ وَأَطْفَالِهِمْ فَفَقُّوْا؛ ثُمَّ اسْتَقْتَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْتُلْ خَصْمٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَّقِصِفَ<sup>(١)</sup>، وَلَمْ يُسَلِّ سَيْفٌ مِنْ يَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَتَقَطِّعَ أَوْ يَنْقَصِفَ؛ وَأَشَارَ الْأَمْرَاءُ بِالْأَخْذِ بِالْمِيسُورِ، مِنَ الْبَلَدِ الْمَأْسُورِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ أُخِذَ حَرْبًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَهْتَمَّ الرِّجَالُ الْإِتِّجَادَ، وَتَبْثُلَ أَنْفُسُهَا فِي آخِرِ أَمْرِ قَدْ نَبَلَ مِنْ أَوَّلِهِ الْمُرَادُ؛ وَكَانَتْ الْجِرَاحُ فِي الْعَسَاكِرِ قَدْ تَهْتَمُّ مِنْهَا مَا أَحْتَقِلُ الْفَتَكَاتِ، وَأَعْتَقَ الْحَرَكَاتِ؛ فَقَبِلَ مِنْهُمْ الْمَبْتَلُونَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ، وَأَنْصَرَفَ أَهْلُ الْحَرْبِ عَنْ قُدْرَةِ وَهْمِ ظَاهِرُونَ؛ وَمَلَكَ الْإِسْلَامُ خِطَّةً كَانَ عَهْدُهُ بِهَا دِمْنَةً سُكَّانَ، نَفَذَهَا الْكُفْرُ إِلَى أَنْ صَارَتْ رَوْضَةً جَنَانٍ؛ لَا بَحْرَ أَنْ اللَّهَ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَأَهْبَطَهُمْ، وَأَرْضِي أَهْلَ الْحَقِّ وَأَمْحَطَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ خَذَلُوا اللَّهَ حَمُوهَا بِالْأَسْلِيلِ وَالصَّفَاحِ [ وَبَنُوها بِالْعَمْدِ وَالصَّفَاحِ ] وَأَوْدَعُوا الْكَائِسَ بِهَا وَبَيَّوْتُ الدِّيْوِيَّةَ وَالْأَسْتَبَارِيَّةَ مِنْهَا كُلَّ غَرِيبَةٍ مِنَ الرِّخَامِ الَّذِي يَطْرُدُ مَبَاوَهُ، وَلَا يَطْرُدُ إِلَّا لَأَوَهُ؛ قَدْ لَطَفَ الْحَدِيدُ فِي تَجْزِئِهِ، وَتَفَقَّنَ فِي تَوْشِيْعِهِ؛ إِلَى أَنْ صَارَ الْحَدِيدُ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، كَاللَّهَبِ الَّذِي فِيهِ نَعِيمٌ حَتِيدٌ، فَا تَرَى إِلَّا مَقَاعِدَ كَالرِّيَاضِ<sup>(٢)</sup> لَهَا مِنْ بَيَاضِ التَّرْخِيمِ رَقْرَاقٍ، [ وَعَمْدًا كَالْأَشْجَارِ<sup>(٣)</sup> لَهَا مِنَ التَّلْبِيَةِ أَوْرَاقٍ<sup>(٤)</sup> ] .

(١) فِي وَفَاتِ الْأَعْيَانِ (ج ٢ ص ٥٨٨) وَرَسَائِلُ الْقَاضِي الْقَاضِلِ "بَكَ" .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ رَسَائِلِ الْقَاضِي الْقَاضِلِ وَوَفَاتِ الْأَعْيَانِ وَأَنْظَرُ مَا تَقْدِمُ مِنْ هَذَا الْمَطْبُوعِ (ج ٦ ص ٥٠٣) .

(٣) فِي الْأَسْلِ "كَالْأَشْجَارِ" وَفِي رَسَائِلِ الْقَاضِي الْقَاضِلِ "الرِّيَاضُ" وَالتَّصْحِيحُ مِنْ وَفَاتِ الْأَعْيَانِ .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ رَسَائِلِ الْقَاضِي الْقَاضِلِ وَوَفَاتِ الْأَعْيَانِ .

وأوعز الخادم بـه الأحمى إلى عهد المهود، وأقام له من الأئمة من يؤبه وده  
المورود؛ وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان فكادت السموات يتطرقن  
للشجوم لا للوجوم، والكواكب [منها] ينترن للطرب لا للرجوم؛ ورفعت إلى الله  
كلمة التوحيد وكانت طرائعها مسدوده، وظهرت قُبُور الأنبياء وكانت بالنجاسات  
مكدوده؛ وأقيمت النجس وكان التلث يُقعدُها [وجهرت الألسن بالله أكبر وكان  
يصر الكفر بقلدها] <sup>(١)</sup> وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الأشرف من المبر، فرحب به  
ترحيب من بر بمن بر، وخفق عمامه في حفافيه، فلو طار به سرورا لطار بجماعه .

وكتاب الخادم وهو يُجد في استفتاح بحية الثنور، واستسراج ماضق بمآدى  
الحرب من السدور؛ فإن قوى العساكر قد استنفدت مواردها [ وأيام الشتاء قد  
مردت مواردها ] والبلاد الماخوذة المشار إليها قد جاست العساكر غلاتها، ونهبت  
دخائرها وأكلت غلاتها، فهي بلاد ترفد ولا تسترد، وتُجم ولا تُستفد؛ وينفق عليها،  
ولا يُنق منها؛ ويجهز الأساطيل لبحرها، وتقام المراط ليرها، ويدب في عارة  
أسوارها، ورمات معاقليها؛ وكل مشقة فهي بالإضافة إلى نعمة الفتح محتلة،  
وأطاع الفرج فيما بعد ذلك مهابها غير مرجية ولا معتلة؛ فلن يدعوا دعوة يرجو  
الخادم من الله أنها لا تُسمع، ولن تزول أيديهم من أطواق البلاد حتى تُقطع . <sup>(٢)</sup>

وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص، ولا بما سوى  
المشاهدة تتلخص؛ فلذلك قلنا لسانا شارحا، ومبشرا صاحا؛ ينشر الخبر لمن  
سياقته، ويعرض جيش العمرة من طليعته إلى ساقته .

(١) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ومن وفيات الأعيان .

(٢) وفيات الأعيان ورسائل القاضي الفاضل "ولن يفكرا" .

قلت : وقد وقفت على نسخة كتاب كُتِبَ به عن المُكْتَفَى بالله، عند ما بعث محمد بن سليمان الكاتب إلى الديار المصرية، فافتتحها من يد بني طولون وأستولى عليها لتخليفة، في نحو كُرَامِيَّة، تاريخها سنة ثمان وستين ومائتين، أولها : أما بعدُ فالحمد لله العليّ الكبير، العزيز القدير، أضرّت عن ذكرها لطولها .

### الصنف الثامن

(المكاتبة بالاعتذار عن السلطان في الهزيمة)

قال في «موادّ البيان» : من أخلاق العاتية تفتيح سيرة السلطان إذا زلّ في بعض أرائه، والإزرأء على تديره في جيش يُجهّزه فيُكسر، ونحو ذلك : مما لا يسلم من مثله، والإفاضة فيه والتشجيع به، ليجتاح إلى مكائبتهم بما يتلافى الوهن ويقم العُذر، كما يكاتبهم بتفخيم المنع، وتمظيم الفتوحات، والتحدّث بمواقع المواهب. وشكر الله تعالى على إسباغ النعم، والإطْفَارِ بأعداء الدين والدولة : ليقوى بذلك مُنتهم، ويُرفف بصائرهم ويستخلص طاعتهم، ويملاّ صدورهم رهبة . قال : وليست لهذه الكُتب رسومٌ ينتظم كل ما وقع فيها : لاختلاف ما يلام فيه ويستندر .

ثم قال : ونحن نرمي في أصوله قولاً وجيزاً : وهو أن يقتضِب الكاتب له المعاذير التي تحسن أحوالته، وتستزلفه، والمُجج التي تُعيد الألام حاذراً، والدائم شاكراً، وتوجب التقريط من حيث يجب التائب، والإحماد من حيث يستحق التذويب. مثل أن يعتذر عن هزيمة جيش، فيقول : وقد ملّهم أن الحرب يحال، والدنيا دول تُتال، وقد تهب ريح النصر للقاسطين على المُقسطين امتحاناً من الله وبلوى،

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى - من غير أن يُصرِّح  
بباطل، ولا يُطلق كذبا محضاً ، ولا يَخْتَلِقُ زوراً يعلم الناس خلافه ؛ فتضاعف  
المُحْجَنَد ، وتُكَاثِفُ المَحْنَةُ ؛ فإنه لا شيء أقبح على السلطان ، وأقْدَحُ في جَلَالَةِ الشَّانِ ؛  
من أن يُسْتَرَفَّ في كُتْبِهِ على إِفْكِ قد يعلمه بعض مَنْ يَحْفَ عليه ؛ بل ينبغي أن يعتمد  
في ذلك حُسْنَ التَّخْلِصِ والتَّوَرُّيَةِ عن الغرض ، وأستعمال الإلتفاظ التي تَكُلُّ على  
أطراف الحلال ولا تَقْصَحُ بمقاهها .

وهذه مُسَخَّةُ كتاب من ذلك .

الحمد لله الذي مَسَّسَ الأمور بِحِكْمَتِهِ ، وأَبَانَ فيها مَوَاقِفَ قُدْرَتِهِ ؛ وسلك فيها  
طريقَ مَشِيئَتِهِ ، وصَرَّفَهَا على مارَاهَ عَدَلًا بين العباد في أقسام نِعْمَتِهِ وَبِحِكْمَتِهِ ، وأحوال  
بَلَوَاهُ وطَافَتِهِ ؛ وجَعَلَ الأيامَ فيهم نُوبًا ، والأحوالَ بينهم حُكْمًا ؛ نَغَصَّ أوليائه وأهل  
طَاعَتِهِ بالنَّصْرِ في المحاكم ، والصَّلَاحِ عند المُخَاصَمَةِ ؛ والظُّهُورِ على مَنْ شَاقَّهُمْ وطَادَهُمْ ،  
والقَهْرِ لمن ضَادَّهُمْ وتَوَاكُمَ ؛ إِنْجَازًا لما وَعَدَهُ الصَّابِرِينَ الْمُحْسِنِينَ ، وإِعْزَازًا لِلدِّينِ  
وَأَنْصَارِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ ولم يُحِلْ أَعْدَاءَهُ مِنْ دَوْلَةٍ أَدَاها لَهُمْ ، وَجَوَلَةٍ على الحق زَادَهَا  
في كُفْرَانِهِمْ ؛ ووصل الإِثْلَاءَ لَهُمْ فيها بِخِذْلَانِهِمْ : لِيَجِبَ الثَّوَابُ لِلْحَسَنِينَ ، وَيُحَقِّقَ  
العَذَابُ على الكَافِرِينَ . فقال في مُحْكَمِ كتابه - وقد ظهر المشركون على المسلمين -  
( إِنَّ يَمْسُسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ) .  
وقال : ( لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَهْذِقَ الْكَافِرِينَ ) وثواب بين الفريقين  
في المصائب ، والمواهب ؛ والمَسَارَ ، والمَضَارَ ؛ لِيَشْفِيَ الله صدور المؤمنين ، وَلِيُمَحِّصَ  
مافي قلوبهم ؛ ويوجب لَهُمْ إِيْلَاصُ السَّرَائِرِ طَاعَتِهِ ، والجِهَادُ في سبيله ، والنَّصْرَةُ

لرسوله، والمرآة عن دينه، والمدافعة عن حريمه؛ ضعف الثواب وحسن المآب، ويحلّ بالمشرّكين ماعد لهم في دار الجزاء من أليم العذاب .

وإذا كان الحال بين الفريقين المتلاقيين، والفئتين المتجاذبتين، والحزبين المتحاربين؛ في تعاور الغلبة، وتعاقب الدولة؛ جاريا على تهدير الله ومتصرفا على حكمه، ومستوسقا على ماسبق في علمه؛ فليس يثنى في ذلك زيادة عدد، ولا اتصال مدد؛ ولا قوة أيد، ولا لطف كيد؛ ولا اختيار وقت محمود للقتال، ولا الاشتخاب لأهل البسالة والتجدة من الرجال؛ ولا يجب أن يستريت النصر من أبطأ عنه، ويستشعر الجزع من نال خصمه منه؛ بعد تحصيله السلامة في نفسه، وقيام العُدله بعنايته وجمده؛ وقد جمع الله للأمر من المناقب - التي ورثها عن آبائه، وحازها في صدره؛ والحياة فيما بأن من فضل بأسه، وثبات جأشه؛ وأصالة رأيه، وصحة تديره؛ وإلفائه الحرب شروطها، والهيجاء حقوقها : من الحزم والثؤدة، والإقدام عند الفرص؛ والإصابة في التقدير والتعير، والاحتياط في سدّ مواقع الخلل والعورة، وإعمال النظر والرؤية؛ لولا اعتراض القضاء الذي هو مالك نواصي العباد، وغير مدفوع بمحال ولا جلاذ، ولا قوة ولا عنة ولا عتاد - ما أوفى حسنه على منزلة الظفر، وزاد عظمه في السناء والخطر؛ إلى ما شئيل عسكره في مثقله بمراعاته لهم، ومداقته من ورائهم؛ حتى توافى الجمع موقورين، وأبوا سالين ظالمين؛ وبالله الحول والقوة وعليه ضمان الإدالة على ما جرى به وضه الصادق، وأخبر عنه كتابه الناطق؛ وهو حسب أمير المؤمنين وكافيه، وناصره وإليه، ونعم الوكيل والظهير، والمولى والنصير؛ وصلى الله على سيدنا محمد سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وآله الطيبين أجمعين؛ وسلّم تسليما .



وفى مثله من إنشاء أحمد بن سعيد .

احكام الله جلّ جلاله جارية على سبيل جامعة لوجوه الحكمة ، منتظمة لأسباب  
الصلاح والمعتلة . فنها ما عرّف الله أوليائه والمندوبين بطاعته ، والمجموعين  
بهديّاته ؛ طريق المآرِد منه ، وسبب الدّاعي إليه ؛ والعلة فيما قضى من ذلك لحينه ،  
والصورة المقتضية له . ومنها ما استأثر بعليّه ، وطوى عن الخلق معرفة حاله ؛ فهو  
- وإن أشكل عليهم موضع الحاجة إليه ، وموقع العائنة به ؛ ورؤى بهم اضطراباً  
فى ظاهره عند تأملهم إياه بمقادير عقولهم ، ومبالغ أنفهامهم - مبني على أوثق أساس  
الحكمة ، وأثبت أركان الصّواب على البسطة ؛ وكيف لا يكون كذلك ؟ والله خالق  
الأشياء كلّها ، وطالم بها قبل كونها ؛ فى أحوال تكوينه إياها وبعدّه فى مزرع غاياتها  
ومقتضى عواقبها ؛ فليس تخفى عليه خافية ، ولا تمزّب عنه دانية ولا قاصية ؛ ولا يسقط  
عن معرفته فصل ما بين الخطّاطرين والوهميين فى الخير والشر ، وما بين الجبليّين والدرّيين  
فى الوُفُور والعمور ، فكيف بما يبرزه الظهور ؛ ويخترّ فيه عن موضع التدبير ، المحتاج  
فيه إلى إحكام الصّنع وإتقان التقدير ؛ ومن ظنّ أنّ شيئاً من ذلك يخرج عن نهج  
الصواب ، ويخالف طريق الصّلاح ؛ فقد ضلّ من حيث ضلّ ، وغلط من  
حيث غلط ؛ وأتصل سوء ظنّه ، وفساد فكره ؛ بالزّواية على فعل ربّه ، تعالى عن  
قول المبطلين ، ورجم الشّياطين .

ثم إن لله جلّ جلاله عادة فى الجيشتين المضماريين ، والحزبين المتحاكين : من  
عباده المؤمنين ، وأضدادهم المفسدين الملعدين ؛ فى المداولة بينهما ، والمعاملة  
بين الفتيّتين منهما ؛ فى العجز والظهور ، والوفاء والقصور ، والمعاونة والأمتحان ،

والتصروا والخذلان ؛ والإعلاء لِرَايَةِ الْحَقِّ في حال ، والإملاء للباطل في أخرى ؛  
بتخصيص الخيرة لأوليائه ، والدائرة على أعدائه ؛ عاجلا بالتمحيص لهؤلاء ،  
وبالحق لأولئك ؛ بما يصل إليهم من مصيبتهم ، ويتوهم في حاضر الدنيا من رغبته ؛  
ويحل العادين من المشركين دار الفاسقين ، ويحل العاقبة للثقلين ؛ ومن سعد  
بقسم من التوفيق ، وحظ من فائدة الإرشاد ؛ فليس في هذه الحالة زيادة  
أنصار وعده ، وفضل عتاد وعده ؛ وبسالة ويحمده ، وأيد وقوه ، وسعة وبسطه ؛  
ولا يمتد أن يسلم لله تعالى قاضيا له وطيه ، ويؤي بإحدى الحسينين من طووه ،  
أو ظلبة عدوه ، أو توكل عليه ؛ وهو حسبه منعمًا ، ومتمحتا ومُعافيا ومُسَلِّما ؛  
ونعم الوكيل .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية مستعمل بين الحكّاب ، دائر  
في مُصطلحاتهم إلى الآن . ولشَيْخ شهاب الدين محمود الحلبي في ذلك تفتنات  
كثيرة ، أورد بعضها في كتابه "حسن التوسل" .

فإن ذلك ما أنشأه فيمن هزيم هو وجيشه ، يتضمّن إقامة عدوه ، ووصف أجنياده ؛  
ويحث على معاودة صدوه ، والطلب بثاره ؛ وهو :

هذه المكتبة إلى فلان : لازال مأمون الفره ، مأمول الكره ، مجتديا حلو الظفر  
من أكام تلك الموة المره ؛ راجيا من عواقب الصبر أن يسفر له مساء تلك الساءة  
عن صبح الممره ، واتما من عوائد نصر الله بإعادتهم معي في [ القوة و ] الاستظهار  
كما بدأهم أقل مره .

(١) يابض في الأصل ولله "فليس أتمعاره" تأمل .

(٢) الزيادة من "حسن التوسل" (ص ١١٧) .



أصدرناها وقد اتصل بنا نبأ ذلك المقام الذى أوصحت فيه السيوف ضلوعاً ،  
وأبنت به النكحة صبرها ، وأظهرت فيه الحسة من الوثبات والثبات ما يجب عليها ،  
وبللت فيه الأبطال من الجلال جُهداً ولكن لم يكن الظفر إليها ، وكان عليهم  
الإقدام على غمرات المنون ، والأصطلاح بجمرات الحرب الزبون ، ولم يكن عليهم  
إتمام ما قدر أنه لا يكون ، فكابر رقب الأعداء فى ذلك الموقف السيوف ، وكثرت  
أعدائهم الخوف ، وتدقت بحارهم على جداول من معه ولولا حكم القدر لانتصفت  
تلك الآحاد من تلك الألوف ، فضاق بأزدحام الصفوف على رجاله المجال ، وزاد  
العدد على الجلد فلم يجد له الإقدام على الأوجال مع قدوم الأجال ، وأملى للكافرين  
بما قدر لهم من الإنظار ، وحصل لهم من الاستظهار ، وعوضوا بما لم يعرفوه من الإقدام  
عما ألفوه من الفرار . ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض )  
وقد ورد أنهم ينصرون كما تنصر ، وإذا كانت الحروب مجالاً فلا ينسب إلى من  
كانت عليه [وبالآ] إذا اجتهد ولم يساعده القدر أنه قصر . مع أنه قد اشتهر بما فعله  
فى مجاله ، من اللب عن رجاله ، وما أبداه فى قتاله ، من الضرب الذى ما تروى  
فيه خصمه إلا بذكره بارتجاله ، وإن الرماح التى امتدت إليه أنحس سيقه السنة  
أستبها ، والحياد التى أقدمت عليه جعل طعنة أكفأها مكاناً أعتبها ، فأنبت  
فى مستنقع الموت رجله ، ووقف وما فى الموت شك لواقف ليحصى خيله ورجله ،  
حتى تميز أصحابه إلى فئة مأمنين ، وأقام نفسه دونهم دريئة لمن بدر من سرطان القوم  
أو ظهر من مكبتهم ، وهذا هو الموقف الذى قام له مقام النصر ، إذ فاته النصر  
وفاته النصر ، والمقام الذى أصيب فيه من أصحابه آحاد يدركهم أدنى العمد وقد

فيه من اعدائه مع ظهورهم ألوف لا يدركهم الحصر؛ [وكذا فليكن قلب<sup>(١)</sup>] الجيش كالقلب يقوى بقوته الجسد، وإذا حق اللقاء فلا يفِر عن كَناسِه إلا الظبي ولا ينجي<sup>(١)</sup> [عَريته] إلا الأسد؛ وما بقي إلا أن تغفو الكُوم، وتثوب الحُلوم؛ وتتدمل الجراح، وتبرأ من قُلول المفارِب سُدُور الصِّفاح؛ وتنهَض لاقتضاء دين الدين، من غُرماته المعتدين؛ وتُكادر إلى استنجاز وعد الله بأن الله يُحصِّص المؤمنين، ويحقِّق الكافرين؛ والليث إذا جرح كان أشدَّ لثباته، وأمدَّ لوثباته؛ والمؤثور لا يُصطَل بناه، والتائر لا يرغب الإقدام على المتون في طلب ناره؛ والدمر ذو دُول، والزمان متلون إن دَجَّت عليكم منه بالقهر ليلة واحدة فقد أشرقت لكم منه بالنصر ليالٍ أول، فالمولى لا يلتفت إلى ما فات، ويُقبِلُ بفكره على تدبير ما هو آت؛ ويُعيد للحرب عُدته، ويسجل أمد الاستظهار ومُدته؛ ولا يُفرق فرصة الإيمان، ولا يعيد ذمَّ ماضٍ فإنه دخل في خبر كان؛ ولا يُظهِر بما جرى عَجْزاً، فإن العاجز من ظن أنه يُصيب ولا يُصاب، ولا يُتخذ غير ظهر حصانه حصناً فلا حرز أمتع من صهوة الجواد ولا سُلَّم أسلم من الركب؛ وليعلم أن العاقبة للتيقن، ويدرع جنة الصبر ليكون من النصر على قَية ومن الظفر على يقين، فإن الله مع الصابرين؛ ومن كان الله معه كانت يده الطولى؛ وإذا لقي عَدُوَّه وعَدُوَّه فليصبر لحملته فإن الصبر عند الصدمة الأولى؛ والله تعالى يكلِّه بعينه، ويمدُّه بعونه، ويمهل الظفر بعُدوه موقوفاً على مطالبته له بدينه .

(١) الزيادة من "حسن التوسل" (ص ١١٨) .

(٢) "حسن التوسل" ولا يظن ما جرى الخ .



ومن ذلك ما كتبه على لسان المهزوم يتضمن الاعتذار ، ويصف الإخفاق بأخذ النار .

هذه المكتبة إلى فلان : أتبع الله ما ساءه من أمرنا مع العدو بما يسره ، وبلغه عنا من الانتصاف والانتصار ما يظهر من صدور الصفايح والسنة الرماح سره ، وأراه من عواقب صنعه الجليل بنا ما يتحقق به أن كسوف الشمس لا ينال طلعها وإن سرار القمر لا يضره . توخى لعلنا أنه ربما اتصل به خبر تلك الواقعة التي صدقنا فيها اللقاء ، وصدقنا العدو صنعة من لا يحب البقاء ؛ وأريناه حرباً لو أمانها التأيد فقلت بجوهره ، وأدقناه ضرباً لو أن حكم النصر فيه إلى النصير أوجده مصارعة وأعلمه رجوعه . وحين شرعت رياح النصر تهب ، وحقاب الدماء من مقاتلهم تصوب وتصب ؛ وكرعت الصفايح في موارد ثورهم ، وكشفت الرماح خبايا صدورهم ؛ وما بقي إلا أن تستكمل سيوفنا الرى من دمايمهم ، ونقف صقوفنا على ربوات أشلائهم ؛ ونقبض بالكف من صفحت الصفايح عن دمه ، ونكف بالقبض يد من ألبسته الجراح حلة عنده ؛ وأظهروا انزعاج في عزائمهم ، وحكوا الطمع في غنائمهم ؛ فحصل بلندننا عجب أعجل سيوفنا أن تيم هنم بنائهم ، وطمع منع جيوشنا أن تكف عن<sup>(١)</sup> التهب إلى أن يصير من ورائهم ؛ فأغنم العدو تلك النفلة التي ساقها المهلكان ، الشجب والطمع ، وآتتهز فرصة الإمكان ، التي أمانه طليها [المطمعان] إبداء الملح ، ونخلة ما جمع ،

(١) كذا في حسن التوسل وفي الأصل "الفرقة" ولعلها مصحفة عن "النفوة" .

(٢) في حسن التوسل "فرصة الكرة" .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل (ص ١١٩) .

فانتثر [من جمعنا] <sup>(١)</sup> بعض ذلك العِقدِ المنظم ، وانتقض من حِزبنا رُكنُ ذلك الصِّفِّ الذي أخذ فيه الزَّحامُ بالكُفِّ ؛ وثبت الخادم في طائفة من ذَوِي القُوَّة في قَبِيهِمْ ، وأرَّابِ البصائرِ دِينِهِمْ ؛ فكسرتنا جُفُونُ السُّيُوفِ ، وحطَّمتنا صُدُورُ الرِّيحِ في صدور الصُّفوفِ ، وأرَّينا تلك الألوِّفَ كيف تُعَدُّ الآحاد بالأكوفِ ؛ وحلَّنا بين العدوِّ وبين أصحابنا بضربٍ يَكْفُفُ أطماعَهُمْ ، ويُرْدِّ سِرَاعَهُمْ ، ويُعَيِّ وَيُصِمُّ عن الآثار والأخبار أَبْصَارَهُمْ وأَسْمَاعَهُمْ ؛ إلى أن نَقَسْنَا للنهزم من خِفافِهِ ، وآبَسْنَا طَالِيَهُ عن لحافِهِ ، ورَدَدْنَاهُ عنه خَائِبًا بعد أن كَانَتْ يَدُهُ تَعْتَلِقُ بِأطواقِهِ ؛ وأَحْجَمَ الْمُتَوَّعُ ما يرى من قَلْبِنَا من الإقدام علينا ، ورأى منا جِدًّا كاد لولا كثرة جمعه يستسلم به إلينا ؛ وعادوا ولنا في قلوبِهِمْ رُغْبٌ يَتْلِيهِمْ وهم الغالبون ، [ويُدْرِكُهُمْ وهم الطالبون] <sup>(٢)</sup> وَيَسْلُبُهُمْ رِداءَ الأَمْنِ وهم السالبون ؛ وقد لَمْ انْخَدامَ شَعَتَ رجاله ، وضمَّ فِرْقَهُمْ بذخائر ماله ؛ وأَمَدَّهُمْ بِنَفَقَاتِ أَصْلَاحِ أحوالِهِمْ ، وأطلقت في طلبِ عَدُوِّ اللَّهِ أَقْوالَهُمْ ؛ وَسَلَّجَ جَدَدَ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وأحانَ شُجَاعَتَهُمْ ؛ وَخَبَّلَ تَكَادَ تَسَائِقَهُمْ إلى طَلَبِ عَدُوِّهِمْ ، وَتَحْضُمُهم على أخذ حَفْظِهِمْ من اللِّقَاءِ كَانَتْهَا تَسَاهُمُهُمْ في أَجْرِ رَوَاحِهِمْ وَغُدُوِّهِمْ ؛ وقد نَضُّوا رِداءَ الإعْجَابِ عن أَكتافِهِمْ ، وأَعْتَصَمُوا بِعَوْنِ اللَّهِ وتأييده لا بِقُوَّةِ جَلْدِهِمْ ولا بِجِدَّةِ أَسْيافِهِمْ ؛ وَسَيَّجِلُونُ العدوَّ - إن شاء الله تعالى - عن أَنْدِمَالِ حِرَاحِهِ ، وَيَتَجَبَّلُونُ إليه بِجَيوشِ تَسْوِهِمِ طَلَائِمُهَا في مَسَائِهِ وتُصَبِّحُهُ كَتَائِبُهَا في صَبَاحِهِ ؛ والله تعالى لا يَكُنُّنا إلى جَلْدِنَا ، ولا يَنْزِعُ أَعْتَةً نَصَرَهُ مِنْ يَدِنَا .

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ٩١٩) .

(٢) الأصل "وَضَرَبَهُمْ" والصحيح عن حسن التوسل .

### الصفحة التاسع (المكتبة بتوبيخ المهزوم وتقريره والتهم به)

وهذا النوع من المكتبات قليل الوقوع، ولذلك لم يتعرض إليه في "مواد البيان".  
والذى ينبغي أن تُفنى المكتبة فيه عليه ذكر هزيمة المهزوم وما استولى عليه من  
الغلبة والقهر، وصورة الحال في النصر عليه، والاستيلاء على بلاده وأمواله وسائر  
ذات يده؛ وأمير رجاله، واسترقاق ذرائعهم ونسائهم؛ وما يجرى مجرى ذلك : مما فيه  
إعلام خاطره، وتطبيع قلبه خسرات على ما ناله، ونحو ذلك مما يدعو المكتوب  
إليه إلى الطاعة، ويوجب الاتقياء.

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط : كتب به القاضي محي الدين بن عبد الظاهر  
رحمه الله، إلى البولس محمد ملك القرنج، المستولى على طرابلس من الشام، وأنطاكية<sup>(١)</sup>  
من بلاد العواصم حين غزاه الملك<sup>(٢)</sup> في طرابلس، ثم قصد أنطاكية فأخذها  
من طائفة، وهي :

قد علم القومص الجليل المتقبة مخاطبته - بأخذ أنطاكية منه - من البولسية إلى  
القومصية ؛ ألهمه الله رشده، وقرن بالخير قصده، وجعل النصيحة محفظة عنده؛  
ما كان من قصيدنا طرابلس وغزونا له في حق الدار، وما شاهدنا بعد رجلا من  
إنراب الهائر وقدم الأعمار؛ وكيف كُنست تلك الكائن من على بساط الأرض  
ودارت الدوائر على كل دائر، وكيف جُعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل  
البحر كالجزائر؛ وكيف قُطرت الرجال وأسُخِمت الأولاد وتُمَلكت الجزائر؛ وكيف  
قُطعت الأشجار ولم يُترك إلا ما يصلح لأعواد الخنايق - إن شاء الله تعالى - والستائر؛

(١) كما بالأصل باهمال النقط وفي "الكامل" لابن الأمير (ج ١٠، ص ٢٥٤) "بمته".

(٢) ياض بالأصل مقدار كلمة .

(٣) كما بالأصل وله "مئة مرة".

وكيف نُبِيتَ لك وَلَرِيعَتِكَ الأموال والحريمُ والأولادُ والحواشي ، وكيف آسَفتُ  
الفقيرُ وتاهَلُ العَازِبُ واستخدمَ الحريمَ وَرَكِبَ المَاشِي ، هذا وأنتَ تَنظُرُ تَنظُرَ المَغْشِي  
عليه من المَوْتِ ، وإذا سَمِعْتَ صَوْتًا قَلْتَ قَرْعًا : عَلَى هذا الصَّوْتِ ؛ وكيف رَحَلْنَا  
عنكَ رَحِيلَ من يَمُود ، وأخْرَناكَ وما كَانَ تَأْخِيرُكَ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْلُودٍ ؛ وكيف فَارَقْنَا  
بِلادَكَ وما بَقِيَتْ فيها مَاشِيَه ، إِلَّا وهى لَدِينَا مَاشِيَه ؛ ولا جَارِيَه ، إِلَّا وهى فِي مِلْكِنَا  
جَارِيَه ؛ ولا سَارِيَه ، إِلَّا وهى بَيْنَ أَيْدِي المَعَاوِيلِ سَارِيَه ؛ ولا زَرْعٌ إِلَّا وهُوَ مَحْصُودٌ ،  
ولا مَوْجُودٌ إِلَّا وهُوَ مِنْكَ مَقْضُودٌ ؛ وَمَا مَنَعَتْ تِلْكَ المَغَايِرُ الَّتِي هِيَ فِي رُؤُوسِ الجِبَالِ  
الشَّاهِقَةِ ، وَلَا تِلْكَ الأَوْدِيَةُ الَّتِي فِي التَّخُومِ مَخْزُوقَةٌ وَلِلْمَقُولِ خَارِقَه ؛ وكيف سُقْنَا  
عنكَ ولم يَسِقْنَا إِلَى مَدِينَتِكَ أَنْطَاكِةَ خَبَر ، وكيف وَصَلْنَا إِلَيْهَا وَأَنْتَ لَا تُصَلِّقُ  
أَنْتَا تَبْعُدُ عَنْكَ وَإِنْ بَعْدُنَا فَسَنَعُودُ عَلَى الأَثَرِ ؛ وَهَذَا نَحْنُ نَعْلَمُكَ بِمَا تَمَّ ، وَفَهْمُكَ  
بالبلاء الذى تَمَّ .

كَانَ رَحِيلُنَا عَنْكَ مِنْ طَرَابُلُسَ يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ ، وَزُودْنَا أَنْطَاكِةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛  
وَفِي حَالِ التَّزُولِ نَحْرَجْتَ عَسَاكِرُكَ لِلْمُبَارَاةِ وَتَنَاصَرُوا فَمَا نَصَرُوا ، وَأَسْرَمَ بَيْنَهُمْ  
كَدَ اسْطِطْلَ فَسَالُ فِي مَرَاجِعَةِ أَصْحَابِكَ ، فَدَخَلَ إِلَى المَدِينَةِ ، فَفَرَجَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ  
رُهْبَانِكَ : وَإِنْ رَأَيْتَهُمْ فِي التَّخِيرِ مُخْتَلِفٌ ، وَقَوْلُهُمْ فِي الشَّرِّ وَاحِدٌ ؛ فَلَمَّا رَأَيْنَاهُمْ قَدْ قَاتَ  
فِيهِمُ الْقُوَّةَ ، وَأَنْتُمْ قَدْ قَرَأْتَهُ طَلِيمَ المَوْتِ ؛ رَدَدْنَاهُمْ وَقُلْنَا : نَحْنُ السَّاعَةُ لَكُمْ  
مُخَاصِرٌ ، وَهَذَا هُوَ الأَوَّلُ فِي الإِنْذَارِ وَالْآخِرُ ؛ فَرَجَعُوا بِهِ مُتَشَبِّهِينَ بِفِعْلِكَ ، وَمُعْتَقِدِينَ  
أَنَّكَ تَدْرِكُهُمْ بِجَيْشِكَ وَرَجْلِكَ ؛ فَفِي بَعْضِ سَاعَةِ مَرَّشَانَ المَرِشَانَ ، وَدَاخَلَ الرُّهْبُ  
الرُّهْبَانَ ؛ وَلَآنَ لِلْبَلَاءِ التَّسْطَلَّانِ ، وَجَاءَهُمُ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَفَتَحْنَاهَا بِالسَّيْفِ

(١) لم يرد في كتب اللغة جمع المغارة على مفار ، وإنما جمعه مغارات .

(٢) كذا في الأصل باهمال جميع الحروف .

في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان؛ وقتلنا كل من آخرته لحفظها  
والحماة منها، وما كان أحد منهم إلا وعنده شيء من الدنيا فما بقي أحد منا إلا وعنده  
شيء منهم ومنها؛ فلورأيت خيالتك وهي صرعى تحت أرجل الخيول، وإياك  
والنباة فيها تصول والكسابة فيها تجول؛ وأموالك وهي توزن بالقطار، وإماءك  
وكل أربع منها تباع فتشترى من مالك بدينار؛ ولورأيت كتابك وصليانها قد كسرت  
وتيرت، ومحفها من الأناجيل المزورة قد كسرت، وقبور البطارقة وقد تغيرت؛  
ولورأيت مدوك المسلم وقد داس مكان القدس، والمدبح وقد دبح فيه الرأب  
والفيس والشماس؛ والبطارقة وقد دهموا بطارقة، وأبناء المملكة وقد دخلوا  
في المملكة؛ ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تحترق، والقتل بآر الدنيا قبل نار  
الآخرة تحترق؛ وقصورك وأحوالها قد حالت، وكيسة بونصر وكيسة القسيان  
وقد زلت كل منهما وزالت - لكنت هول - ياليتي كنت تزيًا، واليتي لم أوت  
بهذا الخبر كتابًا؛ ولكانت نفسك تلعب من حمرتك، ولكنت تطغى تلك النيران  
بماء صبرتك؛ ولورأيت مغانيك وقد أقفرت، ومرايك وقد أخذت في السويديّة  
بمراكبك، لصارت شوانيك من شوانيك؛ ولتيقنت أن الإله الذي أنطاك أنطاكية  
منك أسرجهما، والرب الذي أعطاك قلمتها منك قلما ومن الأرض أقتلها. ولتعلم  
أنّا قد أخذنا بحمد الله منك ما كنت أخذته من حصون الإسلام، وهو دركوش،  
وشقيف تل مس<sup>(١)</sup>، وشقيف كفردين، وجميع ما كان لك في بلاد أنطاكية  
في هذه الملة إقامة<sup>(٢)</sup> (وكونك ما كنت بها، فيكون إما قتيلا وإما أسيرا، وإما جريحًا

(١) في الأصل "تليس" ولم نثرطيه في المعجم راقي في معجم البلدان لياقوت أن تل مسّ حصن

قرب معرة النعمان بالشام .

ولما كَبِيرًا ؛ وسلامة النفس هي التي يفرح بها الحق إذا شاهد الأموات ، ولعلَّ الله لما أُنْزِلَ لأنَّ تَسْتَدْرِكَ من الطاعة والخِدْمَةِ ما فات ؛ ولما لم يَسْلَمْ أحدٌ يُخْبِرُك بما جرى خَبْرَتَكَ ، ولما لم يَقْدِرْ أحدٌ [أن] يَأْشِرَكَ بالبُشْرَى بِسلامة نفسك وهلاك ما سِوَاهَا بِأَشْرَتِكَ بهذه المفاوضة وبَشْرَتِكَ ، لَتَحَقِّقَ الأمرُ على ما جرى ، وبعد هذه المكتابة لا ينبغي لك أن تُكذِّبَ لنا خبرًا ، كما أنَّ بُعْدَ هذه المخاطبة يجب أن لا نَسْأَلَ عما جرى .



وهذه نسخة في هذا المعنى ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :  
هذه المكتابة إلى فلان أَقَالَه اللهُ عِزَّةَ زَلَّتِهِ ، وأقامه من حُفْرَةِ ذَلَّتِهِ ، ويجاوز له عن كبيرة فِرَارِهِ من جَمْعِ عُدُوِّهِ على قَلَّتِهِ .

بلغنا أمرُ الواقعة التي لَقِيَ فيها [العدو<sup>(١)</sup>] بجمع قليل غَنَّاؤُهُ ، ضَعِيفِ بِنَاؤُهُ ؛ كشف في رَأْيِ العين جَمْعُهُ ، خَفِيف في المعنى وَقَعُهُ وَهَمُّهُ ؛ أَمْرَعُ في مفارقة المجال ، من الظَّلِّ في الانتقال ، وأَشْبَه في مُمَّاثَلَةِ الوجود بالمعدم من طَيفِ الخيال ؛ يَمْشُونَ<sup>(٢)</sup> إليه بَقَلْبٍ واجب ، ويهتدون من تَحَرُّصِهِ بِرَأْيِ يَنْتَه وَيَنْفِ الصُّوَابِ أَلْفَ حَاجِبٍ ؛ وَيَأْتُونَ منه بِمَقْدَمِ رَأْيِ الواحد من عُدُوِّهِ كَأَلْفٍ ، وَيَتَسَرَّعُونَ منه وراءَ مَقْدَامِ يَمْشِي إلى الزَّخْفِ وَلَكِنْ إلى خَلْفٍ ؛ جَنَاحُ جَيْشِهِ مَهِيضٌ ، وَطَرْفُ سِنَانِهِ غَضِيضٌ ؛ وَمَسَاقَةُ عَسْكَرِهِ طَالِعٌ ، وَطَلَائِعُهُ كَالنُّجُومِ وَلَكِنْ في حال كونها رَاجِعَةٌ ؛ تَأْسُفُ السِيُوفُ بِمَيْمَنِهِ على ضارب ، وَتَأْمِنُ الْحَتَابُ حَوْلَهُ إِذْ تُعَدُّ مُحَارِبٌ قُعْدٌ لِمَارِبٍ ؛

(١) الزيادة من "حسن التوسل" (ص ١١٨) .

(٢) في الأصل "يمضون عنه" والتصحيح من "حسن التوسل" .

(٣) كذا في "حسن التوسل" والقي في الأصل "ويهتدون من تجريه وتهذيبه بينه" الخ ، ولا معنى له .



وأنه حين وقعت العين على العين ، وأيقن عدوه لما رأى من عدده وعدده معالجة الحين ؛ أعجل نُصُولَ العدا عن وُصُولها ، وترك غنيمة الظفر لعداه بعد أن أشرف على حُصُولها ؛ تُناديه السِنَّةُ أَسِنَّةً : الكَرَّةُ الكَرَّةُ فلا يلوى إلى نِدَائِها ، وتُسْكُو إليه سيوفه الظُّمَأُ وقد رأت موارد الوريد فبرئها إلى النُمود بدائنها ؛ ففتح عدوه مقاتل رجاله ، وأباحهم كَرَأَمَ مال جُنْدِه وماله ؛ وغلّ لم خزان سِلَاحه التي أعطاها لقتالهم فأصبحت مُعدَّةً لِقِتَالِه ؛ فنجى منجى الحارث بن هشام ، وآب بسلامة أَعْذَبُ منها لو جَلَّ شَرْبُ كأس الحِمام ؛ وأقسم بين أوليائه وأعدائه بِسِمَةِ الْفِرَارِ ، وكان يقال : النَّارُ ولا العار ، بجمع له فِرَارُهُ مِنْ الرِّخْفِ بين النَّارِ والعَارِ ؛ وباد بجمع موفور من الجراح ، مُوقِر من الإثم والاعتِرَاج ؛ لا عِلْمَ بما جرى عند أسيافهم ، ولا شَاهدٍ بمشاهدتهم الوغى غير مواقع الثُّبَا في أكتافهم ؛ فبأى جَنَانٍ يَطْمَعُ في معاودة عدوه من هذا قلبه ، وهؤلاء حِزْبُهُ ، [وذلك القتال قتاله وتلك الحرب حربُه] .

وبعد فإن كانت له حِجْمَةٌ فستظهر آثارها ، أو أَرِيحِيَّةٌ فستشِبُّ نَارُها ؛ أو أَمَةٌ فستَحِمِلُه على غَسْلِ هذه الدُّنْيَا ، وتبعته على طَلَبِ قَائِمَتَيْنِ : إما شهادة مُرِيحَةٍ أو حياة هَنِيئة ؛ والله تعالى يُوقِفُ عِزْمَه من سِتِّه ، ويسجل له الاتِّصَافَ من عدوه قبل إكمال سِتِّه .

## الصفى العاشر

(في المكتبات بالتضييق على أهل الجرائم)

قال في "مواد البيان" : لم يزل السلطان يكتب إلى الولاة سعد ما يفتى [إليه] من إقدام الرعايا على ارتكاب الجرائم ، وأسباحة المحارم ، وأقتراف المآثم ؛ كالزنا

(١) في "حسن التوسل" «ولا يفتى» .

(٢) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١١٩) .

واللواط، وشرب الخمر، وقطع الطرق، والنصب والتظالم، وما يجري هذا الجري -  
بالتضييق عليهم، وإقامة حدود الله تعالى فيهم .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله البادئ بنعمته قبل اقتراس طاعته، المُمِيتَ  
بفضله قبل إيجاب شكره؛ خالق الخلاق جوداً وكرماً، وموسعهم مناً ونِعْماً؛ الذي  
اختار دين الإسلام وظهره من الأرجاس، ونزّهه عن الأدناس، واختص به صفوته  
من الناس؛ وأبتعت به عهداً سيّد المرسلين : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ  
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . يحمد أمير المؤمنين أن قوّض إليه إمالة خلقه، وأقدره على القيام  
بخدمته؛ ونصبه لإعزاز دينه، والمحافظة على مقروضه ومسئونه؛ وزيادة العباد  
عن محاربه التي نهى عن التعدي إليها، وإقامة الحدود عليهم فيها؛ ويسأله الصلاة  
على عهد صلى الله عليه وسلم .

ثم يقال : وإن أمير المؤمنين يرى أن من أعظم نعم الله تعالى عليه توقيفه لحفظ  
ما استحقّقه من شريعته، ورعاية ما استرطاه من برّقه، وتوفير القيام على من قلده  
النظر فيهم، وأخذاد ما يعود بالصلاح في الدين والدنيا عليهم؛ ومسأواته بين قريبهم  
وبعيدهم في تقديده، ومماثلته بين قاصيهم ودانيهم في تهديده؛ فلا يزال القريب [فقط] نصيباً من  
رعايته ويعلّم جاهلهم، ويهدي حائرهم، ويسعد بصائرهم، ويشفق  
مائفهم، ويصلح فاسدهم؛ ويتقوّم من مواعظه بما يرد الثّل؛ ويشفي العلل؛  
ويستخ الشك باليقين، ويقيس مقاييس النور المبين [فن] أصنى إلى إرشاده سعد  
جلّه، وورى زنده، وأحمد يومه وغده؛ ومن خالف عن أمره ضلّ مساعاه، وخسر  
آخرته ودنياه، ودعا إلى اتباع أمر الله تعالى في هويّه وإصلاحه، والكف بإقامة  
الحدود عليه من حماحه .

وَأَتَمَّنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ وَأَهْلَ الدَّوَّارَةِ قَبْلَكُمْ مِنْ اخْتِطَابِ  
الْآثَامِ ، وَأَسْتَعْمَاتِ مَرَاكِبِ الْحَرَامِ ، وَالْاِسْتِهَارِ بِمَحْطُورِ اللَّذَاتِ ، وَالْإِكْتَابِ عَلَى  
دِفْيَةِ الشُّهُوَاتِ ، الَّتِي تَسْلُخُ مِنَ الدِّينِ ، وَتُخْرِجُ عَنْ دَائِرَةِ الْمَسَامِينِ ، وَتَنْقَعُ عَنْ نَادِيَةِ  
الْعِبَادَاتِ ، وَإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ ، وَتَغْطِي فِي سِلْكِ الْبَهَائِمِ الْمُرْسَلَةِ ، وَالسَّوَامِ الْمُهْمَلَةِ .  
وَتَقْصِرُ مَشَائِخِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ عَنْ كَفِّهِمْ ، وَالْأَخْذِ عَلَى أَكْفِهِمْ ، وَتَعْرِضُهُمْ وَجُوهَ  
مَرَاشِدِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ ، فَامْتَعْصَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَشْفَقْ مِنْ نَزُولِ الْقَوَارِعِ وَالْمُثَلَّاتِ ،  
وَحُلُولِ الْبَلِيَّاتِ وَالْآبَاتِ ، وَارْتِجَاعِ مَا أَوْدَعَكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَاتْرَاعِ مَا أَلْبَسَكَ  
مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَابْدِرْ بِكَاتِبِهِ مُوقِفًا لِفَاعِلِكُمْ ، وَبَصْرًا لِنَاهِلِكُمْ ، وَبَاحًا لَكُمْ عَلَى مَرَاضِيهِ  
الْأُولَى ، وَمَعَارِدِ الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ، وَمِبَادِرَةِ آجَالِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَالْأَخْذِ لِأَعْرَافِكُمْ  
مِنْ أَوْلَاكُمْ ، وَلَسَقَمِكُمْ مِنْ مَحْصَنِكُمْ ، وَلِنُومِكُمْ مِنْ يَقِظَتِكُمْ ، طَالِمِنْ بَانَ الدُّنْيَا لَبَّابُ  
وَلَهُوْ ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا كَسَفَرٍ شَارَفُوا الْمَثَلَ . فَاجْهَلُوا عِبَادَ اللَّهِ  
وَأَحْسِنُوا ، وَأَفْلَحُوا وَارْجُوا ، وَأَسْمِعُوا وَصُوا ، فَكَانَكُمْ وَاللَّهُ وَقَدْ تَوَحَّشَتْ خُدْعُهَا ،  
وَتَصَرَّمْ مَتَاعُهَا ، وَجَلَّ مَتَوَقَّعُهَا ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَثَّقَ بِمَا قَدَّمَ لِنَفْسِهِ بَعْدَ تَقَادُّ أَيَّامِهِ ،  
وَوُرُودِ حِمَامِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَفْرَطَ وَفَرَطَ ، وَنَلِمَ حَيْثُ لَا مَنَدَمَ ، وَأَوْعَزَ إِلَى وَإِلَى الْحَرْبِ  
فَلَانَ بَقَرَاءَةً مَانَصَّ فِيهِ هَلِكُمْ ، وَاخْتِبَارَ سَيْرِكُمْ بَعْدَ مَرُورِهِ عَلَى أَسْمَاعِكُمْ ، فَمَنْ رَغِبَ  
فِي التَّقْوَى ، وَآثَرَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا ، عَرَفَ ذَلِكَ وَتَوَخَّاهُ بِتَكْرِمَتِهِ وَيَتَوَلَّاهُ ، وَمَنْ أَبَى  
إِلَّا غَوَايَةَ وَضَلَالًا ، وَطَلَالَ وَخَالَ ، أَقَامَ حَتَّى أَهْلَى عَلَيْهِ غَيْرَ مَرَاقِبَ فِيهِ . فَرَحِمَ  
اللَّهُ عِبْدًا صَانًا نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنَ النَّارِ ، وَحَامَاهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ،  
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرْجُو أَنْ يَنْفَعَكُمْ اللَّهُ هِدَايَتَهُ ، وَيَشْفِيَ صُدُورَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَيُرْشِدَكُمْ  
إِلَى مَا يُقْضَى بِكُمْ إِلَى الْكَيْفَايَةِ وَالْحِمَايَةِ . فَلْيَعْلَمْ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ ذَلِكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَرَقِيهِ ، وَلْيَعْمَلْ عَلَيْهِ بِجَهَنَّمِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

## الصف الحادي عشر

### ( الكُتُبُ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّنَازُعِ فِي الدِّينِ )

قال في "مواد البيان" : من أهم ما صرف إليه السلطان تفقده ، ووقف عليه [تفقدته] أمر الرعايا في أعماله ، وتنفيد الكتب إليهم بالنهي عن التنازع في الدين ، وحسم أسباب المجادلة والمراء ، والتحذير من اتباع البدع والأهواء ، والإخلاص إلى مفضل النحل والآراء : لأنه متى فسح لهم في هذا الباب صاروا شيعاً متباينين ، ورفقاً متحاربين ؛ وأنشئت عصاهم ، وأقصت حيلهم ، ونهروا عن أحكام أهل السلامة إلى أحكام أهل الفتنة ، وعاد ضرر ذلك على الدين والسلطان . ولهذا صرف إليه الساسة الحزمة من الملوك الاهتمام ، ولم يتخلوا بحسم مادته على تنابر الأيام .

ثم قال : والرسم فيها أن تصدر بحمد الله تعالى على نعمه في تأليف كلمة أهل الإسلام ، وما من به عليهم من الاغتراب والالتهاء ؛ وشكره على موهبته في نزع الفل من صدورهم ، والتأليف بين قلوبهم ، وتصييرهم إخواناً متصافين ، وخُلَفاءاً متوافين ؛ وعونهم بما وقفهم له من إظهارهم على من شق عصاهم ، وإقذارهم بما منحهم من الألفة على مرأمة من رآهم ؛ والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ثم يشفع هذا بأن أمير المؤمنين بما مكّنه الله تعالى من مراضيه ، ووقفه له من القيام بقرضه ، والنهوض بحقوق طاعته ، والعمل بكفاه وسعيه ، ورغبته في الخير العام ؛ ويُمَوِّلُ الصِّلاح لكافة الأنام - لا يزال يحض رعيته على ما يقضى بسداد دينهم ، وحسن المقلب في أحرارهم ؛ ويرى أن أنفع ذلك عائده ، وأجزله فائده ، ما رفع عنهم أسباب التناحر ، ودعاهم إلى التعاضد والتطافر ؛ وحال بينهم وبين الخوض في محدث النحل والآراء ، والإصغاء إلى مفضل البدع والأهواء ؛ التي

تَصُدُّ عَنْ سَنَنِ الْمَلْدَى، وَتُلْقَى فِي مَهَاوِي الرَّدَى، وَتَدْعُو إِلَى شَسِّ الْعَصَا، وَتَحْضِي بِانْتِثَارِ النِّظَام، وَآخِطْلَافِ الْأَنَام، وَأَنْفِصَامِ عُرَى الْإِسْلَام. وَتَقْهِيهِمْ عَنِ الْمَارَاة فِي الدِّين، وَالْإِصْغَاء إِلَى سُنَّةِ الْمُضِلِّينَ، الْمُعْطَلَّةَ لِلْسُّنَنِ، الْقَادِحَةَ لِلْفَقَنِ، الدَّاعِيَةَ إِلَى أَحْتِقَابِ الْأَنَام، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ الْحَرَامِ، وَنَحْوِ هَذَا مِمَّا يَضَاهِيهِ.

ثم يقول: وَاتَّهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَفَاتَكُمُ عَنْ مَعَايِشِكُمُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِدُنْيَاكُمْ قَوَامًا، وَعِبَادَتِكُمُ الَّتِي صَبَّرَهَا لِأَخْرَجَتِكُمُ نِظَامًا، وَاقْبَالُكُمْ عَلَى الْمَارَاةِ وَالْمُنَازَعَةِ، وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُجَادَلَةِ، إِلَى شُكُوكِكُمْ يُقِيمُهَا مَنْ يَرْضَى فِي الرِّيَاسَةِ وَالتَّقْلِيمِ: لِيَفُوزَ بِخَبِيثِ الْمَطْعَمِ، الَّذِي يُعْمَى الْبَصَائِرُ، وَيُفْسِدُ السَّرَائِرُ، وَيَقْلَحُ زَنْدُ الضَّلَالِ، وَيُسَبُّ نَارَ الْمِحَالِ وَالْإِحْتِمَالِ، فَامْتَحَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ وَخَافَ طَلِيكُمُ إِلَيْهِ طَاجِلَتَهُ، وَذَمِيمَ أَجَلَتِهِ، وَبَادَنَكُمُ بِكَتَابِهِ هَذَا مُنْبَهًا لِفَافِكُمُ، وَمُرْشِدًا لِمَاهِلِكُمُ، وَبَاحِثًا بِكُمْ عَلَى التَّشَاوُلِ بِمَا أَطْلَبَ أَخْبَارَكُمْ، وَحَسَّنَ آثَارَكُمْ: مِنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَثَرَكُمْ بِتِلَاوَتِهِ، وَزِيَارَةِ بُيُوتِ عِبَادَتِهِ، وَالتَّادِبِ بِأَدَبِ نَبِيِّهِ وَصِغَرَتِهِ، وَأَوْعَزَ إِلَى النَّاتِبِ فِي الْحَرْبِ بِتَقْوِيمِ مَنْ يَخْرُجُ عَنْ أَمْرِهِ، وَتَتَقَيِّفُ مِنْ أَصْرٍ عَلَى غَيْبِهِ، وَأَنْ يَحْسِمَ الدِّمَاءَ قَبْلَ اسْتِشْرَافِهِ، وَيَسْتَدْرِكَهُ دُونَ اسْتِفْعَالِهِ، فَاصْبِرُوا إِلَى زَوَاجِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَاطِئِهِ، وَأَقْبَلُوا بِهَيْدِهِ وَمَرَاشِدِهِ، لَتَفُوزُوا بِطَاعَتِهِ، وَتَسْعَدُوا بِرِضَاهِ، وَتَسْلَمُوا فِي الْحَاضِرِ، مِنْ مَهَانَةِ أَمٍّ بِغَيْرِهَا أَوْلَى، إِنْ سَلَكَتُمُ الطَّرِيقَةَ الْمُنَى، وَفِي الْغَائِبِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ خَالَفَ عَنْ أَمْرِهِ مِنَ الْعِقَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَى، فَاصْلَبُوا هَذَا وَاعْمَلُوا بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ: وَقَدْ يَكْتُبُ السُّلْطَانُ إِلَى الرَّيِّسَةِ بِاتَّهَى عَنْ التَّفَاخُرِ بِالْبَإِيدَةِ وَالتَّنَازُعِ فِي النَّصِيبَةِ. ثُمَّ قَالَ: وَالطَّرِيقَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مُشْتَقَّةٌ مِنْ طَرِيقَةِ هَذَا الرِّسْمِ.

## الصف الثاني عشر

( المكتبة بالأوامر والنواهي )

قال في " مواد البيان " : على هذه الكتب مدارُ أشغال السلطان في أعماله ، لأنها النافذة في تصرف الأمور وتنفيذ المراسيم ولأية وعُمالة .

قال : وليس لهذا أمثلة فتوردها ، لِكُنْه يبنى للكتاب أن يؤكد القول بها ، فإن الأمر فيها والنهي - وإن اختلف نطقهما - نوع واحد : لأن كل ما مور به منهي عن ضده ، وكل منهي عنه ما مور بضده ؛ فيلبي له أن يؤكد القول في امتثال ما أمر ، والعمل عليه والإقذال له ، والاكتهام عما نهى عنه ، والحدار من الإلمام به . ويجزم الأمر في العبارة عنهما جزئاً تاماً لا يمتكن معه من الإخلال ببعضهما والنقص فيهما طوى . ويأتى من المبالغة بما يضيق العذر ، وتقى وقع تقصير أو تناقل عما حدد فيها ، فإمّا يمثل ذلك بمثل جامعة مع فتن المعاني التي يأمر بها وينهى عنها .

ثم قال : والكتاب إذا عرف الترتيب الواقع في هذين الفرصين على طريق الإجمال ، أمكنه أن يسطه إذا احتاج إلى التفصيل والبيان بمشقة الله تعالى .

وأعلم أنه كان للفقهاء والملوك وولاة الأمور في قديم الزمان عناية بالكتابة إلى الرأيا بالأوامر والنواهي المتعلقة بالدين : من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وما يجرى مجرى ذلك ؛ وإلى العمال بالوصية بالرأيا ، والاجتهاد فيما ليسهم من جباية الخراج ، والاهتمام بأمر الدواوين ، وما أشبه ذلك .

فأما الأوامر والنواهي المتعلقة بالدين ، فقد تقدم في الكلام على مصطلح أهل القرب في أوائل هذه المقالة من إنشاء أبى زيد الغازى ما أغنى ذكره هناك عن إعادته هنا أو ذكر غيره .

وأما الأوامر والنواهي المتعلقة بأمور السلطنة، فمن ذلك ما كتب به أبو عبد الله ابن الحنان، عن الأمير أبي عبد الله بن هود أحد ملوك الطوائف بالأندلس في الرقعة بالرجية، وهو:

أما بعد حمد الله تعالى على منار الحق ورافعه، ومولى متوالي الإنعام ومتتابعه؛ والصلاة على سيدنا محمد رسوله مشفق الحسير وشافيه، المبعوث ببدايع الحكيم وجواميعه؛ وعلى آله وصحبه المبشرين إلى مقاصده العلية ومنازعه، والذابين من حوزة الإسلام بمواضي الاعتزام وقواطعه؛ والرضا عن الخليفة الإمام العباسي أمير المؤمنين ذي الجهد الذي لا ينال شئ من مطالعه.

فإنا كتبنا إليكم، كتب الله لكم حزمة قلحها بالثبوت فائز، وسعادة قسطها للنباه حائر؛ من ثلاثة: وكلمة الحق منصورة القواء، منشورة الأضواء، والتوكل على الله في الإعادة والإبداء، والتسليم إليه متأكد أمرنا في الإتهام والابتداء؛ وحمد الله تعالى وشكوه وصفتنا إلى نبيل مزيد النعماء والآلاء؛ ومكانتكم لدينا مكانة السني المناصب، المتشبي إلى كرام التهميات والمناسبات؛ المتحلي في الغناء والاكفاء، والخلوص والصفاء، بأكرم السجيات والمناقب؛ المعلوم مآلديه من المناجحة السالكة بأكرم السجيات في المتأني الحسان على المهيع الأوضح والسني الألاح.

وقد وقفنا على كتابكم معلما بخير فلانة وبما رأيتوه من المصلحة في تحصيلها، والاجتهاد في سبب تأمينها؛ ونحن تعلم أنكم تريدون الإصلاح، وتتوخون ما تترسمون فيه النجاح؛ لكن أهم الأمور عندنا؛ وأولى ما يوافق غرضنا وقصدنا؛ الرقي بالرجية، وحملها على قوانين الإحسان الرجية؛ وعلى أثر وصول كتابكم وصلنا كتاب [أهل] فلانة المذكورة يشكون ضرر الخليفة المتصرفين فيهم، ويتظلمون من متصرفيهم ومتسرفيهم؛ وفي هذا ما لا يخفى عليكم، ولا ترضون به لو انتهى إليكم؛

فإنه إذا كان الناظر في خِدمةٍ يَمُنُّ لا يُحْسِنُ سِيَاسَةَ الأمور ، ولا يَعْلَمُ طريقَ الرِّفْقِ الحَاوِيَّةَ لِرِفْقِ الخَاصَّةِ والجمهورِ؛ أعاد التَّسْكِينَ تنفيذاً ، والتَّيَسِيرَ تسييراً ؛ وتعلمون أنا لا نَهْدَمُ على إرشادِ القَدَلِ في عباد الله المسلمين عَمَلًا ، ولا نَبْنِي لهم بَاطِنَةً بنير التخفيف عنهم والإحسان إليهم بَدَلًا ؛ وأتمُّ أوَّلُ وأوَّلَى من يُعْتَقَدُ فيه أنه يُجَلُّ هذا المقصِدُ ، ويَحْتَرَى في مصالح الرأيا هذا السَّنَّ الأَرشدُ ؛ وقد خاطبنا أَهْلَ فَلَانَةِ بِمَا يُدْخِبُ وَجَلَّهِمْ ، وَيُسْطُ أَهْلَهُمْ ؛ وَصَرَّفْنَاكم بأنكم لو علمتم ما هو جَارٍ عليهم من [بعض] الخَلْمَةِ لَأَعْدَمْتُمْ على يَدِهِ ، وجازيتموه بِسُوءِ معتمده ؛ وأشعرناهم بأنَّا قد آتَوْصِينَاكم بهم خَيْرًا ، ونَبَّهْنَاكم على ما يدفع عنهم ضَرًّا ويرفع ضَرًّا ؛ وأتمُّ - إن شاء الله - تستأفون نظرًا جميلًا ، وتؤخرون عنهم الخَلْمَةَ الذين لا يَسْلُكُونَ من السِّيَاسَةِ سبيلًا ؛ وَهَدَمُونَ عليهم مَنْ تَحْسُنُ فيهم سِيرَتُهُ ، وتَكْرُمُ في عَمَشِيَةِ الرِّفْقِ عِلَاقَتُهُ وسِرَّتُهُ ؛ ومثلكم لا يُؤَكِّدُ عليه في مَنَهِبٍ تحسن عواقبه ، وَغَرَضٌ يوافقه المقصِدُ الاحْتِياطُ ويُصَاحِبُهُ ؛ إن شاء الله تعالى .

### الصنف الثالث عشر

(المكتبات عند حدوث الآيات السماوية)

قال في "مواد اليان" : جرت العادة أن يَكْتَبَ السلطان إلى الرأيا - عند حدوث الآيات المَهْوَلَةِ التي يريد الله تعالى بها إرشاد عباده إلى الإقلاع عن معصيته ، والإقبال على طاعته ، كالزلازل والصواعق ، وأحتراس القطر ونحروجه في التَّسْكَابِ عَمَّا جرت به العادة - كُتُبًا يُضَمِّنُهَا من الوَعظ الشافي الرقيق ما يأخذ بمجامع القلوب ، ويُسْعِرُهَا التَّقْوَى والرَّهْبَةَ ، ويبعث على المراقبة والنظر في العاقبة .



قال : وبنى للكاتب أن يتلطف في الموعظة، ويبلغ في الذكرى التي تحيط  
الخواطر وتصلح الأنفس، وتحرّك المزاج نحو الإخلاص؛ فإنه إذا أبرز هذه المعاني  
في صور [تُسَمَّى] <sup>(١)</sup> الخليفة من غضب الله تعالى وعقابه، وتُرَضَّب في عفوه وتوابه؛  
نفع الله بذلك (٢) من رغب عن الهوى، ورغب في التقوى بكتابه .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على الآلة التي يفيضها آلاء واختبارا،  
وآياته التي يرسلها تحويفا وإنذارا، وموهبة في التوفيق بسايع نعمته على طاعته،  
والحذر بدافع قنمته من مصيبته . والصلاة على رسوله الذي أهدى بشفاعته، وعصم  
من نزول القوارع بنبوته . ثم يقدم مقدمة تتضمن أن الله تعالى يقدم الإعذار أمام  
خطئه وعذابه، ويبدأ بالإنذار قبل غضبه وعقابه؛ فمن استيقظ من سببه، ونظر  
لما قبله [وتنبه] إلى طاعته، وأقلع عن مصيبته، كشف الرين عن قلبه، وضاعف  
أجره، ومن أضرب عن موعظته، وتعمى عن تبصيره وتدكيره، أخذ على غيرته،  
وسلبه سربال نعمته .

ثم يأخذ في حث الأمة على الفرع إلى الصلوات، والمسارة إلى بيوت العبادات؛  
والإكثار من التضرع والخشوع، والاستكانة والخنوع، بإذراء صحائب الدموع؛  
وإخلاص التوبة عن محقق الآثام ومخترع الأوزار، والتوسل إلى الله تعالى في قبول  
الإجابة بقلوب تقيه، وسلويات على الطهارة مطوية، وسرائر صريحة، ونيات صحيحة؛  
يصدقها الندم على الماضي، وعقد العزم على الإقلاع في الآتي؛ والرغبة إليه في رفع  
خطئه وإنزال رحمته، وما يحارى هذا .

قلت : وهذا الصنف من المكتبات قد ترك في زماننا فلا عاية لأحد به أصلا،  
وإن كان مما يجب الاهتمام به وتقديمه .

(١) يابض بالاصل، والصحيح يقتضيه المقام .

## الصنف الرابع عشر

(المكتبات في التنبيه على شرف مواسم العبادة وشريف الأزمنة)

قال في "مواد البيان" : إن الله وقَّت لعباده أوقاتاً عظم شأنها ، ورفع مكانتها ، وأمرهم أن يتقربوا فيها إليه بتأدية ما فرضه عليهم لطقاً بهم ورأفة ، وحناناً ورحمة .

قال : ولم يزل السلطان يكتب إلى عماله بتلبيه الرعايا عليها ، وتبرئهم فضل العبادة فيها : ليستقبلوها بالإخبات والخشوع ، ويتلقوها بالتضرع والخضوع ، ويتوسلوا في قبول الثواب ، وغفران الخطيئات ، حفظاً لنظام الدين ، وتقديراً لمصالح المسلمين .

قال : وينبغي للكاتب أن يحسن التأنى في هذه الكتب <sup>(١)</sup> . ويُذكر الناس وينبه الفاعل اللامع ، والمُهمل السامع ، ويحرك النفوس نحو مصالحها ، ويبعثها على الأخذ بفاضل الأعمال وصالحها .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على أن وهب لعباده أوقاتاً يتقبل فيها قربه وأعمالهم ، ويحقق بالإجابة إليه عند حلولها أوزارهم وأقلامهم ، فيغفر لستغفرهم ، ويقبض عن مسيئتهم ؛ ويتقبل التوبة عن تائبهم . والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله . ثم يقدم مقدمة مبيلة على تعظيم هذه الأوقات ، والإجابة عما في قصرها على العبادات ، والمسابقة إلى الخيرات ، من عظيم الثواب . ويشفع ببعث الولاة على أخذ الرعايا بالمحافظة على السنن ، وتهدى حق الله تعالى فيها ، والتوسع في توكيد الجملة ، وتقى الشبهة ؛ وإيراد المواضع الرامدة ، والزواجر الوازعة ، التي تعود بسحب البصائر ، وصفاء الضمائر ، والإتيان بحقوق هذه الأوقات وواجباتها ،

والفَوْزِ بِمَا يُوقِّرُهُ مِنْ جَزِيلِ بَرَكَاتِهَا ، وَالتَّوَفُّرِ عَلَى حُسْنِ مَجَاورَتِهَا ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِبَيْتِلِ الصَّدَقَاتِ ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَزِيَارَةِ بَيْتِ الْعِبَادَاتِ ؛ وَمَذْكَرَةِ أَهْلِ الدِّينِ ، وَالسَّعْيِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْاسِبُهُ .

ثم قال : فَإِنْ كَانَ الْكَاتِبُ مَقْصُورًا عَلَى الدُّعَاءِ إِلَى الْحَجِّ ، أَفْتَضَحَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَمَلَ لِعِبَادِهِ حَرَمًا آمِنًا يُحْصِى ذُنُوبَهُمْ بِزِيَارَتِهِ ، وَيَحْصُوا آمَانَهُمْ بِحُجَّتِهِ وَوَفَادَتِهِ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ عَلَى قَادِيَةِ الْمَنَاسِكِ ، وَتَكْيِيلِ الْفَرَاغِضِ وَالسُّنَنِ ، وَزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي سَائِرِ الْأَبْوَابِ الدِّينِيَّةِ .

### الصفحة الخامسة عشر

( المكتبةُ بالسلامة في الركوب في المواسم والأعياد وما يغفرط

في سَلِكِهَا مِنَ الْمَوَاقِبِ الْجَامِعَةِ )

قال في "مَوَاقِبِ الْيَمِينِ" : جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَكْتُبَ السُّلْطَانُ عُمَّالَهُ وَوُلاَتَهُ بِسَلَامَةِ الْمَوَاسِمِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا : لِأَنَّهَا تُشَاهَدُ بِجَمِيعِ أَصْنَافِ الرِّعَايَا وَذَوَى الْأَرْوَاحِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْمُتَبَايِنَةِ ، وَالْقُلُوبِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالتَّصَاحِبَةِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ؛ وَكُلُّ مُتَرَبِّصٍ لِفَتْنَةٍ يَتَهَيَّزُ فُرْصَتَهَا . فَلَا تَكَادُ هَذِهِ الْمَشَاهِدُ تَحْلُو مِنْ ثَوَرَةٍ وَحْدَةٍ وَأَحْدَاثٍ مُتَكَرِّرَةٍ تُقْضَى إِلَى الْفِتَنِ الَّتِي لَا تُرْفَعُ . لِذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّلَامَةِ مِنْهَا ، وَجِبَ التَّحَدُّثُ بِنِعْمَتِهِ ، وَالشُّكْرُ لِمُسَيِّئَتِهِ ؛ وَأَنْ يَكْتُبَ أُمُورَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَلَامَةِ مَا قِيلَهُ إِلَى عُمَّالِهِ ، لَتَسْكُنَ الْكَاتِبَةُ إِلَى ذَلِكَ ، وَيَشْتَرِكُوا فِي حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ .

وَأَمَّا أَنْ الْمَوَاسِمَ الَّتِي كَانَ يَتَأَدَّى الْرُكُوبَ فِيهَا وَالْكَاتِبَةُ بِالسَّلَامَةِ مِنْهَا هِيَ : عِيدُ الْفِطْرِ ، وَعِيدُ النَّحْرِ . وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الْفَاطِمِيُّونَ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ يَتَأَدُّونَ

مع ذلك الركوب في غُرَّةِ السَّنة ، وفي أوَّلِ رَمَضان ، وفي الجمعة الأولى ، والجمعة الثانية ، والجمعة الثالثة منه ، على ما هتَمُّ ذِكرُه في الكلام على ترتيب المملكة في المقالة الثانية . وكذلك "عيد الغدير" : وهو عيد من أعياد الشَّيعة كما سيأتى ذكره . ونحن نُشير إلى ذِكر مواكبها مَوْكَبًا مَوْكَبًا ، ونذكر ما جرت به العادة في الكتابة في البشارة بالسلامة في ركوب كُلِّ مَوْكَب منها .

الأوَّل — البشارة بالسلامة في الركوب في غُرَّةِ السنة . وقد هتَمُّ الكلام على صُورة المَوْكَب في الكلام على ترتيب المملكة في التَّوَلَّى الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، أورده أبو القَاضِي الصُّورِي في تذكرته ، وهي : الحمد لله الذي لم يَزَلْ يُؤَيِّدُنا بِإِحْسَانٍ وإِنْعَامٍ ، وَإِذَا أَيْلَى عَيْدُهُ حَامًا أَجَلَّهْمُ بِفَضْلِهِ عَامًا ؛ فَقَدْ أَمَدَّكُمْ بِمَعَاشِرِ [الْخُلَفَاءِ] كَرَمًا وَمَنًّا ، وَأَتَاكُمْ مِنْ جُودِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يُحْتَسَبُ ؛ وَمُنَحَّكُمْ مِنْ عَطَائِهِ مَا يُوفِي عَلَى مَا أَرَدْتُمُوهُ ، ﴿ وَنَحْفَرُ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَأٍ التَّمَوُّهُ ﴾ وقد آسَاقْتُمُ هَذِهِ السَّنَةَ السَّعِيدَةَ ، وَإِذَا عَمِلْتُمْ بِالطَّاعَةِ كُنْتُمْ مُسْتَعْجِزِينَ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ الْأَعْرَاضِ الْبَعِيدَةِ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الَّذِي ضَلَّتِ الْجَنَّةُ مُدْتَحِرَةً لِمَنْ عَمِلَ بِهَدْيِهِ لِمَا سَمِعَهُ ، وَمُهَيَّأَةً لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ؛ وَيُؤَيِّدُ بِإِرْشَادِهِ مَا تَجَرَّى أُمُورُ السَّنِينَ عَلَيْهِ فِي التَّمَدُّدِ وَالْحِسَابِ ، وَنَسَخَ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ [تَفْعَلُهُ] فِيهِ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ وَضَلَالًا عَنْ الصَّوَابِ ؛ وَهَلَى أَخِيهِ وَأَبْنُ عَمِّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كَمَّلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِإِمَامَتِهِ ، وَضَاعَفَ الْأَجْرَ لِأَهْلِ وِلَايَتِهِ ، وَمَتَّحَ شَيْعَتَهُ مَقْبُولَ شَفَاعَتِهِ ؛

وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله على خلقه ، والقامين بواجب حقه ، والعالمين  
في سياسة الكافة بما يرضيه سبحانه ، ويضمن غفرانه ورضوانه ، وسلم عليهم  
أجمعين ، سلاماً باقياً إلى يوم الدين .

ولأن أحق التعم بنشر الذكر ، وأوجبها للوصف أعمال الفكر ، نعمة رفعت الشك  
وأزالت اللبس ، ووضح ضياؤها لأولى الأبواب وضوح الشمس ؛ وأشرك الناس  
فنضاضت الغائبة لديهم ، وأنتفعوا بذلك في تواريجهم ومعاملاتهم ومآلهم وطبيعتهم ؛  
وتلك [ هي ] المعرفة باليوم الذي هو مطلع السنة وأولها ، ومبدؤها ومُسْتَقْبَلُهَا ؛  
وحقيقة ذلك ظهور إمام كل زمان . وكان ظهور إمام زماننا مولانا وسيدنا الإمام  
فلان - ليتسوى في الشرف برؤيته العامة والخاصة ، فيكون استقلال ركابه إشعاراً  
بأن اليوم الذي يحل فيه لأوليائه ، ولرعاياه المتقين ظل لوائه ؛ هو افتتاح السنة  
وأول محرمها ، وعليه المعتمد في عدد تأم الشهور وأقسامها من مُتَمَتِّعِهَا إلى عُتَمَتِهَا -  
يوم كذا غرة المحرم من سنة كذا ، في صائر لا يحصر صلتها ، وقبائل لا ينقطع  
مددتها ؛ وإذا اضطربت نار الكفر والتهت ، طفت بأوارهم وخبت ، وقد قلدت  
هندية تروى إذا أشرقت وسكنت ، فما قلن إذا اضطجبت ، والأرض بمرورها عليها  
مبهجة موفقة ، وملاكمة الله عز وجل حافة به تحفة ؛ فأذن بأن اليوم المذكور هو  
غرة السنة المعينة ، وأن اليوم القلبي أمسه أنسلاخ كناسنة كذا المتقدمة ؛ لتستقيم  
أبورهم على أمل ترويجهم ؛ ولتحفظ نظام دينهم في صومهم وفطريهم وتجبهم ؛  
وكذلك أصدر هذا الكتاب ليتلوه الأمير على من يسكن عمله ، وجميع من قبله ؛  
ويقتالوا في معرفته ، ويحل كل منهم الأمر عليه في معتقده وأسباب معاملاته ؛  
ويشكروا الله على النعمة عليهم بهدايته . وهو يعتمد ذلك ويطلب بكائه فيه  
إن شاء الله تعالى ، وكُتِبَ في اليوم المذكور .

الثاني — الإشارة بالسلامة في الركوب في أول شهر رمضان ، وهي على نحو مما هتلم في الركوب في غرة السنة .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، من إنشاء ابن الصبّريّ ، وهو :

الحمد لله كإني خلقه في اليقظة والمنام ، والكافيل لم بمضاعفة الأجر في شهر الصّيام ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي بعثه رحمةً للأنام ، وعلى أخيه وأبن عمّه أمير المؤمنين على بن أبي طالب أخلص وليّ ، وأشرف وصيّ ، وأفضل إمام ، وعلى الأئمة من ذريتهما الدّاعين إلى دار السلام ، صلاةً دائمةً الاتّصال ، مستمرةً في الغلوّ والآصال .

وإن من المسرة التي تُتهدى : والنعمة الشاملة للخلق جميعاً وفردائى ، ما من الله به من ظهور مولانا وسيدنا الإمام فلان ، صلوات الله عليه وعلى آباءه الطّاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، يومَ كذا غرة شهر رمضان من سنة كذا ، إعلاما بأول الشهر وأفتاحه ، وأن الصّيام الأوّل من جهره الأوّل قبل تنفّس صياحه ، وتوجّجه إلى ظاهر المعزّية القاهرة المحروسة في عساكره المظفّرة وجنوده ، وأوليائه وأنصاره وحبيده ، والمينة رؤيته قد تساوى فيها الكافّة ، وملائكة الله مطيعةً حافّة ، وعوّده إلى قصوره الزاهرة ، وقد شمل المستظّلين بأفئادته بسعادتي الدنيا والآخرة .

أصْدِرَ إِلَيْكَ هَذَا الْأَمْرَ لِنَقْفِ عَلَى الْجَمْلَةِ ، وَتَشْكُرَ النِّعْمَةَ السَّابِقَةَ عَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ ، وَتَتَوَلَّاهَا عَلَى أَهْلِ عَمَلِكَ ، وَتَطْلُعَ بِكَائِنِكَ فِي ذَلِكَ ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثالث — الكتابة بالإشارة بالسلامة في ركوب الجمعة الأولى من شهر رمضان .

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، من إنشاء ابن الصبّريّ أيضاً ، وهي :

أفضل ما سِرِدْ ذِكْرُهُ، ووجب حمدُ الله تعالى عليه وشُكْرُهُ، ما عادَ على الشريعة بالجمال والبهجة، وأضحى وإصفه صحيح المقال صادق اللّهُمَّ، فضاعفَ حَسَنَةً ومَحْصَ سَيِّئَةٍ، وجعل أسباب السعادة مُتَسَهِّلَةً مُتَبَيِّئَةً؛ وذلك ما يَسِّرُهُ الله تعالى من استغلال رِكَابِ سَيِّدِنَا ومولانا صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، ولبنائه الأكرمين؛ يوم الجمعة من شهر رَمَضَانَ من سنة كذا: مُؤَدِّيًا خُطْبَتَهَا وصلَاتَهَا، وضامنا لأُمَّةٍ اتَّحَتْ بِهِ خَلَاصُهَا يوم الفَرَجِ الأكبر ونِجَاتِهَا؛ في وقارِ النبوة وسكينة الرِّسَالَةِ، والهيبةِ المُسْتَوِلَةِ على الْعَظَمَةِ والجلالة؛ والساكرِ الْجَمَّةِ التي تُغْلِقُ بِهَايَتِهَا وتُزَجِّجُ، وتُظَنُّ لِكَثَرَتِهَا وإِقْفَةً والركابِ يَهْمِلُج؛ ولما آتَى إِلَيْهِ، خَطَبَ وعَظَّ ففتح أبواب التَّوْبَةِ، وآبَ إلى الطاعات مَنْ لم يُطَمَعْ مِنْهُ بالأوْبَةِ؛ وصلَّى صلاةً قَبْلَهَا جَلَّ وعزَّ بِقَبُولِ حَسَنٍ، وقَعَرَفِي وَصَفِهَا ذَوُو النَّفْسَانِ وَاللِّسَنِ؛ وبادَ إلى مُسْتَقَرِّ الْخِلَافَةِ، ومَثَوَى الرَّحْمَةِ والرَّافَةِ، وَبَيَّنَّ اللهُ لَهُ مَلَا حِظَّهُ، ومَلَائِكَتَهُ لَهُ حَافِظُهُ. أَغْلَبَتْ ذَلِكَ لُتْدِيْعَهُ فِي أَهْلِ عَمَلِكَ، وتطالع بكائنك .

الرابع — المكتوبة بالإشارة بالسَّلامَةِ في ركوب الجمعة الثانية من شهر رَمَضَانَ .

قد تَهَمَّتْ في الكلام على ترتيب المملكة بالديار المِصْرِيَّةِ في الدُّوَلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، في المقالة الثانية: أن الخليفة كان يركب في الجمعة الثانية من شهر رَمَضَانَ إلى الجامع الأَنْوَرِ، وهو جامعُ بابِ الْبَحْرِ، الذي عَمَّرَهُ الْحَسَنُ بِأَمْرِ اللهِ، وجَدَّه الصَّاحِبُ شمس الدين الْمُقَمِّسُ .

وهذه نسخة كتاب في المعنى، من إنشاء ابن الصِّبْرِيِّ أيضاً، وهى :

لَمْ يَزَلْ ظَامِرٌ كَرَّمَ اللهُ وَفَضَّلَهُ، يَفُوقُ حَاضِرُهُ مَا كَانَ مِنْ قَبْلِهِ، فَنِعْمَةُ اللهِ تَعَالَى صَافِيَةً، وَمِنَّةٌ مُتَابِعَةٌ، وَمَلَائِكَةُ ضَافِيَةٍ، وَمَعَارِضُهَا نَاصِيَةٌ، وَتَحَايِيهَا هَامِيَةٌ، وَهُوَ جَلَّ

وعَزَّ بِضَاعُهَا عَلَى مَنْ صَلَّى وصام، وَيُؤَالِيهَا عِنْدَ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَالَ لَهَا وَلَا انْفِصَامَ؛ وَتَجْتَدُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ بُرُوزِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ فَلَانٍ : صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ؛ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ كَذَا : فِي شَاخِ عِزِّهِ، وَبَاذِيخِ مَجْدِهِ، وَتَوَجُّهِهِ إِلَى الْجَامِعِ الْأَنْوَرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ جَدِّهِ؛ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَصَلَوَاتُهُ، وَبَرَكَاتُهُ وَنِعْمَتَاتُهُ، وَصَاكِرُهُ قَدْ تَجَاوَزَتِ الْجَدَّةَ، وَكَثُرَتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَالْعَدِّ، فَإِذَا تَأَمَّلَهَا الطَّرْفُ أَتَقَلَّبَ عَنْهَا خَائِسًا وَأَرْتَدَّ .

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ خَطَبَ فَأُورِدَ مِنَ الْقَوْلِ أَحْسَنَهُ، وَوَعِظَ فَاسْمِعَ مِنَ الْوَعِظِ أَوْحَنَهُ وَأَيَّانَهُ؛ وَصَلَّى صَلَاةَ جَهَرٍ بِالْقِرَاءَةِ فِيهَا وَرَتَّلَهَا، وَعَادَ إِلَى قُصُورِهِ الشَّرِيفَةِ وَقَدْ شَمِلَتْ الْبَرَكَاتُ بَرُوقِيَّتَهُ، وَوُفَّقَ مَنْ عَمِلَ بِمَوْعِظَتِهِ، وَنَجَّى مَنْ أَقْدَى بِهِ فِي صَلَاتِهِ، وَأَسْتَوَلَى عَلَى السُّعْدِ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَائِهِ وَجِهَاتِهِ . أَمَلْنَاكَ ذَلِكَ لِتَعْرِفَ قَدْرَ النِّعْمَةِ بِهِ، فَاشْكُرْهُ سُبْحَانَهُ بِمُقْتَضَاهُ، وَأَحْمَدِ تِلَاوَةَ هَذَا الْأَمْرِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ؛ فَاعْلَمْ ذَلِكَ .

الخامس — المكتبة بالسَّلامَةِ فِي الرُّكُوبِ فِي الْجُمُعَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .  
 قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَلَكَةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ كَانَ يَرْكَبُ فِي الْجُمُعَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْهُ إِلَى الْجَامِعِ الْعَتِيقِ بِمَكَّةَ <sup>(١)</sup>، فَيَخْطُبُ فِيهِ وَيَعُودُ إِلَى قَصْرِهِ .  
 وَهَذِهِ نَسْخَةُ كِتَابٍ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ الصَّبْرِ قِيٍّ، وَهِيَ :

(١) مَا تَقَدَّمَ فِي (ج ٣ ص ٥١١) مِنْ هَذَا الْمَطْبُوعِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي الْجُمُعَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ، وَأَنَّهُ لَا يَرْكَبُ إِلَى الْجَامِعِ الْعَتِيقِ إِلَّا فِي الْجُمُعَةِ الرَّابِعَةِ، الَّتِي أَهْمَلُ هُنَا ذِكْرَ بِهَا لِإِلْيَا وَطِلَّاسٍ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ يَرْكَبُ فِي جَمْعِ رَمَضَانَ مَا عَدَا الْأَوَّلَى .



من عوائد الله - سبحانه - الإحسان إلى عبده ، وتوحيدهم للشكر طيه بموه  
ومزيدة ؛ والامتثال بتيسير عبيده ، وتجميل قصبة ، وقريب بيده ؛ فهو لا يحلهم  
من نواحيه ، ولا يعفيهم من هواحيه .

ولما أقبل هذا الشهر الشريف كان من عموم بركاته ، ويؤول خيراكه ؛ أن مولانا  
وسيدنا الإمام الفلاني صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ؛  
والى فيه بركاته ، وزكى أعمال المؤمنين فى استماع أخطابه والالتزام بصلاته ؛  
وفى هذا اليوم وهو يوم الجمعة من شهر رمضان ، أعمل ركابه إلى الجامع العتيق بمصر  
ليُسَمِّمَ لهذه المدينة من حظي الدنيا والآخرة ، مثل ما أسهمه وعجله لأهل المعزية  
القاهرة . فكانت هيته يهجز وصفها كل لسان ، وظهر - عليه السلام - فى الرذائى :  
السيف والعليلسان ؛ والجوش قد أنبسطت وانتشرت ، والغوش قد أتهجت  
وأستشرت ، والألسنة قد حكفت على الدماء بتقليد ملكه وتوقرت . وعند وصوله  
خطب فأحسن فى الألفاظ والمعاني ، وحذر من تأخير التوبة والتضييع فيها  
والتواني ؛ وصل صلاة شرفها الله وفضلها ، ورضيا تبارك وتعالى وتقبلها ؛ وأكفأ  
عائدا إلى قصوره ومنازله المعظمة : ضاعف الله له ثوابه وأجره ، وأوجب شكره  
ورفع ذكره ؛ ويجب أن تعتمد إذاعة ذلك ليبلغ الكافة فى الاعتراف بالنعمة فيه ،  
ويواصلوا شكر الله تعالى عليه ، والمطالعة بما أعتمد فيه .

السادس - ما يكتب باليشارة بالسلمة فى ركوب عيد الفطر .

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية فى المقالة الثانية : أن الخليفة  
كان يركب لصلاة عيد الفطر صبيحة العيد ، ويخرج من باب العيد من أبواب

القصر، ويتوجه إلى [المُصَلِّ] فَيُصَلِّ وَيُحْتَطَبُ، ثم يعود إلى قصوره؛ ويكتب بذلك إلى أعمال المملكة، تارة مع خُلُو الدولة عن وزير، وتارة مع اشتغالها على وزير.

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، مع خُلُو الدولة عن وزير، من إنشاء ابن الصيرفي، وهو :

الحمد لله ناشر لوائه في الأقطار، ومعوّض المطيعين من جزائه ببلوغ الأوطار، الذي نسَخ الإفطار بالصَّيَّام ونسخ الصَّيَّام بالإفطار؛ وكفَّ عباده ما يطيقونه ووعده عليه جزيل أجره، وأسبغ من نعيمه ما لا يطعم [في القيام] بواجب حمده عليه وشكره، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي أعلن بالإيمان ونجاح، وبين الخطور في الشريعة والمباح؛ وأرشد إلى ما حرمه الإسلام وحلَّه، ومهد سبل الهدى لمن استغواه الشيطان وصلَّه؛ وأوضح مراتب الأوقات ومنازلها، وعرف تقاوت الأيام وتفاضلها؛ وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي مضت في الله عزيماته، وببضت وجه الدين الحنيف مواقفه ومقاماته؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الذين تكفلوا أمر الأمة نصًّا، وأمتطوا على منارها فلم يألوا جهدًا ولم يتركوا حرصًا؛ فال حاضر منهم يوفى على من كان [من] قبليه، وأحزاب الحق فيحون بما آتاهم الله من فضله؛ وسلم عليهم أجمعين سلامًا لا انقطاع لنوامه، وشرفهم تشريفًا لا أنقصام لإبرامه؛ وأسنى وتجدد، وتأييد وجدد.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد الفطر من سنة كذا : بعد أن وفي الصَّيَّام حقَّه، وحاز أجر من جعل الله على خلائئه رزقه؛ وبعد أن أفطر بحضرته الأولياء من آله وأسرته، والمقتدئون من رؤساء دولته، والمُتميزون من أوليائه

وَسَيِّمَتِهِ . وكان من نبأ هذا اليوم أَنَّ أمير المؤمنين لَمَّا أَرْتَجَبَ بُرُوزَهُ مِنْ قُصُورِهِ ، وَتَجَلَّى فَاشْرَقَتِ الْأَرْضُ بُنُورِهِ ، تَوَجَّهَ إِلَى الْمُصَلَّى قَاضِيًا لِسُنَّةِ الْعِيدِ ، فَكَانَتْ نِعْمَةً ظُهُورُهُ بِالنَّظَرِ [لِلْحَاضِرِ] وَبِالْخَبَرِ لِلْبَعِيدِ ؛ وَاسْتَقَلَّ رِكَابُهُ بِالصَّاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي أَبْلَتْ مَنَظَرًا مُفْتِنًا مُعْجِبًا ، وَجَعَلَتْ أَدِيمَ الْأَرْضِ بِالْحَيْلِ وَالرَّجُلِ مُعْجِبًا ، وَذَخَرَتْ الْإِسْقَامَ مِمَّنْ شَقَّ النَّصَا ، وَتَجَاوَزَتْ فِي الْكَثْرَةِ عَدَدَ الرِّمْلِ وَالْحَصَا ؛ وَزِيلَتْ الْقَضَاءُ بَيْتُهَا ، وَرَوَّيَتْ الْأَعْدَاءَ بَيْتُهَا ؛ وَجَمَعَتْ بَيْنَ الطَّامَةِ وَشِدَّةِ الْبَاسِ ، وَأَذَرَعَتْ مِنَ التَّقْوَى أَمْنًا جَنَّةً وَأَحْصَنَ لِبَاسًا ؛ وَلَمْ يَزَلْ سَاطِرًا فِي السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ، نَاطِلًا لِلدُّنْيَا بَيْنَ الْإِحْتِقَارِ ؛ وَالرَّئْيِ بِالْجَبَّارِ وَالشَّفَاقِ مُصَانِعٌ مَلُوثٌ ، فَهُمَا مَوْسُومَتَانِ بِهِ وَهُوَ هِجَا مَوْسُومٌ ؛ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَقَرِّ الصَّلَاةِ ، وَتَحَلَّى الْمُتَجَاهِدَ ؛ فَصَلَّى أَمْرًا صَلَاةً وَأَكَلَهَا ، وَأَذَاهَا أَحْسَنَ تَأْدِيَةً وَأَفْضَلَهَا ؛ وَأَخْلَصَ فِي التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ إِخْلَاصَ مَنْ لَمْ يَثُتْ أَمْرًا وَيَضْحَى اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ وَتَصَحَّحَ فِي إِرْشَادِهِ وَوَعِظِهِ ، وَأَعْرَبَ بِبَدِيحِ مَعْنَاهُ وَفَصِيحِ لَفْظِهِ ؛ وَعَادَ إِلَى مَوْثُو كَرَامَتِهِ ، وَفَلَكَ إِمَامَتِهِ ؛ تَحْمُودَ الْمَقَامِ ، مَشْمُولًا بِالتَّوْفِيقِ فِي النَّقِصِ وَالْإِبْرَامِ . أَصْلَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ لِنَذِيرِهِ فِيمَنْ قَبْلَكَ ، وَتَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ الشَّامِلَةِ لِمَنْ وَلَكَ ؛ فَأَعْلَمَ هَذَا وَأَعْمَلَ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكُتِبَ فِي الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ .



وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، والمؤلة مشتملة على وزير ، عن الحافظ لدين الله العلوي خليفة الديار المصرية ، في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، وهي : الحمد لله الذي أعز الإسلام وشيّد مناره ، وأيد أوليائه ونصر أنصاره ؛ وأظهر في مواسمه قوته وأسبغها به ، وختم الشرائع بشرف أبدي فكان حظها منه إيناره ،

وحَفَظَ الإسلامَ اسْتِبدَادَهُ به واستثنائه؛ وصلى الله على جدنا محمد الذي كَرَّمَهُ بِاصْطِفَائِهِ،  
وَأَسَدَهُ مِنْ حَافِظِهِ عَلَى اتِّبَاعِ نَهْجِهِ وَأَقْفَائِهِ؛ وَبَيْنَ بَشَرِهِ مَا حَلَّلَهُ وَحَرَّمَهُ، ودعا  
الأمّة بإرساله إلى دينٍ قَمِيٍّ أَعْلَى بِنَاءَهُ وَأَحْكَمَهُ؛ ووصلهم على مَقْرُوضِهِ وَمَسْنُونِهِ بِحَزِيلِ  
الْأَجْرِ، وأمر في اعتقاد خِلافِهِ بِالنَّفْعِ وَالْمَنْعِ وَالزُّبْرِ؛ وعلى أخيه وآبَنِ عَمِّهِ أَمِينِنا  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلِ الْأَئِمَّةِ الْخُلَفَاءِ، وَالْمُسْتَهْرَةِ فُضَائِلِهِ أَشْتَهَارِا  
لِلسَّيْرِ بِهِ مِنْ خَفَاءٍ؛ وَمِنْ حَبَاءِ اللَّهِ الْمُحَلِّ الرَّفِيعِ وَالْمَنْ الْجَزِيلِ، وَخَصَّهُ مِنَ الشَّرَفِ  
بِمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ مَحْكَمِ التَّنْزِيلِ؛ وعلى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا الْقَائِمِينَ بِفَرْضِ اللَّهِ وَالْمُؤَدِّينَ  
لِحُقُوقِهِ، وَالَّذِينَ كَفَّلَتْ أَمَانَتَهُمْ بِإِنْسَاطِ نُورِ الْحَقِّ وَأَنْتِشَارِ لُؤَائِهِ وَخُقُوقِهِ؛ وَسَلَّمْ  
وَكْرَمْ، وَتَجَدَّ وَعَظَّمْ.

وكتاب أمير المؤمنين إليك يوم كُنَّا جِدِ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَنَحْمَدُكَ،  
الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَضَاعَفَ الْأَجْرَ بِكَرَمِهِ وَقَضَلَهُ بِفَرَحِ تَكْلِيفِ  
الصُّومِ، وَأَوْجَبَ الْإِنْفَاطَرَ فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ وَسَاوَى فِي ذَلِكَ [بين] كُلِّ مُتَّيْمٍ وَمُتَّعِدٍ،  
وَأَمَرَ بَنَى آدَمَ فِيهِ بِأَخْذِ الزَّيْنَةِ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ؛ وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ أَنَّ الْفَجْرَ لَمَّا طَلَعَ  
مُبَشِّرًا بِالشَّمْسِ، وَمُؤَذِّنًا بِبَيْعَتِهَا مِنَ الرُّمَسِ؛ تَنَابَعَتِ الْجُيُوشُ الْمُؤَفَّرَةُ، وَالْعَسَاكِرُ  
الْمَنْصُورَةُ؛ إِلَى أَبْوَابِ الْقُصُورِ الزَّاهِرَةِ تَوَكُّعًا لِأَنْوَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْقُبًا لظُهُورِهِ  
قَاضِيًا حَقَّ الدِّينِ؛ فَلَمَّا اسْفَرَّ الصُّبْحُ وَأَضَاءَ، وَمَلَأَتْ الْخَلَائِقُ الْقَضَاءَ بِتَجَلُّيٍّ مِنْ  
أَفْلَاكِ إِمَامَتِهِ، وَبَرَزَ فَأَغْطَى كُلُّ مَوْمِنٍ بِنَائِهِ عَلَى الْمَشَايِصَةِ وَإِقَامَتِهِ؛ وَكَانَ ظَاهِرًا  
وَهُوَ مُحْتَجِبٌ بِالْأَنْوَارِ، وَتَمَتَّعَا وَهُوَ مُتَّعِبٌ بِالْإِبْصَارِ؛ وَالْكَافَّةُ يُصَافِحُونَ الْأَرْضَ  
وَيَحْتَمِلُونَ فِي الدَّاءِ بِإِخْلَاصِ نِيَّاتِهِمْ، وَالْعَسَاكِرُ الْمُؤَيَّدَةُ لَوَأْنِهَا عَمَتِ الْأَرْضَ  
بِتَطْيِيقِهَا، وَسَاوَتْ بَيْنَ قَرِيبِهَا وَبَحِيرِهَا؛ وَصَارَتْ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي فِيهَا، لَكَانَتْ  
قَدْ تَزَلْزَلَتْ وَمَادَتْ بِأَهْلِهَا، وَهِيَ مَعَ تَسَايُنِ أَجْنَاسِهَا وَطَوَائِفِهَا مُتَّظِفَةٌ عَلَى مُعَانِدَتِ

الدولة ومخالفها ؛ متلزمة على الولاء ، متمثلة على الأعداء ؛ تلقت إلى المجاهدة كأنها الأسود إقداماً وبأساً ، وكأما فصلت جوامد الفئران سلاحها وليأساً ؛ والسيد الأجل الأنفصل التي عظمت به المواهب وجلت ، ونهبت بوزارته القياهب وتجلت ؛ وتهلل بنظره وجه الملة وكان حاساً ، وأطاد الدولة معصراً وقد كانت قبله حاساً ؛ وحسنت الدنيا بأيامه إذ ليس فيها من يضاهيه ، وانتظمت أمورها على الإرادة بصورها عن أوامره ونواحيه ؛ رتبت الموابك بمهارته ، ويستغنى بتوغلها في القلوب عن إيمائه وإشارته ؛ وكل طائفة مقبلة على شأنها ، لازمة لمكانها ؛ متصرفة على تهذيبه وتقريره ، عاملة بأدابه : فوقوقها بوقوفه ومسيرها بمسيره .

وتوجه أمير المؤمنين إلى المصلح عفوفاً بأنوار تجل ما أنشأته سائر الخليل ، ونحو آية تقع مقامها مقام ظلام الليل ؛ وعليه من وقار الإمامة ، وسكينة الخلافة ؛ ما خصه الله تعالى به دون البرية وحده ، لأنه مما ورث أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وجده ؛ ولما انتهى إليه قصد [المحارب] <sup>(١)</sup> وأدى الصلاة <sup>(٢)</sup> أكل أداء وأتمه ؛ ثم انتهى إلى المنبر فعلاه ، ومجد الله تعالى وحده على ما أولاه ؛ ووعظ وعظاً خوفاً طائبة المعاصي والذنوب ، وحل وكلاء العيون ودواوى مراض القلوب ؛ وأمر بسلك سبيل الطاعات وأفعال البر ، وحث على التوفيق عليها في الجهر والسر ؛ وعاد إلى قصوره المكرمة ، ومواطنه المقدسة ؛ وقد بذل في نصحه لله ولرسوله وللمؤمنين جهده ، وفعل في الإرشاد والهداية ما لا غاية بعده .

(١) كما بالأصل .

(٢) بياض بالأصل ، والتصحيح من المقام .

(٣) في الأصل « إلى الحرب فعلاه » ولا معنى لها .

أنباك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتَشْكُرَ الله على النعمة فيه ، وتُذِيَمَهُ قِبَلَكَ على  
الرسم فيما يُجَارِيهِ ، فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

السابع — ما يكتب بالباشرة بالسلامة في ركوب عيد النحر .

قد تَقَدَّمَ في الكلام على ترتيب دولة الفاطميين في المقالة الثانية أن الخليفة كان  
يركب لصلوة عيد النحر كما يركب لصلوة عيد الفطر، تارة مع اشتغال الدولة على  
وزير، وتارة مع عدم اشتغالها على وزير .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، من إنشاء ابن الصيرفي، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي أعلّى منارِ الملّة ، وشرفَ مَواَسمِ أهلِ القِبْلَةِ ؛ وكفّل  
أمير المؤمنين أمرَ الأيام ، كما كفّلَه أمرَ الأَمان ، فأرى الناسَ من حُسنِ سِيرَتِهِ إِيقاظًا  
ماليروته مجازًا في المَآم ، وصلّى الله على جدّنا محمد نبيّه الذي أرسله إلى الناس كافّة ،  
وجعل العصمة مُحيطَةً به حافّة ؛ فأطلع في ظلامِ الشُّركِ تيمَنَ التوحيدِ وبذره ،  
وآمن به من شرّ الله للإسلام صَدْرَه ، وعصاه من تمزّد فأثقل الوزرُ ظَهْرَه ؛ ويَن  
عباداتِ كرمِ أبحرِها وعَظَمَ قَوابِها ، وألزم طاعاتِ جعل الجنة للعاملين بها مُفَصَّعةً  
أبوابُها ؛ وعلى أخيه وابن عمّه أمير المؤمنين على بن أبي طالبٍ مُظايفِرِه ومُظاهِرِه ،  
والمساوي في حكمه بين باطنه وظاهِرِه ؛ ولم يزلّ حاملاً على المحبّة البيضاء جَاحِلًا ذلك  
من قُربِه وذخائرِه ، قائماً بحقوقِ الله جَاهِدًا في تعظيمِ حُرُمَاتِهِ وشعائِرِه ؛ وعلى الأئمة  
من دُرَيْتِهما نُجُومِ الأرضِ وهُدَاةِ أهلِها ، والواجبة طاعتُهم على مَنْ في وَغَرِها  
وسَمَلِها ، والدّائين بالمُشْرِفيّة عن حِي الشريعة ، والدّين مُتَابِعَتِهم من أوجِه ذَريعِه .

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد النحر سنة كذا وكذا : وهو يومٌ  
أظهر الله فيه قوّة الدولة وأقْبَلَارَها ، وأوجب فيه — رَغْبَةً ورَهْبَةً — مسارعةَ النفوس

المخالفَة إلى الطاعة وأبتدأَها ؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجهت إلى قُصُورِهِ الزاهرة عند أنفِجَارِ الفَجْرِ ، وحافظت على مأثُورِهِ من كريمِ الثوابِ وبرِيلِ الأجرِ ، واستنزلت الرَّحْمَةَ برُؤْيَةِ إمامِ الأئمَّةِ ، وأعدتِ الإخلاصَ في خِدْمَتِهِ من أوفى الحُرُمَاتِ وأقوى الأَدِمَّةِ ، وأقامت إلى أن برز أمير المؤمنين والأنوارُ الساطعة طَوَالِهِ ، ومهابتُهُ تمنع كُلَّ طَرَفٍ من استقصاءِ تَأْمِلِهِ وتَدَايُفِهِ ؛ وقَصَدَ المُصَلِّ في كِتَابِهِ لِحَبِّهِ ، ومَوَازِبَ للتَعْظِيمِ مُسْتَوْجِبِهِ ؛ وعِزَّةَ نَتِينٍ في الثَّمَائِلِ والصَّنَعَاتِ ، وقُوَّةَ يَشْهَدُ بِعَلِيٍّ وَصْفِهَا أَرْجُ النِّفَاحَاتِ ؛ قد فَدَّتْ عُنْدَهَا مَحْجَمُهُ ؛ وغِيوَهَا مُطْلَمُهُ ؛ ودَوَائِلُهَا إِذَا ظَلِمَتْ كَانَتْ مُقَوِّمُهُ ، وَإِذَا رَوَيْتْ عَادَتْ مُحْطَمُهُ ؛ تَفَلَّدَ صَفَاحُ مَنِيٍّ أَنْتَضَيْتْ أَنْصَبَتْ مِنْ الْجَاثِرِ الحَافِيفِ ، وَمَنِيٍّ أَقْضَيْتْ عَمَلًا كَانَ أَقْضَاهَا مُبِيعًا لِلصَّحَافِ ؛ وَفِي ظِلِّهَا مَتَاقِلُ اللَّائِذِينَ ، وَمَحَلُّهَا مَصَارِعُ اللَّتَائِذِينَ ؛ وَهِيَ لِلنَّمَاءِ هَوَاقِرُ ، وَلِلْهَامَاتِ قَوَالِقُ ، وَلِلسُّتَلَقِ الْبِلَادِ مَفَاحِ وَلِلسُّتَنْتَحِهَا مَقَالِقُ .

ولما آتَى إِلَى الْمُصَلِّ قَضَى الصَّلَاةَ أَحْسَنَ قَضَاءٍ وَأَذَاهَا أَفْضَلَ تَأْدِيَةٍ ، وَاسْتَنْزَلَ رَحْمَةً لَمْ تَزَلْ بِصَلَاتِهِ مُتَمَادِيَةً ؛ وَاتَّهَى إِلَى الْمُنْبَرِ فَرَقِيهِ ، وَخَطَبَ خُطْبَةً مِنْ أَسْتَحْلَفَهُ اللَّهُ فَكَانَ مُرَاقِبَهُ وَمُتَبِّعَهُ ، وَوَعَظَ أَلْبَغَ وَعَظَ ، وَأَبَانَ عَمَّا لِعَامِلٍ بِنُصْبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ فَائِدَةٍ وَحَظَ . وَعَظَفَ عَلَى الْأَصْبَاحِ الْمُعَدَّةِ لَهُ فَتَحَرَّهَا بِحَرِّهَا فِي الطَّاعَاتِ عَلَى فِعْلِهَا الْمُتَهَادِي ، وَأَمَحَّتْ تَتَوَقَّعُ التَّكْيِيلَ بِإِنْجَازِهِ وَبِعِدَّتِهِ فِي الْأَعَادِي ؛ فَاللهُ يَقْضِي بِتَبْدِيْقِهِ ، وَيَمُنُّ بِتَحْقِيقِهِ وَتَحْقِيقُهُ ؛ وَهَادَ إِلَى قُصُورِهِ الْمُكْرَمَةِ مُشْكُورًا سَمِعُهُ ، مَضْمُونًا نَقَّهَ ؛ مَرْضِيًّا فَهْلَهُ ، مَشْمُولًا عَيْدُهُ مِنْهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . أَعْلَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ فَاعْمَلْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ . وَكُتِبَ فِي الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ .



وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، والدولة مشتملة على وزير، من إنشاء ابن قادوس، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله ماحي دنس الآثام بالحق إلى بيته الحرام ، وموجب الفوز في الآعاد لمن عمل بمرشد أئمة الهدى الكرام ، ومضاعيف الثواب لمن اجتهد فيما أمر الله به من التلبية والإحرام ، ومحبب القرآن لمن كان فرائض الحج وفوائده شديداً الولوع والغرام ، وصلى الله على جدنا محمد الذي لبى وأحرم ، وبين ما أحل الله وحرم ، وعلى أخيه أئمة أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذي ضرب وكبر ، وحقر من طغى وتجبهر ، وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام الدين ، وحفوف المعتدين ، وسلم وكرم ، وشرف وعظم .

وإن من الأيام التي كتبت محاسنها ونمت ، وكثرت فضائلها وجمت ، ووجب تخليد من صفاتها ، وتعين تسطير تأثيراتها ؛ يوم عيد النحر من سنة كذا : وكان من قصصه أن الفجر لما سل حسامه ، وأبدى الصباح أنبشامه ؛ نهض عيد الدولة في جموع الأولياء والأنصار ، وأولى الغزاة والاستبصار ؛ ميممين القصور الزاهرة متبركين بأفئتها ، ومستملين بساعاتها ؛ وآلقوا صفوها بتهر النواظر ، ويحصل تألقها تألق زهر الروض الناضر ، مستصحيين فتونا من الأزياء تروق ، ومستبشرين أصنافاً من الأسلحة ينقض لمعها من لمع اللهب والبرق ؛ والأعلام خافقه ، والرايات بالنسنة النضر ، على الإخلاص لإمام العصر ، متوافقه ؛ فأقاموا على تشريف لظهوره ، وتطلع للبرك بلامع نوره .



ولما بَزَعَتْ شمس سَعَادَتِهِ ، وَجَرَتْ الْأُمُورُ عَلَى لِيثَارِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ وَبَدَتْ أَنْوَارُ  
الإِمَامَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَظَهَرَتْ طَلْعَتُهَا الْمُعْظَمَةُ الْبَيَّةُ ؛ نَحَرَ الْأَنَامُ مُجُودًا بِالْهَدَاءِ وَالتَّمْجِيدِ ،  
وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّهُمُ الْعَبِيدُ بَنُو الْعَبِيدِ ؛ وَأَسْتَقَلَّ رِكَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَزِيرِهِ السَّيِّدِ  
الْأَجَلِّ الَّذِي قَامَ بِنَصْرِ اللَّهِ فِي إِنْجَادِ أَوْلِيَائِهِ ، وَتَكْفُلِ لِلْإِسْلَامِ بَرْقِ مَنَارِهِ وَنَشْرِ لَوَائِهِ ؛  
وَنَاضَلَ عَنْ حَوَازَةِ الدِّينِ وَجَاهِدَ ، وَنَاصَلَ أَحْزَابَ الْكُفَّارِ وَنَاهَدَ ؛ يَقُومُ بِأَحْكَامِ  
الْوِزَارَةِ ، وَتَدِيرِ الدَّوْلَةِ تَدِيرَ أُولَى الْإِخْلَاصِ وَالطَّهَارَةِ ؛ وَيَبْقَى آرَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا  
تَنْفُذُ بِهِ أَوَامِرُهُ ، وَيَعْمَلُ بِأَحْكَامِ الصَّوَابِ فِيهَا تَقْتَضِيهِ مَوَارِدُهُ وَمَصَادِرُهُ ؛ وَيُحَسِّنُ  
السِّيَاسَةَ وَالتَّدِيرَ ، وَيَتَوَخَّى الْإِصَابَةَ فِي كُلِّ صَغِيرٍ مِنْ أُمُورِ الدَّوْلَةِ الْعُلَوِيَّةِ وَكَبِيرِ ؛  
وَيُخْلِصُ لِهَ جَلٍّ وَعِزٍّ وَإِمَامَةٍ ، وَيُكَفِّفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ بَيْدَلَ الْجُهْدِ فِي أَعْمَالِ هَلْكَتِهِ  
وَحُسَامَتِهِ ؛ وَسَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّائِرُ مُتَابَعَةً فِي أَثَرِهِ ، مُتَوَاقِفَةً عَلَى أَسْتِثْلِ أَمْرِهِ ؛  
قَدْ رَفَعَتْ السَّنَابِكُ مِنَ الصَّبَاحِ سَهَابًا ، وَخَلَّتْ جُنُودُ الْجُنْدِ لِلنَّظَرِ فِي الْبَرِّعِيَابِ ؛  
وَالْجِهَادُ الْمُسَوِّمَةُ تَمُوجُ فِي أَعْيُنِهَا ، وَتَحْتَالُ فِي مَرَاكِبِهَا وَأَجَلِبَتِهَا ؛ وَتُسْرِعُ فَتَكْسِبُ الرِّيَاحَ  
تَشَاطُطًا ، وَتُعْقِدُ الْمُتَعَرِّضَ لَوْصِفِهَا إِفْرَاطًا ، وَتُهْدِي لِمَنْ يَحَاوِلُ مِمَّا لَتَمَّتْ غُلُوبًا وَأَشْتَطَطَا ؛  
وَأَصْوَاتُ مَرْفَعَةٍ بِالتَّهْلِيلِ ، وَأَصْوَاتُ الْحَدِيدِ تُسْمِعُ بِشَارَ النَّصْرِ بِرَجْمَةِ الصَّلِيلِ ؛  
وَيَكَادُ يُرْجَبُ الْأَرْضُ تَزَلُّلُ الصَّيْلِ ، وَتُرْضُ سَنَابِكُهَا الْهَضَبَ وَتَقْدُ صِلَابُهَا  
كَالْكَنْتِبِ الْمَوِيلِ .

ولما أَتَتْهُ رِكَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَصْلَى وَالتَّوْفِيقِ يَكْتَفِيهِ ، وَالسَّعَادَةِ تُصَرِّفُهُ ؛  
قَصَدَ الْمِحْرَابَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَنَحَا الْمُنْبَرَ فَشَرَفَهُ إِذْ مَلَأَهُ ؛ وَأَدَّى الصَّلَاةَ عَلَى أَكْلِ  
الْأَوْضَاعِ وَأَتَمَّهَا ، وَأَجْمَعَ [ الْأَحْوَالِ ] لِمَرْضَاتِ اللَّهِ وَأَتَمَّهَا ؛ وَأَتَمَّتْ لِلْبُذْنِ الْمُعَدَّةَ فَخَصَرَ  
مَاحْضَرَهُ بِأَحْقَاقِهِ ، وَأَجْرَى الْقَانُونَ عَلَى حَقَائِقِهِ ؛ وَوَادَ إِلَى قُصُورِهِ الزَّاهِرَةِ وَقَدْ غَفَرَ  
اللَّهُ بِسَمْعِهِ الذُّنُوبَ ، وَطَلَّهَ بِرُؤْيَايَةِ الْقُلُوبِ ، وَبَلَغَ الْأُمَمَ مِنَ الْمَرَاشِدِ نَيْهَاةَ الْمَطْلُوبِ .

أعلمك أمير المؤمنين نبأ هذا اليوم الذي تشتمل المسار على جميعه أولاً وآخرًا ، وباطناً وظاهراً ؛ لتذيع نبأه في عمل ولايتك ، وتشييع خبره في الرعايا على جاري عادتك ؛ فأعلم هذا وأعمل به ، وطلع مجلس النظر السيد الأجل بما أعمدته في ذلك ، إن شاء الله تعالى . وكتب في اليوم المذكور .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات قد رُفِضَ وترك استعمله بديوان الإنشاء في زماننا .

### الصنف السادس عشر

(المكاتبة بالإشارة بوفاء النيل والإشارة بالسلامة في الركوب لفتح الخليج)

وهذه المكاتبة من خصائص الديار المصرية ، لا يشاركها فيها غيرها من الممالك . ولم يزل القائمون بالأمر بالديار المصرية من قديم الزمان وهم جراً يكتبون بالإشارة بذلك إلى ولادة الأعمال ، اهتماماً بشأن النيل ، وإظهاراً للسُرور بوفائه ، الذي يترتب عليه الخصب المؤدى إلى العيافة وقوام المملكة ، وانتظام أمر الرعية . وقد كان خلفاء الفاطميين القائمين بأمر الديار المصرية بذلك كبير العناية ووافراً بالاهتمام ؛ وكانت طائفتهم في ذلك أنهم يكتبون بالإشارة بوفاء النيل كتباً مفردة ، وفتح الخليج وهو المعبر عنه في زماننا بالكسر كتباً مفردة . ولعلّ فتح الخليج كان يترانى في زمنهم عن يوم الوفاء ، فيُفَرِّدون كل واحد منهما بكتب .

فأما وفاء النيل المبارك فهذه نسخة كتاب بالإشارة به في الأيام الفاطمية ، من إنشاء ابن قادوس ، وهي :

النعم وإن كانت شاملة للآثم ، فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاهها بشكر تُسَبِّح في الآفاق أعلامه ، واعتناده بحكم بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك في النفع بها

العباد، وتبدو بركتها على الناطق والصامت الجماد؛ وتلك النعمة النيل المصيرى الذى  
تهز به الأرض الجرز فى أحسن الملابس، وتظهر حلل الرّياض على القيعان والبساتين؛  
وترى الكُنُوز ظاهرة للعيان، متبرجة بالجواهر والقبين والمقيان؛ فنبهان من جملة  
سبباً لإنشار الموات، وتعالى من ضاعف به ضروب البركات، ووفر به موادّ الأرزاق  
والأقوات؛ وهذا الأمر صاير إلى الأمير، وقد منّ الله جلّ وعلا بوفاء النيل المبارك،  
وخليص على القاضي فلان بن أبي الرّدا فى يوم كذا وكذا، وطاف بالخليج والتشريفات،  
والمواهب المضاعفات؛ بالقاهرة والمهرسة ومصر على جارى عادته، وقديم سيرته؛  
ونودى على الماء بوقايته ستة عشر ذراعا وإصبعا من سبعة عشر ذراعا؛ وأستبشر  
بالنعمة بذلك الخلاق، وواصلوا بالشكر مواصلة لا تستوفقهم عنها العواقب؛ وبدا من  
ممرات الأثم وأبتهاجهم ما يضمن لهم من الله المزيد، ويُلهم المثل السعيد، ويقضى  
لهم بالمال الحبيب. وموصل هذا الأمر إليك فلان، فاحتمد عند وصوله إليك إكرامه  
وإعزازه، وإجمال تلقّيه وإفضاله؛ إلى ما جرت به عادة مثله من رجاء، وتوحيه  
وأحشاء، وإكرام وأعتناء؛ ليؤدّ شاكرا. فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة أخرى من ذلك، من إنشاء ابن الصيرفى، وهى :

أولى ما تحدّث به ناقله وراويه، وتجلّ الممرّة به حاضره وراكبه؛ ما كانت  
الفائدة به شائمة لا تحيز، والنعمة به نائمة لا تقتصص أحد بشمولها ولا يميز؛  
إذ كان علّة لتكاثر الأقوات، وبها يكون التماثل فى البقاء والتساوى فى الحياة؛ وذلك  
ما منّ الله تعالى به من وفاء النيل المبارك : فإنه انتهى فى يوم كذا من سنة كذا،  
إلى ستة عشر ذراعا وزاد إصبعا من سبعة عشر ذراعا؛ وقد سيرنا أيها الأمير فلانا

بهذه البشري إليك ، وخصصناه بالورود بها عليك ؛ فتلقها من الشكر بمستوجبها ،  
وآستقبلها من الابتهاج والاعتباط بما يليق بها ؛ وأجعل الرسوم التي جرت العادة  
بتوظيفها لقلان بن أبي الرداد محمولة من جهتك إلى حضرتنا ، لتؤلى إليه من جهتنا ؛  
فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى ، وكُتب في اليوم المذكور .

وهذا الصنف من المكاتبات مُتداول بالديار المصرية إلى آخر وقت ، يكتب به  
في كل سنة عن الأبواب السلطانية إلى تواب السلطنة بالمالك الشامية عند وفاة  
النيل ، وتسير به البريدية ؛ وربما جئ للبريدى من الممالك شئ بسبب ذلك .  
وإذا كانت الدولة عالة ضمن الكتاب أنه لا يجهى للبريدى شئ بسبب ذلك .



وهذه نسخة مثال شريف فى معنى ذلك .

ولا زال يروى عنه وإليه حبيب الوفاء والندا ، ويورد على سمعه الكريم نبأ  
الخصيب الذى صفا موردا ؛ ويهني بكل نعمة تكفلت للرايا بمضاعفة الجود  
ومرادفة الجدا ، ويخص بكل منة عمت مواهبها الأنام فلن تنسى أحدا .

صدرت هذه المكتبة إلى الحجاب العالى : وبمحر كرمها لايتهى إلى مدى ،  
ويشرب بشرها دائماً أبدا ؛ تهدي إليه سلاماً مؤكداً ، وثناءً أخصى به الشكر مردداً ؛  
وتؤمخ لعلمه الكريم أن الله تعالى قد أجرى على جميل عاداته ، وأراد بالأمة من الخير  
ماهو المألوف من إراداته ، ومنع مزيد النعم التي لم تزل تُعهد من زياداته ؛ فأسدى  
معروفه المعروف إلى خلقه ، وأبلى بهم بما يكون سببا لمادة عطائه وريزقه ، فبلىهم  
تأويلهم ، وأجرى نيلهم ؛ وزادهم بسطة فى الأرض ، وملأ به الملا وطبق به البلاد  
طولها والعرض ، ونشر على الخلقين لواء خصيه ، وأتى بعسكر ربه لقتل الخيل

وجَدَّه، وبنينا هو في القساج إذ بلغ بأذن رَبِّه ؛ فجعل من اللَّهَب لِيَأْسَه ، وعَطَّر  
بالشَّدَا أَفْهَاسَه ؛ ولم يترك خِلَالَ قُطْرٍ إِلَّا جَاءَه بِقَاسَه ، ونَصَّ السَّيْرَ فَسِيرَ نَصَّ جَبِيته  
في الأرض لَمَّا صَحَّحَ بِالْوَفَاءِ قِيَاسَه ، وغَاظَلته الشَّمْسُ فكَسَّتْهُ حُمْرَة أُصْبِلْهَا لَمَّا غَدَّتْ  
له بمشاهدتها مَآسَه ؛ ولم يكن في هذا العام إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا قِيلَ : أَقْبَلَ إِذْ قِيلَ : وَفَى ،  
ومَدَّ في الزِّيَادَة بَاقًا وَبَسَطَ ذِرَاعَا ، وأطلق بمَوَاطِبِ أَصَابِه كَفًّا ؛ وعَاجَلَ إِدْرَاكَ الْمَسَرِّمِ  
في آبْتِدَاءِ أَمْرِهِ مَطَالِ شَبَابِه ، وَصَرَ عَلَى الْأَرْضِ فَعَلَا فِي الْأَفْوَاحِ لَمَّا سَاغَ شُكْرُ سَائِغِ  
شَرَابِه ، وَأَعْتَمَدَ عَلَى نَصِّ الْكَثَابِ الْمَزِيدِ فَكَادَ أَنْ يَدْخُلَ كُلُّ يَتِّ مِنْ بَابِه .

ولما كان يوم كذا من شهر كذا الموافق لكذا من شهور القبط بَادَرَتْ إِلَى الْوَفَاءِ  
شَيْئَه ، وَأَخْنَتْ أَمْوَاجُه عَنْ مِثَّةِ السُّحُبِ فَنُتَتْ عِنْدَهَا دِيمَه ؛ وَزَارَ الْبِلَادَ مِنْهُ أَجَلُ  
ضَيْفٍ فَرَشَتْ لَهُ صَفْحَةً خَدَّهَا لِلْقُرَى فَعَمَّهَا كَرَمُه ؛ وَبَلَغَ مِنَ الْأَثَرِ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا  
وَرَفَعَ لَوَاهَ بِالْمَزِيدِ وَتَشَرَّ ، وَجَاءَ لِلْبَشَرِ بِأَنْوَاعِ الْبُشْرِ ؛ فَرَسَمْنَا بِتَلْقِي سِتْرِ مِقْيَاسِه ،  
وَتَحْلِيلِه وَتَضْوِيعِ أَتْقَاسِه ؛ وَفَى صَبِيحَةَ الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ كَيْسَرُ سَدِّ خَلِيجِه عَلَى الْعَادَةِ ،  
وَبَلَغَ الْإِنَامُ أَفْصَى الْإِرَادَةِ ، وَتَبَاشَرَ بِذَلِكَ الْعَامُ وَالْخَاصُّ ، وَأَطْلَتِ الْأَلْسِنَةُ بِمَجْدِ  
رَبِّهَا بِالْإِخْلَاصِ ؛ وَسَطَّرَهَا وَهُوَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ مُتَتَابِعِ الْمَزِيدِ ، بِسَيْطِ بَحْرِهِ  
الْمَدِيدِ ، مُتَجَدِّدِ الْخَيْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الزِّيَادَةِ جَدِيدِ . فَالْحَبَابُ الْعَالِي يَأْخُذُ مِنْ  
هَذِهِ الْبُشْرِ بِأَوْقَرِ نَصِيبِ ، وَيُشْكِرُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى مَا مَنَحَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - هَذَا الْعَامَ  
الْخَصِيبِ ؛ وَيُذِيعُ لَهَا خَبْرًا وَذِكْرًا ، وَيُضَوِّعُ بِطَى هَتَائِهَا تَشْرًا ؛ وَيَتَقَدَّمُ بِأَنْ لَا يُجْئِي  
عَنْ ذَلِكَ بَشَارَةٌ بِالْجَمَلَةِ الْكَافِيَةِ ، لَتَقْدُورَ الْمِنَّةُ تَامَةً وَالْمَسْرَّةُ وَافِيَةً ؛ وَقَدْ جَهَّزْنَا هَذِهِ  
الْمَكْتَابَةَ فَلَانَا ، وَكَتَبْنَا عَلَى يَدِهِ أَمْثَلَةَ شَرِيفَةٍ إِلَى نُؤَابِ الْفَلَاحِ الْفَلَانِيَةِ [جَرِيًّا] عَلَى  
الْعَادَةِ ، فَيَتَقَدَّمُ بِتَجْهِيزِهِ بِذَلِكَ عَلَى عَادَةِ هِمَّتِهِ ، فَيُحِيطُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ .



وهذه نسخة أخرى في معنى ذلك ، كُتِبَ بها في صايع عَشْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة ست وستين وسبعمائة ، وصورتها بعد الصُّدْر :

وَبَشِّرْهُ بِأَخْصَبِ طَامٍ ، وَأَخْصَّ مَسَرَّةَ هَنَاقِهَا لِلْوُجُودِ طَامٍ ، وَأَكْلِ نِعْمَةٍ تُقَالُ  
العام من عيون الأرض بمزيد الإنعام .

صدرت هذه المكتبة إلى الجَنَابِ العَالِي يُهْدَى إِلَيْهِ أَمِّ سَلَامٍ ، وَأَعَمَّ ثَنَاءٍ تَامٍ ؛  
وَتَوْضُوحٍ لَعَلِّهِ الْكَرِيمُ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَلَهُ الْحَمْدُ - قَدْ جَرَى فِي أَمْرِ النَّبْلِ الْمُبَارَكِ عَلَى  
عَوَائِدِ أَلْفَافِهِ ، وَمَنَعَ عِبَادَهُ وَبِلَادَهُ مِنْ مَدِيدٍ نَعْنِهِ مَزِيدٍ إِسْخَافِهِ ؛ وَأُورِدَ الْأَمَالَ  
مِنْ جُودِهِ مَنَهلاً عَذْباً ، وَمَلَأَهَا بِهِ إِقْبَالاً وَخِصْباً ؛ وَأَحْيَا بِهِ مِنْ مَوَاتِ الْأَرْضِ  
فَاهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ ، وَأَنْبَتَ كُلُّ بَيْجٍ وَأُتْجِبَتْ ؛ وَأَيْتَعَتِ الرِّيَاضُ بَغْرَتْ فِيهَا الرُّوحُ  
وَدَبَّتْ ، وَأَتَمَلَّتْ الْحَيَاضُ قَفَاضَتْ بِالْمَيَاهِ وَأَنْصَبَتْ ؛ وَطَلَعَ كَالْبَدْرِ فِي آزْدِيادِهِ ،  
وَتَوَالَى عَلَى مَدِيدِ الْأَرْضِ بِأَمْدَادِهِ ؛ إِلَى أَنْ بَلَغَ حَكْمَهُ ، وَوَصَلَ الْقَرَجَ وَمَنَعَ الشَّدَّةَ ؛  
وَفِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا الْمُوَافِقِ لَكُنَّا وَكُنَّا مِنْ شَهْرِ الْقَيْطِ ؛ وَقَاهُ اللَّهُ سِتَّةَ عَشَرَ  
ذِرَاعاً قَاهُ فِيهَا بِالْبُصْبُحِ ، وَعَمَّ تَرَاهُ الْأَرْضَ فَاشْرَقَ بَعْدَ لَيْلِ الْجَنْدَبِ بِالرَّخَاءِ أَضْوَاءً صُبْحُ ؛  
وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَّقَ سِتْرَهُ ، وَخَلَقَ مِقْيَاسَهُ فَاشْتَهَرَ ذِكْرُهُ ، وَكَبُرَ سُدُّهُ ، وَتَوَالَى مَدُّهُ ،  
وَتَجَمَّزَ مِنْ انْخِصَابِ وَعْدِهِ ؛ وَعَلَا التَّرْعُ وَالْجُرُوفُ ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ قَائِمٌ مِنَ الْجَنْدَبِ  
الْمُخَوِّفِ ؛ وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الطَّلُقَ الْحَيَّ ، وَأَسْبَلَ عَلَى الْأَرْضِ لِيَاسِ النَّعْجِ فَبَدَّلَا بَعْدَ  
الظُّلَمِ رِيّاً ؛ فَحَمِدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ ، وَرَأَيْنَا أَنْ يَكُونَ لِلْجَنَابِ الْعَالِي أَوْفَرُ  
نَصِيبٍ مِنْ هَذَا الْهَيَاءِ الْأَعَمِّ ؛ وَآخَرْنَا إِعْلَامَهُ بِذَلِكَ : لِيَكُونَ فِي شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَكْبَرُ  
مُشَارِكٍ ؛ فَالْجَنَابِ الْعَالِي يَأْخُذُ حَقْلَهُ مِنْ هَذِهِ الْبُشْرَى ، وَيَتَحَقَّقُ مَالَهُ عِنْدَنَا مِنْ

المكانة التي خَصَّته في كُلِّ مُبْهَجةٍ بِالَّذِي تُرَى؛ ويتقدَّم أمره الكريم بأن لا يُنْجى من ذلك حقَّ إِنْشاره ، ولا يتعرَّض إلى أحدٍ بِجَساره ؛ وقد جَهَّزنا بذلك فلا .

### الصف السابع عشر

( فيما يكتب في الْإِشَارَةِ بِرُكُوبِ الْمَيْدَانِ الْكَبِيرِ بِخَطِّ الْوَقِي

عند وفاة النَّبَلِ في كُلِّ سنة )

وهو مما يتكرر في كُلِّ سنة عند رُكُوبِ الْمَيْدَانِ ، ويكتب به إلى جميع التَّوَابِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصَاغِرِ ؛ وتجهَّز إلى أَكْبَرِ التَّوَابِ خُيُولُ مُخْبةِ المِثَالِ الشَّرِيفِ ، ويرُومُ لهم بِالرُّكُوبِ في مِيَادِنِ الْمَالِكِ لِلْعِبِّ الْكُرَّةَ ، تَأْسِيًّا بِالسُّلْطَانِ ؛ فيركبون ويلعبون الْكُرَّةَ . والعادة في مثل ذلك أَنْ تُنْشَأَ نَسْخَةُ كِتَابٍ مِنْ دِيوانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ ، ويكتب بها إلى جميع النِّيَابَاتِ ، لا يَخْتَلَفُ فيها سِوَى صَدْرِهَا ، بِمَحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ حَالُ ذَلِكَ النَّائِبِ .

وهذه نسخة مثال شريف في معنى ذلك ، كُتِبَ به في ذِي الْقَعْدَةِ سنة ستين وسبعمائة لِنَائِبِ طَرَابُلُسَ ، وصورته بعد الصُّلْحِ :

وَلَا زَالَ تُعْمَلُ إِلَيْهِ أَنْبَاءُ مَا يَرِدُ خُلَّتَهُ مِنْ مُضَاعَفَةِ السُّرُورِ ، وَبُثِّثَ لَهُ أَقْوَالُ الْمَنَاءِ بِمَا يَحِبُّ عَالِمُهُ مِنَ النَّصْرِ الْمَوْفُورِ ، وَتُحْصَى مِنْ إِقْبَالِنَا الشَّرِيفِ بِأَكْلِ تَكْرِيمِ وَأَتَمِّ حُبُورِ .

صدرت هذه المكتبة تُهْدَى إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ وَالنَّهْائِ كُلِّهَا ، وَتَوْصَحُّ لِعَلَمِهِ الْكَرِيمِ أَنَّا نَتَحَقَّقُ مَضَاءَ عَزَائِمِهِ حَرِيًّا وَسَلَامًا ، وَأَعْتَلَاءَ هِمَمِهِ الَّتِي تُحَرِّمُ بِهَا الْمَالِكُ وَتُنْجِي ؛

وَأَنْ صَوَّافَهُ تَرْتَبُّ تُرْكُضُ ، وَتُحْبَسُ لَتَنْهَضُ ؛ فَلَذَلِكَ نَعْلِمُهُ مِنْ أَنْبَاءِ اسْتِظْهَارِنَا  
 مَا يُبْهِجُ خَاطِرَهُ ، وَيُقِرُّ نَاطِرَهُ ؛ وَهُوَ أَتْنَا لَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْمُبَارِكِ خَامِسِ سُؤَالَ ،  
 تَوَجَّهَ رِكَابُنَا الشَّرِيفُ إِلَى الْمَيْدَانِ السَّعِيدِ وَفَاضَ بِهِ جُودُنَا فَأَخْضَرَّتْ مَرُوجُهُ ،  
 وَظَهَرَتْ نَسِيرَاتُ الْأَعْظَمِ فَأَشْرَقَتْ آفَاقُهُ وَتَشَرَّفَتْ بِرُوحِهِ ، وَأَقْرَّ الْعُيُوتَ مِيزُوجُنَا .  
 الْمُبَارَكِ وَبِهِجُهُ ؛ وَفَدَا كُلُّ وَلِيٍّ بِمَوَالِدِهِ إِنْصَامًا مَشْمُولًا ، وَبِمَنَالَاتٍ إِكْرَامًا مُوصُولًا ؛  
 وَرَكَضَ الْأَوْلِيَاءُ بَيْنَ أَيْدِينَا جِيَادًا أَلْقَتْ نِزَالًا وَعَرَفَتْ طِرَادًا ، وَأَنْعَطَفَتْ لِينًا وَاتَّقِيَادًا ؛  
 وَعُدْنَا إِلَى مُسْتَقَرِّ مَلِكِنَا الشَّرِيفِ وَقَدْ جَلَدَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا إِسْعَادًا ، وَأَيْدٍ لَعَزْمًا الْمُعَانِ  
 مَبْدَأًا وَمَعَادًا ؛ وَأَمَرْنَا إِصْلَامَ الْجَنَابِ الْعَالِي بِهَذِهِ الرِّجْهَةِ الْمِيمُونَةِ ، وَالْحَرَكَةِ الَّتِي هِيَ  
 بِالْبَرَكَةِ مَقْرُونَةٌ ؛ لِأَخْذِ حَظِّهِ مِنَ السُّرُورِ بِذَلِكَ وَالْهِنَا ، وَيَتَحَقَّقَ مِنْ إِقْبَالِنَا الشَّرِيفِ  
 عَلَيْهِ مَا يَبْلُغُ بِهِ الْمُنَى .



وهذه نسخة مثالي شريف في المعنى ، مُكْتَبَبٌ بِهِ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، سَنَةِ  
 أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعًا مِائَةً . وَصُورَتُهُ بَعْدَ الصُّدْرِ :

وَلَا زَالَتْ مَيَّارُنُ سَعْدِهِ لَا تَنْتَاهِي إِلَى مَدَى ، وَكُرَّاتُ كَرَامَتِهِ فِي رِجَابِ النَّصْرِ تَلَمَّعُ  
 كَتَبُهُمُ الْمُدَى ؛ وَمُتَوَرِّدُ صَوَائِلِهِ كَشَوَاحِرِ الْمُرَّانِ تَحْمَلُوْنَ بَأَيْدِيهَا لِلْأَوْلِيَاءِ وَتَقْسُوْ  
 مَرِيرَةَ الْعِدَا .

صدرت هذه المكالبة وظفرها لا يزال مؤيدًا ، وَنَصْرُهَا لَا يَبْرَحُ مُؤَيَّدًا ؛ تُهْدَى إِلَى  
 سَلَامَا مُؤَكَّدَا ، وَتَشَاءُ كَثْرَةُ الْأَرْضِ بِالنَّدَى ؛ وَتَوْحُّعُ لَعْلَمِهِ أَتْنَا لَمْ تَزَلْ بِحَمْدِ اللَّهِ تَتَبَّعُ  
 سَنَنَ سَلَفِنَا الشَّرِيفِ ، وَتُجْرَى الْأُمُورُ عَلَى عَوَائِدِ جَمِيلِهِمُ الْكُنُيْفِ ؛ وَزُرَى تَمْرِينَ  
 الْأَوْلِيَاءِ عَلَى تُمَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَتُقَوَّرُ إِقْبَاءُ آفَارِ الْجِهَادِ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ أُسْلُوبِ ؛



فذلك لا يُحِلُّ في كُلِّ عامٍ بالتَّعَاهُدِ إِلَى المَيْدَانِ السَّعِيدِ، وَالرُّكُوبِ إِلَيْهِ فِي أَسْعَدِ طَالِعٍ يُدْئِي النَّصْرَ وَيُعِيدُ : لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَتْبَاجٍ يَتَّجِدُ ، وَأَسْبَابٍ مَسْرَةٍ لِكَاثَةِ الْأَنَامِ تَأْكُدُ ، وَدَعْوَاتِ أَلْسِنَتِهَا تَضَاعِفُ مِنَ الرِّعْيَةِ وَتَتَرَدَّدُ .

ولما كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْمُبَارَكِ سَادِسَ عَشَرَ شَهْرَ رَجَبِ الْقَرْدِ، رَكِبْنَا إِلَى المَيْدَانِ السَّعِيدِ فِي أَتَمِّ وَقْتٍ أَخَذَ مِنَ السَّعْدِ يَجْمُوعِهِ ، وَأَظْهَرَ فِي أَفْقِ الْعَسَاكِرِ مِنْ وَجْهِهَا الشَّرِيفِ الْبَدْرَ عِنْدَ طُلُوعِهِ ؛ وَلَمْ تَبْرَحْ يَوْمَنَا الْمَذْكُورِ فِي عَطَاءٍ مُجِيدِهِ ، وَإِضَامٍ مُبِيدِهِ ، وَإِطْلَاقٍ يُبْدِيهِ وَنُعِيدِهِ ؛ وَالْأَوْلِيَاءَ بَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ يَمْزُجُونَ ، فِي بِحَارِ كَرَمِنَا الْمُنِيفِ يَسْبِجُونَ ، وَفِي مَيْدَانِ تَأْيِيدِنَا الْبَطِيفِ يَسْبِجُونَ ؛ وَالْكُرَاتِ كَالشَّمْسِ تَجْمُجُ تَارَةً وَتَغِيبُ ، وَتَحْشَى مِنْ وَتَحِجِّ الصَّوَالِجَةَ فَتَقَابِلُهَا بِوَجْهِهِ مُصَفَّرٍ مُرِيبٍ ؛ ثُمَّ عُدْنَا إِلَى الْقَلَمَةِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى أَتَمِّ حَالٍ ، وَأَسْعَدِ طَالِعٍ بَلَغَ الْأَنَامَ الْأَمَانَ وَالْأَمَالَ ؛ وَالْعَسَاكِرُ بِمَنْعَتِهَا الشَّرِيفَةِ مُخْدَعُونَ ، وَمَالِكَا بُعُودٍ وَلَأْسًا مُطَوَّقُونَ ؛ وَالرَّطَايَا قَدْ أَلْهَمَهَا الشُّرُورُ أَوْبَاءَ ، وَفَتَحَ لَهَا مِنَ الْإِتْبَاجِ أَبْوَابَ ؛ وَقَدْ آثَرْنَا إِعْلَامَ الْجَنَابِ بِذَلِكَ لِأَخَذِ حَفْظِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَسْرَةِ وَالْهَشْرِ ، وَيُسْتَرَكُّهُ هُوَ وَالْأَنَامُ فِي هَذِهِ النُّعْمَةِ الْكُبْرَى ؛ وَمَرَّ سَوْمُنَا بِالْجَنَابِ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالرُّكُوبِ بَيْنَ جَنْبِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ فِي مَيْدَانِ طَرَابُلُسِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَيَلْعَبَ بِالْكُرَةِ عَلَى جَارِيِ الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ؛ لِيُسَاهِمَ أَوْلِيَاءَ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَسْلُكَ مِنْ طَرَفِهِمُ الْجَلِيلَةَ أَجْمَلَ الْمَسَالِكِ .

قلت : وَهَذَا الصَّنُفُّ مِنَ الْمَكْتَابَاتِ السُّلْطَانِيَةِ لَمْ يَزَلْ مُسْتَعْمَلًا بِدِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ ، يُكْتَبُ بِهِ كُلَّمَا رَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَى الْمَيْدَانِ الصَّالِحِيَّ بِخَطِّ الْوَلِيِّ ، إِلَى أَنْ عَطَلَ جِدَّهُ مِنَ الرُّكُوبِ فِي أَوَانِرِ النَّوَلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ «بَرْقُوقٍ» وَاقْتَصَرَ عَلَى لَيْبِ الْكُرَةِ فِي الْمَيْدَانِ الَّذِي جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ ؛ فَتَرَكْتَ الْمَكْتَبَةَ بِذَلِكَ مِنْ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ وَرَفَضْتُ اسْتِمْلَاحَهَا .

## الصفحة الثامن عشر

### (المكتبة بالإشارة بحج الخليفة)

لما كانت الأسفار، محلّ الأخطار، وموقع الاختلاف وحلوث الفتن، كانت الخلفاء يكتبون الكتب إلى عمّالهم بالسلامة عند الإياب من السفر للحجّ وضريحه . والرسم فيها أن يذكر أن الحجّ من أجل العبادات، وأن من النعمة [أن يمن] الله تعالى بقضاء المناسك، والوقوف بالمشعر الحرام، والطواف بالبيت العتيق، والسعي بين الصفا والمروة، وما يمرى بجرى ذلك من شعائر الحجّ، ثم بعد زيارة النبي صلّى الله عليه وسلم، وأتفاق الكلمة في جميع هذه الأحوال، على كثرة الخلاف ومزيد الجيوش والمساكر .

وهذه نسخة كتاب السلامة من سفر الحجّ، وهي :

الحمد لله الذي جعل بيته مثابة للناس وأمناء، وحرماً من دخله كان آمناً، الذي اختار دين الإسلام على الأديان، وأبتعت به صفوته من الإنس والجان، وهذا أكرم نبيّ مبعّد بن مدائن .

يحمده أمير المؤمنين أن أعانته على تأدية حقّه، ونصّبه لكفالة خلقه، ووقفه للعمل بما يرضيه ويؤدّي إليه . ويسأله أن يصلّي على خير من قار وأحمد، وصدر وورد؛ وركع ومجد، ووجد ومجد، وصلّى وعبد، وحلّ وأكرم، وحجّ الحرم، وأتى المستجار والمُعتمر، والحطيم وزمزم، محمد سيّد ولد آدم، وعلى أخيه وابن عمّه مصباح الدلالة، وحجّاب الرسالة، إمام الأئمة، وباب الحكمة، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب،

مُزَّقِ الكُتَّابَ ، وَفَرِّقِ المَوَاقِبَ ؛ وَحُطِّمِ القَوَاضِبَ ، فِي القَالِ وَالْمَنَاسِبِ ؛ وَعَلَى  
الْأَيَّامَةِ مِنْ دُرِّيَّتَيْهَا المَادِينِ ، صَلَاةً بَاقِيَةً فِي السَّالِينِ .

وَإِنَّ أَوَّلَى النَّعَمِ بِأَنْ يُسْتَعْلَبَ ذِكْرُهَا ، وَبُسْطَطَرُ نُشْرُهَا ؛ وَتَحَدَّثَ بِهَا الْإِنْسَنَةُ ،  
وَتَعَدَّى فِي مَوَاقِبِ اللَّهِ الحَسَنَةِ ؛ نَعَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّوْفِيقِ لِحُجِّ بَيْتِهِ الَّذِي جَعَلَهُ مَثَابَةً  
لِزَارَتِهِ ، وَالْإِطَاقَةَ بِحَرَمِهِ الَّذِي يُوجِبُ الْمُغْفَرَةَ لِقَاصِدِيهِ ؛ وَالتَّزَوُّلَ بِأَفْنِيَّتِهِ الَّتِي مِنْ  
يَحْتُمُّ بِهَا فَقَدْ آتَسَلَخَ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، وَطَلَّسَ بِالحَسَنَاتِ ؛ وَكَتَابَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا  
إِلَيْكَ يَوْمَ النَّفَرِ الْأَوَّلِ : وَقَدْ قَضَى بِحَمْدِ اللَّهِ هَمَّتَهُ ، وَوَفَّى نَذْرَهُ ؛ وَنَمَّ حُجَّهُ ، وَكَلَّ طَوَافَهُ ؛  
وَشَهِدَ مَنَافِعَهُ ، وَأَدَّى مَنَاسِكَهَ ؛ وَوَقَفَ الْمَوْقِفَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ قَانِتًا دَاخِيًا ، وَرَاجِيًا  
رَاجِيًا ؛ وَعَرَفَهُ بِعَرَاقَاتِ إِعْلَامِهِ قَبُولَ سَمْعِهِ ، وَاجَابَةً لِحُجَّتِهِ ، وَبَلَّغَهُ فِي مَنَى أَمَانِيَّتِهِ  
مِنْ رَاقِدَةٍ ؛ وَأَرَادَ مِنْ حَتَائِلِ الرَّجَمَةِ ، وَدَلَائِلِ الْمُتَغَيَّرَةِ ؛ مَا تَلَاكَ أَنْوَارُهُ ، وَتَوَضَّعَتْ  
آثَارُهُ ؛ وَأَجْرَاهُ عَلَى تَفْصِيلِ الْعِبَادَةِ فِي تَحْمُولِ السَّلَامَةِ لِكُلِّ مَنْ سَجَّ بِحُجَّتِهِ ، وَوَقَفَ  
مَوْقِفَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَصَامِيَةِ وَرَعِيَّتِهِ ؛ وَأَنَّهُمْ بِأَهْقَاقِ كَلِمَتِهِمْ ، وَأَجْتِنَاجِ أَهْوِيَّتِهِمْ ؛  
وَأَكْتَنَافِ الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ لَهُمْ ، وَزَوَالِ الْإِخْتِلَافِ وَالْمُبَايَنَةِ بَيْنَهُمْ .

فَإِنْ أَرَادَ زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَهُوَ يَصْدُرُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى  
عَنْ مَوْقِفِهِ هَذَا مِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَإِنْ أَرَزَعَ الْإِكْكَفَاءَ إِلَى مَقَرِّهِ ، قَالَ :

وَأَشْعُرُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ وَهُوَ عَائِدٌ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَقَرِّ خِلَافَتِهِ ،  
فِي عَزٍّ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَعُلوٍّ مِنْ كَلَمَتِهِ ؛ وَأَمْتِدَادٍ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَتَضَاعُفٍ مِنْ جُنْدِهِ  
وَأَعْوَانِهِ ؛ تَتَاخَذُ بِحُظَّتِكَ مِنَ الْإِهْتِمَاجِ وَالْجَلْدِ ، وَتُذَيِّعُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْعَمَلِ : لِشَارِكِكَ  
الْعَامَّةِ فِي الْعِلْمِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَيُخَلِّصُوا اللَّهَ الشُّكْرَ عَلَيْهَا ، وَيَرْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا ؛  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة كتاب إسالة الخليفة من مَنِي في الجملة .

والرم فيه أن تُذكر نعمة الله تعالى بما منح أمير المؤمنين في سَفَرِه ذلك : من بلوغ المأرب، وتسهيل المقاصد ؛ وإدراك الأوطار، وتُمُول النعمة في الذهاب والإياب؛ وما يجري مجرى ذلك مما يفرط في هذا السلك، وهذه نسخته :

الحمد لله ذي الطول والإتمام ، والفضل والإكرام؛ والمِنَّة العظام، والأيدى الحسام؛ الذي أرحم أمير المؤمنين من حَيَاتِهِ حَيًّا لَا تَمُوت ، واستخدم لِحَاسِنِهِ والمُرَامَة دونه اللَّيَالِي والأَيام، وقضى له بالتوفيق والسَّعادة في الظُّلَم والمَقَام .

يحمده أمير المؤمنين أن استخلصه لإمامة الأئمة ، وعَدَّق به أساليب النقص والإبرام؛ ويسأله الصلاة على مَنْ أَخْتَصَّه بِشَرَفِ المَقَام، وأبتمته بدين الإسلام؛ وجَلَّاه بِحَدِيثِ الظَّلام ، عِدَّ خَاتَمِ الأنبياء الكرام ؛ وعلى أخيه وأبن عمه الأمام الضَّرَفَام، أمير المؤمنين على بن أبي طالبٍ مُكْتَمِرِ الأصنام، وعلى الأئمة من تُدْرِيتُهما أعلام الأحكام، وأدلة الحلال والحرام .

وإن أمير المؤمنين لا يزال يتحدث بِنِعَمِ الله مُسْتَدِرًّا لَأَخْلَافِهَا، مُتَّصِبًا لِقَطَائِفِهَا، وَيُقْبِضُ فِي ذِكْرِهَا، مُسْتَنْحِيًا لِّلزِيَادَةِ بِشْكْرِهَا؛ وَيُطْلِعُ خُلَصَاءَهُ عَلَى حُسْنِ آثَارِهَا لَدَيْهِ : وَسُبُوحِ مَلَائِكِهَا طِيه؛ لِيَأْخُذُوا بِحَقِّهَا مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْإِسْتِشَارِ، وَيَسْرَحُوا فِي مَسَارِحِ الْمَبَاحِ وَالْمَسَاحِ؛ وَكَتَابِ أمير المؤمنين هذا إليك حين استقرَّ رِكَابُهُ بِناحية كَذَا، مبشرا لك بنعمة الله في حَيَاتِهِ، وَمَوْهَبَتِهِ فِي سَلَامَتِهِ؛ وما أولاه من انارة (٩) الدليل، وتسهيل السَّيْلِ؛ وعلى التَّجَاهِلِ، وتَقْرِيبِ الْمَنَازِلِ، وإِعْدَابِ الْمَنَاطِلِ؛ وَإِنَاءَةِ الأوطار، وتَدْمِيتِ الأوطار؛ وَبِرَكَّةِ الْمُتَصَرِّفِ، وسعادة الْمُتَصَرِّفِ؛ وَوُصُولِهِ إِلَى مَقْصِدِهِ

قَرَرَ الْعَيْنَ ، قَلِيلَ الْإَيْنِ ، عَفُوظًا سَارِيًّا وَأَيًّا ، مَكُومًا طَائِدًا وَذَاهِبًا ، مُشَرَّدَ النَّصَبِ  
مَسْرُورًا ، مَوْفُورَ النَّصِيبِ مَحْبُورًا ، فِي أَجْتِمَاعٍ مِنْ كَلِمَةِ أَوْلِيَاءِهِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَتُقُودِ  
بَصَائِرِهِمْ فِي تَصِيرِ رَأْيَتِهِ ، وَإِطَاعَتِهِ عَلَى مَا اسْتَحَقَّقَهُ مِنْ عِبَادَةٍ ، وَأَسْتَرَاهُ مِنْ بِلَادِهِ : لِيَأْخُذَ  
بِالْحِفْظِ الْأَجْزَلِ ، مِنْ الْإِتِهَاجِ وَالْجَلْدِ ، وَيُشْكِرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ،  
وَيُضَيِّفَهَا إِلَى سَوَائِفِ نِعَمِهِ الثَّالِثَةِ ، وَيُذَيِّعُهَا بَيْنَ رِعِيَّتِهِ ، وَأَنْصَارِ دَعْوَتِهِ ، لِيَشْتَرَكُوا  
فِي آرْتِسَافِ لُغَايَا ، وَالْقِيَافِ أَنْوَابِهَا ، فَاعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وهذا الصَّنْفُ من المكاتبات السلطانية قَلِيلُ الْوُقُوعِ ، إِنْ وَقَعَ مِثْلُهُ  
لِلكَاتِبِ فِي زَمَانِنَا ، خَرَجَهُ عَلَى نِسْبَةِ الْأُسْلُوبِ الْمُتَقَدِّمِ .

### الصنف التاسع عشر

( الكاتبة بالإمام بالشاريف والخَلِج )

وهذا الصَّنْفُ مِمَّا أَخْفَلَهُ صَاحِبُ "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَلَا يَدَّ مِنْهُ .

والرَّمِ فِيهِ أَنْ يَكْتُبَ عَنِ الْخَلِيفَةِ أَوِ السُّلْطَانِ إِلَى مَنْ أَخْلَصَ فِي الطَّاعَةِ ،  
أَوْ ظَهَرَتْ لَهُ آثَارُ كِفَايَةِ : كَفَتْحٍ أَوْ كَثِيرِ عُدُوٍّ ، وَمَا يَجْرِي بِجَرَى ذَلِكَ .

وهذه نَسْخَةُ كِتَابِ كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّائِي عَنْ الطَّائِعِ قَهْ ، إِلَى صَمَّامِ الْبُؤْلَةِ  
أَبْنِ عَضُدِ الْبُؤْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، قَرَيْنِ خَلْعِيٍّ وَفَرَسِيٍّ بِمَرْكَبَيْنِ مِنْ نَعَبٍ وَسَيْفٍ  
وَسُلُوقِيٍّ ، وَهِيَ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْإِمَامِ الطَّائِعِ قَهْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى صَمَّامِ الْبُؤْلَةِ  
وَيُسَمَّى الْمَلَّةُ أَبِي كَالِيْبَارِ بْنِ عَضُدِ الْبُؤْلَةِ وَتِلْجِ الْمَلَّةِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يُصليّ على جده محمد ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ، أطال الله بقاءك : فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بوّأكَ المنزلة العُليا ، وأُنالك من أثرِهِ الغاية القصوى ؛ وجعل لك ما كان لأبيك عَضُدُ الدَّولة وتاج المِلَّة - رحمة الله عليه - من القَدَر والمَحَل ، والمَوْضِع الأرفع الأَجَل ، فإنه يُوجبُ لك عند كلِّ أثرٍ يكون منك في الخلد ، ومَقَام حَمْدِ قَوْمِهِ في حِمَاية النَّبِيَّة ، إِنْصَافاً يُظَاهِرُهُ ، وإِكْرَاماً يُنَافِسُهُ ، والله يَزِيدُكَ من توفيقه وتسديده ، ويمدُّكَ بمَحْوِيَّتِهِ وتأييده ، ويخيّرُ لأمير المؤمنين فيما رآه مُستَحْتَمّاً عليه من مَزِيدِكَ ونَعْمَتِكَ ، والإِبقاء بك وتعظيمك ، وما توفّقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنْجِب .

وقد عرفت - أدام الله عزّك - ما كان من [أمر كردويه] كافر نعمة أمير المؤمنين ونعمتك ، وبِجَاحِد صَليَّعته وصَبيعتك ؛ في الوثبة التي وثبها ، والكبيرة التي آرتكبها ؛ وتقديره أن يتّهمَ الفُرصة التي لم يملكه الله منها ، بل كان من وراء [ذلك] دفعه وردّه عنها ؛ ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله ناراها ، وقنعه طارها وسأرها ؛ حتى أنهزم والأوغاد الذين شرّكوه في إثارة الفتنه ، على أن أصبح أحوال الدّلة والقلة ؛ بعد القتل الذريع ؛ والإلتحان الوجيع . فالحمد لله على هذه النعمة التي جَلَّ موقعها ، وبأن على الخاصّة والعامة أثرها ؛ ولزم أمير المؤمنين خصوصا والمسلمين عموما نشرها والحديث بها ، وهو المستول إقامتها وإدامتها برحمته .

(١) تقدم في هذا المطبوع (ج ٦ ص ٣٩٦) عند ذلك أثر .

(٢) القى تقدم « يؤيدك » وما هنا أروخ .

(٣) يباين بالأصل ، والتصحيح عما تقدم .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يُجَازِيكَ عن هذا الفتح العظيم، والمقام المحيد الكريم؛  
يُخْلَعُ ثَمَّةً، ودَابَّتَيْنِ بِمَرَكَّتَيْنِ من ذهب من مراكمه، وسَيْفٍ وَطَوِيقٍ وَسِوَارٍ مُرَصَّعٍ .  
فَتَلَقَّى ذَلِكَ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، والاعتدادِ بِنِعْمَتِهِ فِيهِ؛ وَالْهَسَّ خَلَعَ أمير المؤمنين  
وَتَكْرِمَتَهُ، وَسِرَّ [من بابه] <sup>(١)</sup> عَلَى حَمَلَاتِهِ، وَأَظْهَرَ مَا حَبَّكَ بِهِ لِأَهْلِ حَضْرَتِهِ، لِيُعَزَّ  
اللَّهُ بِذَلِكَ وَلِيَّهَ وَوَلِيَّكَ، وَيُنْذِلَ عَذَابَهُ وَنُذُوكَ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ  
وَرَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ . وَكُتِبَ فَلَانُ لِمَكَانٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ نَحْمَسٍ وَسَبْعِينَ  
وِثْلَيْثَاةً : أَطَالَ اللَّهُ بِقَاعِكَ، وَأَدَامَ عِزَّكَ، وَأَجَزَلَ حِفْظَكَ وَحِجَاطَتَكَ، وَأَمَعَ أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ بِكَ وَبِالنِّعْمَةِ فِيكَ وَعِنْدَكَ .

قُلْتُ : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية باقٍ عَلَى الْأَسْتِمَالِ ، مَتَى أَنْعَمَ  
السلطانُ عَلَى نَائِبِ سُلْطَانِيَّةٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ وَزِيرٍ أَوْ غَيْرِهِ بِخُلْعَةٍ بَثَّ بِهَا إِلَيْهِ وَكُتِبَ  
قَرِينُهَا مِثَالُ شَرِيفٍ بِذِكْرِ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ أَهْمَلُ فِي ذَلِكَ السَّجْعَ وَالْأَزْدَوَاجَ، وَأَقْتَصَرَ  
فِيهِ عَلَى الْكَلَامِ الْمَحْمُولِ كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ، إِلَّا فِي النَّادِرِ الْمُعْتَنَى بِشَأْنِهِ .

## الصنف العشرون

### (المكاتبة بالفتوى والتلقيب)

قال في "مواد البيان" : جرت عادة الخلفاء بالكاتبه بالتلقيب، لأنَّ اللَّقَبَ مُوَهَّبَةٌ  
من مواهب الإمام: أمضاها وأجازها؛ فَلِذَا جَرَتْ عَلَيْهِ كَانَتْ كَفَرِيهَا مِنْ نِعْمَةٍ إِلَى مَنَحِهَا  
عَلَى عِيْدِهِ؛ وَالْكُنْيَةُ تَكْرِيْمٌ يَسْتَعْمَلُهَا النَّاسُ فِيَا بَيْنَهُمْ، فَلَيْسَ حُكْمُهَا حُكْمُ اللَّقَبِ .

(١) يياض بالأصل والضميح عما تقدم (ج ٦، ص ٢٩٧) .

(٢) سبأ فيا تقدم «أحمد بن محمد» .

قال : والرسم في هذه الكتب أن تفتح بحمد الله على نِعْمَةِ السَّائِقَةِ الضَّافِيَةِ ،  
ومَوَاهِيهِ الزَّاهِيَةِ النَّمِيهِ ؛ وَعَوَازِفِهِ الَّتِي جَعَلَهَا جَزَاءَ الْحَسَنِينَ ، وزيَادَةَ الشَّكَرِ كَرِيمٍ ؛  
ونحو هذا مما يليق أن يفتح به هذا الفرض ؛ والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه  
وسلم . ثم يقال :

وإنَّ أمير المؤمنين بما خوله الله تعالى من نِعْمَةٍ ، وبَوَاهٍ من قِسْمَةٍ ؛ وَخَصَّهُ  
به من التَّكِينِ في أَرْضِهِ ، وَالْمُعُونَةِ عَلَى الْقِيَامِ بِفَرْضِهِ ، يرى الْمُنَّ عَلَى خُلُصَاتِهِ ،  
وإِسْبَاحَ النِّعَمِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ؛ وَأَخْصَصَهُم بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرِ مِنْ جِبَابِهِ ؛ وَالْإِمَالَةَ بِهِمْ  
إِلَى الْمَنَازِلِ الْبَازِيحَةِ ، وَالرُّتَبِ الشَّاعَةِ . وإنَّ أَحَقَّ مِنْ وَفَرِ قِسْمَتِهِ مِنْ مَوَاهِبِهِ ، وَغَزَرِ  
سَهْمِهِ مِنْ عَطَايَاهِ وَرَفَائِيهِ ؛ مَنْ تَمَيَّزَ بِمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ إِخْلَاصٍ وَمُطَاوَعَةٍ ، وَوَلَّاءٍ  
وَمُشَاقِقَةٍ ، وَأَقْيَادٍ وَمُتَابِعَةٍ ؛ وَصَفَاءٍ عَقِيدَةٍ وَسِرِّرَةٍ ، وَحُسْنٍ مَنَهِجٍ وَسِرِّرَةٍ ؛ وَلِذَلِكَ  
رَأَى أمير المؤمنين أَنَّ يَنْتَعِكَ بِكُنَا لِأَشْطَقِهِ هَذَا النَّعْتِ مِنْ مِمَّا تَكُ ، وَأَسْتَبْقَاطِهِ إِياه  
مِنْ صِفَاتِكَ ؛ وَشَرَفَكَ مِنْ مَلَابِسِهِ بِكُنَا ، وَطَوَّقَكَ بِطَوَّقٍ أَوْ بَقِيدٍ ، وَقَلَّدَكَ بِسَيْفٍ  
مِنْ سِيوفِهِ ، وَعَقَدَكَ لِيَوَاءٍ مِنْ أَلْوَجِهِ ، وَحَمَلَكَ عَلَى كُنَا مِنْ خَيْلِهِ وَكُنَا مِنْ  
مَرَائِكِهِ . وَبِحُسْنِ الْوَصْفِ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَأَشْتَقَاقِ الْأَلْفَاظِ  
مِنْ مَعَانِيهِ ، يَحْرَبُ عَنْ قَدْرِ الْمَوْجِبَةِ فِيهِ . ثم يقال : لِإِبَانَةِ لَكَ عَنْ مَكَانِكَ مِنْ حَضَرَتِهِ ،  
وإِتَابَةِ عَلَى تَشْمِيرِكَ فِي خِدْمَتِهِ ؛ فَالْيَسَّ تَشْرِيفَهُ وَتَطَوُّقُ ، وَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ بِهِ ؛ وَأَرْكَبَ  
حُمُولَاتِهِ ، وَأَبْرَزَ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي مَلَابِسِ نَعَامَتِهِ ، وَأَرْفَلَ فِي حُلَائِ آلَائِهِ ، وَزَيَّنَ  
مَوَكِّبَ بِلَوَائِهِ ؛ وَقُلْ ( رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ) وَأَعِزَّنِي عَلَى  
مَا يَسْتَرْهِنُهَا لَدَيَّ ؛ وَخَاطِبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُتَقَلِّبًا بِسَمِّكَ ، مُسْتَعْتَبًا بِنِعَتِكَ .

وهذه نسخة مكتوبة إلى الأفضل بن ونحشى ، وزير الحافظ لدين الله الفاطمي ،  
أحد خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، حين قرَّر الحافظُ تَمُوتَهُ : السَّيِّدُ ، الْأَجَلُ ،



الأفضل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الأئمة، كافل قضاة المسلمين،  
وهادى دعاة المؤمنين، وهى :

أما بعد ، فالحمد لله الذى تفرّد بالإلمية ، وتوحد بالقدم والأزلية ؛ وأبدع من برأ  
وخلق ، وأنشأهم من غير مثال سبق ؛ وأصطفى لتدبيرهم فى أرضه من بعث برسائته ،  
وجعل ما جاموا به من الشرائع من أمارة لطفه بهم ودلائله ؛ وصلّى الله على جدنا محمد  
رسوله الذى جعل رتبته أخيراً وثبوته أولى ، فكان أفضل من هدمه نبياً وسبقه  
رسولاً ؛ وعلى أخيه وأبن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى ذخره لخلائقه ،  
وأثبته بوذاريه ؛ مع كونه من منزلة الأصطفاء ، وتأيد الوحي الظاهر من غير خفاء ؛  
بحيث لا يقتصر على وزير ، ولا يحتاج إلى ظهير ؛ وإنما جعل ذلك تعليماً لمن يستخلفه  
فى الأرض من عباده ، وتمثيلاً نص - جلّ وعزّ - إلى قصده وأعماده ؛ لما فيه من  
ضمّ النشور ، وصلاح البشر ؛ وتمثول المنافع ، وعموم الخيرات التى أين فيها من مداخل ؛  
وعلى الأئمة من فريتهم العاملين بمرضاته ، والمتقين له حقّ قضاة ، والكافين لكل  
مؤمن بأمانه يوم الفرع الأكبر ونجاته ؛ وسلم عليهم أجمعين ، سلاماً متصلاً إلى  
يوم الدين .

والحمد لله الذى جعل النعم التى أسبغها على أمير المؤمنين ، بحسب ما اختصه به  
من منزله التى فضلها بها على جميع العالمين ؛ فجعله خليفة فى الأرض ، والشفيع لمن  
شابهه يوم الحساب والعرض ؛ وأجزل له من منته مالا يُناهضه شكر إلا كان ظالماً ،  
ولا يقابلُه اعتداد إلا استولى عليه السجود فلم يكن بما يجب له طامياً ؛ وإن من  
أزقيها مكاناً ، وأعظمها شأنًا ، وأغنىها قدراً ، وأنبها ذكراً ؛ وأعمها فِعْلاً ، وأحسنها  
صُنْعاً ؛ وأغزرها مائة ، وأنبها قاعدة إذا غلت النعم شاردة تأده ؛ وأعودها فائدة

على انخلاص العالم ، وأضنها للسعد الميسد والحظ الوافر التأم - ما كان من المنّة  
الشاحنة الذرى ، والمنحة الشاملة لجميع الورى ، والعارفة الى آتصرف بها التوحيد  
والإسلام ، والمؤجبة التى [إذا] أنفق كل أحد عمره فى وصفها وشكرها فما يُعَد ولا  
يُلام ، والآية التى أظهرها الله للملّة الحنيفية على قترية من الرسل ، والمُعجزة التى هدى  
أهلها لما دون كافة الأُمّة الى أعدل السبيل ، والبرهان الذى خص به أمير المؤمنين  
وأظهره فى دولته ، والفضيلة التى أبانت مكانته من الله وكريم منزله ، وذلك ما من الله  
به على الشريعة الهادية ، والكلمة الباقية ، والخلافة النبوية ، والإمامة الحافضة ،  
منك أيها السيد الأجل الأفضل : ولقد طال قدرُك فى حُلل الثناء ، وجَلّ استحقاقُك  
عن كل عِوضٍ وجرّاء ، وضلت أوصافُك مسألة آجتماع وأشلاف ، فلو كانت مقالة لم  
يقع بين أرباب الملل شيء من التناقض فيها والاختلاف ، وأين يبلغ أمد استيعابك  
من مُتّجيه ، أو يتمهل إدراك شأوه على طالبه ومُبتغيه ؟ ، والإيمان لو تجسم كان  
على السّمي على شُرك أعظم مُكابر ، والإسلام لو أمكنه النطق لقام بالدعاء لك خطيبا  
على المنابر ، فأما الشُرك فلو أبقيته حيا لتصدى وتعرض ، لكُنتك أمحيت عليه  
وأدلت التوحيد منه فانهذ بناؤه بحمد الله وتحمّس ، فكان لك فى حقّ الله العُصَب  
الذى تهرّبت به إليه فأرضيته ، والعزم الذى صممت عليه فى نصرة الحق فأمضيته ،  
والباطن الذى أطلع عليه منك فنصرك ولم تُرق ذمّا ، ولا روعت مُسليما ، ولا أفلقت  
أحدًا ولا أزعجتَه ، ولا عدلت عن منتهج صواب لما اتّجهتَه ، وذلك مما أشرك  
الكافّة فى معرفته ، وتساووا فى عِلْم حقيقته ، مع ما كان من تسييرك العساكر المُطفّرة  
مُحبة أخيك الأجل الأوحّد : أدام الله به الإمتناع وعَضدته ، وأحسن عنه الدفاع  
وأيدّه ، بما جرت الحال فيه بحسن سياستك ، وفضل سيادتك ، على أفضل ما عودك الله  
من بلوغ آمالك ، من غير أدنى ليعق أحدًا من رجالك ، والأمر فى ذلك أشهر من

للإيضاح ، وأمين من ضياءِ قلبِ الصَّباح ؛ وهذا إذا تأمله أمير المؤمنين أوجب عليه أن يُقاتلك من إحسانه ، بقاية ما في إمكانه ؛ وأن يُؤليك من ميته ، أفعى ما في أميتطاعته وقُدْرته ؛ ولم يرَ أحضرَ من أن قرر مُوتك «السيد» الأجل ، الأفضل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الأئام ، كافل قُضاة المسلمين ، وهادى دُعاة المؤمنين ، أبو الفتح رضوان الحافظي » ؛ إذ لا أولُ منك بكفالة قُضاة دولته وإرشادهم ، وهداية دُعاتها إلى ما فيه نَجاة المستجيبين في معادهم ؛ وجدد لك ما كان قدّمه : من تكفيلك أمرَ مملكتيه ، وإعادة القول فيما أسلفه من ردّه إليك تديراً ما وراءَ مبرير خلافته ؛ التذاذاً بتكرار ذلك وترديده ، وأبتهاجاً بتطرية ذكره وتجديده ؛ فأمرُ الملّة والنوّة معدوقٌ بتديرك ، وأحوالُ الأناي والأقاصي موكولةٌ إلى تضررك ، وقد جمع لك أمير المؤمنين من استخدام الأعلام ، وجعل السيادة لك على سائر القضاة والدعاة والحكام ، وأجعل لك بالاختصاص بالمعالى والأفراد ، والتوحيد بأنواع الرياسات والاستبداد ؛ ولك الإبرام والتقص ، والرفع والخفض ؛ والولاية والعزل ، والتقديم والتأخير ، والتأييد والتامير ؛ فالمقّم من قدّمته ، والمحمود من حمده ، والمؤثر من أثره ، والمنعوم من ديمته ؛ فلا مخالفة لما أحببته ، ولا معدلة عما أردته ؛ ولا تجاوز لما حددته ، ولا خروج عما دبرته ؛ وأبن ذلك مما يُضمره لك أمير المؤمنين ويتوهمه ، ويعتقده فيك فلا يزال منى النهر يُبينه ويُنديه ؟ ولولم يكن من بركاتك على دولة أمير المؤمنين ، ويمن تديرك العائد على الإسلام والمسلمين ، إلا أن أولَ عسكِر جَهْرته إلى جهاد الكفرة الملايين ؛ وكان له النصر العزيز الذى تَبَلَّج جَهْرهُ ، والفتح المبين الذى جَلَّ قَدْرهُ وأنتشر ذِكْرهُ ، والظفر المبيح للدين - العسكر المنصور<sup>(١)</sup> على الطائفة الكافرة : قتيلاً لأبطالها ، وأسرّاً لأعتاق رِجالها ، وأخذاً لفلج المسرة

(١) كذا بالأصل ، وقد وضع فوقها علامة توقف لعدم ظهور معناها ، ولعلها مصحفة عن "الكفرة".

منها، وأنه لم يُقِلَّ من جماعتها إلا مَنْ يُخْرِجُهَا؛ ولو عَلِمَ أمير المؤمنين تعظيماً يخرج عما تَضَمَّنَتْ هذا السَّيْلُ لما أَقْتَصَرَ عَلَيْهِ، إلا أَنَّهُ عَاجَلَهُ مَا يَسْرُهُ بِقَاضِرٍ لَكَ بما هو مُسْتَقَرٌّ لَدَيْهِ؛ وَاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَحْكُمُكَ السُّعُودُ، وَيُحْصِيكَ مِنْ مَوَاجِبِهِ بما يتجاوز المَعْهُودَ؛ وَيَمُدُّكَ بِمَوَادِّ التَّوْفِيقِ والتَّائِيدِ، وَيَقْضِي لَكَ فِي كُلِّ أَمُورِكَ بما لَا مَوْضِعَ فِيهِ لِلزَّيْدِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

قُلْتُ: وهذا الصَّنْفُ مِنَ الْكُتُبِ السُّلْطَانِيَّةِ قَدْ رُفِضَ وَتُرِكَ اسْتِمَالُهُ فِي زَمَانِنَا فَلَا مَعُولَ عَلَيْهِ أَصْلًا.

## الصنف الحادى والعشرون

### (المكتبة بالإحسان والإحسان)

قال في "موادِّ البيان": السلطان محتاج إلى مكتبة من يَقِفُ مِنْهُ عَلَى طَاعَةِ وَأَجْتِهَادِ، وَمُنَاصَحَةٍ وَإِخْلَاصٍ، بِالشُّكْرِ والإِحْسَادِ، وَالبَحْثِ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْمُخَالَصَةِ وَحُسْنِ السَّعْيِ فِي الْخَلِيقَةِ وَفِيهَا؛ بما يَرْتَبِطُ بِهِ النِّعَمَةُ، وَيَسْتَوْجِبُ مَعَهُ حِفْظَ الرِّبَةِ. وَمُكَاتِبَةٍ مِنْ يَسْتَرْ مِنْهُ عَلَى تَقْصِيرِ وَتَضْيِيعِ، وَتَضْرِيطِ وَتَضْيِيعِ؛ بِاللَّمِّ والتَّفْرِيعِ والتَّائِيدِ: لِأَنَّهُ لَا يَحْتَلُو أَحْوَاؤُ السُّلْطَانِ مِنْ كُفَاةِ يَسْتَدِيمُ كِفَايَتَهُمْ بِتَصْوِيبِ مَرَامِهِمْ، وَاسْتِحْسَانِ مَسَاحِيهِمْ؛ وَإِحْسَادِهِمْ عَلَى تَسْمِيرِهِمْ، وَشَرْحِ صُدُورِهِمْ بِسَيْطِ أَمْلِهِمْ، وَالْعِدَةِ بَرَفِ مَنَازِلِهِمْ وَحَلْمِهِمْ، وَتَمْيِيزِهِمْ عَلَى تَفَرُّكِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ؛ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ التَّوْبِيخِ وَتَهْدِيمِ الْأَعْزَارِ، وَالتَّخْوِيفِ مِنْ سَقُوطِ الْمَرَاتِبِ، وَقُبْحِ الْمَصَائِرِ وَالْمَوَاقِبِ.

قال : وينبى للكتاب أن يتهى فى خطاب من آتته فى الحالىن إلى غايتهما ، إلى المعانى الناجمة فى الغرضين ، ويتوسط فيهما سببا التوسط الذى يقتضيه الحال المقاض فيها : لأن فى ذلك تهريرا للمحسن على إحسانه ، وتقللا للمسيء عن إساءته : لأنه إذا علم التاهض أنه مثاب على نهضته ، والوإى أنه معاقب على وتيته ، اجتهد هذا فى الاستظهار بخدمة بما يزيد فى رتبته ، وخاف هذا من حط مرتبه وتغير حاله . ثم قال : والرسوم فى هذه المكاتب تختلف بحسب اختلاف أغراضها ، ونشعب بنشعب معانيها ، والأمر فى ذلك موكل إلى نظر الكاتب العارف الكامل ، ووضعه كل شئ فى موضعه ، وترتيبه إياه فى مرتبه .

فأما المكتبة بالإجماع ، فكما كتبت عن مصمما النولة بن عضيد الدولة بن بويه ، إلى حاجب الحجاب أبى القاسم سعد بن محمد وهو مقيم بنصبييت على محاربة باد الكردى .

كتابنا ، ووصل كتابك مؤرخا بيوم كذا ، تذكرفيه ماجرى عليه أمرك فى الخدمة التى نبطت بكفائتك وغنائك ، ووكلت إلى تدبيرك ووفائك : من رد باد الكردى عن الأعمال التى تطرقها ، وحلت قسه بالتطلب عليها ، وتصرفك فى ذلك على موجبات الأوقات ، والتردد بين أختنا وعلتسا أبى حرب : زياد بن شهر اكويه وبينك من المكاتبات ، وحسن بلايك فى تحيفه ، ومقاماك فى حص جناحه ، وآثارك فى الاقتضا على فريقى بعد فريقى من أصحابه ، وأضطراك لإياه بذلك وبضروب الرياضات التى استعملتها ، والسياسات التى سست أمره بها ، إلى أن نزل عن وعورة المعصية إلى سهولة الطاعة ، وأنصرف عن مجاهل القواية إلى معالم الهداية ، وتراجع عن السوم إلى الاكتصار ، وعن الشرف إلى الاكتفاء ، وعن الإباء إلى الاقتصاد ،

وبعن الاعتياص إلى الإذعان؛ وأن الأمر استقر على أن قيلت منه الإثابة، وبذلك له فيما طلب الاستجابة؛ واستعيد إلى الطاعة، واستضيف إلى الجماعه؛ وتصرف على أحكام الخدمه، وجرى تجرى من نفسه الجملة؛ وأخذت عليه بذلك المهود المستحكه، والأيمان المظله؛ وجندت له الولاية على الأعمال التي دخلت في تقليده، وضربت عليها حدوده، وفهمناه .

وقد كانت كُتُبُ أخينا وعلينا أبي حبيب [زيد بن شبرا كويه] <sup>(١)</sup> مولى أمير المؤمنين ترد غلبنا، وتصل إلينا؛ مشتملة على كُتُبِكَ إليه، ومطالعاتك إياه؛ فنعرف من ذلك حسن أثرك [وحزم رأيك] <sup>(٢)</sup> وسداد قولك، وصواب اعتقادك؛ ووقوع مضاربك في مقاصيلها، وإصابة مرَاميك أغراضها؛ وما عدوت في مذاهبك كلها، ومُتقلباتك بأسرها؛ المطابقة لإيثارنا، والموافقة لما أمرت به هنا؛ ولا خلت كُتُبُ أخينا وعلينا أبي حبيب من شكر لسعيك، وإحماد لكرمك؛ وثناء بحميل طبعك، وتلويح وإفصاح بالمناصحة الحقيقة بك، والمؤالاة اللازمة لك؛ والوفاء الذي لا يُستغرب من مثلك، ولا يستكثر ممن حل في المعرفة بحكك؛ ولئن كُنت قصدت في كل نهج استمرت عليه، ومعلل عدلت إليه؛ مكلفة هذا الرجل ومراحمته، ومصابرته ومنازلته؛ والتماس الظهور عليه في جميع ما تراجمته من قول، وتنازعاته من حد؛ فقد اجتمع لك إلى إحدانا إياك، وأرضائنا ما كان منك؛ المنه عليه إذ سكنت جاشه، وأزلت استيعاشه؛ واستلثته من دنس لباس الخلفه، وكسوته حسن شعار الطاعة؛ وأعطت يده بالولاية، وبسطت لسانه بالجمه؛ وأوقيت به على مراتب نظرائه، ومنازل قُرَآنه؛ حتى هابوه هيئة الولاء، وأرتفع بينهم عن مطارح العصاه .

(١) الزيادة من رسائل الصابي المخطوطة .

فالحمد لله على أن جعلك عندنا محمودا، وعند أخينا وعلينا أبى حبيب مشكوراً ؛  
وعلى هذا الرجل ماناً ، وفى إصلاح ما أصلحت من الأمر متاباً ما جوراً ، ولما  
نسأل أن يجرى علينا عادته الجارية فى إظهار آياتنا ، ونصرة أوليائنا ؛ والحكم لنا  
على أعدائنا ، وإزالمهم على إرادتنا ؛ طوعاً أو كرهاً ، وسليماً أو حرباً ؛ فلا يظلو أحد  
منهم من أن يحيط لنا بعنقه ربةً أضر ، أو مينةً عفو ؛ إنه جل ثناؤه بذلك جدير ،  
وعليه قدير .

ويجب أن تُنفذ إلى حضرتنا الوثيقة المكتتة على باد الكردى إن كنت لم تنقلها  
إلى آوان وصول هذا الكتاب : لتكون فى خزانة محفوظه ، وفى دواويننا لمسوخه ؛  
وأن تصرف فى أمر رُسُلِهِ وفى بَيْتِهِ - إن كانت بقيت من أمره - على ما يرضيه لك  
عنا أخونا وعلينا أبو حبيب ، فأريك فى العمل على ذلك ، وعلى مطالعنا بأخبارك  
وأحوالك ؛ وما يحتاج إلى علمه من جهتك ، موثقاً إن شاء الله تعالى .

وأما الإقدام فيختلف الحال فيه باختلاف الملوك فيه والمؤمن بسببه . فمن ذلك  
النم على [ترك] الطاعة وشق المعاصى .

كما كتب عمارة يصف شخصاً بأنه لما أرتفع مكانه ، وعلا قدره ، بطر  
معيشتة ، ونزع عن طاعة الخليفة : وأن فلانا كان ممن عرفت حاله : فى غموض  
أمره ، وتحويل ذكره ؛ وضيق معيشتة ، وقلة عده وناعيته ؛ ولا تجاوز حياته  
ما يقوله ، ولا يتعاطى ما وراء ذلك ولا يرومه ؛ ولا يمتنيه نفسه ، ولا يدفع يد لأمس  
عنه بقوة تنوء بملأ ، ولا عز يلجأ إليه . فانهم عليه أمير المؤمنين وأكرمه وشرفه ،  
وبلغ به الغاية التى لم يكن يرجوها ولا ترجى له ؛ وبسط له من الدنيا ، وآتاه من  
غضارتها ونعمتها ، وعزها وسلطانها ، ما لم يؤت أحداً من أهل زمانه . فلما مكّن الله

له في الدنيا كلنى وتَجَبَّرْ، وَعَلَا وَتَكَبَّرْ؛ وَظَنَّ أَن الذى كَانَ فيه شئاً قاده إلى نفسه  
بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ : تَهْوِلا من الشَّيْطَانِ، وَأَسْتَدْرَاجاً منه له .  
وَمَا كَتَبَ عَبْدُ الْحَمِيدِ فى مثله :

أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أحرُّ لم يَحْتَمِلْهُ لك ، إلا ما أَحَبَّ من رَبِّ  
صليته قَبْلَكَ ، وَأَسْتِغَامَ مَعْرُوفِهِ إِلَيْكَ ؛ وَكَانَ أمير المؤمنين أَحَقَّ مَنْ أَصْلَحَ مَا فَسَدَ  
منك ؛ وَإِنَّكَ إِنْ حُدَّتْ لِمَثَلِ مَقَالَاتِكَ ، وَمَا بَلَغَ أمير المؤمنين عنك ؛ رَأَى فى مُعَاجَلَتِكَ  
رَأْيَهُ ؛ فَإِنَّ النُّعْمَةَ إِذَا طَالَتْ بِالْعَبْدِ مُنْتَمِنَةً أَبْطَرَتْهُ : فَاسَاءَ حَمَلُ الْكَرَامَةِ ، وَأَسْتَهْزِلَ  
العَاقِبَةُ ؛ وَنَسَبَ مَا هُوَ فِيهِ إِلَى حِيلَتِهِ ، وَحُسْنِ نَيْتِهِ وَرَهْطِهِ وَعَشِيرَتِهِ . وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ  
الْفِتْرَةُ ، وَأَنْكَشَفَتْ عَمَائِدُ الْعَشَى عَنْهُ ؛ ذَلَّ مُنْقَادًا ، وَنَدِمَ حَسِيرًا ؛ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ :  
قَادِرًا عَلَيْهِ ، وَقَاهِرًا لَهُ . وَلَوْ أَرَادَ أمير المؤمنين مُكَافَأَتَكَ بِلَفْظِكَ ، وَمُعَاجَلَتَهُ  
بِإِقْسَادِكَ ، جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ شَهِدَ فَلَتَاتِ خَطِّكَ وَعَظِيمِ زَلَّتِكَ ؛ وَلَعَمْرَى لَوَحَاوَلُ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَكَافَأَتَكَ بِلَفْظِكَ فى عَجَلِكَ ، وَبِخُودِكَ فَضْلَهُ عَلَيْكَ ، لَرَدَّكَ إِلَى مَا كُنْتَ  
عليه ، وَلَكُنْتَ مُسْتَحَقًّا .

وفى مثله :

فَإِنْ صَاحِبَ الْبَرِيدِ كَتَبَ إِلَى عَنْ أَصْحَابِكَ بِكُنَا ، فَقُلْتُ : لِمَنْ لَمْ يُقَدِّمُوا عَلَى  
مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْجَمُوكَ ، فَمَرَقُوا خَوَرُ عُرُودِكَ ، وَضَعَفَ مَكِيرُكَ ، وَنَهَانَتْ  
نَفْسُكَ ، وَأَنَّهُ لَا فَيْرَ عِنْدَكَ وَلَا نَكِيرَ .

ومن ذلك اللَّحْمُ عَلَى الْخَطَا ، كما كتب أحمد بن يوسف :

كَأَنَّ الْبُئْثَلَ وَالشُّومَ صَارَا مَعًا فى سَهْمِهِ ، وَكَانَا قَبْلَ ذَلِكَ فى قِسْمِهِ ؛ فَخَازِمَا  
بِالْوَرَاثَةِ ، وَأَسْتَجَبُّ مَا أَسْتَمَلَكَ مِنْهُمَا بِالشَّقَمَةِ ؛ وَأَشْهَدُ عَلَى حِيَازَتِهِمَا أَهْلَ الدِّينِ



والأمانة حتى خَلَصَ له من كُلِّ ممانع، وسَلِمَ له من نِعمَةٍ كُلِّ مُنازع؛ فهو لا يُصيبُ  
إلا مُخطئاً، ولا يُحسنُ إلا ناسياً؛ ولا يُنفِقُ إلا كارهياً، ولا يُنصفُ إلا صاغِراً .  
قلت : وهذا الصَّنْفُ من المكاتبات السلطانية لا يمتنع وقُومُهُ في وقْتٍ من  
الأوقات . فإن عَرَضَ له مُوجبٌ، راعى الكاتبُ فيه صورة الحال ، وكتب على  
ما يوجبُه المقام ، وتَقْتَضِيهِ تلك الوقعة .

### الصنف الثاني والعشرون

( ما يُكتب مع الإنعام لُؤاب السلطنة بالخليل والجوارح )

وغيرها من أنواع الإعانات ) وهذا الصَّنْفُ من المستعمل في زماننا كُلِّ وقْتٍ  
فأما ما يُكتبُ مع الإنعام بالخليل ، قد جرت العادة أن السلطان يُنمِّم بالخليل على  
توابع السلطنة بالشام ، ويكتبُ بذلك مَنَالَات شريفة إليهم . وربما أنعم بالخليل  
وكتبَ بها في غير ذلك .

وهذه نُسخة مِنثالٍ شريف من ذلك :

ضاعف الله تعالى نِعمَةَ الجَناب وَخَصَّهُ من النِّعم بما لا تُحصى له آثار، ولا يُتعلق  
له بِنُبأٍ؛ ولا يوصف بحالٍ واحدة : لأنه إن جرى فُجُورٌ وإن وقَّفَ قنار .

صدرت هذه المكتبة إلى الجَناب العالى بِكُلِّ سلام لا تُترك لسوابقه غايه ،  
ولا تُحصى له نِهايَه؛ ولا يردُّ منه كل ما جاءه وله في وجهه كَفَافُ الصَّبِغ آيه، ولا يُتَقَدَّم  
في مِيدانٍ إلا وقد حُمِّلَ له في كُلِّ مكانٍ رَأْيَه . وتَوَقَّع لعالمه الكريم أنه قد جُهِزَ له  
قَرينها ماجرت به حادثه من الحُصْنِ التي لا يَدْعى البرقُّ أنه لها نَظير ، ولا تُجارى  
الرَّيحُ من سوابقها ما يَطِيرُ؛ كم لما في مِيدانٍ بِجَال ، وكَمَ لما في رؤْيَه دَوِّيَّة أَرَجال ؛

وكم دُعِيَ الوغى بها على كُلِّ ضَامِرٍ فانت رجلاً تَقْدَحُ سَائِكُهَا نارا، وَتَقْبِضُ جَوَانِبَهَا  
من الرُّكُضِ عَقَارًا ؛ وَتَكْفُلُ يَدَيْهَا بِكُلِّ مَرَامٍ ، وَتُعْطِي مافي يديها لأنها من الكرام ؛  
وقد تَشْرِفَتْ مِنْ نِعْمَتِ الشَّرِيفَةِ بِالسُّرُوجِ وَالْبُحْمِ وَالْعِنَّةِ الْمُكَلَّلَةِ ، وَتَحُلَّتْ مِنَ الذَّهَبِ  
وَالْفِضَّةِ مَا يُغْنِي بِجَمَلَتِهِ الْمُفَصَّلَةَ ؛ وَأَرْسَلَتَهَا إِلَيْهِ تَرْقُصُ فِي أَعْتَبِهَا زَهْوًا ، وَتَتَرَكُّ بِطَيْبِ  
صَبِيلِهَا كُلِّ بَحْرِ تَحْوُضُهُ إِلَى الْمُنَابَا زَهْوًا ؛ وَتَوَجَّهَ بِهَا فَلَانٌ كَالْعُرَاشِ الْمَجْلُودَةِ فِي حُلَاهَا ،  
وَالنُّجُومِ لَوْلَا مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ حَلِيِّ عَطَلِهَا ؛ وَالسَّحَابِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ مِثْلَ الرِّيَّاحِ  
فِي تَنْقِيلِهَا .

فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ الشَّرِيفَةَ بِشُكْرِهَا ، وَلْيَتَسَلَّمْ هَذِهِ الصَّلَاحَاتِ الْعَمِيمَةِ الَّتِي  
تَعْتَرِفُ كُلُّ نِيعَةٍ بِقُدْرَتِهَا ؛ وَلِيَحْمَدِ اللَّهَ مِنْ تَقْدِيرَاتِهَا الشَّرِيفَةِ عَلَى كَرَمِ فَرْسِ جَاءَ  
وَهُوَ سَائِقٌ ، وَجُودِ جَوَادٍ لَا يَدُورُ مَعَهُ السَّحَابُ فِي طَائِقٍ ؛ وَيَعْتَمِدُهَا لَارْتِقَاءِ كُلِّ  
صَهْوَةٍ مُنِيفَةٍ ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ طَلِيهَا بَيْنَ أَيْدِيهَا الشَّرِيفَةِ ؛ وَيَعِيدُ الْوَاصِلَ بِهَا إِلَى  
خِدْمَةِ أَرْوَاقِهَا الْعَالِيَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَدِيمُ عَلَيْهِ بِنَا النِّعَمِ الْمُتَوَالِيَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



آخِرُ : وَلَا زَالَ إِقْبَانَا يُمِثُّهُ مِنَ الصَّافَاتِ الْحَيَادِ بِمَا يُيَارَى الرِّيَّاحِ ، وَيَتَيَمَّنُ  
بُزْرِهَا الصَّبَاحِ ، وَيَطْلُقُ أَعْتَبَهَا فِي حَلْبَةِ السَّبَاقِ قَسِيْقٍ بِرَكْعَتِهَا ذَوَاتِ الْخَنَاحِ ؛  
وَلَا بَرَجَ إِذَا مَا تَنَحَّيْتُهُ بِكُلِّ طَرَفٍ يُبْهِجُ الطَّرْفَ ، وَيَتَلَجُّ الصَّدْرُ بِمَا آسَمَدَ عَلَيْهِ مِنَ  
الْمَلَاَحَةِ الَّتِي تَرْوِقُ الْعَيْنَ وَتَفُوقُ الْوَصْفَ ، وَيُفَرِّدُهُ بِمَا أَجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبُحْنِ :  
إِذْ هُوَ وَاحِدٌ كَالْأَنْفِ - تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا تَعْبُقُ بِطَيْبِ نَفْسِهِ أَرْجَاؤُهُ ، وَتَنَاءُ يُعْرَبُ  
عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ عُلُوِّ قُدْرِهِ وَتُؤْمُودِ كَرِهِ فَيُشْرِقُ سَنَاؤُهُ وَيُضَاعَفُ شَأْنُهُ ؛ وَتَوْصَحُّ لِعَلَمِهِ  
الْكَرِيمِ أَنَّهُ غَيْرُ خَافٍ عَنْهُ مَا يَصِلُ إِلَى أَرْوَاقِهَا الشَّرِيفَةِ مِنَ الْخَيُولِ الْبَرِّقَةِ فِي كُلِّ حَامٍ ،

وما يُخَصُّه منها بكلِّ ميمونِ الثَّورَةِ مُبَارَكِ الطَّلَعَةِ هَيَّءِ السَّيْرِ عَلَى الْإِنْعَامِ ؛ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى جَنْبِهِ الْكَرِيمِ مِنْ ذَلِكَ سَهْمَهُ ، وَأَضَفْنَا إِلَى ذَلِكَ مَا اسْتَصْلَحْنَا مِنْ الْخَيْلِ الرَّيِّبَةِ الْغَرِيبَةِ وَالْعِتَاقِ الْعَجِيبَةِ الْعَرِيبَةِ (١) ، مِمَّا انْخَبَرَ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا ، فَتَرَهَّقُ عَلَى صَهَوَاتِهَا نَفُوسُ الْأَعْدَاءِ وَتَسْتَرْكُهَا مِنْ صَبَاحِهَا ؛ فَيَأْخُذُ الْجَنَابُ الْعَالِي مَا يُخَصُّهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيُفَرِّقُ الْبَاقِيَ عَلَى مَنْ رَسَمْنَا لَهُ بِهِ يُمَيِّنُ رَأْيَهُ الْمُبَارَكِ الَّذِي لَا يُسَاهِمُهُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يُشَارِكُ ؛ وَيُيَهِّزُ الْخَيْلَ الْمَخْصُوصَةَ بَقِلَانِ إِلَيْهِ ، وَاقِعَ تَعَالَى يَضَاعِفُ حِرَّ ظُهُورِهَا عِنْدَ امْتِطَاتِهَا لَدَيْهِ .

وَأَمَّا مَا يَكْتُبُ مَعَ الْإِنْعَامِ بِالْجَوَارِحِ [لَهَا يُكْتُبُ] (١) مَعَ إِرْسَالِ صَقَرٍ .

وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْهِ بِسُقْرٍ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مُتَوَجِّعٌ ، وَرِزْقٌ مُرَوِّجٌ ؛ تَجَوَّأَ عَلَى مَنَافِكِ السَّمَاءِ ، وَأَبْنَى أَنْ يَطْلُبَ رِزْقَهُ إِلَّا مِنَ السَّمَاءِ ؛ يُوَدُّ الْكُرْكُ لَوْ خَلَصَ مِنْ عَنَائِلِهِ ، وَيَخَافُ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ خُرُطِ الشَّبَكَةِ (٢) وَيَقَعَ فِي كَلَالِيهِ ؛ يُبْرِكُ الصَّبْدُ وَلَا يُؤْجَلُهُ ، وَيَرْفَعُ صَدْرَهُ ثُمَّ يُؤَيِّمُ إِلَيْهِ بِرَأْسِهِ كَأَنَّهُ يَسْتَجِلُّهُ ؛ قَدْ جَمَعَ مِنَ الْحَاسِنِ كُلِّ الصُّنُوفِ ، وَكُنِيتُ عَلَيْهِ أَسْطَرُّ مُفَرَّجاً بِمَا تُهْرَى بِهِ الضُّيُوفُ .

وَمَا يَكْتُبُ مَعَ إِرْسَالِ صَقَرٍ .

وَقَدْ وَجَّهْنَا إِلَيْهِ بِصَقْرٍ لَا تُؤْمِنُ لَهُ مِنَ الصَّبْدِ حِرَاحٌ ، وَلَا يَدْعُ مِنْ وَحْشٍ يَسْرَحُ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ يَجْتَاحُ ؛ أَيْتَنَا تَوَجُّهُ لَا يَأْتِ إِلَّا بِجَيْرٍ ، وَحَيْثُمَا أَطْلُقُ كَانَ حَقْفُ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ ؛ يَدْعُ أَفْطَارَ الْقَلَاةِ بِحَزْرِهِ ، أَوْ رَوْضَةَ الْبَلَدِ مُزْهِرِهِ ؛ يَجِدُّ إِلَى الطَّيْرِ فِي عُنُقِهِ ، وَيُحَلِّقُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرْجِعُ وَطَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ ؛ تَحْفَافُهُ الْمَقْرُ عَلَى نَفْسِهَا ، وَتَخْضَعُ لَهُ وَلَا مِثَالَهُ ؛ فَمَا تَخْرُجُ إِلَّا وَالطَّيْرُ عَلَى رُؤُوسِهَا ؛ يَزِيدُ خُبْرَهُ فِي مَطَانِّ الصَّبْدِ عَلَى الْخَبَرِ ،

(١) يباحض بالأصل ، والتصحيح يقتضيه المقام .

(٢) كذا في الأصل و"الضريف" .

وتخرج الطَّاءُ وقد تَسَجَّتْ خَوْقًا منه في مُلَامَةٍ من العَجَاجِ حَيْطَةً من قرونها بالإبر؛  
شَدِيدِ الأَيْدِ ، قد بُنِيَ عَلَى الكَسْرِ حُرُوفَ الصَّيْدِ ؛ يَحْدُ مَقْتَنِيهِ أَيَّامَهُ الْقُرْ ؛ ويقول  
له إذا تَلَقَّتْ إلى الصَّيْدِ : إِنْ جَلَبَتْ ضَبْعًا فَأَنْتَ حَرْ ؛ لَا يَصْحَبُ مُسْتَصْحَبُهُ مَعَهُ  
إِلَّا مَرَّادَهُ ، وَأَيْمُنَا سَارَ حَامِلُهُ - وهو معه - كان معه زَادُهُ .

ومما يكتب مع إرسال شاهين .

وقد وَجَّهَ إليه بِشَاهِينَ إِذَا حَلَّقَ وَرَاءَ الطَّيْرِ شَاهَتْ بِهِ الْوُجُوهُ ، وشاهدت الأَمَالُ  
به ماترجوه ؛ قد أَصْبَحَ كُلُّ مُحَلِّقِ الْجَنَاحِ رَهِينَ يَدِهِ ، وَكُلُّ سَارِبٍ مِنَ الْوَحْشِ طَعَامُ  
يَوْمِهِ أَوْ غَدِهِ ؛ لَا يَتَّعِبُهُ خَلْفُ الطَّرِيدَةِ بَعْدَ الْمَدْيِ ، وَلَا يَرُدُّهُ خَوْفُ مَسَافَةِ وَلَا تَقْصَمُ  
رَدْيَ ؛ رَبِيَّةٌ عَامٌ لَمْ يَتَّعِ بِكُلُولِ مَادَمَرٍ ، وَمَمْتَنَةٌ مِنْهُ فِي الطَّلَاقِ مِثْلَ رِيحِ سُلَيْمَانَ قُلُودُهَا  
شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ .

ومما يكتب مع إرسال كويته .

وقد جَهَّزَنَا إِلَيْهِ كُويته ، هِيَ بِالْحَاسَنِ حَرِيَّةٌ ، وَلَكثْرَةُ الْإِقْدَامِ جَرِيَّةٌ ؛ يَكُلُّ بِهَا  
صَاحِبُهَا أَمْرًا مَطْبِخُهُ ، وَيَعْنِدُهَا مِنَ الطَّيْرِ مَنْ لَيْسَ بِمُضَرِّحَةٍ ؛ لَا تَعْفُ عَنْ دَمٍ ،  
وَلَا تُرَى أَطْرَافُهَا إِلَّا مُثْمَرَةً بِغَنَائٍ أَوْ مُخَضَّبَةً بِعَنْدَمٍ ؛ قَدْ أَخْلَتْ مِنْ كُلِّ سَالِحٍ ،  
وَلَيْسَتْ زَيْ الرَّاهِبِ الْمُتَعَبِّدِ وَفَكَتْ بِكُلِّ سَالِحٍ .

ومما يكتب مع سقاوة .

وقد جَهَّزَنَا إِلَيْهِ بِسَقَاوَةٍ ، حَمَّالِيهَا عَلَى الطَّيْرِ كَالْحَدِيدِ أَوْ أَشَدَّ قَسَاوَةٍ ؛ تُسِيلُ دِمَاءَهُ  
الصَّيْدِ كَالْمَدْنَانِبِ ، وَتَكْسُو الْأَرْضَ حَبْرًا مِنْ رِيَاشِ الْحَبَّارِيِّ وَفِرَاءٍ مِنْ جُلُودِ الْأَرَانِبِ ؛

(١) كذا في "التعريف" (ص ٢٢٥) وفي الأصل «مسرة» .

(٢) في الأصل «قد أخلت من كل شاخ» والتصحیح من "التعريف" .

(٣) كذا في "التعريف" وفي الأصل «كاهن» .

وَجَعَلَتْ فِي قَبْضَةِ الْكَفِّ مَا كَانَتْ الْعَيْنُ عَلَيْهِ تُدَوِّرُ ، وَتَكْفَلَتْ بِكَفَايَةِ الْمَطْبِخِ  
وَمَلَائِةِ الْقُدُورِ .

وَمَا يُكْتَبُ مع إرسال باز .

وقد بعثنا إليه بِسَازِمَهِمَا لَقِيَ لَقِيفَ ، ومهما خَطَا لَدَيْهِ خَطِيفَ ؛ كَأَنَّمَا خُطَّ  
جَوْهَرُهُ بِقَلَمَ ، أَوْ رِيَشَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ وَالظَّهِمِ ؛ قَدْ أُعِدَّ لِلطَّوَارِقِ ، وَأُتْرَأَ بِمَنْفِلِ  
الطَّوَارِقِ ؛ قَدْ دَخَصَ مُجِيجُ الْحَجَلِ ، وَكسرها حَتَّى أَبَانَ عَلَيْهَا حُمَرَا الْجَحَلِ ؛ لَا يُسْأَلُ  
فِي الصَّيْدِ عَمَّا نَهَبَ ، وَلَا تُعْرَفُ لَهُ قِيَمَةٌ إِلَّا أَنَّ لَهُ عَيْتًا مِنَ النَّهَبِ .

وَمَا يُكْتَبُ مع القهْد .

وقد أنعمنا عليه بِهَيْدِ أَهْمَرِ الشَّنَقِ ، ظَاهِرِ الْحِثْقِ ؛ بِأَيْدِي الْعَبُوسِ ، مُدْرَرِ  
الْمَلْبُوسِ ؛ شَفْنِ الْبَرَائِنِ ، ذِي أَنْيَابِ كَالْمُدَى وَخَالِبِ كَالْحَاجِنِ ؛ قَدْ أَخَذَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْفَسَقِ  
لَهَا بَا ، وَتَمَخَّصَ مِنْ مُجَلِّ الْحَدَقِ جِلْبَابَا ؛ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي سُرْعَةِ ثَوْبِ الْأَجَلِ بِهِ  
وَبَشِيرِهِ ، وَتَكَادُ الشَّمْسُ مُدَّ لَقَبُوهَا بِالْفَزَالَةِ لَا تَطْلُعُ مِنَ الْوَجَلِ عَلَى وَجْهِهِ ؛ يَسْبِقُ  
إِلَى الصَّيْدِ مَرَامِي طَرَفِهِ ، وَيَقُوتُ لِحْظَ مَرْسِلِهِ إِلَيْهِ فَلَا يَسْتَكِلُ النَّظَرَ إِلَّا وَهُوَ  
فِي كَفِّهِ ؛ وَتَقْدُمُهُ الصُّوَارِي إِلَى الْوَحْشِ فَإِذَا وَثَبَ لَهُ تَعَثَّرَتْ مِنْ خَلْفِهِ <sup>(١)</sup> .

وَأَمَا مَا يُكْتَبُ مع الإنعام بالصلاح .

فَمِنْ ذَلِكَ — وَقَدْ جَهَّزْنَا إِلَيْهِ سَيْفًا تَلْمِيعَ مَحَاوِلِ النَّصِيرِ مِنْ غَمْدِهِ ، وَنُشْرُقَ جَوَاهِرِ  
الْقَتِيجِ فِي فِرْنِيدِهِ ؛ وَإِذَا سَابَقَ الْأَجَلَ إِلَى قَبْضِ الثُّمُوسِ ، عَرَفَ الْأَجَلَ قَدْرَهُ فَوْقَهُ  
عِنْدَ حُدِّهِ ؛ وَمَتَى جُرِدَ عَلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْعِلَادَا وَهَتْ عَزَائِمُهُ ، وَعَجَزَ جَنَاحُ بَهِيمَتِهِ

(١) وقع في هذه الرسالة تحريف كثير في الأصل ، فصحبناها من "حسن التوسل" (ص ١٠١) .

أَنْ تَهَضَّ بِهِ قَوَائِمُهُ ، وَعِلْمُ أَنَّهُ سَيَقْتُلُ الَّذِي عَلَى حَاتِي الْمَلِكِ [الأرض] نَجَّادُهُ فِي يَدِ  
جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ .

### الصفن الثالث والعشرون

(المكتبة بالإشارة عن الخليفة بوليد رزقه)

والرسم فيها أن يذكر شرف الخلافة وطور رتبته ، ويشير إلى تخصيص الخلافة  
بمسيرها إليه دون سائر البرية ، وانتقالها إليه بالتوارث من آبائه الطاهرين كآبائهم  
عن كآبهم ، ويقاها في عيونه إلى الأبد . ثم يخلص إلى ذكر التسمية على أمير المؤمنين  
التي أنعمها الله تعالى عليه ، وأن من أعظمها نعمة أن رزقه الله تعالى ولدا ، ويذكر  
اسمه وكتبته ، ويصفه بما يناسبه .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، وهي :

الحمد لله مؤيد الإسلام بحفائمه الراشدين ، ومظهر الإيمان بأوليائه الهادين ، الذي  
جعل الإمامة كلمة باقية فيهم إلى يوم الدين ، وأقام منهم الحاضر المتبع ، والمرجو  
المستوقع ، وأطلع منهم في سماء الهداية شهابا لا يخبو منها شهاب حتى يتوقد شهاب ،  
وقض بهم للإرشاد أبوابا لا يخرج منها باب حتى يفتح باب .

يحمد أمير المؤمنين أن فوض إليه منازل آبائه ، ووقفه (٩) بانتقال ماورثه من آبائه  
إلى أبنائه ، ويسأله أن يصلي على من كرمه بولادته وشرفه بالانتساب إلى شجرة  
سيدنا محمد خاتم رسله ، المترجم عن توحيد وعذله ، وعلى أخيه وأبن عمه على بن  
أبي طالب قسيمه في فضله ، ووصيه على أمته وأهله .

وإن أولي النعم بأن يقاص في شكرها، وتُعطَّر الحَافِلُ بِشَرِّها ؛ نِعْمَةً حَاطَتْ  
بِعَاطِمِ الدِّينِ، وَأَمَرَتْ حِلَّ المَاسِمِ، وَتَسَاوَى فِي [تَنَاقُلِ] قِطَافِهَا الكَافِ، وَأَذْنَتْ  
بِشُيُوعِ الرَّحْمَةِ وَالرَّافَةِ، وَأَمَحَتْ بِهَا الثُّبُوتَ مُشْرِقَةَ الأَنُورِ، وَالْإِمَامَةَ طَالِبَةَ المَنَارِ،  
وَالْخِلَافَةَ مُحَالَةَ المَنِيرِ وَالمُتَرَرِّ. رَافِلَةٌ فِي حُلِّ الإِبْهَاجِ وَالمُتَرَرِّ .

وكتب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد رزقه الله تعالى ولدا ذكرا مباركا رزيا، سماه  
فلانا، وكناه أبا فلان، فجلا بنهار غُرُوبِهِ البَاسِ، وَأَقَرَّ بِمَقْدَمِهِ العَاسِ، وَأَخْضَرَ  
بَيْنَ [هَبِيبَتِهِ] <sup>(١)</sup> البَاسِ؛ وَوَقَّتْ الأَمَالَ بِسَعَادَةِ مَقْدَمِهِ، وَتَطَلَّعَتِ الأَعْيُنُ إِلَى جُودِهِ  
وَكَرَمِهِ؛ مُبَشِّرًا لَكَ بِهَذِهِ النُّعْمِ الحَسَنَةِ الأَمْرِ، القَلِيلَةِ الخَطَرِ، عَلَمًا بِمَكَانِكَ مِنْ وَلايَةِ  
وَمُخَالَصَتِهِ، وَسُرُورِكَ بِمَا يُفِيضُهُ اللهُ طَيْبِهِ مِنْ شَأْيٍ نِعْمَةٍ : لِتَأْخُذَ مِنَ المَسَرَّةِ  
وَالْجَلْدِ بِحَقِّ الدُّوَى الخُلُوصِ، وَالعَبْدِ المُتَخَصِّصِ؛ وَلِتُشِيعَ مَضْمُونُ كِتَابِهِ فِيمَنْ قَبْلَكَ  
مِنَ الأَوَلِيَاءِ، لِيُشَارِكُواكَ فِي الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ؛ فَاعْمَلْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

[قُلْتُ] <sup>(١)</sup> وهذا الصنف من المکتوبات السلطانية مستعمل في الإشارة عن السلطان  
إذا حدث له ولدٌ، فيُكَتَّبُ بالإشارة به إلى تَوَابِ السلطنة وأهل المملكة .

#### الصنف الرابع والعشرون

( مَا يُكَتَّبُ عَنِ السُّلْطَانِ بِالإِشَارَةِ بِعَافِيَتِهِ مِنْ مَرِيضٍ )

وهذه نسخة كتاب بعافية الملك الناصر « محمد بن قلاوون » من مريض، إلى  
صاحب مايردين، وهو :

ولا زالت البشائر على تميمه الكريم متواترة ، والمسار إلى مقام ملكه سائر ؛  
 والتهاني ، ببلوغ الأمانى ، من كمال شفقتنا تجعل ثغور النور باسمه ووجوه الدهور  
 ناصره ؛ ونعم الله تعالى بمقابلة بالشكر الجزيل على أن أجد ملك الإسلام بأفئاده ،  
 وأبقى للذين المحمدى ناصره . أصدرناها إلى المقام العالى ومواردنا من الصحة حلوة  
 فى الأنواء ، وألستنا شاكراً لنعم الله ؛ وعافيتنا تمجد فى كل جديد ، وصحتنا قد بلغت  
 من المزيد ما نريد ؛ وقد ألهنا الله تعالى من الشفاء قوياً قشياً ، ونصرنا نصراً عزيزاً  
 وقج لنا فتحاً ميبناً - تهدي إليه سلاما تتأرجح به أرجاء ملكه ، وثبات تنظم الألفية  
 فى سلكه ؛ وتوضح لعلمه الكريم ما حصل من عافيتنا التى تضاعف بها فرح الإسلام  
 والمسلمين ، ووجب الشكر عليهم والحمد لله رب العالمين .

### الضرب الثانى

( من مقاصد المكاتبات السلطانية ما يكتب عن السلطان فى الجواب )

وكل معنى من المعانى الواردة بها الكتاب إليه يستق جوابه منها ، وغالب ما يعنى  
 به من ذلك جواب ما يرد من المكاتبات بالتقادم والهدايا ، وما فى معنى ذلك .

وهذه أدعية من ذلك يستضاء بها فى أوائل الأجوبة عن المعانى التى ترد فيها .  
 جواب سلطانى عن وصول خيل : - ولا زال يخفف بكل صاهل فى الجميل ،  
 وحبال فى الخيل ؛ وأجرد إذا أم قايه لعت فى أثره البروق تتقل ، ومُسوم يلتم  
 جلاله بمزيد جلاله ، وكيف لا وهى إذا أسدلت عليه يتكفل ! . أصدرناها والعطر  
 يوضو من سلامها ، والمسك يفوح من ختامها ، وأثار الندى تحكى آثار أعلامها .



آخر في المعنى : ولا زال مُحَقَّقًا بِالْجِيَادِ وإرسالها ، ومُهْدِيًا لِرِكَابِ الشَّرِيفِ  
السَّوَابِقِ التي إذا لم يسبقها شيء من الحيوان تجلّت في مُسَابَقَةِ ظِلَالِهَا ، وَيَتَقَيَّ لِمَا كُنَّا  
الْخِيُولَ التي إذا أصبحت في مَدَى أصبحت الريحُ تتعلّق بأذيالها . أصدرناها .

آخر في مثله : ولا زال يُهْدِي إلينا من الجيادِ بحرًا ، ويُقود من العرَابِ مَاتِلًا  
بُغْرَتُهُ الْمَوَاكِبَ بُشْرًا ، وإذا طلع في الكَنِيصَةِ يزيدنا عِزًّا ونَصْرًا ، من كُلِّ طَرَفٍ  
تَأَصَّلَ حُسْنًا وَحَسَنَ إِهَابًا وَجَلَّ قَدْرًا .

آخر في مثله : وأعلّ له على صَهَوَاتِ الْعِتَاقِ مُرْتَقًى ، وَخَصَّهُ بِكُلِّ جَوَادٍ وَهُوَ مُتَقَلِّ  
إِلَيْهِ مُتَقًى ، وأطلع عليه نَوَاصِيَ الصَّوَابِقِ التي عُقِدَ الْخَيْرُ بِهَا عَقْدًا مُوَقَّعًا . أصدرناها  
وَنُورُ التَّحَايَا من أَرْجَائِهَا يُبَيِّرُ ، وَمَقَانِئُهَا تُشَرِّفُ بِهَا كُلَّ مَنِيرٍ وَسَرِيرٍ ، وَكَاتِبِ انْتِزِهَا  
تَسِيرَ إِلَى مَقَامِهِ فَطَيْبُ رَاحِلَةٍ فِي ذَلِكَ الْمَسِيرِ .

آخر في مثله : ولا زال يُهْدِي من الجيادِ الْمُسَوِّمَةِ أَصَابِلَهَا ، وَيُخَفِّفُ مِمَّا يَحْمِلُهُ عِنْدَ  
الْوِقَادَةِ عَلَيْهِ صَاهِلَهَا ، وَيَقَابِلُ أَكْرَمَ خُزَّةٍ : الْخَيْرَ مَعْقُودَ بِنَاصِيَتِهَا وَإِيمَنَ يُقَالُهَا ، وَيَمْتَعُ  
بِأَعَزِّ جَوَادٍ حَلِيسَةَ الشَّقِيّ دُونَ إِهَابِهِ إِذْ يُمَاتِلُهَا ، وَبُرْعَةَ الْبَرَقِ خَفَّتْ إِذْ يُسَاجِلُهَا .

### الضرب الثالث

( من الكتب السلطانية المكتُوب الصادرة عن تَوَابِ السُلْطَنَةِ إِلَى التَّوَابِ )

بِسبَبِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَثَالِاتِ السُّلْطَانِيَّةِ )

اعلم أنه قد جرت العادة بأنّه إذا ورد على نائب السُلْطَنَةِ بِالشَّامِ مِثَالٌ شَرِيفٌ مِنْ  
الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، يَأْمُرُهُمْ <sup>(١)</sup> كَتَبَ نَائِبُ الشَّامِ إِلَى تَوَابِ السُّلْطَنَةِ بِوَرُودِ

(١) يبايض بالأصل ولعله بأمر .

المثال الشريف مُبَشِّرًا بذلك ؛ ويجهز إلى كُلِّ منهم مع المثال الوارد إلى كُلِّ نائب من تَوَابِ السُّلْطَانِ مَعْنَى المثال الوارد من الأبواب السلطانية بذلك . إلا أنه يكون حاكمًا لَصُورَةِ المثال الوارد بذلك ، لِأَنَّهُ مُبْتَدِئُهُ ؛ ويشتمل ذلك على عدة أمور .

فمن ذلك جلوس السُّلْطَانِ على تَحْتِ الْمُلْكِ ، فيخبر نائبُ الشَّامِ في الكتاب الصادر عنه إلى بعض التَّوَابِ بِأَنَّ الْمَثَلَ الشريف ورد عليه بذلك ، وأنه ورد كتاب إلى المكتوب إليه بجهزه إليه .

[وهذه نسخة كتاب من ذلك] كُتِبَ به عن نائب الشَّامِ إلى بعض تَوَابِ السُّلْطَانَةِ ، بِالْإِشَارَةِ بِسُلْطَانَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، وَقَدْ وَرَدَ عَلَى يَدِ بَعْضِ الْمُجْتَابِ . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن مُبَانَةَ ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وهي بعد الصدر :

أَمْتَعَهُ [الله] من البشائر بما يَتَوَخَّعُ عَلَى جَبِينِ الصَّبَاحِ بُشْرُهُ ، وَبِمَا يَتَرَجَّعُ عَلَى مِيزَانِ الْكَوَاكِبِ قَدْرُهُ ؛ وَبِمَا يَنْقَسِحُ مِنْ أَوْقَاتِ أَمْنٍ لَا يَحْتَصِمُ فِي ظِلِّهَا زَيْدٌ وَعَمْرُو حَتَّى يُقَالَ : وَلَا زَيْدٌ النَّحْوِ وَعَمْرُو . وَيُنْهَى بِعَدِّ دُمَاهُ بِتَبَلُّجٍ فِي اللَّيْلِ فَجَرُهُ ، وَتَبَاهٍ بِتَارُجٍ فِي طَى النَّسِيمِ نَشْرُهُ ، وَوَلَاءٍ يَتَسَاوَى فِي دَرَجَاتِ الصَّفَاءِ سِرُّهُ وَجَهْرُهُ أَنَّ خَيْرَ الْبَشَائِرِ مَا نَحَصَّ أَوْلِيَاءُ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ وَعِمَّ الرَّايَا ، وَسَمَّا إِلَى نُفُورِ الْإِسْلَامِ خَبَرَهُ الْحَقُّ فَقَالَ :

«أَنَا أَبْنَى جَلَاوَعْلَاوَعِ الثَّنَائَا» وَقُسِمَتْ مَسَرَّتُهُ عَلَى كَافِلِي الْمَالِكِ فَقَالَتْ مَمْلُوكَةٌ مَوْلَانَا :

«لَنَا الْمِرْيَاغُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا» وَسَلَكَ الْمَلُوكُ مِنَ الْإِسْرَاعِ بِإِشَاعَتِهِ الْحَقُّ الْوَاجِبَ ، وَجَهَّزَ خِدْمَتَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَثَلِ الشَّرِيفِ الَّذِي سَبَقَ طَائِرُ يُمْنِهِ وَلَكِنَّهُ جَاءَ وَفِي خِدْمَتِهِ حَاجِبٌ ؛ وَهِيَ الْبُشْرَى الْوَارِدَةُ فِي الْأَمْثَلَةِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَةِ ، الْمَالِكِيَةِ الْمَلِكِيَةِ ، الصَّالِحِيَةِ الْعِيَادِيَةِ ؛ الْعَرِيقَةُ فِي نَسَبِ النَّصْرِ بِالْإِتْسَابِ النَّاصِرِيَّةِ الْمَنْصُورَةِ ، أَعْلَى اللهُ

تعالى أبداً على قواعد الملك عمادها، وصرف بها الأئمة لما سز وصرفها عما دهي؛  
 يجلوسه على كرمي المملكة الذي هو آية سعيه الكبرى، وتحت السلطنة الذي عليه  
 ملك الجود والعلم قال: السلام عليك يجرأ؛ وإجماع الأمة على أنه صالح المؤمنين،  
 وكفاة الحل والقعد على أنه سلطان الإسلام والمسلمين؛ وأركان البيت الناصري  
 على أنه عماده، وعلى أنه سننه المكمل وإذا انقض بيت سناؤه؛ فياله جلوساً قامت  
 فيه كواكب السعد مشدودة المياطي، وباله إجماعاً اتفق فيه - حتى من تصبم  
 السيوف وتعبير الأقلام - كل صابيت وتاطق؛ وباله بيت ملك أبي الله إلا أن قيم  
 وزنه أفضل الأفاضل، وباله ملكاً قال النحر الطويل أنتظاره: ﴿الحمد لله الذي  
 وهب لي على الكبر إسماعيل﴾. وباله أمراً بلغ خبره وخبره الأوطار والأوطان،  
 وفنذت برده المصيرية على حين قرية كآلية له السعود: ﴿فاقبلوا لآتئنون إلا سلطان﴾  
 وحشر الناس محي يوم الزينة، وجاؤا إليها مستبشرين من أدنى وأقصى كل من  
 في الميمنة؛ وضربت البشائر وباعجبا أنها تضرب ومكاتها من القلوب مكيته.  
 حتى إذا أخذت مصر حقلها من الهناء قسمت على الأمصار، وأضاء بأرق نشرها  
 من كل وجه فسمت بالشامات غرقاً لا بصار؛ وركض بريد الخيل بمبارك باب البريد،  
 ووصل نبيل النيل إلى أنهار دمشق فبردى على الشكر ثابت ويزيد؛ وبشر الإسلام  
 من وجه الخلف الصالح بأكرم من بر؛ واستفاض الاسم الشريف: فلو كلف مشتاق  
 فوق وسع سعى إليه المبر.

فالحمد لله على أن سر البيت الشريف الناصري يجمع شمله؛ وعلى أن أتى الملك  
 القيم الصالح من أهله؛ وقد جهز الملوك المثال الشريف المختص بمولانا؛ ومولانا  
 أولى من انتظمت لديه دُرر هذه الأخبار الثمينة، وعظمت بناحيته شاعر هذه اللوحة  
 المكيته، وكل خير حماء خير قرينه؛ والله تعالى يميز الإسلام بعزيمه، ويضي الآجال

والأرزاق على يَدَي حَرَبِهِ وَسَلَامِهِ ؛ وَيُخْزِرُ لَأَيِّهِ وَرَأْيَهُ النَّصْرَ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ الْأَوْلِيَاءُ بِعَاكِبِهِ ، وَقَبْلَ أَنْ يُحِيطَ الْأَذْكِيَاءُ بِعَاقِبِهِ .

ومن ذلك الكتابة بورود مثال شريف بِعَاقِبَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلِ ، بن الناصر محمد بن قلاوون ، في خلافة المعتضد بالله أبي الربيع سليمان ؛ من إنشاء الشيخ جمال الدين بن بُنَّاتٍ ، وهي بعد الانقلاب :

أورد الله عليه من الهناء كُلَّ مَرِيٍّ يَسْرُهُ ، وَكُلَّ سَنِيٍّ يَمُرُّ أَمَامَ نَازِلِهِ الْكَرِيمِ وَيُقِرُّهُ ، وَكُلَّ وَفِيٍّ إِذَا طَلَعَ فِي آفَاقٍ حَلَبَ قَبْلَ : فَهَ دَرُهُ ؛ وَلَا زَالَتِ الْبَشَائِرُ لِقَاءَهُ بِكُلِّ وَجْهٍ جَمِيلٍ ، وَبِكُلِّ جَلِيلٍ ، وَبِكُلِّ خَيْرٍ تَصْبَحُ الدُّنْيَا بِصُحْبَتِهِ فَلَيْسَ بِهَا غَيْرُ النَّسِيمِ طَلِيلٍ ؛ تَقْيِيلًا يُزَادُ حُقُودَ الثُّغُورِ ، وَيَكَادُ يَمْنَعُ ضَمَّ الشَّقِيَّتَيْنِ اللَّثْمَ طَوِيلَ الْإِبْتِسَامِ لِلشُّرُودِ ؛ وَيُنْهِى بَعْدَ رَفْعِ الْيَدِ بُدْعَاتِهِ ، وَضَمَّ الْجَوَالِحِ عَلَى وَلائِهِ ؛ وَجَزَمَ الْهَنَاءَ الْمَشْتَرَكَ بِمَسْرَةِ مَوْلَانَا وَهَنَاتِهِ ؛ أَنْ الْمَثَالَ الشَّرِيفَ زَادَهُ اللَّهُ شَرَفًا ، وَزَادَ فَضْلَ سُلْطَانِهِ جَلِيَّ الْعِبَادِ سَرَفًا ؛ وَرَدَ بِالْإِشَارَةِ الْمُقْطَعِي ، وَالنِّعْمَاءِ الَّتِي مَاضَاهَا الْأَيَّامُ قَبْلَ بُنْعِي ؛ وَالْمَسْرَةِ الَّتِي بِأَكُلِّ حَدِيثِهَا أَحَادِيثُ الْمَسَرَّاتِ أَكْثَلًا لَنَا ، وَيُجِيبُهَا الْإِسْلَامُ وَالْمَسَامُونُ حُبًّا جَمًّا ؛ بِسَلَامَةِ جَوْهَرِ الْجَسَدِ الشَّرِيفِ مِنْ ذَلِكَ الْعَرَضِ ، وَشَفَاقِهِ الَّذِي فِي عَيُونِ الْأَعْدَاءِ مِنْهُ شِفَاءٌ تَطْمَنُ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؛ وَأَنْ مَادَّةَ الْأَدْوَاءِ بِمَحْدِ اللَّهِ قَدْ أَتَحَسَّمَتْ ، وَالْوَارِدَةُ مِنَ الْأَضْطِقَادِ بِالْأَجْرِ وَالْعَاقِبَةِ قَدْ أَتَنَسَّمَتْ ؛ وَأَنْ طُنُوتَ الْإِشْفَاقِ قَدْ أَتَحْتَمَلَتْ ، وَسَمَاتِ الرُّوْضِ قَدْ فَلَتَتِ الْجَنَمَ الشَّرِيفَ فَاعْتَلَّتْ ، وَأَخْبَارُ الْهَنَاءِ يُسَيِّئُهَا كُلُّ بَرِيدٍ نَسْوَانٍ مِنَ الرِّيحِ [نَشْدُ] أَسَاطِلُهَا أَيْ الْمَوَاطِنِ حَلَبَ ؛ فَيَا لَهَا نِشَارَةً خَصَّتْ الْإِسْلَامَ وَعَمَّتْ بَيْنَهُ ، وَسَارَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَسَرَتْ تَحْتَهَا أَسْلَافُ الْمَلِكِ وَمُبْتَنِيهِ ؛ وَتَحَمَّلَتْ الْبِلَادَ وَجَبَادَهَا ، وَالسُّلْطَنَةَ وَقَدْ حَجَبَ اللَّهُ عَمَادَهَا عَمَّا دَحَى ، وَالْمَلِكُ السَّلَافِيُّ وَقَدْ ثَبَّتَ اللَّهُ

به على الدنيا من السماء خيمتها ومن الجبال أوتادها؛ والطير وقد حملت ورقه أوراق السورور، والوحش وقد قالت مهاه : على عني اتحمل ذلك السقام أودك القنود؛ ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً ﴾ والألطف الرأحم بها المؤمنين من خلقه ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ .

وكان ورود هذا المثال الشريف على يد فلان ، فيأله من وأريد لمشاريع الأمن أورد، ولروايع الناس عن القلوب حجب أورد؛ وقد جهزه المملوك بالمثال الشريف المختص بمولانا وهذه الخدمة بعد أن ضريت البشارة مسوقة في كل ضرب من التهانى ، وزينت البلد زينة ما نظمت فيها غير المقود أيدي القواني ؛ فيأخذ حظه من هذه البشراى ، ونصيبه من هذا الوجه الذى ملأ الوجود بشراى ، وشطره من الهناء المخصوص الذى تجعل منه المملوك شطراى ، والله تعالى يسره بكل خير شريق زواهره ، وتبقى في كاهن الفروج أزايره ، ويتألق على يد بريدة من الخلفات كل كوكب صبح تملأ الدنيا بشائره .

ومن ذلك المكتبة ورود المثال الشريف بوقاء النيل .

إذا ورد على نائب الشام بوقاء النيل المبارك ، كتب نائب الشام عن نفسه إلى نائب حلب وغيره ، من ثواب الساطنة بالمالك الشامية ، بورد المثال الشريف طيه بذلك ، ويكتب عنه كما يكتب عن السلطان : من السجج ، وإمراده مؤرد البشارة ، وإظهار الفرج والسورور بذلك ، لا يكاد يخالفه إلا في كونه وأريدا مورد الحكاية لمثال السلطان ، ومثال السلطان محير بذلك ابتداء .

وهذه نسخة مثال كريم من ذلك عن نائب الشام ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، كتب به لسنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وهى بعد الصدر :

لا زالت مُبَشِّرَةٌ بِكُلِّ مُبْهِجَةٍ ، مُعْطَوَّةٌ الْأَرْجَاءَ بِكُلِّ سَائِرَةِ أَرْجَةٍ ؛ مُبَسِّرَةٌ الْأَوْقَاتِ  
بِمُقَدَّمَتِي تَمَاجٍ وَبَيَانٍ : كَلَامُهَا لِلسَّارِ مُنْتِجَةٌ ، مُسْتَحْضِرَةٌ فِي مَعَالِي الْكَرَمِ كُلِّ دَقِيقَةٍ  
تَشْهَدُ بِسَطَةِ النَّيْلِ أَنَّهَا أَرْفَعُ مِنْهُ دَرَجَةً ؛ وَيُنْبِئُ بِعَدَدِ الْمَرْوُضِ أَعْطَرَ مِنْ شَدَاهُ ،  
وَلَا مَاءَ النَّيْلِ وَإِنْ كَرَّمَ وَفَاءً بِأَوْفَى مِنْ جَدَاهُ ؛ أَنْ الْمَرْسُومَ الشَّرِيفَ زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
شَرَفًا ، وَرَدَّ بِوَفَاءِ النَّيْلِ الْمُبَارَكِ وَجَبَدًا هُوَ مِنْ وَفَى مُوَأَفَى ، وَمُتَغَيِّرُ الْمَجْرَى وَعَيْشُ  
الْبِلَادِ بِهِ الْهَيْشُ الْعَبَاقِي ، وَحَسَنِ الزَّيَارَةِ وَالرَّحِيلِ مَا ضَاهَتْهُ الْغُيُوثُ فِي وَلَاغِي ؛ وَوَارِدُ  
مِنْ مَعْبَدٍ بَعِيدٍ ، وَحِمْلٍ لَا يَحْرَمُ أَنْ مَدَّةً تَأْتِي وَيَزِيدُ ؛ وَجَائِدٌ إِذَا تَبَاجَ حَيْثُ تَبَارُهُ  
يُقَلَّدُ بِهِ وَدُرَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ وَسَاكِتٌ كُلُّ جِيدٍ ، وَإِذَا ذُكِرَ الْخِطْبُ لِمَكَانٍ عِيْلِهِ  
الْمَشْهُودُ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَفَكَ فِي يَوْمٍ كَذَا ، وَأَنْ الْبِلَادَ جُهِتَ بِكُفْرِ  
خَالِيَةٍ ، وَأَسْتَقَامَتِ أحوَالُهَا بِتَغْيِيرِهِ ؛ وَأَثْنْتُ عَلَيْهِ بِآلَاتِهِ ، وَوَسَّمتُ لَوْنَهُ الْأَصْهَبَ  
عَلَى رَفْعِ الصَّبِيَاءِ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ ؛ وَخُلِقَ لِمَالَتِ الدُّنْيَا بِشَائِرُ خُلُقِهِ ، وَطُلِقَ سِوَرُهُ  
الْمِصْرِيَّ التَّبْرِيَّ فَرَكَ عَلَى مَعْلَقِهِ ، وَحَلَّقَ مَسِيرَ رِاحِهِ عَلَى الْقُرَى فَبَاتَ عَلَى النَّدَا ضَيْفُ  
مُحَلَّقِهِ ؛ وَحَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ ، وَأَنْعَرَجَ عَلَى الْبَقَاعِ يَلْوِي مِعْصَمَهُ اللَّهُ أَوْقَاتَ  
ذَلِكَ الْوَلْوِ وَالْمُنْتَرَجِ ؛ وَأَسْتَفْزَمْتُ الرُّعَايَا آمِنِينَ ، وَقَطِيعَ دَابِرِ الْجَلْبِ بِسُعودِ  
هَذِهِ النُّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ( وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) وَرُئِمَ أَنْ لَا يُنْجِي حَقٌّ إِسَارَةً ،  
وَلَا تَقْبَلُ يَدُ التَّقْبِصِ مِنْهَا لِيَزْدَادَ الْخَبَرُ نُورًا عَلَى نُورٍ ، وَيَكُونَ فِي إِيَارَتِهِ وَحُسْنِهِ الْخَبَرُ  
الْحَسَنَ الْمَأْنُورَ ؛ وَوَصَلَ بِهَذَا الْخَبَرَ فُلَانٌ وَعَلَى يَدِهِ مِثَالُ شَرِيفٍ يَخْتَصُ بِمَوْلَانَا  
وَقَدْ جَهَّزَ بِهِ ؛ فَيَأْخُذُ مَوْلَانَا حَظَّهُ مِنْ هَذِهِ الْبُشْرَى ، وَيُوضَعُ بِهَا عَلَى كُلِّ الْوُجُوهِ

بُشْرًا؛ والله تعالى يملأ له بالمسرات صدرا، ويضع بعديله عن الرجة إضرأ، ويُسْرَمُ في أيامه بكلُّ وارِدٍ يقول الإحسان لَمُتَحَمِّلَةً : ( لَوْ شِئْتَ لَأَخْتَلَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا )  
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب آخر في المعنى إلى بعض التواب، من إنشاء الشيخ جمال الدين  
أبن نُبَاتَةَ أيضًا، وهي بعد الصدر :

وضاعف مواد نعيمه ونعمائه ، ومسرته وهنائه ، وحفظ عليه ما وهبه من المنائب  
التي يروى النيل عن كرمه ووقائه ، وشرف السيوف لكونها من سمات كرمه والسُّيُولُ  
لكونها من سمائه .

المملوك يُحَدِّدُ الخلدمة بفتحات سلامه وثباته ، ويصفى ولآء لو تجسم لاستمكنت  
حين الشمس من سنامه ، وينهى أن المرسوم الشريف زاده الله تعالى شرفا، وردَّ  
مُهْشَرًا بوفاء النيل المبارك في يوم كنا ؛ فياله ربيما جاء في ربيع ، وحاملا في مُفْرِده  
الفضل الجميع ؛ وداعيا بالخضب ينشد كل ثانية اثنين ربحانة الداعي السميع ،  
ومتفتيا على منصبة المقياس عرسه يحل عليه من شباكها الستر الرقيق ؛ وأنه أقبل  
والبلاد أشهى ما تكون للقياء ، وأشوق ما ترى لمباشرة ربه ورياه ؛ وقد امتدت أيدي  
الجسور لقمه ، وأستمدت شفاؤه الجروف اللعس للثمة ؛ فكرم عليها زائره ، ومحبها  
بالنتيج ساريه وسائرته ، ودارت على الجذب من خطوط الأمواج دوائرته ؛ وعمت  
المنافع ، وتلفت حيوت القلا ناهلة بالأصابع ؛ وفاض البحريره ، ونشر رذاته على  
الأرض وسيضوح روضها بنشره ؛ وخلق المقياس فيالك من قياس بُسْرَى غير ممنوع ،  
وكبر الخليج فياله غصن قلم على النيل وطائر محبته على القرآت مسموع ؛ ورسم أن

لَا يُنْجِي حَقُّ بَشَارِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا التَّقِيصُ لِدَارٍ وَلَا التَّنْقِصُ لِدَارِهِ ؛ وَوَصَلَ بِهَذَا الْأَمْرَ فَلَانَ وَقَدْ جُهِزَ بِمَا عَلَى يَدِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَحِنُ مَوْلَانَا مِنْ أَقْسَامِ الْمَسَارِّ بِصُنُوفٍ ، وَيُدْفَعُ عَنْ حُصُونِ الْإِسْلَامِ بِمِثْنَيْهِ أَيْدِي الصُّرُوفِ ؛ وَيَنْفَعُهَا بِظِلَالِهِ الَّتِي آوَاهَا مُلْكُهُ الْكَرِيمُ إِلَى جَنَّةٍ : وَكَذَلِكَ الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ .

### الضرب الرابع

(من المكاتبات السلطانية ما يُكْتَبُ عَنِ الثَّوَابِ وَالْأُتْبَاعِ إِلَى الْخَلِيفَةِ  
أَوِ السُّلْطَانِ ، وَفِيهِ مِيعَاتٌ )

### المهجع الأول

( فِي الْأَجُوبَةِ عَنِ الْكُتُبِ السُّلْطَانِيَةِ السَّابِقَةِ فِي الضَّرْبِ الْأَوَّلِ )

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَقْدَمَةِ الْمَكَاتِبَاتِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ذِكْرُ الْخِلَافِ :  
هَلِ الْكُتُبُ الْإِبْتِدَائِيَّةُ [ أَعْلَى رُتَبَةٍ <sup>(١)</sup> ] فِي الْإِثْنَانِ بِهَا أَمْ الْجَوَابِيَّةُ ، وَذِكْرُ الْأَحْجَاجِ  
لِكُلِّ مِنَ الْمُتَنَبِّهِينَ ، وَذِكْرُ التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ ؛ فَلْيَرَاجِعْ مَنْ مَوْضِعِهِ هُنَاكَ . وَنَحْنُ  
نَذْكُرُ الْكَلَامَ عَلَى أَجُوبَةِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمُتَقَدِّمِ ، جَارِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى  
مَا قَرَّرَهُ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" .

فَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ الْكَلْبِ الْوَارِدِ بِانْتِقَالِ الْخِلَافَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَإِنَّ الْكَلْبَ إِنْ  
كَانَ مُتَضَمِّنًا التَّعْزِيَةَ فِي سَلَفِهِ ، وَالْمَتَاءَ بِمُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ فِي أَنْتِقَالِ الْخِلَافَةِ  
إِلَيْهِ ، فَأَرْسَمَ فِيمَا يُكَاتَبُ بِهِ عَنِ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُفْنَى عَلَى الْأَسْتِشَارِ بِالنِّعْمَةِ فِي خِلَافَتِهِ ،

(١) يَبَاضُ بِالْأَمَلِ . وَالصَّحِيحُ عَمَّا تَقَدَّمَ فِي (ج ٦ ص ٢٢٢) .



والمُسَارعة بإخلاص الضمير إلى النحول في طاعته وبيّته ؛ وأفسّاح الآمال في دولته ، والشكر لله تعالى على جبر الوهن وطو كامة الإسلام والمسلمين بدعوتيه ؛ وتمييزته عن أبيه ، بما يوجبُه عمل المحنة ويقتضيه ؛ يعنى إن كان الخليفة الميتُ أباه ، فالدعاء له بأن يُنفضَه الله تعالى بما حمّله ، ويُعينَه على ما كَفَلَه ؛ ويقرنَ ملكه بالحدِّ السعيد ، والخلود والتأييد ؛ وإدالة الأولياء ، وإدالة الأعداء ؛ ونحو هذا مما يجاريه .

وإن كان الكلب الوارد بانتقال الخلافة إليه عن أبيه ، ومن في معناه ممن يؤايله في المحبة ، فإنَّ الكتاب يحوم في الجواب على ما حصل بذلك من صلاح حال الأمة ، وأستقامة أمر الرعيّة بانتقال الخلافة إليه ، من غير أن يصرّح بدمّ الذهاب قبله . ولا ينفى أن الجواب عن ورود الكلب بانتقال السلطنة إلى السلطان وجُلوسه على تختِ الملك في معنى الجواب في انتقال الخلافة إلى الخليفة ، لا يكاد يفرق بينهما ، على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالدعاء إلى الدين ، فإنما يتكلّفها كتاب مُحالّ في الملة ، لأنها إنما تصدر إليهم . قال في "مواة البيان" : إلا أنه لا غنى لكتاب الإسلام عن علم ما يقع فيها ، لتقدّم عندهم المعرفة بما يُجيبُ به المخالفون ، فيأخذوا عليهم بأطراف الحجّة إذا كتبواهم ابتداءً أو جواباً .

قال : ولا تحلّوا أجوبة هذه الكتب من أربعة معانٍ :

أحدها — إجابة الدعاء إلى الدين ، وقبول الإرشاد والمهدي ، والتزوُّع عن الفى ، والإقبال على التبصرة والتذكرة ، بعقائد خالصة ، ونيات صريحة .

والثاني — الإصرار على ما هم مُمسكونُ به ، وتملُّ الشبهة في نصريته ، وأدعاء الحقّ فيما يتقدّونه ، والمغالطة عن الإجابة إلى قبول ما دُعوا إليه .

والثالث — بَذْلُ الْحِزْبَةِ وَالْمَصَالِحَةِ ، وَالْجُنُوحُ إِلَى السَّلَمِ وَالْمَوَادَّةِ .

والرابع — إظهار الحِمِيَّةِ ، وَالْقِيَامُ فِي دِفَاعِ مَنْ يَرُومُ أَفْتِسَارَهُمْ عَلَى مَفَارِقَةِ شَرَائِعِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ، وَبَذْلُ الْأَفْضَى فِي مَقَارَعَتِهِ .

وأما الجواب عن الكُتُبِ الواردة بالحثِّ عَلَى الْجِهَادِ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي "مَوَادِّ الْيَانِ" أَنَّهُ لَا تَخْرُجُ عَنْ مَعْنَيْنِ :

أحدهما — إِبْجَابَةُ الصَّرِيحِ ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى التَّشْمِيرِ فِي الْجِهَادِ ، وَالْقِيَامُ فِي مَعُونَةِ الْأَوْلِيَاءِ ، عَلَى كِفَاحِ الْأَعْدَاءِ .

والثاني — الْأَعْتِذَارُ وَالْتِمَلُّ وَالْتَقَلُّ .

هَذَا إِنْ كَانَتْ الْكُتُبُ صَادِرَةً إِلَى الْقَوَادِ وَالْمُقَدِّمِينَ . أَمَّا إِذَا كَانَتْ مَقْصُورَةً عَلَى الْاِسْتِنْفَارِ ، فَلَا جَوَابَ لَهَا إِلَّا التُّفُورُ أَوْ الْإِمْسَاكُ . قَالَ فِي "مَوَادِّ الْيَانِ" :

وَالطَّرِيقُ إِلَى إِقَامَةِ الْمُدْرُسِ الصَّرِيحِ فِي التَّائِبِ عَنْ مُسْتَصْرِحِهِ مَتَى أَرَادَ الْأَعْتِذَارُ عَنْهُ صَعِبٌ عَلَى الْكَاتِبِ ، وَلَا سِيَّامَا إِذَا كَانَتْ الْأَعْدَارُ مُتَكَلِّفَةً غَيْرَ صَحِيحَةٍ .

قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَنَّى لِذَلِكَ وَيُحْسِنَ التَّلَطُّفَ فِيهِ ، وَلَا يَتَمَلَّ بِكَذِبِ صُرَاجٍ يَنْكَشِفُ لِّلْعَتَدْرِ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ بِالْحَثِّ عَلَى زُرُومِ الطَّاعَةِ ، إِذَا وَرِدَتْ عَلَى النَّوَابِ وَالْوَلَاةِ وَأَمْرُوهُمَا بِقِرَاعَتِهَا فِي أَعْمَالِهِمْ عَلَى الرِّعَايَا ، فَإِنَّهُ يَكُونُ : إِمَّا بِاتِّقَادِ الرِّعَايَا إِلَى مَا دَعَوْهُ إِلَيْهِ ، أَوْ اِسْتِدَامَتِهِمْ لِمُرَكِّبِ التَّفَاقُقِ ، وَأَسْتِدْنَاءِ مَادَّةٍ لِّتَقْوِيَتِهِمْ .

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ الْكُتُبِ إِلَى مَنْ نَكَثَ عَهْدَهُ مِنَ الْمُتَاهِدِينَ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي "مَوَادِّ الْيَانِ" أَنَّهَا لَا تَخْلُوْ مِنْ أَحَدٍ أَرْبَعَةَ مَعَانٍ .

أولها — الاعتذار والاستقالة من مراجعة النكت، والرغبة في الصنيع عن النبوة، والمسامحة بالهفوة .

و الثاني — المفاظة والمراوغة، واستعمال المداينة والمخادعة .

و الثالث — التجليح والكاشفة .

و الرابع — إيجاب الحجية على المذهب (٩) عنه في أنه المبتدئ ففسخ ما قاده عليه .  
قال : والكتاب إذا كان ماهرا كسا كل معنى من هذه المعاني الترض الأليق به في الصناعة .

وأما الجواب عن الكتب إلى من خلغ الطاعة ، فقد قال في "مواد البيان" :  
إنها تحمل معنيين : أحدهما الاعتذار ، والآخر الإصرار ؛ وكل واحد منهما محتاج إلى عبارة لائقة به . ثم قال : والكتاب إذا كان حاذقا، عرّف سبيل التخلص فيها بمشيئة الله تعالى .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالفتوح، فلأنها إن صدرت من السلطان إلى ولاة، فينبغي أن يثنى جوابها على الاستبشار بموقع النعم في الظفر المدوّ، والجلد بمتجدد الفتح، وأن ذلك إما تيباً بسلامته، وعلوّ رأيه وأنبساط هيئته ؛ وما عوده من إظهار أوليائه، وخذلان أعدائه ؛ وأنهم قد أشاعوا هذا التبا في الخاصة والسامة من رعاياه فابتهجوا به، وشكروا الله تعالى عليه ودعوا له بصالح الدعاء . وإن صدرت من ولاة الحرب إلى السلطان، فينبغي أن يكون ما يبيهم به تبيهاً على حمد الله تعالى على حواره، والرغبة في مضاعفة لطائفه، وشكره على إنجاز وعده في الإظفار بأمداء الملة والنوالة ونحو هذا . ومخاطبة أهل الطاعة بما يرهف عزائمهم، ويوقى شوكتهم، ويحفظ وإلى الحرب ووصفه بما يسعد بصيرته في الخيلة، والثناء على

الأجناد ، ووعدهم بجزيل الجزاء على الجهاد والإبلاء ؛ إلى غير هذا مما يقتضيه الحال ، ويوجبه تدبير الأمر الحاضر .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالاعتذار عن السلطان عند ما يحصل له زلزل في التدبير أو [في] الظفر يقبض الأعداء على جيش من جيوشه ، فإنما تقع الإجابة عنها إذا تفتت إلى أحد المال خصوصاً . قال في "مواد البيان" : وحيلقد فيلبن أن يكون الجواب عنها مبنياً على تقوية نفس السلطان وتوثيقه بالأدلة ، وأن مااله لا يتوجه كثيراً على ذوى الحرم ، إلا أن حواقب القلج والظفر والإصابة في الرأي والتدبير تكون لهم ، ونحو هذا مما يحاريه ويليق به .

قال : أما إذا كانت المكتبة في ذلك إلى الكافة ، مهيأة لمذير السلطان ، فاطعة قالة الرجية عنه ، فإنه لاجواب عنها : لأنها إذا لم توجه إلى واحد بينه لاستدعي خطاباً .

وأما الجواب عن الكتب الواردة عن السلطان بالتهو عن التنازع في الدين ، إذا صدرت إلى المال ، وأمرُوا بقراءتها على الرعايا على منابر أعمالهم ، فإنه ينبغي الأمر فيها على أمثال الأمور ، والمطالعة بأرسلهم القوم ما رسم لهم فيها . أما إذا كانت صادرة لشعراً على العامة ليُصيروا ما فيها وسملاوا عليه ، فإنه لاجواب عنها ، لأنها إنما تشتمل على مواظفة ومراشدة تتحول بها الأمة رعائهم .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالأوامر والنواهي ، فقد ذكر في "مواد البيان" أن الكتاب الوارد في ذلك : إن كان شيئاً قد جزم المتبع فيه الأمر ، وصيقي على التابيع في إثاره سبيل المراجعة فيه ، فإن الجواب عنه سهل : لأنه إنما يُجيب بوجوب جامع ، وهو وقوفه على ما أمر به وإقائه له . وإن كان الوارد أمراً محتملاً للمراجعة ، من حيث إن في إفضائه إذا أمضى إفساداً للعمل ، وإخلالاً بأسباب

الْمَلِكِ وَالسَّلاطِينَ، فَالْجَوَابُ عَنْهُ شَأْنٌ صَعْبٌ: لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُقْنَى عَلَى تَطْلُفٍ شَدِيدٍ فِي الْإِيمَانَةِ عَمَّا يُتَّبَعُهُ ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِهِ إِذَا أُتِفِدَ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ قِتْيٍ وَخَلِيلٍ؛ وَمُورِدُ الْمِرَاجَعَةِ فِي الْقَاضِلَةِ لَا يَتَّبِعِينَ فِيهِ إِزْرَاءً عَلَى رَأْيِ الرَّئِيسِ وَلَا طَعْنَ فِي تَدْبِيرِهِ: بَأَن تَكُونَ نَاطِقَةً بِأَن رَأْيَهُ الْأَعْلَى، وَتَدْبِيرُهُ الْأَصُوبُ؛ فَيَكُونُ بَاطِنُ الْكَلَامِ تَوْقِيفًا عَلَى الصُّوَابِ، وَظَاهَرُهُ تَصْوِيبًا وَتَقْرِيبًا: لِأَن كَثِيرًا مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْمُلُوكِ يُسَجِّوْنَ بِآرَائِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ أَنْفُسَهُمْ بِحُكْمِ الرِّيَاسَةِ فِي مِثْلِهِ مِنْ لَا يُرَاجَعُ وَلَا يُعَارَضُ فِيهَا بِأَمْرٍ بِهِ.

قال: وقد تَأْتَى مِنْ كُتُبِ الْأَوَامِرِ كُتُبٌ بِأَمْرِ الرَّئِيسِ فِيهَا الْمَرْمُوسَ بِشَرْحِ حَالِ وَأَقْصَاصِ أُمُورِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَأَجُوبَةُ هَذِهِ الْكُتُبِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَقْبِصَةً لِلْعَنْفِ الْمُنْتَشِرِ، مُسْتَوَلِيَةً عَلَى حَوَاشِيهِ، خَيْرٌ مَحَلَّةٍ بِنْيٍ، مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْرِفِهِ مِنْهُ.

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَنِ الْإِمَامِ عِنْدَ حَدُوثِ الْآيَاتِ السَّهَاقِيَةِ، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَوَاقِفَ وَمَرَاشِدَ يَقْضِي بِهَا الْأُئِمَّةُ رِعَايَاتِهِمْ؛ فَإِذَا صَدَرَتْ إِلَى الْعَمَلِ وَأُمِرُوا بِقِرَاطَتِهَا عَلَى الرِّعَايَا، فَاجُوبَتُهَا لِمَا تُقْنَى عَلَى أَمْتَالِ الْأُمُورِ وَالْمُطَالَعَةِ بِأَرْتَسَامِ الْقَوْمِ مَا رُمِمَ لَهُمْ فِيهَا. أَمَّا إِذَا كَانَتْ صَادِرَةً لِقُرْأَةٍ عَلَى الْعَامَّةِ لِيَقْبَصُوا بِمَا فِيهَا وَيَعْمَلُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَاجَوَابُ عَنْهَا.

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَى مَوَاسِمِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّهُ يَصْدُرُ عَنْ وَرَدِّهِ إِلَى الْإِمَامِ بَعْدَ مُهِرُودِ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، وَالْإِنْفِصَالِ عَنْهُ عَلَى حَالِ السَّلَامَةِ، كَمَا فِي صَلَاةِ الْعِيدِ وَبَحْوِهَا. قَالَ فِي «مَوَادِّ الْبَيَانِ»: وَأَجُوبَتُهَا تَصْدُرُ إِلَى الْخُلَفَاءِ مَقْصُورَةً عَلَى ذِكْرِ مَا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ قَضَاءِ الْفَرِيضَةِ عَلَى حَالِ الْاِسْتِلَافِ وَالِاتِّحَاقِ، وَتُمَوِّلُ الْأَمْنِ وَالْمُنْدَى وَالسَّكُونِ، وَتُسَبِّغُ النِّعَمَةَ عَلَى الْكَافَّةِ؛ وَأَنَّ ذَلِكَ بِسَعَادَةِ وَعِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِدَوْلَتِهِ وَبِرِعَّتِهِ، وَنَحْوِهَا مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى.

وأما الجواب عن الكتب الواردة عن الإمام إلى ولاية أمره بالسلامة في ركوب أول العام وعُرة رَمَضَانَ ، والجمعة الأولى والثانية والثالثة منه ، وعيدي الفطر والأضحى ، وفتح الخليج بعد وفاة النبل ، فقد قال في «مواد البيان» : إنه إن كان الكتاب عن السلامة في صلاة العيدين أو جمع رَمَضَانَ ، فينبغي أن يكون مبنيًا على ورود كُتُبِهِ متضمنة ما أمان الله تعالى عليه أمير المؤمنين من تأدية فريضته ، والجمع في صلاة عيد كذا برعته ؛ وبما ألهسه الله تعالى من الهدى والوقار ، وأفاضه عليه من البهاء والأنوار ؛ وبروزه في خاصيته وعامته إلى مُصَلَّاه ، وسماح خطبته وعوده إلى قصره الزاهر ، وعليه تَلَالُ القبول لصلاته ودُعائه ، بما أجزاه الله تعالى فيه على عادة آلائه ؛ ووقف عليه وقابله بالشكر والإحسان ، والاعتراف والاعتقاد ، وأقضيه على رموس الأشهاد ؛ فأعزُّوا في شكر الله تعالى على الموهبة في أمير المؤمنين ، ورغبوا إليه في إطالة بقائه مُرَامِيًا عن الإسلام والمسلمين ؛ ونحو هذا مما يُجَارِيه .

ثم قال : فإذا نُقِلَتْ هذه الكتب من العلل إلى أمير المؤمنين مُبَشِّرَةً بآجتاع رعاياه لتأدية فريضتهم ، وعودهم إلى منازلهم سالمين ، فينبغي أن يكون الجواب عنها : «وصل كتابك مُتضمنًا ما لا يزال الله تعالى يُؤليه لأمر المؤمنين في رِعَّتِهِ ، وخاصيته وعامته : من اتفاق كلمتهم ، وأستلاف أئمتهم وسلامة كآفتهم ؛ وامن الله به عليه وعليهم من آجتاعهم لتأدية فريضتهم ، وعودهم إلى منازلهم ؛ على السَّلامَةِ من ضمايرهم ، والظُّهارة من سرائرهم ؛ بِحَمْدِ أمير المؤمنين الله تعالى على ذلك وسأله مَزِيدُهُمْ منه ، وتَوْفِيقُهُمْ لِمَا يُرِضِيهِ عنهم ؛ وشكر مسألك في سياستهم ، وأَمْتِدَادَ يَدِكَ في إِيَّاكِهِمْ ؛ وهو يأمرك أن تجرَى على حادثك ، وتسير فيهم بحمِلِ سِيرَتِكَ » وما يليق بهذا .

ثم نبى على ذلك سائر كتب السلامة، وقال: ينبغي أن يستبطن من نفس كل كتاب منها المعنى الذى تجب الإجابة به، مثل أن يكون الكتاب ورد من أمير المؤمنين إلى أحد عماله، مُبَشِّرًا بسلامته من سفره؛ فينبى أن يلقى جوابه على ما صورته: «ورد كتاب أمير المؤمنين مُبَشِّرًا عبده بما هياه الله تعالى له من السلامة ويمن الوجهه، مع تهريب الشقه؛ وإزالة المسار، وتسهيل الأوطار، وإدناء الدار؛ فوقف العبد عليه، وأتمثل المرسوم فى إطلاع الأولياء على ما تضمن فيه من هذه البشرى؛ فعظمت المنحة لديهم، وجلت النعمة عندهم؛ وأنشروا صدورهم، وأنفسحت آماهم، ووقفوا بصنع الله تعالى لهم؛ وأرتمت أيديهم إلى الله سبحانه بالرغبة فى حياة أمير المؤمنين قاطبًا ونفاعيًا، وحسن صحاحه حالًا وراحلاً؛ وجميل الخلقة على من خلفه من حامته وطائته، وأهل دعوته وخاصة دولته؛ والله تعالى يوجب فى أمير المؤمنين صالح الدماء، ويمد بطول البقاء» وما ينظم فى سلك هذا الكلام ويضاهيه.

قلت: وقد قلتم فى الكلام على المكتبة السلطانية الابتدائية: أن المكتبة باليشارة بالسلامة فى ركوب السنين وما فى معناها من قدوم السفر وغيره، قد ترك استمالة بديوان الإنشاء فى زماننا. فإن قدر مثله فى هذه الأيام، أجزاها الكاتب على نحو ما تقدم، على ما يقتضيه مصطلح الزمان فى المكتبات السلطانية.

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالخلق وما فى معنى ذلك، فينبى أن يكون مبنيًا على تعظيم الله، والاعتراف بجزالة المنحة؛ وجميل العطية، وزائد الفضل، وأن ما أسدى إليه من ذلك تفضل عليه، وتطول من غير استحقاق لذلك؛ بل فائض فضل، وجزيل امتنان؛ وأنه عاجز عن شكر هذه النعمة والقيام بواجبها، لا يستطيع

لها مكافأة غير الرغبة إلى الله تعالى بالأذعية لهذه الدولة. وما يناسب ذلك من الكلام ويلائمه .

وأما الجواب عن الكتب بالتنويه والتقيب إذا صدرت إلى ثواب المملكة ، فالذي ذكره في "مواد اليان" أن المتنوه به يجب عما يصله من ذلك بوصول الكتاب إليه ، ووقوفه عليه ، ومعرفة قدر العارفة مما تضمنته الرغبة إلى الله تعالى في إرضائه الشكر ، ومعرفة على مقابلة النعمة بالإخلاص والطاعة . أما إذا كتبت بالتنويه والتقيب لأحد من المقيمين بخضرة الخلافة ، فإنه لا جواب لها .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالإحاد والإذنام ، فيختلف الحال فيه : فإن كان الكتاب الوارد بالإحاد والتقرير ، لجوابه مقصور على الشكر الدال على وقوع ذلك الإحاد موقعه من المصود ، ومطالبتة لنفسه بالخروج من حقه باستفراغ الوسع في الأسباب الموجبة للزيادة منه . وإن كان الكتاب بالإذنام : فإن كان ذلك لموجبة بسبب أمي بلغه عنه من علو أو حاسد نعمة أو منزلة هو مخصوص بها من رئيسه ، كان الجواب بالتنصّل والمقابلة بما يرى سآحته ، ويدل على سلامة نأحيته ، وأن يؤيد ذلك بصيغة تزيل عن النفس ما سبق إليها ، وتبعث على الرضا . وكذلك في كل واقعة بحسبها ، مما يحصل به التنصّل والاسترضاء ونحو ذلك .

وأما الجواب عن الكتب الواردة مع الإذنام السلطاني ، فعلى نحو ما سبق في الخلق : من تعظيم المنّة ، والاعتراف [ بجزالة المنّة <sup>(١)</sup> ] وجليل العطية ، وزيادة الفضل ، وما في معنى ذلك مما تقدم ذكره .

وأما الجواب عن الكتب الواردة عن الخليفة أو السلطان بتجديد وآيد ، فإنه يكون بإظهار السرور والاختباط ، وزيادة الفرح والسرور بما من الله تعالى به من تكثير

(١) بياض بالاصل والصحيح عما تقدم قريبا في الجواب عن الخلق .



المدد، وزيادة المدد؛ والرغبة إلى الله تعالى في أن يوالي هذا المريد ويضاعفه .  
ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بغاية الخليفة أو السلطان من مرض كان  
قد عارض له ، فطريقه حمد الله تعالى وشكره على ما من الله تعالى به من العافية ،  
وتفضل به من إزاحة المرض ، ووقاية المكروه ، وإظهار الفرج والسرور بذلك .  
وما يفرط في هذا السلك .

(١)  
وأما الجواب عن الكتب الواردة بالتمزية بولي أو قريب ، فإنه يظهر فيه النعم  
والحزن والكتابة ، وحمد الله تعالى على سلامة نفسه ، والرغبة إلى الله تعالى في الخلف  
عليه ، إن كان أليئاً ولنا مع الداء بطول البقاء وتطول الدولة ، وما يجرى هذا المجرى .  
وهذه نسخ أجوبة عن مكاتبات سلطانية ، مما يكثر وقوعه ، ويتعدد تكراره ،  
يستضيء بها الكاتب في كتابة الأجوبة ، ويستخرج على منهاها .



نسخة جواب عن كتاب وصل من الخليفة بانتقال الخلافة إليه ، كتب به إلى  
أمير الأمراء ، قريش خلعة وسيف وكج وسوارين ، من إنشاء أبي الحسين بن  
سعد ، وهو :

فإن كان سيدنا أمير المؤمنين ، بما أعلم من فضل مراتبه لأموال الدين ، وصنق  
عنايته بمصالح المسلمين ، وأفيض له (؟) من مواهب الله عندهم ، وصنق نعمة عليهم ؛  
فما هداه من طرق الرشاد ، وبصره إياه من مناهج الصواب ، وقرنه به من التوفيق  
في عزائمه ، والخذ في مراسمه ، وتوصله فيه بالخيرات الثامنة ، والكفاية العامة ؛ في كل

(١) في الاصل "التميم" ولم نثرطيه في كتب الله .

أمره مُبْضِيه، ورأى يَرْتَكِبُهُ، أَعْتَادًا لَهُ بِحُسْنِ الْمُؤَنَةِ عَلَى مَا اسْتَرْعَاهُ، وَوَصَلَهُ بِالْمُرِيدِ  
فِي خَوْفِهِ وَأَعْطَاهُ، وَحِرَاسَةَ مَا سَاقَهُ إِلَيْهِ مِنْ إِرْثِ النَّبُوَّةِ، وَحَمَلَهُ إِيَّاهُ مِنْ ثِقَلِ الْإِمَامَةِ؛  
لَمَّا حَرَّفَهُ مِنْ مُهُوضِهِ بِالسَّبَبِ، وَقِيَامِهِ بِالْحَقِّ فِيمَا نَاطَهُ وَأَسْتَدَّ إِلَيْهِ؛ وَتَأَمَّلَهُ مَا تَأَمَّلَهُ  
مِنْ حَالِ عِبْدِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لِبَطَاعَتِهِ مُتَعَقِّدًا، وَبِعِصْمَةِ وَلَايَتِهِ مُتَعَضِّدًا، وَلَوْ قِيَتْ  
يُسْلُفُهُ مِثْلَةَ الْإِحْمَادِ، وَيَحُوزَ لَهُ عَائِدَةُ الْأَجْتِهَادِ، فِيمَا أَرْضَاهُ مُرْتَضِبًا، وَلَسَعِيهِ وَبَيْتُهُ،  
وظَاهِرُهُ وَطَوْرُهُ، مُعْتَمِدًا؛ وَوُجُودُهُ أَيْدِي اللَّهِ فِي سَيْرِ مَا أَمْتَحَنَ بِهِ بَلَاءَهُ، وَعَرَفَ  
فِيهِ غَنَائِهِ، وَوَضْعًا لِلصِّدْقِ، مُحْتَمِلًا لِلْعَارِفِ؛ مُقْرًا بِحَقِّ النِّعَمَةِ، عَارِفًا بِقَدْرِ الْمَوْهِبَةِ؛  
وَتَرْقِيهِ فُرْصَةً يَنْتَهِزُهَا فِي إِيدَاءِ عَزِيمِهِ، وَلِمَضَاءِ رَأْيِهِ؛ وَأَنَّهُ [وَأَيْتُهُ] بِالْإِسْتِظْهَارِ بِمَكَانِهِ،  
وَالِإِسْتِهَامِ لَهُ فِي عِزِّ سُلْطَانِهِ؛ حَتَّى أَسْفَرَتْ رَوِيَّتُهُ، وَأَسْتَقَرَّتْ عَزِيمَتُهُ؛ فَاخْتَصَّ  
عَبْدَهُ بِجَمِيلِ الْأَثَرِ، وَأَصْطَلَفَاهُ بِلَطِيفِ الْخُطْوَةِ، وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي إِمَارَةِ الْأُمَرَاءِ،  
مُؤَيِّدًا بِهِ عَلَى رُتْبَةِ النُّظَرَاءِ، وَكَاسِيًا لَهُ حُلَّةَ التَّجَدِّدِ وَالسَّنَاءِ؛ وَرَدَّ إِلَيْهِ تَدْيِيرَ الرِّجَالِ،  
وَتَهْدِيرَ أُمُورِ الْعُمَمَالِ؛ وَشَفَعَ ذَلِكَ بِالتَّكْنِيَةِ وَالتَّلْقِيَةِ فِي مَشَاهِدِ حَفْلَتِهِ، وَجَالَسَ  
خَلْوَتِهِ؛ وَأَكَلَ الصَّنْعَ عِنْدَهُ بِالْخَلْقِ عِبْدَهُ فِيمَا قَسَمَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ شَرِيفِ  
حِبَابَتِهِ، وَسَمَّى عَطَايَاهُ، وَتَجَاوَزَ فِي التَّكْرِمَةِ لَهُ إِلَى أَعْلَى الْأَحْوَالِ، وَأَرْفَعَ الرُّتْبَ وَالْمَحَالَ؛  
فِيمَا أَمَرَ - أَعْلَى اللَّهِ أَمْرُهُ - بِجَلِّهِ إِلَيْهِ مِنَ الْخُلْعَةِ الَّتِي بَقِيَ شَرَفُ لِبَاسِهَا [عَلَى] الْأَيَّامِ،  
وَبِحَمْلِهِ ذِكْرُهَا عَلَى الدُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ؛ وَالسَّيْفِ الَّذِي تَقَاعَلَ لِعَبْدِهِ فِيهِ بِمَا يَرْجُو يُعْنَى  
مَوْلَاهُ وَسَعَادَةَ جَدِّهِ: أَنْ يُحَقِّقَهُ اللَّهُ فِي الْإِعْتِمَادِ بِهِ عَلَى أَعْلَانِهِ، وَتَعْمِدِيهِ فِي نُحُورِ مُشَاقِقِيهِ  
وَعَامِصِي نَعْمَاتِهِ؛ وَالتَّائِجِ الْمُرْصِيعِ الَّذِي نَظَّمَ لَهُ جَوَامِعَ الْفَخْرِ، وَالْوَسَائِجَ الْمُوشَى الَّذِي  
وَقَّعَهُ جَلِيَّةُ الْجَمَالِ مَدَى الدَّهْرِ؛ وَالطُّوقِ الَّذِي طَوَّقَهُ قَلَانِدُ التَّجَدُّدِ، وَالسُّوَارِيزُ اللَّذِينَ  
آذَنَاهُ بِقُوَّةِ الْعَضْدِ وَبَسْطَةِ الْيَدِ؛ وَاللَّوَاءَ الْمَعْقُودَ بِهِ مَفَاتِحُ الْعِزِّ فِي طَاعَتِهِ، الْمَرْفُوعَ بِهِ  
مَعَالِمُ النَّصْرِ عَلَى شَايِئِ دَوْلَتِهِ؛ وَوَصَلَ إِلَى وَفَهْمَتِهِ .

وسيدنا أمير المؤمنين - فيما أكرمه الله به من خلافته ، وأمنته من الحكم على  
 بريته ، ووكله إليه من حقوق الدين ، وحياته كرم للمسلمين ، وإحياء السير الرضية ،  
 والسني الحيدة ، وإمالة الأحكام الحائرة ، والمظالم الظاهرة ، وتقوم أود الملكة  
 بعد تزجج أركانها ، وتصدع بليانها ، وإعزاز الأمة وليناسها ، بعد أن أشملت  
 [الذلة<sup>(١)</sup>] عليها وتمكنت الوحشة فيها ، وحكم اليأس في آمالها ، وظب القنوط على  
 أطاعها ، وتقال بما أحمده له ، وفوضه إلى نظيره : من الخيرة بحقائقه ، والتوكيد  
 بما لم تزل الخبايا فيه لأيمحه ، والأمارات منه واضحه ، والشواهد به صادقه ،  
 والدلائل عليه ناطقه ، حتى تبارك بنعمة الله الذين بعد أن طمس مناره ، وتفتت  
 آثاره ، ودرست رؤسوه ، وفارت مجومه ، وأغشى الشيطان بجرانه ، وأشرأب لتبديله  
 بعدوانه ، وأتتلب لنصرة الإسلام برأي يستغرق آراء الرجال ، ويحلم يستخف رواسي  
 الجبال ، وروية تستخرج كوامن القيوب ، وتكشف عنها حنادس الشوك ، وباع  
 لما يمتد إليه بسط ، وذراع لما ينظم عليه رحيب ، وصدر يسبح لمعضلات  
 الأمور ، ويشرق في ملهجات الحوادث ، فشرد أعداء الله بعد أن اتصلت بهم مهلة  
 الافتراء ، وتناولت بهم مئة الإصرار ، ومد رواق الملك وضرب قبايه ، وثبت أواخيه  
 وأحصد أسبابه ، وقطع أطاع الملحدين ، وأبطل كيد الكافرين ، وقت في أعضاء  
 المناذير ، فحصصت اليضة ، واجتمعت الكلمة ، وأتفتت الأهواء المنفرقة ،  
 وانتظمت الآراء المتشعبة ، وسكنت الدماء المضطربة ، وقرت القلوب المترعجة ،  
 وصدقت خواطر الصدور المتجبة ، وظهر الحق ورحم عموده ، وجر جماله ونصر  
 عوده ، وتبرت أعلامه وطلعت سعوته ، وعز أوليائه ونصرت جوده ، وساخ

(١) يماض بالاصل ، والتصحيح من المقام .

(٢) في الأصل «أخضد» وهو تصحيف .

بالباطل قَدَمُهُ، وَأَقْطَعَتْ وَصَائِلُهُ وَعَصَمُهُ؛ وَأَنْبَتَ حَبَالَهُ وَرُئِمَتْ، وَأَنْحَلَتْ أَسْبَابَهُ وَذِمَّتْهُ - حَقِيقٌ بِمَا بَانَ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَسْتَفَاضَ فِي الْأَمَّةِ مِنْ عَدْلِهِ، وَعَمَّ كَافَّةَ الرِّجْعَةِ مِنْ طَوْلِهِ؛ وَوَصَلَتْ إِلَى الْمَلَى وَالذَّمِّ وَالذَّائِي وَالْقَاصِي فَاتَّكَتْ الْخَيْرَ فِي أَيَّامِهِ، وَفَاتَتْهُ الْأَمْنِ بِمَمْلَكَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَمَأْمُولُ الْأَفْضَلِ مَا بَدَأَ لِعَبِيدِهِ مِنْ ثَمَرَةِ أَجْنِبَائِهِ. وَأَصْطَلَفَائِهِ، وَمَا تَقَمَّدَهُ بِهِ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ، وَالْمَوَاهِبِ الْحَسِيمَةِ؛ وَأَسْبَقَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَوَارِفِ السَّيِّئَةِ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ، الَّتِي تَقْصُرُ عَنْهَا هِمُّ دَوَى الْأَقْدَارِ، وَتَقِفُ دُونَهَا أَمَالُ الْأَوْطَارِ؛ مُقَدِّمًا لَهُ عَلَى أَهْلِ السَّوَابِقِ مِنْ أَنْصَارِ دَوْلَتِهِ، وَأَشْيَاعِ دَعْوَتِهِ .

فلو ترادفت أَلْسُنُ الْعِبَادِ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَى اخْتِلَافِ لُغَاتِهِمْ، وَتَبَايُنِ طَبَقَاتِهِمْ، وَتَفَاوُتِ حَالَاتِهِمْ، فِي مَقَابِلَةِ نِعْمَةِ سَيِّدِنَا الَّتِي أَحْضَى السُّيُُونَ بِهَاؤُهَا، وَتَأْدِيَةِ حَقُوقِهِ الَّتِي أَعْيَا الْمُجْتَهِدِينَ قَضَائُهَا؛ لَكَانَتْ - حَيْثُ أَتَتْهُ، وَأَثَى تَصَرَّفَتْ؛ عَلَى اسْتِفْرَاحِ الْقُدْرَةِ وَاسْتِنْفَادِ الطَّاعَةِ - غَيْرَ مُقَارِبَةٍ حَدًّا مِنْ حُدُودِهَا، وَلَا مُؤَدِّيَةٍ فَرْضًا مِنْ قُرُوضِهَا؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - فِي فَوْتِ الْإِحْسَانِ مَقَادِيرَ الشُّكْرِ، وَإِيفَاتِهِ عَلَى مَبَالِغِ الْوُسْعِ؛ فَقَصْدُ حَبِيدِهِ فِي جَبْرِ التَّقْبِصَةِ، وَمَسَدِّ انْخِلَافِهِ؛ الْإِزْدِيَادُ فِي الطَّاعَةِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي الْمُوَالَاةِ وَالْمُشَاطَعَةِ؛ وَإِدَامَةُ الْإِهْتِمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَرَفْعُ الرِّجْعَةِ فِي مَعُونَةِ عَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مُجَافَاةِ بَلَايَتِهِ، وَالتَّقَرُّدِ بِجَزَائِهِ، وَتَجْدِيدِ الْمَسْأَلَةِ فِي اطِّالَةِ بَقَايَةِ: فِي حِرْزٍ لَا تَبْلُغُ جِدَّتُهُ، وَسُلْطَانٍ لَا تَنْتَهِي مُدَّتُهُ؛ وَمَوَادِّ مِنْ مَسَاحِيحِهِ وَمَوَائِدِهِ، وَرَوَادِفِ مِنْ عَوَائِدِهِ؛ مُتَقَالِهَةً لَا يَنْقَطِعُ مِنْهَا أَوَّلٌ حَتَّى يُلْحِقَ تَالِيَهُ، وَلَا يَنْصَرِمُ سَالِقُهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ آتِيَهُ؛ وَيَكُونَ الْمَالُ بَعْدَ اسْتِيفَائِهِ شَرْوِطَ الْأَمَلِ، وَتَحْقُصُ حُلُودِ الْمَهْلِ؛ إِلَى النِّعَمِ الْمُقِيمِ، فِي جَوَارِ الْعِزِّزِ الْكَرِيمِ .

ومن تمام إفضال سيدنا على عبده، ونظام معروفه عنده ؛ بلؤه إياه بما يتمتعن به خفة نهضته ، ومرونة حركته ؛ وقعوده لأمره بمجد حليده ، وبشيش عتيده ؛ وصمده لما يخطيه لذلك مولاه ، ويحوز له حملة ورضاه ؛ بصنق بصيره ، وخلوص سيره ؛ واستمهال لكل خطئه ، وتجشيم لكل مشقه ؛ دنت المسافة أم شست ، قربت الطيلة أم زححت ؛ وسيدنا أهل لاستتمام يد ابتدائها ، وإحلال طارفة أنشائها وكرامة آفتائها ؛ باستعمال عبده بأمره ونهيه ، واعتماد لهوماته بحضرتة وفي أطراف مملكته ؛ إن شاء الله تعالى .



قلت : وهذه نسخة كتاب أنشأته : ليكتب به إلى أمير المؤمنين المستعين بالله ، أبي الفضل العباس خليفة العصر ، عن نائب الغيبة بالديار المصرية ، حين وردت كتبه الشريفة من الشام إلى الديار المصرية بالقبض على الناصير فرج بن الظاهر برقوق بالشام ، واستبداده بالأمر دون سلطان معه ، في أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة ، مفتحا له بـ «يُقبَلُ الأرض» التي يكتب بها الملوك . وإن كان قد تهنم من كلام المقر الشهابي بن فضل الله أن المكتبة إلى أبواب الخلافة بالدعاء للديوان ، لا يختلف فيه ملك ولا سوقة ، وهو :

يُقبَلُ الأرض ونهى وورد المثال الأشرف الميمون طائرته ، المرقوم على صفحات الأفلاك تهايبه التحمول على متن السحاب بسبارته ، الشاهد بالفتح المبين أوائله وبالنصر العزيز أوانره ؛ متضمنا ما من الله تعالى به من جميل الصنع الذي وكفت بالخير تعاقبه ، وخفى اللطف الذي بهرت القول عجائبه ؛ بما منح الله تعالى به مولانا أمير المؤمنين مد الله تعالى على الإسلام وأرف ظله ، وأقام الأنام بمد رواق

الإمامة المعظمة في مَهَادِ عَدْلِهِ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا مَكَّنَ لِآبَائِهِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ قَبْلِهِ : مِنْ جُلُوسِهِ عَلَى سِدَّةِ الْخِلَافَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي وَصَلَ مُنْقَطِعَ حَدِيثِهَا بِإِسْنَادِهِ ، وَحَازَ مِنْهَا بِأَشْرَفِ مَقْعَدٍ تَرَاثَ آبَاؤُهُ الْكَرَامَ وَأَجْدَادُهُ ؛ وَأَبْنَسَ تَفَرُّدَ الْخِلَافَةِ بَعْبَاسِهِ ، وَتَأَنَسَ مِنْهَا جَانِبَ الدِّينِ بَعْدَ الْأَسْتِيحَاشِ بِلَيْسَانِهِ ؛ فَقَبَّلَ الْمَمْلُوكُ لَهُ الْأَرْضَ خَاضِعًا ، وَلَبَّى أَوَامِرَهُ الشَّرِيفَةَ ضَارِعًا ، وَأَجَابَ دَعَايِهِ بِالْإِمْتِنَانِ سَامِعًا طَائِعًا ، وَتَجَدَّ تَجُودَ الشُّكْرِ لَذَلِكَ فَعُرِفَ بِسِيَّاهُ ، وَأَنْتَسَبَ إِلَى الْوَلَاةِ الشَّرِيفِ الْإِمَامِيِّ أَنْتَسَابًا شَامِلًا لِحُصْنِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَأَعْلَمَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَجَنَادِ بِذَلِكَ فَقَابَلُوهُ بِالْإِسْتِشَارِ طَرَاءً ، وَتَقَوُّهَا تَلَقُّيًا يَلِيقُ بِمَنْثَلِهَا وَإِنْ كَانَ لَا مِثْلَ لِهَذِهِ الْبُشْرَى ؛ وَقُرِئَتْ الْمُطْلَقَاتُ الشَّرِيفَةُ عَلَى الْمُنَازِرِ فَسَكَنَتِ الدِّهْمَاءُ وَقُرَّتْ ، وَسَمَرَتْ الْفَاعِظُهَا إِلَى الْإِحْمَاعِ الشَّيْقَةِ فَسُرَّتْ ، وَكَرَّرَتْ الْفَاعِظُهَا الْعَذْبَةُ مَرَارًا فَخَلَّتْ لَدَى النُّفُوسِ إِذْ مَرَّتْ ؛ وَارْتَضَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْهَمَاءِ بَلَوَامَ هَذِهِ الذُّوْلَةِ النَّبَوِيَّةِ دَوَامًا لَا يَسْتَشْعِرُ مُسْتَشْعِرُ خِلَافَتِهِ ، حَقِيقُ ظُهُورٍ مُعْجِزَةٍ أَكْرَمَ مُرْسَلِي بَعْدِ الثَّمَانِمِائَةِ بِقَوْلِهِ لَعَنَهُ الْعَبَّاسُ : « أَلَا أُبَشِّرُكَ بِأَيَّامٍ : بِخُتْمِ النَّبُوَّةِ وَبِوَلَدِكَ مُحَمَّدٍ الْخِلَافَةِ » .



وهذه نسخة جواب عن نائب طرَابُلُسَ عَنْ مِقَالٍ شَرِيفٍ وَرَدَ بِوَفَاةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ « مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ » وَأَسْتِقْرَارِ وَلَدِهِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ « أَبِي بَكْرٍ » مَكَانَهُ فِي الْمُلْكِ بِمَهْدٍ مِنْ أَبِيهِ . مِنْ إِنْشَاءِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ بْنِ الْبَارْبَنْدَارِيِّ ، بَعْدَ التَّحْزِينَةِ بِأَيَّامِهِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، وَهِيَ :

وَيُنَبِّئِي وَرُودَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ ، بِتَضَمُّنِ أَمْرِ الْمَصَابِ الَّذِي كَادَتْ لَوْقُوعِهِ الْأَرْضُ تَتَزَلُّزِلُ بِأَهْلِهَا ، وَالْمَقُولُ تَتَزَلُّزِلُ عَنْ عَمَلِهَا ؛ وَبَلَقَتْ الْقُلُوبُ

الحنّاء، واستوحشت القصور وأستانست المقابر، وتصدّعت له صُورُ السيف  
ورُعُوسُ المنابر، وقصم الظهور، وشيب السود من الشُّعور؛ وجرع كُؤُوسه،  
وصدّع الحوزة المحروسة؛ وذلك بما قدر الله تعالى من انتقال مولانا السلطان السعيد،  
الشهيد؛ والمولانا السلطان - خلد الله ملكه - إلى رحمته ورضوانه: فاجرى الملوكة  
عروض الدُجوع دما، وأقام الإسلام والمسلمون عليه مأتما، وتغير البدر المنير لفقد  
فامسى مظلماً؛ ونذبه الإسلام في سائر تحاريبه ومُصلّاه، وأسف عليه البيت الحرام  
ورُكناه (إنا لله وإنا إليه راجعون): (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، أشرق منها ذلك اليوم كل شيء، ويوم  
قُبِضَ أظلم منها كل شيء؛ وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أثبت الناس يوم  
وفاته صلى الله عليه وسلم، وهو الخليفة من بعده؛ ومولانا السلطان الشهيد - قدس  
الله روحه - كان مُتَشَرِّفاً بِاسْمِ نَبِيِّهِ، ومُتَبَرِّكاً فِي ذُرِّيَّتِهِ الشَّرِيفَةِ بِذِكْرِ سَمِيهِ (١)  
ولو ذابت المهج أسفاً عليه لما أنصفت، وقد أسفت عليه الأمم بأسرها وحق لها  
أن أسفت؛ تبتت لحومنا من صدقاته، وغمرت الملوكة والملك مجزلات هباته؛  
وما نُقِلَ من قصيره إلا إلى جنات النعيم، وما فارق ملكه إلا وبات في جوار  
الله الكريم؛ وكان سُلْطَانَتَا وهو اليوم عند الله سُلْطَانٌ، فسقى الله عهداً صوب  
الرحمة والرضوان.

وبحمد الله قد جُبرِتِ الْقُلُوبُ الْمُتَصَدِّعَةُ بِمِلْوَسِ مولانا السلطان - خلد الله ملكه -  
على نَحْتِ السُّلْطَانَةِ الْمُعْظَمَةِ والله معه، وما جلس على كُرْسِيِّ الْمَلِكِ إِلَّا أَهْلُهُ، ولا قام  
بأمر المسلمين إِلَّا مَنْ هَلِمَ فَضْلُهُ؛ ومولانا السلطان وَاثَرُ الْمَلِكِ النَّاصِرِيِّ الْمَنْصُورِ

حقاً ، والقائمُ بِشأنِ السلطنة غريباً وشرقياً ؛ وخلاصةُ هذا البيت الشريف زاده الله نصراً ، وأدام مُلكَهُ دَوَّامًا مُستَمِرًّا ؛ والعُيونُ الباكِية قد قَرَّتِ الآنَ بهذه البُشرى ، والقلوبُ الناكِلةُ قد مَلِكتْ بهجةً : (لأنَّ معَ العُسرِ يُسرًا) واستقرَّ الإسلامُ بعدَ قلقِهِ ، ونَامَ على جَفَنِهِ بعدَ أرقِهِ ؛ واستقبلتِ الأُمَّةُ عامًا جَدِيدًا ، وسلطانًا مُتصوِّرًا سَعِيدًا ؛ واستبشرت القِبْلَتانِ ، وتناجى بالمِصرةِ الثَّقَلانِ ؛ والَّذينَ كفروا أَمْسَوْا خَائِبِينَ ، والَّذينَ آمَنوا أَحْمَدُوا فَرِحِينَ (هُوَ الَّذِي أَبْلَكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ) ومولانا السلطان هو العريقُ في سلطنة الإسلام ، والإمامُ الأعظمُ ابنُ الإمام ؛ نَقَلَ اللهُ مُلكَهُ مادامَتِ الأيامُ ، وأحسنَ عِزَّائِهِ في خَيْرِ سلطانِ الأَنامِ ؛ وآبَهَلتِ الألسنةُ بالترحمِ على مولانا السلطان الشهيد - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - بِدُمُوعِ سائلِهِ ، وقلوبِ موجوعة بِجراحاتِ النِياحاتِ ثم حوَّضُوا بِالمِمراتِ الكامِلَةِ ؛ والدعاءُ مرفوعٌ لمولانا السلطان - خَلَدَ اللهُ مُلكَهُ - بِرَأٍ وَتَجَرًّا ، والبلادُ مُطمِئِنَّةٌ والسَّاكِرُ على ما يَجِبُ مِنَ التَّسْكِينِ بالطاعةِ الشريفةِ ، والتشريفِ بِإِقْبالِ دَوْلَةِ سُلْطَانِهِمْ ، ووارثِ سُلْطَانِهِمْ ؛ وكانَ المملوكُ يودُّ لو شاهدَ مولانا السلطان - خَلَدَ اللهُ مُلكَهُ - على ذلك السَّيرِ والمِجَرِّ ، وقَبْلَ الأرضِ بينَ يَدَيِ المَوَاقِفِ المَعظَمَةِ والمَقامِ الأَكْبَرِ ؛ إن شاءَ اللهُ تعالى .



وهذه نسخة جَوَّازٍ عن وُرُودِ المِثالِ الشريفِ بِرُكُوبِ السلطانِ بِالْمِيتَانِ ، والإِذْنِ للثَّوَابِ في لَيْلِ الكُوفَةِ ، وهى :

وَيُنْبِى وُرُودَ المِثالِ الشريفِ شَرَفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَمَهُ ، يَتَضَمَّنُ الصَّدَقَةَ الَّتِي أَجَرَتْ أَوَّلِيَّائِهَا عَلَى أَجَلٍ عَادِيٍّ مِنَ الاحْتِقَالِ ، والمَرَاحِمِ الشَّامِلَةِ الَّتِي وَسَّعَتْ لِمَ كَرَمِهَا سَافِرَةً عَنْ أَوْجِهَةِ الإِقْبَالِ ، والبُشرى الَّتِي جَمَعَتْ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَسَرَّاتِ مَا بَلَغَتْهُ



الآمال ؛ وهو أنَّ الرِّكَّابَ الشريفَ اسْتَقَلَّ إِلَى الْمَيْدَانِ السَّعِيدِ تَهَارَ السَّبْتِ فِي كَذَا مِنْ شَهْرٍ كَذَا : فِي أَسْعَدِ طَالِيعٍ ، وَأَيَّامِ وَقْتِ مَطَاوِعٍ ؛ وَفِي الْخِلْمَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ - كَثَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - مَنْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ كَيْمٍ مُقْنَعٌ ، قَدْ لَبَسَ مِنَ الطَّامَةِ بُرْدًا وَبِالْإِخْلَاصِ تَمَرَّعَ ، وَامْتَعَلَ مِنْ فَائِضِ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ صَهْوَةً سَابِقِي قَدْ تَمَرَّ السَّبْقِ ذَيْلًا ، وَفَرَّ كَبْرِيٍّ لَمَعَ لَيْلًا .

وَأَنَّ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - طَلَعَ عَلَيْهِمْ طُلُوعَ الْبَدْرِ عِنْدَ الْكَلَالِ ، وَحَوْلَهُ الْمَسَالِكُ الشَّرِيفَةُ كَالْأَنْجُمِ الزَّاهِرَةِ الَّتِي لَا تُمَدُّ وَلَا تُسَبُّ بِمَثَالٍ ، وَالْحَيَادُ لَا يُرَى لَهَا أَثَرٌ مِنَ الرُّكُضِ ، وَالْكُرَّةُ تَشْرَفُ بِالصُّوبَلِكَيْنِ كَمَا تَشْرَفُ بِالتَّقْيِيلِ الْأَرْضُ ؛ وَعَادَ الرِّكَّابُ الشَّرِيفُ - زَادَهُ اللَّهُ شَرَفًا وَعَظَمَةً - إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ ، إِلَى مَحَلِّ الْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَفِي دَسْتِ السُّلْطَانَةِ الْمُعَظَّمَةِ ؛ عَظُوفًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِطُغْيِهِ (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) .

وَمَا أَقْنَضَتْهُ الْآرَاءُ الشَّرِيفَةُ ، وَالْمَرَاحِمُ الْمُطِيفَةُ ؛ وَاجْتَرَتْ بِهِ إِعْلَامَ الْمُلُوكِ بِذَلِكَ ، وَالْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ - شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَمَهُ - أُنْتُ بِتَقْدِمِ الْمُلُوكِ بِالْأُتْرُولِ إِلَى مَيْدَانِ فَلَانَةِ الْمَهْرُوسَةِ ، وَمَعَهُ مَمَالِكُ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ - خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكَهُ - وَالْأُمَرَاءُ ؛ فَقَابِلِ الْمُلُوكِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ ، بِتَقْيِيلِ الْأَرْضِ وَرَفْعِ الدَّعَوَاتِ ؛ وَجَمَعُوا بَيْنَ الْكُرَّةِ وَالصُّوبَلِكَيْنِ ، وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْمَسْرَاتِ مَا لَا يَحْصُرُهُ بَيَانٌ ؛ وَأَنْبَسَطَتْ نَفُوسُهُمْ إِذَا أَمْبَحُوا فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ ، وَأَتَهَلَّوْا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِدَوَامِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَوْعَّتُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ ؛ وَجَعَلُوا بِالْأَذْيَمَةِ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانَ - خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكَهُ - الَّتِي عَمَّتْ مَوَاهِبُهُ وَفَاقَتْ بِكَارِمِهِ الْمَسَاضِينَ ، وَأَرْبَى عَلَى سَلَفِهِ الشَّرِيفِ بِالْمَعْطَاءِ وَالْمُحْكِنِ ، جَلَّ اللَّهُ أَعْلَانَهُ . تَحَسَّتْ قَهْرُهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة جواب بوقاء النيل المبارك، كتب به عن نائب طرابلس، وهي :

وَيُنْهِى وَرُودَ الْمِثَالِ الشَّرِيفِ - شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ - الَّذِي أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ تَهَانِيهِ، وَتَأَلَّقَتْ بُرُوقُ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ؛ فَبَشَّرَتْ بِفَيْضِ فَضْلِ الرَّحْمَةِ، وَعَمُومِ الرِّعَايَا بِتَوَاتُرِ عَمِيمِ النِّعَمَةِ؛ وَوَقَّاءِ النَّيْلِ الْمُبَارَكِ الَّذِي مَا بَرِحَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ يَنْفِي بِعَمِيدِهِ، وَيَسْلُ سَيْفَ الْخَضْبِ مِنْ غَمْدِهِ، وَيَقْتُلُ الْخَلَّ بِحِمْرَةِ مِثْنِهِ وَجَوْهَرِ حَدِّهِ؛ مُهَيِّئًا لِلْأَوْلِيَاءِ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنَّةً بِالْأَمْنِ وَالرَّخَاءِ، مَسْرُورَةً بِمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ مِنْ تَرَادُفِ الْآلَاءِ وَعُمُومِ النِّعَمَاءِ؛ وَحَالَ مَا وَرَدَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ - شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ - بِأَدْرِ الْمُلُوكِ إِلَى امْتِنَالِ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ بِتَقْيِيلِ الْأَرْضِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَأَخَذَ كُلُّ حَظٍّ مِنْ هَذِهِ الْبُشْرَى، الَّتِي حَمَّتْ تَهَانِيَهَا بِرَأْسِهَا وَبِحِمَايَةِهَا؛ وَجَعَلَتْ أُمُورَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَتِمُّنَ بِرَكَّةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ بِمَدِّ عُسْرٍ يُشْمَرُ؛ وَقَدْ عَادَ فُلَانُ الْبَرِيدِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِالْجَوَابِ الشَّرِيفِ، طَالَعَ بِذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



آخر في المعنى :

وَيُنْهِى وَرُودَ الْمِثَالِ الشَّرِيفِ زَادَهُ اللَّهُ طَوْلًا وَشَرَفًا، وَبَيَّضَ لَهُ فِي الْقِيَامَةِ مُحْضًا؛ يَتَضَمَّنُ أَنْوَاعَ الْإِنْعَامِ الْجَزِيلِ، وَإِبْدَاءَ آثَارِ الْمُرُورِ بِمَا يَسَّرَ اللَّهُ مِنْ وَقَّاءِ النَّيْلِ؛ فَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُ تَهَانِيهِ، وَتَأَلَّقَتْ بُرُوقُ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ؛ فَبَشَّرَتْ بِفَيْضِ فَضْلِ الرَّحْمَةِ، وَعَمُومِ الرِّعَايَا بِتَوَاتُرِ عَمُومِ النِّعَمَةِ؛ إِذْ جَاءَ مُجِيَّاهُ فِي هَذَا الْعَامِ طَلْقًا، وَسَلَّكَ فِي عَوَائِدِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ طَرِيقًا؛ وَإِذْ بَلَغَ الْمَرَامَ وَالْمُرَادَ، وَكُتِبَ سَدُّ خَلِيجِهِ جَبْرًا لِلْعِبَادِ

وبالبلاد ؛ حيث ملأ الأرض ريباً ، وأهدى من قهجات الأئمن والمن ريباً ؛ والمرسوم الشريف - شرّفه الله وعظّمه - بأن لا يُجْهِى على ذلك حقّ بشاره ، ولا يتعرّض إلى أحد بحساره ؛ فقابل المملوك المثال الشريف والمرسوم الشريف بتقيل الأرض والسّمج والطاعة ، وبأدّر المملوك إلى إذاعة هذه البشري ، التي عمتّ تهايتها برأ وبحراً ؛ وجعلت أمور هذه الأمة يُنن بركة هذه الأيام الشريفة بعد ضمير يسرا ؛ وأستنطق الأليسة بالدعاء لهذه الدولة القاهرة ، وجلاً وتلاً صور المتأه وسور الآلاء بهذه النعمة الوافية والمينة الوافره ؛ وسأل الله تعالى أن يُخلّد مُلك مولانا السلطان ، ويوالي أنباء البشائر في أيامه الشريفة مروية بالأسانيد الحسان ؛ وقد عاد فلان البريدي بالأبواب الشريفة شرّفها الله تعالى وعظّمها - بهذا الجواب الشريف ، وقد حان إنبال أهل هذه المملكة القلانية بالدعاء بدوام هذه الأيام الزاهرة السّارة بهذه البشائر بخلوها من الكلف والخسارة ، طالع بذلك . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة جواب عن مثال شريف بوصول قوس إنعام ، كُتِب به عن نائب طرابلس ، وهي :

يُقبل الأرض وينهى ورود المرسوم الشريف أعلاه الله تعالى وشرّفه ، يتضمن ما اقتضته الآراء الشريفة من الخير التأم ، والإنعام العام ، والصدقة الوافية الوافرة الأقسام ؛ التي ما برحت ممالك هذه الدولة الشريفة في إنعامها العميم سّقلب ، والخيّل السّوابق بسعادتها الأبدية مُجلب ومُجنب ومُركب : من تجهيز الحصان البرقي بسرجه ولجامه ومُدته الكاملة ، ومُثول المملوك بالصدقات التي ما برحت مُترادفة متواصلة ، ولعبد هذا البيت الشريف شامله ؛ وقبل المملوك الأرض وقبل حوافره ، وأعدت

هذه النعمة الباطنة والظاهرة؛ وأعدّه ليومى تجلّ وجّهه، وإقائه عندو وطّراد؛ والله تعالى يُخلّد هذه المصنّفات الشريفة التي ما برحت تشمل القريب والبعيد، والموتى من أولياء هذه الدولة الشريفة والسعيد؛ طالع بذلك، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة جَوَابٍ عن وُصُولِ خَيْلٍ من الإِنعام السُّلْطَانِيّ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ .

وَيُنْهِى وُصُولَ مَا أُنْتَمَ بِهِ مِنْ الْخَيْلِ الَّتِي وَجَدَ الْخَيْرُ فَوَاصِيَهَا، وَتُخَذُّ صَهَوَاتُهَا حُصُونًا يَتَصَحَّمُ فِي الْوَعْدِ بِصِيَابِهَا .

فَمِنْ أَشْهَبَ غَطَاهُ النَّهَارُ بِحُلَّتِهِ، وَأَوْطَاهُ اللَّيْلُ عَلَى أَهْلَتِهِ؛ يَتَخَوَّجُ أَدِيمُهُ رِيًّا، وَيَتَارَجُ رِيًّا، وَيَقُولُ مَنْ أَسْتَقْبَلَهُ فِي حُلِّيِّ لِحْيَاهِ : هَذَا الْفَجْرُ قَدْ طَلَعَ بِالرُّيَّا؛ إِنْ أَنْفَلَتْ فِي الْمَضَابِقِ أَنْسَابَ أَنْسَابِ الْأَيِّمِ، وَإِنْ أَفْرَجْتَ الْمَسَالِكُ مَرَّ مُرُورِ الْغَيْمِ؛ كَمْ أَبْصَرَ فَارِسُهُ يَوْمًا أبيضَ بَطْلَمَتِهِ، وَكَمْ عَايَنَ [طَرْفَ] السَّيَّانِ مَقَاتِلَ الْعَدُوِّ فِي ظِلَامِ النَّعِيمِ بَنُورِ أَشْعَتِهِ؛ لَا يَسْتَنُّ دَاحِسٌ فِي مِضَاهِهِ، وَلَا تَطْمَعُ الْغَبْرَاءُ فِي شَقِّ غُبَارِهِ، وَلَا يَطْفُرُ لِأَحَقِّ مِنْ خَلْقِهِ بَسْوَى أَثَارِهِ؛ مُسَابِقِي يَدَاهُ مَرَامِي طَرْفِهِ، وَيُذْرِكُ شَوَارِدَ الْبُرُوقِ ثَانِيًا مِنْ [حُطْفِهِ] .

وَمَنْ أَحَدَهُمْ حَالِكِ الْأَدِيمِ، حَالِي الشَّيْكِمْ، لَهُ مُقَلَّةٌ غَائِبَةٌ وَسَالِفَةٌ رِيمٌ؛ قَدْ أَلْسَهُ اللَّيْلُ بُرْدَهُ، وَأَطْلَعَ يَنْ عَيْنَيْهِ سَعْدَهُ؛ يَطُنُّ مَنْ تَقَطَّرَ إِلَى سَوَادِ طَرْفِهِ، وَيَبَاضُ مُجْجُولُهُ

(١) في "حسن التوسل" (ص ٩٩) «وَأَخَذَتْ» .

(٢) في "حسن التوسل" (ص ٩٩) «أَنْفَلَتْ الْمَضَابِقُ» وهي أوضح .

(٣) يَبَاضُ بِالْأَصْلِ وَالصَّحِيحُ مِنْ "حَسَنِ التَّوَسُّلِ" (ص ٩٩) .

وَعُرَّتْهُ ؛ أَنَّهُ تَوَهَّمُ النَّهَارَ نَهْرًا نَقَضَهُ ، وَأَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ قُطْعَةً مِنْ رَشَاشِ تِلْكَ الْخَفَاضَةِ ؛  
لَيْتَ الْأَعْطَافَ ، سَرِيعُ الْأَعْطَافِ ؛ يُقْبِلُ كَالثَّلِثِ ، وَيَمْرُجُ بِخُطْمِهِ <sup>(١)</sup> [صَحْرًا] حَطَّهُ السَّيْلُ ؛  
يَكَادُ يَسْبِقُ ظِلَّهُ ، وَمَتَى جَارَى السَّهْمَ إِلَى غَرَضٍ بَلَّغَهُ قَبْلَهُ .

وَمِنْ أَشَقَرِ : وَشَاءَ الْبَرْقُ بَلَهِيهِ ، وَغَشَّاهُ الْأَصْبَلُ بَلَهِيهِ ؛ يَتَوَجَّسُّ مَالِدِيهِ بِدَقِيقَتَيْنِ ،  
وَيَنْفُضُ وَفَرْثِيهِ عَنْ حَقِيقَتَيْنِ ، وَيَتَرَلَّ حِمَارًا لِحَامِهِ مِنْ سَالَفَتَيْهِ عَلَى شَقِيقَتَيْنِ ؛ لَهُ مِنْ  
الرَّاحِ لَوْنُهَا ، وَمِنْ الرِّيَاحِ لِيُنْهَا ؛ إِنْ جَرَى فَبَرْقُ حَقَقَ ، وَإِنْ أَسْرَعَ فَهَلَالٌ عَلَى شَقَقِ ؛  
لَوْ أَذْرَكَ أَوَائِلَ حَرْبٍ بَنَى وَأَوَائِلَ لَمْ يَكُنْ لِلْوَجْهِ وَجَاهَهُ ، وَلَا لِلْعَامَةِ نَبَاهَهُ ، وَلَكَانَ  
تَرَكُ إِظَارَةً [مَسَكَابٍ لَوْ مَا وَمَحْرِمٌ يَبِيعُهَا سَفَاهَةً] <sup>(٢)</sup> يَرْكُضُ مَاوِجِدَ أَرْضًا ، وَإِذَا احْتَرَضَ  
بِهِ رَاكِبُهُ بِهَرَا وَتَبَّ عَرْضًا .

وَمِنْ عُثِيَّتٍ نَهْدٌ ، كَأَنَّ رَاكِبَهُ فِي مَهْدٍ ؛ حَنْدِيَّ الْإِهَابِ ، شِمَالِي الدَّهَابِ ؛ يَزِلُّ  
[الغلام] الْخِلْفَ عَنْ صَهَوَاتِهِ ، وَكَأَنَّ تَمَّ الْغَرِيزِ وَمَعْبِدٍ فِي لَهَوَاتِهِ ؛ قَصِيرُ الْمَطَا ،  
فَسِيحُ الْخِلْفَا ؛ إِنْ رَكِبَ لَصَبِيدَ قَبْدِ الْأَوَابِدِ ، وَأَعْجَلَ عَنْ الْوُثُوبِ الْوَحْشِ الْوَابِدِ ؛  
وَإِنْ جُنِبَ إِلَى حَرْبٍ لَمْ يَزُودَ مِنْ وَقْعِ الْقِتَا بَلْبَانِهِ ، وَلَمْ يَشْكُ لَوْ لَمْ يَلْسَانِهِ ،  
وَلَمْ يُرْدُونَ بُلُوغِ الْغَايَةِ سَوَى ظَلْفَرِ رَاكِبِهِ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ ؛ وَإِنْ سَارَ فِي سَهْلٍ اخْتَالَ  
بَصَاحِيهِ كَالثَّلِثِ ، وَإِنْ أَصْعَدَ فِي جَبَلٍ طَارَ فِي عِقَابِهِ كَالْعُقَابِ وَأَتَحَطَّ فِي جَلَابِيهِ

(١) يباحض بالأبجل ، والصحيح من "حسن التوسل" (ص ٩٩) .

(٢) في "حسن التوسل" "يتوغلش" .

(٣) يباحض بالأبجل ، والصحيح من "حسن التوسل" .

(٤) الزيادة عن "حسن التوسل" .

(٥) في الأصل "ويقبل" والصحيح من "حسن التوسل" .

(٦) في الأصل "سريع" والصحيح من "حسن التوسل" .

كالْوَقُوفِ ؛ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَمَهَّلْ ، وَمَتَى أَرَادَ الْبَرْقُ جُجَارَاتَهُ قَالَ لَهُ الْوُقُوفُ  
عند قَلْبِهِ : مَا نَتَّ هُنَاكَ تَمَهَّلْ .

وَمِنْ حَبِثِي أَصْفَرُ رُوقِ الْعَيْنِ ، وَيُسَوِّقُ الْقَلْبَ بِمِثَابِهِ الْعَيْنِ ؛ كَأَنَّ الشَّمْسَ  
الْقَتَّ عَلَيْهِ مِنْ أَشْعَتِهَا جِلَالًا ، وَكَأَنَّهُ تَقَرَّرَ مِنَ الدُّجَى فَأَعْتَقَ مِنْهُ عُرْفًا وَأَعْتَلَقَ أَجْمَلًا ؛  
ذِي كَقَلِّ يَزِينُ مَرْجَهَ ، وَذَلِيلُ يَسُدُّ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهُ مِنْهُ قَرْجَهَ ؛ قَدْ أَطْلَعَتْهُ الرِّيَاضَةُ  
عَلَى مُرَادِ قَارِيَسِهَ ، وَأَغْنَاهُ نُضَارُ لَوْنِهِ وَنَضَارَتُهُ عَنْ تَرْصِيعِ قَلَائِدِهِ وَتَوْشِيعِ مَلَابِسِهِ ؛  
لَهُ مِنَ الْبَرْقِ خِفَّةٌ وَطَلَبُهُ وَخَطْفُهُ ، وَمِنْ النَّسِيمِ لِينٌ مُرَوِّدُهُ <sup>(١)</sup> وَطَفْهُ ، وَمِنْ الرِّيحِ هَزْزُهَا  
إِذَا مَا جَرَى شَاوِيْنِ وَأَبْتَلَّ عَطْفُهُ ؛ يَطْلُبُ بِالْفَمِزِ ، وَيُنْزِكُ بِالرِّيَاضَةِ مَوَاقِعَ الرَّمْزِ ،  
وَيَعْدُو كَأَلْفِ الْوَصْلِ فِي اسْتَفْنَاءِ مِثْلِهَا عَنِ الْهَمَزِ .

وَمِنْ أَخْضَرَ حَكَاةً مِنَ الرُّوِضِ تَقْوِيْفُهُ ، وَمِنْ الْوُثْيِ تَقْسِيمُهُ وَتَأْلِيْفُهُ ؛ قَدْ بَسَّاهُ  
النَّهَارُ وَاللَّيْلُ حَتَّى وَقَارِ وَسَنًا ، وَاجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ ضِدَانٍ لَمَّا اسْتَجْمَعَا  
حَسَنًا ؛ وَمِنْهُ الْبَازِي حُلَّةٌ وَشِيْهِ ، وَتَحْتَهُ الرِّيَّاحُ وَنَسَاجَتُهَا قُوَّةٌ رَكْنِيَّةٌ وَخِفَّةٌ مَشِيْهِ ؛  
يُعْطِيكَ أَفَاقِيْنَ الْجَزْرى قَبْلَ سَوَالِهِ ، وَلَمَّا لَمْ يُسَاقِئْهُ شَيْءٌ مِنَ الْخَلِيلِ أَغْرَاهُ حُبُّ الظَّفَرِ  
بِمُسَاقَاةِ خَيَالِهِ ؛ كَأَنَّهُ [تَهَارِيْقُ] <sup>(٢)</sup> شَيْبٍ فِي سَوَادِ عَذَارٍ ، أَوْ طَلَّاسِيعُ جَرَّ خَالِطٍ بَيَاضِهِ  
الدُّجَى ، فَمَا سَجَى ، وَمَازَجَ ظِلَالَتَهُ النَّهَارَ ، فَمَا أَنَارَ ؛ يَحْتَالُ لِمُشَارَكَةِ أَسْمِ الْجَزْرى بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ الْمَاءِ فِي السَّيْرِ كَالسَّيْلِ ، وَيُثَلُّ بِسَيْفِهِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُشْتَرِكِ بَيْنَ الْبَرْقِ وَالْوَقُوفِ

(١) فِي الْأَصْلِ « الْعَيْنِ » وَالتَّصْحِيْحُ « حَسَنِ الْوَسْلِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ « طَرَوْهُ » وَالتَّصْحِيْحُ « » .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ « حَسَنِ الْوَسْلِ » .

وبين التبرقية من الخليل ؛ ويكتب [المتأنيب<sup>(١)</sup>] لتولد الإيمان فيه بين إضاءة النهار  
وعلمة الليل .

ومن أبقى ظهره حرم ، وجره صرم ؛ إن قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها  
عدم ، وإن صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما تريد الكف  
والقدم ؛ قد طابق الحسن البديع بين ضدى لونه ، ودلت على اجتماع التقيضين مله  
كونه ؛ وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار ، وأخذ وصف خلق الدنيا  
في حاتى الإبدار والسرار ؛ لا تكلم من كنه ، ولا يضل في سمجرات الجيوش راكمه ،  
ولا يحتاج ليله المشرق بمجاورة نهاره إلى أن تسترسل فيه كواكبه ، ولا يحاربه الخليل  
فضلاً عن الخليل ، ولا يمل الشرى إلا إذا مله مشبهاه : النهار والليل ؛ ولا تمسك البروق  
الأمواج من لحافه بسوى الآخر فإن جهلت فبالليل ؛ فهو الأبقى الفرد ، والجواد  
الذى تحاربه الكس وله العرد ؛ قد أغتته شهرة نوعه في جنسه عن الأوصاف ،  
وطل بالرياح عن مبرراته لسلوكمها له في الاعتراف جادة الإنصاف .

تقرى المملوك إلى رب العز من ظهورها ، وأعتها لخطبة الحنان إذ الجهاد عليها  
من أنفس مهورها ، ويكلف برؤوسها فكلها أكمله عاد ، وكلما أمله شرة إليه فلوانه  
زيد الخليل لما زاد ؛ ورأى من آتائها مادل على أنها من أشكر الأصائل ، وعلم أنها  
ليوى سابه وحره جنة الصائد وجنة الصائل ؛ وقابل إحسان مهلبها بثأته ودعائه ،

(١) يباض بالاصل ، والصحيح عن "حسن التوسل" (ص ١٠٠) .

(٢) كما في "حسن التوسل" وفي الأصل «زيد البحر والخليل» .

(٣) كما في "حسن التوسل" وفي الأصل «جدة لصال وجة لصال» .

(٤) في الأصل «الصدقات الشريفة» والصحيح عن "حسن التوسل" (ص ١٠٠) .

وَأَعَدَّهَا فِي الْجِهَادِ لِمُقَارَعَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَّائِهِ [وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُهُ الَّذِي أَفْرَدَهُ فِي النَّدَى بِمَذَاهِبِهِ، وَجَعَلَ الصَّافِيَّاتِ الْجِيَادَ مِنْ بَعْضِ مَوَاهِبِهِ] <sup>(١)</sup>.

## المهيع الثاني

( من مقاصد المكاتبات السلطانية ما يُكْتَبُ بِهِ عَنْ نُوَّابِ

السلطان والاتباع إِلَى السُّلْطَانِ أَبْتِدَاءً )

وهو على أنواع كثيرة، نذكر منها ما يَسْتَعْنَى بِهِ الْكَاتِبُ فِي مِثْلِهِ .

فمن ذلك ما يُكْتَبُ عَنْ نَائِبِ كُلِّ مَمْلَكَةٍ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَحَلِّ وَلَايَتِهِ .

فقد جرت العادة أَنَّ النَّائِبَ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ وَمَقَرِّ وَلَايَتِهِ، تَكْتُبُ إِلَى السُّلْطَانِ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ وَيَمَّا الْمَمْلَكَةَ عَلَيْهِ .

وهذه نسخة مَكْتُوبَةٍ مِنْ ذَلِكَ، كُتِبَ بِهَا عَنْ نَائِبِ حَلَبَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، وَهِيَ :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى أَنْ الْمُلُوكَ وَصَلَ إِلَى الْمَمْلَكَةِ الْفُلَانِيَةِ الْمَرْسُوسَةِ، وَحَلَّ مَحَلَّهَا الْمَأْنُوسَةِ ؛ الَّتِي شَمِلَتْهُ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِكَفَالَتِهَا، وَأَهْلَتْهُ الْمَرَاحِمُ الْمُنِيفَةُ لِإِيَّاتِهَا ؛ رَافِلًا فِي حُلِّ الْإِتْعَامِ الشَّرِيفِ . مُتَقِيًا ظِلَّ الْعِزِّ الْوَرِيفِ ؛ مُحِبَّةً فُلَانٍ مُسْفِرِهِ ، وَدَخَلَهَا يَوْمَ كَذَا مِنْ شَهْرٍ كَذَا لَا يَسَا تُشْرِفُهُ الشَّرِيفُ الْمُنَمَّ بِهِ عَلَيْهِ ، مَا شِئًا لِمَحَلِّ الْكِرَامَةِ الَّذِي سَارَ إِلَيْهِ ؛ [ بِمَحْضُورٍ مِنْ جُورَتِ الْعَادَةِ بِمَحْضُورِهِ ] <sup>(٢)</sup> مِنْ قَضَاةِ الْقَضَاةِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْجُنَّابِ ، وَالْعَمَّاكِرِ الْمَنْصُورَةِ وَالْأَصْحَابِ ؛ عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْمَلِ

(١) الزيادة من "حسن التوسل" (ص ١٠٠) .

(٢) الزيادة مأخوذة من نسخة الكتاب التالية وهي من سقط النسخ .



القَوَاعِدِ؛ وَقَبْلَ الْأَرْضِ بِيَابَ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَدَخَلَ دَارَ الْعَدْلِ الشَّرِيفِ وَقَطُوفُ  
الْأَمَانِ لَهُ مَهْصُورُهُ، وَقُرِئَ بِهَا بِمَحْضَرَةِ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ تَقْلِيدُهُ، وَعَظَّمَ الْمُرَاسِمَ الشَّرِيفَةَ  
تَأْيِيدُهُ، وَتَصَدَّى لِمَا نَصَبَتْهُ لَهُ الْمُرَاسِمُ الشَّرِيفَةُ مِنْ إِنْصَافِ الْمَظْلُومِ، وَتَنْفِذِ كُلِّ مِثْمٍ  
شَرِيفٍ وَمَرْسُومٍ، وَتَصَفِّحَ أَحْوَالِ الْمَمْلُوكَةِ، وَسَلَكَ كُلَّ أَحَدٍ مَسْلَكَهَ؛ وَأَسْتَجْلَبَتْ  
الْأَدْمِيَّةُ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَاجْتَهَدَ فِي حِيَاطَةِ الْبِلَادِ مَنْ يَمْدُ إِلَيْهِ شَيْطَانُ الْمُفْسِدِينَ  
بِأَسْطَانٍ، وَأَنْتَظَمَ لَهُ أَمْرَ الْمَمْلُوكَةِ بِالْمَهَابَةِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ أَنْتَظَامٍ، وَبَلَغَ بِهِ كُلَّ وَلِيٍّ  
مِنْ قَهْرِ الْعُدُوِّ غَايَةَ الْمَرَامِ؛ وَقَدْ أَعَادَ الْمَمْلُوكُ فَلَانًا مُسَقَّرَهُ إِلَى خِدْمَةِ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ  
مُزَارِحَ الْأَعْدَارِ، مُبْلَغَ الْأَوْطَارِ؛ عَلَى الْعَادَةِ - طَالِعَ بِذَلِكَ - وَلَا زَالَ مِنْهُ مَزِيدُ الشَّرَفِ  
وَالْمُلُوكِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . . .



وهذه نسخة كتاب في المعنى إلى الأبواب السلطانية عن نائب طرابلس، وهي :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَنْهَى أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى طَرَابُلُسَ الْمَحْرُوسَةِ مَغْمُورًا بِالصَّدَقَاتِ  
الشَّرِيفَةِ، وَالْإِمَامَاتِ الْمُطِيقَةِ؛ مُجِبَّةَ عَمَلُوكَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانَ خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى  
مُلْكَهُ، وَأَلَيْسَ تَشْرِيفُهُ الشَّرِيفِ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ الشَّرِيفُ بِدَارِ الْعَدْلِ، وَقَبْلَ الْأَرْضِ  
مِرَارًا عَلَى الْعَادَةِ . وَتَقَدَّمَ الْمَمْلُوكُ بِالْحَافِيفِ الشَّرِيفِ عَلَى النُّسَخَةِ الْمُجَهَّزَةِ مُجِبَّةَ الْكُشَارِ  
إِلَيْهِ مِنَ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ عَظَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى؛ بِمَحْضَرٍ مَنْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِمَحْضَرِهِ :  
مِنْ قَضَايَةِ الْقَضَايَةِ وَالْأَمْرَاءِ، وَكَتَبَ خَطَّهُ عَلَيْهَا؛ وَأَنْتَصَبَ الْمَمْلُوكُ لِحُلَاسِ الْحَقُوقِ،  
وِإِزَالَةِ الْمَظَالِمِ؛ وَتَشَرُّوَاهُ الْعَدْلَ الشَّرِيفِ، لِيَتَّصِفَ الْمَشْرُوفُ مِنَ الشَّرِيفِ،  
وَيَتَزَيَّرَ الْقَوِيُّ عَنِ الضَّعِيفِ؛ وَأَتْبَاعَ الْحَقِّ فِي الْقَضَايَا، وَأَسْتَجْلَبَ الْأَدْمِيَّةَ بِدَوَامِ  
هَذِهِ النُّوَلَةِ الْعَادِلَةِ مِنَ الرِّطَايَا؛ وَرَتَّبَ أُمُورَ الْأَزَاكِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى أَكْمَلِ طَاعَةٍ وَأَجْمَلِ

قاعدة؛ وقد عاد فلان إلى الأبواب الشريفة، شرفها الله تعالى وعظمها، لينهى بين يدي الأيادي المظلمة مآلئنه من الملوك من إخلاصه في الطاعة الشريفة ومغالاته. طالع بذلك. إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك ما يكتب به في التهنئة بالخلافة :

أما التهنئة بالخلافة، فقد قال في "مواد البيان" : من الأدب المستفيض ترفية الخلفاء عن الهناء والعزاء، إنجاراً لهم وتعظيماً. إلا أننا رأينا ذوي الأخطار من القدماء قد شاقهونهم بالعزاء مُسلمين، وبالهناء داصين؛ وربما دُفِعَ الكاتب إلى محبة رئيس يقتضى محله أن يُعَيَّنَ الخليفة بمتجدد النعم لديه، ويمزيه لمتطرق النوايب إليه؛ فاحتجج إلى أنب يُرسم في هناء الخلفاء وعزائهم ما يُحتدئ عليه، عند الحاجة إلى استعمال مثله.

وهذه نسخة تهنئة بالخلافة، أوردها في "مواد البيان" وهي :

أولى النعم - خلد الله ملك مولانا أمير المؤمنين - بأن تنطق بها ألسن الدارين بضوء عطرها، وتتناقلها أفواه الشاكرين بفوح نشرها - نعمة إيلانه في خلافتيه التي جعلها ذخراً للأنام، وعصمة للإسلام، وحاجزاً بين الحلال والحرام؛ وقواماً للاختلاف والائتفاق، وزمماً عن الاختلاف والافتراق؛ ونظاماً لصلاح الخلاصة والعامه، وسبيلاً إلى اجتبايح الكلمة وسكون الأمة؛ وسبباً لحقن الدماء، ودعة الدماء، ومجاهدة الأعداء؛ وإقامة الصلوات، وإيتاء الزكوات؛ والعمل بالفرائض والسُنن، وحسبم البِدع والفتن؛ وعذيقها بالأخيار ورنه نبيه ومقرته، والأبرار الطهورة من أرومة رسوله وتجرته؛ الذين نصبهم دُعاة إلى طاعته، وهداة لبريئته، وأعلاماً لشريعته؛ يأمرون بالمعروف ويأثمرون، ويتهون عن المنكر ويتهون، ويقضون

بالحق وبه يسدلون ، وكلمنا لحق منهم سلف بقر أوليته ، أقام خلفا يختصه بانتخابه  
وتكريمه .

والحمد لله الذي قصر خلافته على أمير المؤمنين وآبائه ، وجعل منهم الماضي الذي  
كانت مفوضة إليه ، والآتي الذي أقرت عليه ، وأنجز لهم ما وعدتهم من إبقاء الإمامه ،  
في عقيم إلى يوم القيامة ، واستخلص لها في عصرنا هذا وليا الحايي حقيقها ،  
المراعى عن حوزتها ، المميز لکلماتها ، الرافع لرايتها ، المحدث لحديثها ، الحافظ لمقودها ،  
وسلم قوسا منه إلى باريها ، وأطاعها بكفها وكافيا ، وأفضى إليه بشرف الولادة  
والأبوة ، وميراث الإمامة والنبوة ، وألف به بين القلوب الآتية ، وجمع عليه الغوس  
النائية ، وأحقت الآراء بعد تباينها وتنافها ، وتطابقت الأهواء على اختلافها وتساها ،  
وأستنتت ثلثة الدين بعد اشتغالها ، وأطمانت الدماء بعد تقارها ، حمدا يكون لنعمة  
كفاه ، ولموهبته جزاء .

وخلافة الله وإن كانت الغاية التي لا تخرج المهيم إليها ، ولا تتطالع الأمانى عليها ؛  
لاختصاص الله بها صفوته من برئته ، وخالصته من أهل بيت نبيه وعترته ، فإن أمير  
المؤمنين يتعظم عن تهنگته بوصولها إليه ، وسبوغ ملابسها عليه ؛ إذ لا يسوغ أن يهنا  
بإدراك ما كتب الله له أن يدركه بأقلام الأقدار ، على صبغات الليل والنهار ، والعبء  
يسأل الله تعالى ضارعا إليه في إناهض أمير المؤمنين بما حمّله وكلفه ، وتوفيقه فيما  
كفّله وأسخطفه ؛ وأن يمكن له في الأرض ، ويُسلي يده بالسط والقبض ، ويمتد يده  
السلطان ، وعلو الشأن ، وظهور الأولياء ، وتبور الأعداء ؛ وإعزاز الدين ، وإبناز  
الملاحدين ؛ وتقوية يده في نصره الإسلام ، وسياسة الأمام ، ويعرف رعيته من بين  
دوئته وسعادة ولايته ، ما يجمعهم على الطاعة والمواظقة ، ويعصمهم من المعصية والمفارقة ؛

وَيُوقِّعُهُم مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي مَوَآلَاتِهِ، لِمَا يُوقِّرُ حَظَّهُمْ مِنْ مَرْضَاتِهِ؛ وَيَجْعَلُ وَلَايَتَهُ هَذِهِ مَقْرُونَةً بِاتِّسَاحِ الْمُدَّةِ وَالْأَجَلِ، وَيُلَوِّغُ الْمُنَى وَالْأَمَلَ، وَصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَيُيَلِّنُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ وَدَوْلَتِهِ أَفْضَلَ مَا بَلَّغَهُ خَلِيفَتُهُ مِنْ خُلَفَائِهِ، وَوَلِيَّاهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ .

ومن ذلك ما يكتب في الإشارة بالفتوح .

قد جرت العادة أن السلطان إذا وجه جيشاً لفتح قلعة أو قُطْرٍ من الأقطار وحصل الفتح على يديه أن يكتب إلى السلطان مبشراً بذلك الفتح، مُنَوِّهاً بقدْرِهِ، معظماً لأمرِهِ؛ وما كان فيه : من عزِّزِ النَّصْرِ وَقُوَّةِ الظَّفَرِ .

(١) [لن مكاتبه في البشارة بفتح حصين المرقب، وهي] :

قد أسفر عن الفتح المبين صباهُ، والتأييد وقد طار به مُحَلِّقُ الباشير  
نَحَقَّقَ فِي الْخَائِفِينَ جَنَاحَهُ؛ وَالْإِسْلَامَ وَقَدْ وُطِّعَ هَامَةُ الْكُفْرِ بِمَقْدَمِهِ، وَالَّذِينَ وَقَدْ  
عَزَّ بِفَتْكَاتِ سَيْفِهِ الْمُنْتَصِرِ فَأَنْفَ أَنْ يَكُونَ الشُّرْكَ مِنْ خَدَمِهِ؛ وَالْأَفْلَاكُ وَقَدْ  
عَلِمَتْ أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ الْقَرِيبَ كَانَ أَجْتِمَاعُ كَوَاكِبِهَا، وَالْأَمْلَاكُ وَقَدْ تَزَلَّتْ لِنَشْهَدَ  
أَحْمَدَ النَّصْرَةَ الْبَدْرِيَّةَ فِي صُفُوفِهَا وَمَوَازِيحِهَا؛ وَحَصِينَ الْمَرْقَبِ وَقَدْ أَلْقَتْ عَلَيْهِ الْمِلَّةُ  
الْإِسْلَامِيَّةَ أَشْعَةً سَعِيدَةً، وَأَتَجَمَّزَتْ لَهُ الْأَيَّامُ مِنَ الشَّرَفِ بِهَا آمَالُهُ بَعْدَ مَا طَالَ أَنْتَظَارُهُ  
لَوْعِدِهَا، وَأَمَّتْهُ الْأَهْدَارُ الَّتِي ذَلَّلَتْهُ لِلْإِسْلَامِ أَنْ تَطَاوَلَ إِلَيْهِ الْحَوَادِثُ مِنْ بَعْدِهَا؛  
وَقَدْ أَحَاطَتْ الْعُلُومُ بِأَنَّ هَذَا الْحِصْنَ طَالَمَا تَحْتِ الْأَحْلَامَ، أَنَّ مُجَلِّدَ فَتْحِهِ لَنْ  
سَلَفَ مِنَ الْأَنَامِ؛ فَمَا حَدَّثَتِ الْمُلُوكُ أَقْصَمَهَا بِقَصِيدِهِ إِلَّا وَتَنَاهَا أَتَجَلَّ، وَلَا خَطْبَتَهُ بَيِّنُ

(١) لم يذكر المؤلف عنواناً لهذه المكاتب، فلذلك عنايتها بحسب ما يجتضيه المقام ليشتم الكلام .  
وقد بحثنا عن هذه المكاتب في الكتب التي بأيدينا فلم ننته إليها، غير أن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي  
قد ذكر قرارات منها في "حسن التوسل" (ص ١٠١) .

النَّفَاسِ وَالْقُفُوسِ إِلَّا وَكَانَتْ مِنَ الْحَرَمَانِ عَلَى نَقَّةٍ وَمِنْ مُعَاجِلَةِ الْأَجَلِ وَقَدْ عَلَّ رَجَلَ  
وَحَوْلَهُ مِنَ الْجِبَالِ كُلِّ شَاخٍ تَتَبَّعُ عَقَابُ الْجَوِّ قَطْعَ عِقَابِهِ ، وَيَقِفُ الرِّيحُ خَدَمًا  
دُونَ التَّوْقِيلِ فِي هِضَابِهِ ؛ [ وَحَوْلَهُ مِنْ ] الْأَوْدِيَةِ خَنَادِقُ لَا تُعْلَمُ مِنْهَا الشُّهُورُ إِلَّا بِأَنْصَافِهَا ،  
وَلَا تُعْرَفُ فِيهَا الْأَهْلَةُ إِلَّا بِأَوْصَافِهَا ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ تَقَرَّرَ بِالنُّجُومِ ، وَتَقَرَّرَقَ  
بِالْقِيُومِ ، وَبِمَا فَرَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَرَسَا أَصْلُهُ فِي التُّخُومِ ؛ تُخَالُ الشَّمْسُ إِذَا عَلَتْ أَنَّهَا  
تَنْتَقِلُ فِي أَبْرَاجِهِ ، وَيُظَنُّ مَنْ سَمَّا إِلَى السَّمَاءِ أَنَّهُ ذُبَابَةٌ فِي سِرَاجِهِ ؛ فَكَمْ مِنْ ذِي جُبُوشٍ  
قَدْ مَاتَ وَفُصِّصَ ، وَذِي سَطَوَاتٍ أَعْمَلُ الْحِيلَ فَلَمْ يَقْضَ مِنْ نَظَرِهِ عَلَى الْبُعْدِ وَفُرْصَةً ؛  
لَا يَعْلَمُوهُ مِنْ مَسْئِىِ الطَّيْرِ سِوَى نَمِيرِ الْفَلَكِ وَمِرْزَمِهِ ، وَلَا يَرْمُقُ مُتَبَرِّجَاتِ أَبْرَاجِهِ غَيْرَ  
عَيْنِ تَمَيِّسِهِ وَالْمُقِيلِ الَّتِي تَطْرُقُ مِنَ أَلْمَحِ ؛ وَقَدْ كَانَ نُصِبَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَجَانِيقِ مَا سَهَّاهُ  
أَنْفَعُ مِنْ سِهَامِ الْجَفُونِ ، وَخَطَرَاتُهُ أَسْرَعُ مِنْ لَحَاطَاتِ الْعُيُونِ ؛ لَا يُحَاطَبُ إِلَّا بِوَسَائِلَةِ  
رُسُلِهِ بِضُمِيرِ الطَّلَابِ ، وَلَا يُرَى لِسَانُ سَهْمِهِ إِلَّا كَمَا تُرَى خَطَفَاتُ الْبَرْقِ إِذَا تَأَلَّقَ  
فِي طُلُوعِ السَّحَابِ ؛ فَزَلَّتْ عَلَيْهِ الْجُبُوشُ نُزُولَ الْقَضَاءِ ، وَصَدَمَتْهُ بِهِمَمُهَا الَّتِي تَسْتَعِيرُ  
مِنْهَا الصَّوَارِيمُ مُرَعَةً لِلْمَضَاءِ وَرَوْعَةً لِالْإِقْضَاءِ ؛ فَتَنْظَرُ مِنْهُ حِصْنًا قَدْ زَرَّرَ عَلَيْهِ الْجَوُّ  
جَنِبَ عِشَامِهِ ، وَأَفْتَرَقَفَرَهُ كُلُّ مَا جَذَبَ عَنْهُ الْبَرْقُ فَأَضِلَّ لِشَامِهِ ؛ فَتَذَلَّتْ صِعَابُهُ ،  
وَسَهَلَتْ عِقَابُهُ ؛ وَرَكِبَتْ لِبَنُوبَاتِ (١) فِي سَفِينِهِ وَطَالَمَا رَأَمَتِ الطَّيْرُ أَذْنَاهُ فَلَمْ تَقْوِ عَلَيْهِ  
الْقَوَادِمَ ، وَكَمْ هَمَّتِ الْمَوَاصِفُ بِتَنْمِمْ رُبَاهُ فَأَصْبَحَتْ مُخَلَّقَةً تَبْكِي عَلَيْهَا الْهَامَ ؛ فَضُرِبَ  
بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحِصْنِ بِسُورِ بَاطِنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ، وَنُصِبَتْ فَوْقَهُ  
مِنَ الْأَيْسَنِ قُنُورُ بَرَاقَةِ النَّبَايَا وَلَكِنَّمَا غَيْرَ عَذَابٍ ؛ فَعَادَ ذَلِكَ السَّفْحُ مُصَفَّصًا بِصَفَاحِهَا ،

(١) فِي الْأَصْلِ «فِي الْأَوْدِيَةِ» وَالصَّحِيحُ مِنْ «حَسَنِ التَّوَسُّلِ» .

مُشْرِقًا بِأَعْلَامِ أَسْتَةِ رِمَاحِهَا، فَارْسَلَتْ إِلَى أَرْجَائِهَا مَا أَرْبَى عَلَى النَّعَامِ، وَزَادَ فِي نَعْمَةِ  
عَلَى النَّعَامِ .

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ \* وَمِنْ جُنْثِ الْقَتْلِ عَلَيْهَا نَعَامٌ !

وُنْصِبَتْ عَلَيْهَا الْجَبَانِيَّةُ فَلَمْ تَرَعْ حَقَّ جَنْسِهَا، وَسَعَتْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَ غَدَا فِي النَّحْمَلِ  
أَبَدٌ مِنْ أُنْسِهَا، وَأَسْتَهْضَتْهَا الْعِدَا فَأَعْلَبَتْهُمْ أَنَّهَا لَا تُطِيقُ الدَّفَاعَ عَنْ غَيْرِهَا بَعْدَ أَنْ  
عَجَزَتْ عَنْ نَفْسِهَا، وَبَسَطَتْ أُنْفَهَا أَمَارَةً عَلَى الْإِذْمَانِ، وَرَفَعَتْ أَصَابِعَهَا : إِمَّا لِإِجَابَةِ  
أَنْ يَبْدَلَ لِلشَّهْدِ، وَإِمَّا لِإِتَابَةٍ إِلَى طَلَبِ الْأَمَانِ؛ نَخَافَ الْعِدَا مِنْ ظُهُورِ هَذَا الْإِسْطَهَارِ،  
وَصَلُّوا أَنْ الْجَبَانِيَّةَ لِحَوْلٍ لَانْتَبَتْ لَهَا الْإِنْتَاثُ الَّتِي حَرِيَتْ مِنَ النَّفْعِ بِأَيْدِيهِمْ فَاسْتَعَانُوا  
عَلَيْنَ مَعَ الْعِدَا بِطُولِ الْجِدَارِ؛ فَمَعْدَ ذَلِكَ خَلَّتْ تَكُنُّ كُنُونُ الْأَسَاوِدِ وَتَكَبُّ وَتُؤَبِّ  
الْأَسُودَ، وَتُبَارَى بِهَا الْخُصُوفُ السَّمَاءَ فَكَلَّمَا قَدَفَتْ هَذِهِ بِكَوَاكِبِهَا النَّيِّرَةَ قَدَفَ هَذَا  
بِكَوَاكِبِهِ السُّودَ؛ وَلَمْ يَكْسِرْ لَهُمْ مَنَاجِيْقُ إِلَّا وَنَصَبُوا أَنْتَرًا بِمَكَانِهِ، وَلَا قُطِعَتْ لِأَحَدٍ  
إِصْبَعٌ إِلَّا وَصَلَ الْأَنْتَرُ بِنَاتِهِ؛ فَظَلَّتْ تَحَارِبُ مِثْلَ الْكَلَاءِ، وَتَحْتَمِلُ تَحَامِلُ الرَّمَاهِ؛ حَتَّى  
لَقَعَتْ وَفَسَحَتْ لِلرُّضَا جَمَالًا، وَمَالَتْ وَمِيلَ فِيهَا وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ تَكُونُ بِجَمَالٍ .

هَذَا وَالنُّقُوبُ قَدْ دَبَّتْ فِي بَاطِنِهِ دَيْبُ السَّقَامِ، وَتَمَشَّتْ فِي مَقَاصِلِهِ كَمَا تُفَشِّي  
فِي مَقَاصِلِ شَارِبِهَا الْمُدَامِ؛ وَحَشَتْ أَضَالِعَهُ نَارًا تُشْبِهُ نَارَ الْهَوَى : مُخْرِقُ الْأَحْشَاءِ  
وَلَا يَبْدُو لَهَا ضَرَامٌ؛ قَدْ دَاخَلَتْ مَرَسَلَةَ الْوَجَلِ، فَتَحَقَّقُوا حُلُولَ الْأَجَلِ، وَعَلِمُوا  
أَنْ هَذَا الْقَتْعُ الَّذِي تَمَادَّتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ قَدْ جَاءَ يَسْعَى إِلَى نِهَايِنِ يَدَيْهِ عَلَى الْعَجَلِ، وَأَيَّقَنَ  
الْحَصْنُ بِالنِّتَظَامِ فِي سِلْكِ الْمَالِكِ الشَّرِيفَةِ فَكَادَ يُوقِصُهُ بَيْنَ فِيهِ قَرُطُ الْجَدَلِ؛ وَزَادَ

شَوْقُهُ إِلَى التَّشْرِيفِ وَإِصَابَةِ لَوْصِمِهَا وَأَسْمِهَا مُشْتَقٌّ لَكُنْهُمْ أَظْهَرُوا الْجَلْدَ ، وَاخْتَوَا  
ضِرَامَ نَارِ الْجَزَعِ وَكَيْفَ تَخْفَى وَقَدْ وَقَدْ ، وَتَقَفَّتْ إِلَيْهِمُ الْجُيُوشُ لِمَلَاتِ الْأَفْقِ ،  
وَأَحَاطَتْ بِهِمْ إِحَاطَةُ الطُّوقِ بِالْعُنُقِ ؛ وَنَهَضَتْ إِلَيْهِمْ مُسْتَعِمَّةٌ مِنْ عَزَمَاتِ مُلْطَانِيَا ،  
مُسْتَعِمَّةٌ لَا تَقْرَعُ أَرْوَاحَ الْمَنَا عَلَى يَدَيْهَا مِنْ أَوْطَانِيَا ؛ فَاقْعَطَتْ بِهِمُ الْفُلُونُ ،  
وَدَارَتْ عَلَيْهِمْ رَحَى الْمُنُونِ ، وَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمُ الْحَبَائِقُ أَحْبَابَ رَعَالٍ (فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطْلِ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وَحَطَّتْ بِسَاحَتِهَا حَقَائِدُ تِلْكَ الْأَحْجَارِ ، فَهَدَمَتِ الْبُحَارَ وَالْأَعْمَارَ ،  
وَأَجْرَتْ فِي أَرْجَائِهَا أَنْهَارَ الدَّمَاءِ فَهَلَكُوا بِالسَّيْفِ وَالتَّنْبِيلِ وَالتَّارِ ؛ وَتَحَكَّمَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ  
فِي أَهْلِ الثَّلَاثَةِ فَبَدَّلُوا بِالْخَوْفِ مِنْ أَمْنِهِمْ ، وَهَرَبُوا مِنْهَا إِلَى عَمَائِلِ حَصِينِهِمْ .

وَلَمَّا رَكِبَ الْأَوَّلُ لِلزَّخِيفِ فِي جُيُوشِهِ الَّتِي كَانَتْ بَحْرَ بِمَوَاجِهِ ، تَزَلُّزَ الْحِصْنُ  
لِشِدَّةِ رُخْفِهِ ، وَتَضْمَضَعَ مِنْ خَوْفِ عِصْيَانِهِ فَطَحَّتْ سَمَائُهُ بِأَرْضِهِ ، وَتَحَلَّتْ قَوَائِدُ  
مَا شُبِّدَ مِنْ أَرْكَانِهِ فَانْخَلَتْ ، وَأَلْقَتْ الْأَرْضُ مَا فِيهَا وَتَحَلَّتْ ؛ وَنَشِبَتِ النَّارُ مِنْ تَحْتِهِمْ  
وَبِهِمْ لَا يَتَسَرَّعُونَ ، وَتَفِخَ فِي الصُّورِ بِلَ فِي السُّورِ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ؛ وَبِمَا كَانَ  
إِلَّا أَنْ قَابِلَتِ السَّبَاكَ ذَلِكَ الْبُرْجَ حَتَّى أَهْوَى بِلَمِّ التُّرَابِ ، وَتَدَبَّ بِآدَابِ الطَّامَةِ  
فَعَزَّارَا كَمَا وَأَنَابَ ؛ فَهَاجَتِ الْجُيُوشُ مُهَاجِمَةً الْخُتُوفِ ، وَأَمْرَعَتِ الْمَضَاءَ وَالْإِنْتِصَاءَ  
فَلَمْ تَدْرِ الْعِدَا : أَهْمُ أَمْ الَّذِينَ فِي أَيْمَانِهِمُ السُّيُوفُ الَّتِي تَسْبِقُ الْعَدْلَ . وَبَيَّتَ مِنْهُمْ  
مَنْ لَمْ يَجِدْ وَرَاءَهُ مَجَالًا فَلَجَّجُوا إِلَى الْأَمَانِ ، وَتَمَسَّكَ دَرِيءُ كُفْرِهِمْ بِمِزَّةِ الْإِيمَانِ .  
وَتَسَبَّهَتْ بِسَاحِلِ الْعَفْوِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛  
وَسَالُوا أَنْ يَكُونُوا لَنَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ ، وَتَضَرَّعُوا فِي أَنْ تَجْعَلَ أَرْوَاحَهُمْ لِسُيُوفِنَا  
مِنْ جُمْلَةِ الْوِدَائِعِ فَتَصِلَقَ عَلَيْهِمْ بِأَرْوَاحِهِمْ كَرَمًا ، وَظَلُّوا عَلَى مَعْنَى الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ :

يَرَوْنَ الْمَوْتَ يُقَفِّلُهُ وَالْحَيَاةَ حُلُمًا وَأُطْلِقَتْهُمْ الْيَدُ الَّتِي لَا يَجِبُ لَدَيْهَا الْآمَلُ ، وَأَعْتَقَتْهُمْ  
الْأَيْتُ الَّتِي فَبَاحُ الْأَرْضِ فِي قَبْضَتِهَا : فَتَى تَسَاءَ تَجْمَعُ عَلَيْهِمُ الْأَنْمَالُ ؛ وَتَرْجُوْا بِنُفُوسِ  
قَدْ تَجَزَّدَتْ حَتَّى مِنْ الْأَجْسَامِ ، وَمَقِلَ طَلَقَتْ الْكَرَاخَوْفَا مِنْ الصَّوَارِمِ الَّتِي تَسْلُهَا  
عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامُ ؛ وَسُطِرَتْ وَالْمَدِينَةُ قَدْ تُسَمُّ أَعْلَاهَا ، وَشِعَارُ الْإِيمَانِ قَدْ جَرَّهَا مِنْ لِيَاسِ  
الْكُفْرِ وَأَعْرَاهَا ؛ وَالْأَعْلَامُ قَدْ بَلَكَتْ إِلَى ذَلِكَ الْحِصْنِ أَعْلَى مَرْقَا ، وَالسَّعَادَةُ  
قَدْ بَلَكَتْ بَيْعَهُ مَسَاجِدَ وَتَحَارِيَهُ قِبَلَهُ وَكَانَتْ شَرْقًا ؛ فَاصْبِرْ بِرَقْلٍ فِي حُلَى الْإِيمَانِ ،  
وَأَذِقْ بِالطَّامَةِ فَانْحَرْسَ جَرَسَ الْجَرَسِ بِهِ صَوْتُ الْأَذَانِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[ومن ذلك] ما يكتب به في التمازي إلى الخلفاء .

وقد تقدم في الكلام على التَّهْنِئَةِ بِوَلَايَةِ الْخِلَافَةِ ، أَنَّهُ كَمَا يَبْنِي أَنْ لَا يَهْتَأُ الْخَلِيفَةُ  
بِالْخِلَافَةِ إِعْظَامًا ، فَكَذَلِكَ يَبْنِي أَنْ لَا يُعْزَى فِي مُصَابِهِ . إِلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا دَعَتْ ضَرُورَةُ  
الْكَتَابِ إِلَى ذَلِكَ : لِإِكْرَامِ بَعْضِ أَخْصَاءِ الْخَلِيفَةِ إِيَادَهُ بِالْكَتَابَةِ بِذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ .  
وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْجَمَالَ فِي ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَعْرَى : مِنْ وَالِدٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ غَيْرِهِمَا .

[وهذه نسخة مكتوبة في معنى ذلك] ذكرها في "مواد البيان" وهي :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ خِلَافَتَهُ نَظْمًا ، وَلِبَرِيَّةٍ نَظَامًا ؛ وَجَعَلَ لَهُ  
خُلَفَاءَ يَنْحَرِمُ لِمِائَتِهِمَا ، وَيَحْتَصِمُ بِرَأْيَيْهَا ؛ فَإِذَا أَقْبَضَتْ مَدَّةَ مَا ضَمِيهِمْ : لِمَا يَرِيدُهُ اللَّهُ  
مِنْ أَسْتَدَانَاهُ إِلَى مَقَرِّ خُلَصَائِهِ ، تَقْلَهَا إِلَى نُورِهِ بِأَصْطِنَاعِهِ وَأَصْطِفَانِهِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَصَرَ خِلَافَتَهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبَانِهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ زَعِيمَهُمُ  
الْمَاضِي الَّذِي كَانَتْ بِيَدِهِ مَوَارِئُهَا ، وَالْآتِي الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ [تُرَاتُهَا] .



والحمد لله الذى ختم لأمر المؤمنين المتَّعِلِّ إلى دار الكرامة بأفضل الخاتم،  
وأحسن له الجزاء عن السعى في الأمة؛ وأنتم باستخلاص أمير المؤمنين لإمامة خليفته،  
وحياطة شريعته، وحماية بلاده، وسياسة عبادته، ولوراثته تركت آباءه وأجداده؛  
وجعل الماضى منهم مريضاً عنه، والآتى مريضاً به؛ واحتلت الرعية من عدل  
أمير المؤمنين ما جبر كثرتها في خليفته، وصبرها في رزيته؛ وهو المنشول أن يلهمه  
على المصيبة في سلفه الطاهر صبراً، وعلى ما أخلفه عليه في تأهيله لخلافته التي  
لا كفاة لها شكراً؛ بمته وقضيه إن شاء الله تعالى.



[وهذه نسخة كتاب في التَّعْزِيَّةِ أيضاً<sup>(١)</sup>] وهى :

إنَّ الله خصَّ أمير المؤمنين بما هو أهله من خلافة، وعظم محله بما نصَّبه له  
من إمامة بريته؛ وجعله عماداً لأهل الإسلام تجتمع عليه أهواؤهم، وتسكن إليه  
أملأؤهم؛ ويصلح به دينهم وديارهم، ويستقيم به أمر أولادهم وأئمتهم؛ فإذا أسبغ  
نعمة من نعمه عليه، وظاهر موهبة من مواهبه لديه؛ شركوه فيها، ونهضوا معه  
على الشكر عليها؛ وإذا ابتلاه ببلية، وأمتحن صبره برزية؛ أخذوا بالنصيب العظيم  
من الحادِث، والحظَّ الحسيم من الكارِث؛ [و] ما أفردوه بشواب الله فيها وما جعله  
جزاءً من الأجر عليها.

وإن الله تعالى كان أعار أمير المؤمنين من ولده فلان - رضى الله عنه - عاريةً  
من عواريه، وبلغه من الاستمتاع بها ما احتسب من أمانته؛ ثم استرجعها ليُثَقِّلَ بها  
ميزانه، ويُضَاعِفَ إحسانه؛ ويصلها له ذخراً، ونوراً يسمى بين يديه وأجره؛ فعظم

(١) يياض بالأصل، والصحيح يقتضيه المقام.

بذلك المصائب على رعيته، وكبر الرزء على أهل دعوته، لما كانوا يرجونه من سكون القلوب، وتفتح الخطوب؛ واستقرار قواعد الخلافة، وتحمول الرحمة والرافة؛ وقد حصل أمير المؤمنين على نعيم كثيرة من موهبته وقواه في استعادته، وحصل كافة خاصيته على القلق لفقده، والألمى من بعده؛ وقد جعله الله تعالى صلاح كل فساد، وقفاف كل مباد؛ ومهبط كل رحمة، وطريق كل نعمة؛ وهو خليق بأن يظهر من صبره، ورضاه بقضاء الله وتسليمه لأمره؛ ما يعث على الناس به، والتأدب بأدبه؛ والله تعالى يحسن لأمر المؤمنين الخلف، ويعوضه أحسن العوض في الموتى؛ ويوفى حظه من الثواب، ويغفر له الأجر على المصائب؛ ويريه في أوليائه وأحبابه، أعظم محابة وقاية آياه؛ ويقل المنقول إلى الميوان الكرامة والاحتفاء، بأفاضل الأجداد والآباء؛ بفضلِهِ ورحمته، إن شاء الله تعالى.



[وهذه] نسخة كتاب : كُتِبَ به إلى الأبواب السلطانية عند فتح (آياس)

قاعدة بلاد الأرمني وأتباعها من أيلهم، وهى :<sup>(١)</sup>

يُقبل الأرض ويُنهى أن ليلة الانتظار أطلعت صباحها، ومواعدة الآمال بعثت على يد الإقبال نجاحها؛ والعساكر المنصورة جردت رابع ربيع الأول بمدينة آياس صباحها، وأوردت إلى الصدور رماحها؛ فلم يكن إلا كبح البصر، ولسان صدق القتال قائل : بأن الجيش الناصرى قد انتصر؛ وأنقضى ذلك النهار، بإيقاد نار حرب الحصار على أبراج وأسوار، أدبرت على المينا كما أدبر المعمر على السوار؛ فما أشرق

(١) كان الأولى ذكر هذه المكتبة مع المكتبات التي ذكرت في البشارة بالفتح، إذ لا مناسبة في ذكرها

صَبَّاحُ الصَّبَاحِ وَلَا حَ، إِلَّا وَالْأَعْلَامُ النَّاصِرِيَّةُ عَلَى قَلْعَةِ الْقَلْعَةِ مَا يَسُّهُ الْأَعْلَامُ مِنَ  
الْأَزْيَاحِ؛ مُعَلِّمَةُ السَّبْتِ بِحَى عَلَى الْفَلَاحِ وَحَى عَلَى النَّجَاحِ، وَعِزُّ الْإِسْلَامِ يُقَابِلُ ذَلِكَ  
الْكُفْرَ: بِهَذَا التَّنْصُرِ وَهَذَا الْإِفْتِاحِ، وَجَمْعُ الْأَرَمِينَ الْمَلَا تَهْرَقُ مَا يَبْنِي قَتْلَ وَأَسِيرِ  
وَأَتْرَاحَ، وَلَعِبَتْ أَيْدِي النَّبْرَانِ فِي الْقَلْعَةِ وَجَوَانِبِهَا، وَتَهْرَقَتْ مِنَ الْأَسْوَارِ أَعْضَاءُ  
مَنَازِلِهَا، وَتَطْلُقُ بِالْأَقْبَانِ لِسَانَ النَّارِ: هَذِهِ مَنَازِلُ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ.

ثم آتَيْتُ الْحَاصِرَةَ إِلَى قَلْعَةِ الْبَحْرِ، وَخَمَّ الْأَرَمِينَ الْمَلَا إِلَيْهَا سَيْفُ الثُّدُورَةِ وَالْقَهْرِ؛  
وَهَذِهِ الْقَلْعَةُ عَرُوسٌ بِكَرْفِ سَمَاءِ الْعِزِّ شَاهِقَةٌ، لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَوَائِلِ إِلَى  
خِطْبَتِهَا سَابِقَةٍ؛ قَدْ شَمَخَتْ بِأَنْفِهَا، وَنَاتٍ بِعَطْفِهَا، وَتَاهَتْ عَلَى أَوَامِقِهَا، وَغَضِبَتْ عَيْنَ  
رَأْمِقِهَا؛ فَهِيَ فِي عُقَابِ لَوْنِ الْجَوْ كَالطَّائِرِ، وَسُورُهَا الْبَحْرُ وَالْجَوْ فَلَا يَكَادُ يَصِلُ  
إِلَى وَكْرِهَا الْبَاطِلُ؛ وَقَدْ أُوتِيَتْ بِحَقَائِقِ الْحَدِيدِ، وَفُيِّدَتْ كَأَنَّهَا عَاصِيَةٌ تُسَاقُ بِالْأَصْفَادِ  
إِلَى يَوْمِ الْوَجْدِ؛ فَأَرْسَلَ طَيْبُ الْمَتَجَنِّقِ عَقَابَهُ، وَأَطْلَقَ بِهَا ظَفْرَهُ وَتَابَهُ؛ فَكَشَفَ  
مِنْ شُرَفَاتِهَا شَدَبَ تَهْرِهَا، وَسَقَاهَا بِالْكَفِّ أَشْجَمَ كُحُوسَ حِمَارَةٍ قَبَائِلَتْ مِنْ شَيْئَةٍ  
سُكْرًا؛ وَقَضَى مِنْ أَبْرَاجِهَا الصَّنَادِيقَ الْمُقَفَّلَةَ، وَقَفَّصَلَ مِنْ أَسْوَارِهَا الْأَعْضَاءَ  
الْمُتَصِلَةَ؛ فَتَرَزَّلَ حَمَلُهَا، وَزِيلَ عَنْ مَكَانِهِ جَمَلُهَا؛ وَطَلَّتِ الْأَيْدِي الْمُرَامِيَةَ بِهَا،  
وُطِّلَتِ الْأَيْدِي الْمُحَامِيَةُ عَنْهَا؛ وَأَشْتَدَّ مَرَضُهَا مِنْ حَرَارَةِ وَجْهِ الْحِصَارِ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهَا  
عَنْ مَقَامَةِ تِلْكَ الْإِحْجَارِ؛ وَلَمْ يَبْقَ عَلَى سُورِهَا مَنْ يَفْتَحُ لَهُ جَنْبًا، وَشَنَّ الْمَتَجَنِّقُ  
عَلَيْهَا ظَارَتَهُ إِلَى أَنْ صَارَتْ شَنَا؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مِنْ تَمَاءِ غَضَبِهِ رُجُومًا، وَوَالَى ذَلِكَ  
عَلَيْهَا سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا؛ فَبَادَرَتْ إِلَى الطَّاعَةِ وَأَسْتَسْلَمَتْ، وَكَرَّرَ تَحْوِهَا  
رُكُوعَهُ فَسَجَدَتْ؛ وَرَكِبَتْ الْخَيْوُشَ الْمَنْصُورَةَ عَوَضَ الصَّافِيَّاتِ الْخُجَّ، وَتَمَحَّتْ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمُهْجِ؛ فَتَمَدَّ ذَلِكَ سَارَعَ أَهْلُهَا إِلَى التَّلَاقِ بِأَسْبَابِ الْهَرَبِ،

وكان نَحْرَابُ قَلَمَةً مِثْلَنَا هَذِي نَحْرَابٍ قَلَمَتِهِمْ مِنَ الْحَرْبِ، وَأَحْرَقُوا كَيْدَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ  
 بِنَارِ الْفَضْبِ؛ وَأَتَرَحُّوا مِنْهَا لَيْلًا، وَجَرُّوا مِنَ الْمَزِيمَةِ ذَيْلًا؛ وَسَأَلَهَا الْمَسْلُومُونَ،  
 وَتَحَسَّرَ عَلَيْهَا الْحَسَرَةَ الْكُبْرَى الْكَافِرُونَ؛ وَهَدِمَتْ حَجَرًا حَجَرًا، وَصَالَحَتْ بِجِبَّتِهَا وَجْهَ  
 الثَّرَى، وَأَعْدِمَتْ مِنَ الْوُجُودِ عَيْنًا وَأَثَرًا؛ فَا أَعْجَبَ هَذَا الْفُتُوحَ وَأَغْرَبَ!،  
 وَمَا أَحْلَى ذِكْرَهُ فِي الْأَنْوَاءِ وَمَا أَعْدَبَ!!؛ وَمَا أَلَذَّ حَدِيثُهُ فِي الْأَسْمَاعِ وَمَا أَطْرَبَ!!،  
 وَمَا أَسْعَدَ هَذَا الْجَلِشَ النَّاصِرِيَّ وَمَا أَعْجَبَ!!! .

بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ هَذَا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ \* هَذَا الْفُتُوحُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ!  
 قَتَعَ مُبِيرٌ وَنَصَرَ جَلَّ مَوْقَعُهُ \* سَارَتْ بِهِ وَلَهُ الْأَمْلَاكُ وَالْبُشُرُ!  
 عَجَائِبُ ظَهَرَتْ فِي قَتْعِهِ يَهْرَتْ \* لَمْ تَأْتِ أُنْتَاهَا الْأَيَّامُ وَالسَّيْرُ!  
 لَوْ كَانَ فِي زَمَنِ مَاضٍ بِهِ تَزَلَّتْ \* فِي وَصْفِ وَقَعَتِهِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ!  
 هَذِي أَيْاسُ الَّتِي قَدَ عَزَّ جَانِبُهَا \* وَعَزَّ حَاطِبُهَا حَتَّى أَتَى الْقَدْرُ!  
 جَاءَتْ إِلَيْهَا جُيُوشٌ كَمْ بِهَا أَسَدٌ \* بِيضُ الصَّفَاحِ لَهَا الْأَنْبِيَابُ وَالظَّفَرُ!  
 جَيْشٌ لَهَا كَبْخَرٍ زَانِحٍ لِحَيْبٍ \* إِذَا سَرَى لَا يُرَى شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ!  
 يَسِيرُ بِالنَّصْرِ أَتَى سَارَ مَتَجِهَا \* مَا زَالَ يَقْدُمُهُ التَّائِسُ وَالظَّفَرُ!  
 جَيْشٌ لَهُ اللَّهُ وَالْأَمْلَاكُ نَاصِرُهُ، \* مَلِكُهُ نَاصِرٌ لِلدِّينِ مُتَحَصِرُ!  
 يَوْمَ الْخَمِيرِ رَأَيْتُ الْخَلِيلَ حَامِلَةً \* عَلَى رُؤُوسِ عُدَاةٍ هَامَهَا أَكْرُ،  
 وَقَلَمَةُ الْبَحْرِ كَانَتْ آيَةً لَهُمْ \* فَمَنْ يَسِيرُ فَأَصْحَتْ لِلْوَدَى عِبْرُ!  
 كَانَتْ بَاقِي سَمَاءِ الْعَرْشِ شَاهِقَةً \* أَبْرَاجُهَا بِسَقَاتٍ نَحْرُهَا خَطَرُ!

فَرَكَبَ الْمُسَامُوتَ الْبَحْرَ بَذَلَةً \* أَرْوَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكْتَرُ،  
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ وَلَا وَلَا مَلِكٌ \* يَأْوِي مَقَرًّا إِلَى أَنْ مَلَّتِ الْجُسُورُ!  
 وَعَجَّلَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ لَمْ \* هَذَا الْفَتْوحُ الَّذِي تُوْفِي لَهُ النَّذْرُ  
 يَرْضَى بِهِ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ قَاطِبَةً \* وَشَاهِدُ الْقَوْلِ فِيهِ الْعَيْنُ وَالْأَمْرُ

تم الجزء الثامن . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء التاسع

رَأَاهُ الْقِسْمُ الثَّانِي

( من مقاصد المكتبات الإخوانيات )

والحمد لله رَبِّ العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

(المطبعة الأميرية ٤٢٤٧/١٩١٥/٢٠٠٠)









